العدد ٨١ ـ ذو القعدة ١٤٠٢ هـ ـ سبتمبر ١٩٨٢ م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

جزء خاص : ١١ عاما على استقلال دولة قطر

● **وثيقة تاريخية بالغة الأهمية**
د. عاصم الدسوقي

● **كوتشينة..!**
محمود السعدتي

● **مجرمون إلى الأبد**
خالد محمد خالد

● **كيف نخترق جدار العقم الثقافي؟**
د. محمد جابر الأنصاري

دور العمائم في تاريخ مصر الحديث
فتحي رضوان





ميرندا بطعم البرتقال الطبيعي

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٨١ - ذو القعدة ١٤٠٢هـ - سبتمبر ١٩٨٢م

المراسلات :

التحرير والادارة :
ص . ب ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تلكس :
4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
مدير التحرير : ٤٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

الاشتراكات :

داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات:
داخل قطر ١٠٠ ريال قطرى
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
فى باقى دول العالم ١١٢ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار:

قطر ٤ ريالات
البحرين ٢٥٠ فلسا
الامارات العربية ٤ دراهم
عمان ٢٠٠ بيسة
الكويت ٢٥٠ فلسا
السعودية ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
العراق ٢٥٠ فلسا
المملكة الاردنية ٢٠٠ فلس
سوريا ٢٠٠ قرش
لبنان ٢٠٠ قرش
مصر ١٥٠ مليما
ليبيا ٣٠٠ درهم
السودان ٢٠٠ مليم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم
باقى دول العالم :
ما يعادل دولارين امريكيين

مكاتب توزيع الدوحة

● السودان :
مؤسسة دار التوزيع
ص . ب : ٣٥٨ - الخرطوم

● مصر :
مؤسسة توزيع الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة .

● المغرب :
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
ملتقى زنقة دبنان وزنقة سان سانس .
ص . ب : ٦٨٣ - الدار البيضاء

MOROCCO
SOCHEPRESS
P.O. BOX NO. 683
CASABLANCA

● سوريا :
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
برامكه - تجاه ثانوية فايز منصور
ص . ب : ٤٩٠٢ - دمشق .

● العراق :
الدار الوطنية للنشر والتوزيع للاعلان
شارع الرشيد - ساحة الوثبة

● تونس :
الشركة التونسية للصحافة .
٣ نهج المغرب
ص . ب : ٤٤٠ - تونس

TUNIS
SOTUPRESSE
3 RUE DU MOROC
B.P.N. 440 - TUNIS

● السعودية :
مؤسسة الجريس للتوزيع والاعلان
ص . ب : ١٤٠٥ - الرياض
مكتبة جدة :
ص . ب : ٩٥٠ - جدة
مكتبة ومطبعة خياط
المدينة المنورة

● الكويت :
دار الكويت للصحافة .
ص . ب ٢٣٩١٥ صفاة
الكويت

● لبنان :
الشركة العربية للتوزيع .
ص . ب : ٤٢٢٨ - بيروت

● الجزائر :
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
٢٠ نهج الحرية - الجزائر

ALGER
S.N.E.D
20 RUE DU LIBARTE
ALGER

● ليبيا :
المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان
فرع طرابلس : ص . ب : ٩٥٩ - طرابلس
فرع بنغازى : ص . ب : ٣٢١ - بنغازى

● الأردن :
وكالة التوزيع الأردنية
ص . ب : ٣٧٥ - عمان

● البحرين :
دار الهد :
١ شارع المعارف - بناية الدرازى
ص . ب : ٥٠٥ - المنامة

● سلطنة عمان :
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر :
ص . ب : ١٠١١ - مطرح
مسقط

● الجمهورية العربية اليمنية :
مؤسسة سبا العامة للصحافة والانباء .
ص . ب : ١٤٣٠ - صنعاء

الوكالة اليمنية للتوزيع
ص . ب. ٧٣٩٧ صنعاء

● جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :
مؤسسة ١٤ اكتوبر للطباعة والنشر .
ص . ب : ٤٢٢٧ - المحافظة الأولى
عدن .

● الامارات العربية المتحدة :
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع
شارع السلام - حمزة ثانى بن محمد
ص . ب : ٧٩١ - ابوظبى .

- جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير
- الآراء المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر عن رأي وزارة الإعلام
- المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر

طبعت بمطابع على بن على Ali Bin Ali Printing Press - Doha

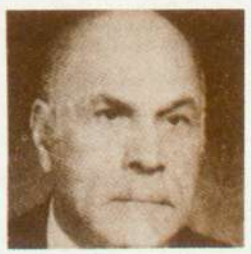
في هذا العدد



د . محمد جابر الأنصارى



خالد محمد خالد



فتحي رضوان



د . عبد السلام العجيلى

افنيرى أثنـــاء لقائه بياسر عرفـــات
فى بيروت الغربيـــــة (ص ٤٦)



- كيف نخترق جدار العقم الثقافى ؟ ... ...
  د . محمد جابر الأنصارى ٦
- مجرمون إلى الأبد ... ...
  خالد محمد خالد ١٠
- من أخطاء العقل العربى ... ...
  رجاء النقاش ١٣
- حكايتى والمؤتمر ... ...
  د . عبد السلام العجيلي ١٩
- الكوتشينة ... ...
  محمود السعدني ٢٢
- المسألة الصهيونية الفلسطينية فى الكونجرس الأمريكى ... ... د . عاصم الدسوقى ٢٤
- دور العمائم فى مصر الحديثة ... ...
  فتحي رضـــوان ٣٢
- من تاريخ البطولة العربية : قلعة الشقيف ...
  نبيل خالد الأغـــا ٣٦
- ملاحظات حول : شكوى الحيوان من ظلم الانسان
  يوسف الشاروني ٣٩
- سعد زغلول فى قفص الاتهام ... ...
  د . محمد عبد الرحمن عنبر ٤٠
- الجامعة الاسلامية العالمية ... ...
  د . صالح الشماع ٤٢
- تل العقارب .. وليس تل العقاب ... ...
  د . أحمد حسين الصاوى ٤٣
- الأسرة البهمانية ... ...
  أحمد العناني ٤٤
- أورى أفنيرى الصهيونى الخائف من التاريخ
  عصام شريح ٤٦
- موديليانى : العبقرى الصعلوك ... ...
  جمال قطب ٥٠
- الكنوز الحية فى المياه القطرية ... ...
  ابراهيم فؤاد أحمد ٥٢
- لقطات من الكون المثير ٦٠
- قبرص : عالم السحر والجمال والأساطير ... ...
  مجدى نصيف ٦٢
- مراثى أسمهان ... ...
  كمال النجمى ٦٨
- محاولة فى تأويل عينى حبيبتى « شعر » ...
  حسن طلب ٧١
- الفنان التشكيلى الراحل نزار سليم ٧٢
- مات رجل وعاشت نظرية ... ...
  د . عبد المحسن صالح ٧٦

● حكاية رجل لا تعرفونه « قصة » ... ...
أم أكثم ـــ

● رسالة الى جندى اسرائيلى « شعر » ... ...
محمود درويش ومعين بسيسو ـــ

● دائرة المعارف القرانية : « الفقراء » ... ...
د . محمد البهى ٩٩

● بنْدتيو كروتشه : ناقد عالمى يجهله العرب ... ...
د . الطاهر أحمد مكي ١٠٠

● الموجة الجديدة فى السينما ... ...
محمد فتحي ١٠٥

● من كتاب « حكمة الشرق » ... ...
ترجمة د . صالح الشماع ١٠٨

● محمود فوزى أخر جيل الديبلوماسيين العظام
محمود مراد ١١٠

● الى الزنبقة الغائبة « شعر » ... ...
م . كجراى ١١٥

● أغطية الرءوس فى العالم العربى ... ...
اللواء ابراهيم محمد الفحام ١١٦

● معالم وحكايات من لندن ... ...
محمد مروان جميل مراد ١٢١

● الشاعر عدنان مردم بك يتحدث عن ابيه الخليل
د . نسيب نشاوى ١٢٦

● رسالة إلى شـــاعر ... ...
بشرى ناصر ١٢٩

● محطات ... ...
عبد الله الشيتى ١٣٠

● أريد زوجة « قصة » ... ...
عبد الوهاب داود ١٣١

● كافافيس : شاعر عالمى من الاسكندرية ... ...
د. نعيم عطية ١٣٤

● دوحة الماضى ١٣٩

● العلم هو المستقبل ... ...
لبنى الريدى ١٤٤

● رسائل إلى المحرر ١٤٦

● إمراة تدعى جولدا .. وأشياء أخرى مزعجة ...
رءوف توفيق ١٤٨

● ضحكات الشـــهر ... ...
صلاح الليثى ١٥٤

● دوحة القراء ١٥٦

● استراحة الدوحة ١٦٠

● جزء خاص : ١١ عاما على استقلال دولة قطر :
من ص ٨٣ إلى ص ٩٨

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير : رجاء النقاش

مدير التحرير : عبد القادر حميدة

المدير الفني : أحمد فاضل

المحرر العام : كمال سعد

رئيس قسم دراسات الخليج : مرزوق بشير

التحرير : النور عثمان أبكر
عبد الله جابر
نادية رزق
ممدوح عبد الرحمن

سكرتير التحرير : نبيل خالد الأغا

الإشراف الفني : نائلة محمد فتحي

سكرتيرا التحرير الفنيان : أحمد عبد الله
علي دياب

البحوث والمعلومات : مبارك عثمان العشي

التصوير : أمين بدوي الحامدي

حتى لاتتم التصفية الكاملة للحضارة العربية

كيف نخترق جدار العقم الثقافي

بقلم الدكتور محمد جابر الأنصاري

من بين أهم أسباب العقم فى الثقافة العربية هذه السنين هو عجزنا نحن ، أبناء هذه السنين ، عن تجديد نظراتنا لتراثنا القريب والبعيد ، واعطائه عمقاً جديداً ، ومعنى جديداً ، وروحاً جديدة .

فنحن يتملكنا الشعور بأن حركاتنا الأدبية والفكرية السابقة قد قيلت فيها الكلمة الفصل، وانه لم يتبق شيء لمستزيد ، وان كل الأحكام والتقييمات قد صدرت ، وان جلسة التاريخ قد انفضت ، واننا وصلنا بعد فوات الأوان ، فلم يبق أمامنا إلا أن نكرر ماقيل ، دون حماسة ، ودون حيوية ، ولسان حالنا يكرر مع عنترة : « هل غادر الشعراء من متردم ؟ »

بل ونجد فى البيت المأثور لزهير ما يعبر أصدق تعبير عن شعورنا العقيم .



محمود عباس العقاد
لماذا عتم على جوانبه الانسانية الاخرى ؟



جميل صدقي الزهاوى
مطلوب دراسة اعماله برؤيتنا المتجددة



عبد الرحمن الكواكبى
لماذا ننظر إليه مع بقية العلماء نظرة ثابتة ؟



لطفى السيد
هل هناك مبرر لاعادة الحديث عنه ؟

ما أرانا نقول إلا معارا
أو معاداً من لفظنا مكرورا .. !

فهل من مبرر لاعادة الحديث عن محمد عبده والكواكبي ؟ وهل من مبرر لفتح ملفات طه حسين ولطفى السيد وجبران وميخائيل نعيمة ؟ .

وهل من فائدة ترتجى وراء العودة لدراسة شوقي والزهاوي والشابي والرصافي وحافظ ابراهيم ؟ .

ناهيك بجدوى العودة إلى المتنبى والمعري والمعتزلة وابن رشد وابن خلدون ، فلا جديد تحت شمس العرب !!

إننا ننظر إلى كل هؤلاء الاعلام التراثيين كما لو كانوا وجوهاً ثابتة ، ساكنة ، جامدة الخطوط والالوان والأطر ، بحيث لا ينتظر منها أن توحى لنا بتعبيرات جديدة ، وايحاءات أخرى مغايرة ، تكشف لنا عن معان متجددة وعلاقات متجددة بيننا وبينها ..

هذا مع العلم أن علماء الآثار يرون فى طبقات الأرض الجامدة الساكنة ما يدفع إلى التنقيب عن الجديد بين طبقاتها دون توقف .. وإذا ما انتهوا من طبقات المكان التفتوا إلى تراكمات الزمان ، يسبرونها سبراً بواسطة الاشعة والاجهزة الحديثة ليكتشفوا كم من العصور تراكمت على القرطاس الواحد والجلد الواحد ..

فهل يكون تراثنا العربي الانساني ، وهل يكون أعلام هذا التراث أقل إيحاء لنا مما توحيه الآثار الجامدة لاهلها ودارسيها ؟ ؟ وهل هذا التراث وهؤلاء الاعلام وجه ظاهري واحد لا أعماق له ؟

سر النهضات الأوربية :

ثم اننا لو تاملنا فى سر النهضات الأوربية المتتالية فى مجرى الحضارة الغربية ، التى مازالت تغزو العالم مادياً ومعنوياً ، لوجدنا أن كل نهضة جديدة من تلك النهضات كانت تبدأ باعطاء الماضى والتراث لوناً جديداً ، وبعداً جديداً ، وعمقاً جديداً ، لتنطلق من ذلك إلى إعطاء الحاضر أيضاً هذا اللون الجديد ، والبعد الجديد ، والعمق الجديد . فتتجدد بذلك الحضارة ، وتنفض عن نفسها غبار الجمود ، الذى يجلبه الكسل التاريخي فى حياة الأمم بين عصر وعصر ، وتنطلق من جديد شابة ، نشطة طافحة بدماء الشباب واحلام الخصب المنتظر .

لقد أعطى عصر النهضة للفيلسوف أرسطو صورة جديدة ، ومعنى جديداً لم يكن شائعاً فى العصور الوسطى .

وكان هذا المعنى الجديد الذى اكتشفه عقل النهضة فى التراث الأرسطى ، والتراث الاغريقي بعامة ، هو الجذوة التى اشعلت فيما بعد مشاعل التجديد الفلسفى الحديث على يد ديكارت وكانت وهيغل .

كما أعطت نهضة القرن التاسع عشر لمسرح شكسبير عمقاً جديداً لم يكن مكتشفاً فى نظرات القرون السابقة للتراث الشكسبيري .

وهذا العمق الجديد لم يكن مجرد اضافة اكاديمية لدراسات شكسبير ، ولكنه كان اضافة جوهرية لثقافة القرن التاسع عشر ذاته ، ولثقافة أهله ، ولطريقة رؤيتهم للحياة وللأعماق الانسانية وللنفس البشرية وللمجتمع والتاريخ ، ولم يكن تراث شكسبير سوى البؤرة المناسبة لانعكاس كل هذه الاضواء الحضارية الجديدة فى ثقافة القرن التاسع عشر وانصبابها مكثفة كما تنصب أشعة الشمس على كرة البلور .

كيف نخترق جدار العقم الثقافي

بل أن شخصية المسيح ذاتها ، كانت تتخذ عبر النهضات الأوربية ، أبعاداً وأعماقاً جديدة لم تكن واردة فى وعي أهل العصور السابقة . فمسيح لوثر غير مسيح البابوات ، غير مسيح كارليل ، غير مسيح رينان ، غير مسيح نيتشه . وليس معنى هذا أن هؤلاء اخترعوا مسيحاً جديداً لم يكن موجوداً فى الأصل . ولكنهم استطاعوا ـ بالخصب الابداعي المنبثق من ذواتهم ـ أن يكتشفوا فى شخصية المسيح أبعاداً دينية وانسانية وحضارية لم يكتشفها أهل المسيحية من قبلهم ولم يستطيعوا أن يستشرفوها بما كان لديهم من وعي .

وقد صبت هذه الرؤى والنظرات الجديدة فى التراث المسيحي لتخصبه وتغنيه وتجعل الحضارة الغربية أقدر على التجدد والاستمرار ..

عقلية تؤدى بنا الى التصفية

وغنى عن البيان أن سيطرة الروح التقليدية السكونية الحرفية فى أية حضارة لا يمكن أن تسمح بمثل هذا التجديد وحتى لو وجد الرواد المبدعون فان روح التقليد تقضى عليهم بشكل أو باخر إن لم يكن بتصفيتهم ،فبتقليص وتقليم أجنحة الابداع فى عقولهم وقلوبهم ، حتى يعودوا مثل غيرهم من أبناء الحضارة التقليدية ، إلى اجترار المعار والمعاد والمكرور من اللفظ والمعنى ، على رأى زهير ابن أبي سلمى

ومع روح الجمود التقليدي ، تتضافر ضد التجديد ، نزعة التعظيم ـ بل التقديس ـ لاعلام التراث بحيث يبدو كل بحث جديد مبتكر فى ناحية من نواحي حياتهم وكانه هدم لعظمتهم واجتراء على مكانتهم ، وليس محاولة مخلصة لتسليط ضوء جديد على ناحية خفية فى فكرهم أو حياتهم العامة أوالخاصة .

غير أن استمرار أية ثقافة وحضارة في هذا الموقف من شأنه أن يؤدى بها ليس إلى العقم والجمود فقط ، بل إلى الموت المحقق وإلى التصفية التامة . ونحن لا نقول ذلك من باب المبالغة والتهويل ،ويكفي أن نلاحظ أنه بينما يتم تجنيد المرأة فى الجيش الاسرائيلي الزاحف إلى مختلف الاتجاهات على الأرض العربية ، مازالت محافلنا الفقهية والفكرية تبحث فى جواز خروج المرأة إلى العمل ، وفي جواز وضع صورة لها على بطاقة الهوية للتحقق من الشخصية وفي مدى ضرورة تطويل اللحية وتقصير الثوب بالنسبة للرجال ..

فهل تستطيع عقلية كهذه أن تتفهم العمق الانساني في شخصية عمر بن الخطاب ، والعمق الفكرى لدى المعتزلة ، والعمق الفلسفي لدى ابن رشد ، والعمق الاجتماعي التاريخى لدى ابن خلدون ؟ ؟

بل هل تستطيع أن تفهم أي معنى حضاري فى دعوة محمد ، وفى شخصية محمد وأن تنفذ إلى العمق الروحي الالهي والعمق البشري الانساني فى الرسالة الاسلامية ؟ .

نهضة لم تحدث :

هذه مسألة لا مفر من مواجهتها إذا أردنا نهضة جديدة وإحياء لوجودنا المهدد من كل ناحية .

ولن يجدينا نفعاً مانؤسسه من جامعات وما ننشره من كتب وصحف ومانقيمه من مطابع واذاعة وتلفزة ، إذا كانت هذه النهضة المادية المظهرية لا تصاحبها ـ فى العمق ـ نهضة معنوية .. جوهرية .. داخلية فى صميم الانسان فى صميم الفكر ، فى صميم الارادة والاخلاق والقيم .

ومن الخير أن نتصارح ، ونصارح أنفسنا ، بأن هذه النهضة المعنوية الجوهرية لم تظهر علاماتها حتى الآن فى كل ما أقمنا ونقيمه من مظاهر عمرانية وانمائية : لأن محك أية نهضة حقيقية هو قدرتها على رد التحدي ووقف العدوان ومجابهة الغزو العسكرى والاقتصادي والفكري ، ومالم يتحقق ذلك، فلا التقدم بتقدم ولا النهضة بنهضة .

بيت مرفوض !

وعوداً على بدء ، مطلوب منا أن نرفض بيت الشاعر زهير بن أبي سلمى جملة وتفصيلا ، نصاً وروحاً .. !

« ما أرانا نقول إلا معاراً ... ؟؟..»

تصوروا لو سيطرت روح هذا البيت على عرب الجزيرة فى زمن الشاعر وما بعده ؟

أكانوا سيواصلون ابداعهم الشعري فى العصر الجاهلي ؟

أكانوا سيرتفعون إلى مستوى استيعاب البلاغة القرآنية ؟ والمعاني القرآنية الكونية الجليلة ؟

أكانوا سيبدعون ، فيما بعد ، فن الخطابة الاسلامية وفن الرسائل والفنون النثرية الاخرى ؟

أكانوا سيبدعون فكر المعتزلة وفلسفة الحكماء ؟

أكانوا سيكتبون « طوق الحمامة » و « ألف ليلة » و « الموشحات الأندلسية » و « حي بن يقظان » و « مقدمة ابن خلدون » ؟

بل هل كانوا سيبدعون أصلا حضارتهم العربية الاسلامية ؟!

أية خسارة ستكون ، بل أية كارثة ستقع لو صدق العرب بيت الشاعر !

من حسن حظهم انهم لم يحملوه على محمل الجد ..

ومن سوء حظنا اننا واقعون تحت ما يشبه فحواه ، شئنا أم أبينا ..

وتراثنا الحديث .. أيضاً :

وهذه النظرة التجديدية ، الابداعية ، الابتكارية التى تعوزنا لا تقتصر على كيفية النظر إلى تراث الأقدمين وحده .

إن تراث المحدثين ، على قرب عهدنا به ، يحتاج أيضاً إلى مثل هذه النظـرة التجديدية إذا أردناه أن يبقى حياً مستمراً بين أيدينا وفى وعينا وضمائرنا وفى وعي أجيالنا القادمة وضمائرها ..

وهذا لن يتحقق إذا واصلنا اجترار الأفكار المعهودة الشائعة ذاتها عن محمد عبده والكواكبي .. وإذا واصلنا وضع يافطة « أمير الشعراء على صورة أحمد شوقي .. وإذا حصرنا صورة العقاد الخصبة ، والحافلة بالمعاني المتباينة والألوان المتغايرة ، ضمن فهمنا الشائع عنه كعالم من علماء الكلام الحديث الذين نبحث عن الطمأنينة فى كتاباتهم .. فالعقاد الحقيقي كما يتراءى لي انسان يوحي بقلق الكشف والابداع ، أكثر مما يوحي بطمأنينة الاقتناع . واعتقد انه ظلم نفسه، وظلم صورته الحقيقية ، صورته الانسانية الداخلية ، عندما طرح نفسه على القراء عالماً كلامياً وفقيهاً عصرياً ، وعتم على جوانبه الانسانية الأخرى ، فأخذته الغالبية كما طرح نفسه فى كتبه التراثية فى المرحلة الأخيرة من حياته ـ خصماً للتجديد فى الشعر وللانطلاق فى الفكر ـ واختفى ذلك العقاد الأصلي .. عقاد الثورة على الكلاسيكية المحدثة كما مثلها أحمد شوقي ، وعقاد البحث والتساؤل فى الفكر الديني والسياسى ، وعقاد النضال ضد الاستبداد ، بل العقاد الذى بذل جهداً دؤوباً متواصلا لادخال فكرة التطور وفلسفة دارون فى نطاق الاجتهاد الفكرى الاسلامي ، بينما صورته النقيضة تتضخم فى اخر حياته كخصم للتطور والتجديد !

أين « منقذ » العقاد ؟ :

إن العقاد ، بالذات ، يصلح نموذجاً لما قصدت إليه فى بداية هذا المقال .

فالانطباع السائد عنه ، حتى فى أوساط المثقفين ، هو أن الحقيقة قد قيلت كاملة عنه ، وأن الأبحاث والدراسات قد استنفدت مختلف جوانبه ، وإنه لم تبق كلمة لمستزيد .. ولكني أرى العكس تماماً .

إن شخصية كالعقاد لم يكتشفها الجمهور العربي بعد ، لم تتضح جوانبه المختلفة لصورتها الحافلة بشتى الألوان والظلال . وأمامنا جهد هائل ، إذا عرفنا كيف نعيد النظر ونبصر من زاوية جديدة ، وبعدسة مبتكرة غير عدستنا التقليدية ، أقول أمامنا جهد هائل لاكتشاف وإعادة اكتشاف شخصية خصبة كالعقاد ، بما يعيد الخصب والـدم المتجدد الى عروق ثقافتنا المتازمة .

وسأكتفى هنا بمثل واحد من حياته .

كان العقاد مفكراً متسائلا متشككا ، حائراً .. ثم ألفيناه ، فيما يشبه التحول الفجائي ، رجلا مؤمناً مقتنعاً واثقاً وداعية لليقين فى كل ما يكتب منذ بداية «العبقريات» . وطبيعي أن يتحول الانسان المفكر من حائر إلى مؤمن ، إلى داعية للايمان . ولكن كيف قطع هذه المفازة الخطرة .. كيف اجتاز المسيرة الطويلة من الحيرة إلى الايمان التى حدثنا عنها الغزالي فى « المنقذ من الضلال » ، وأين هو « منقذ » العقاد ؟ ؟ لماذا لم يكتبه ؟ لماذا لم يحدثنا عنه ، لماذا لم يصفه لنا باسهاب ، وهو الكاتب المسهب ؟ .

هل بامكاننا نحن الآن ، على ضوء الوثائق الأدبية والتاريخية ، وباسلوب البحث العلمي ، أن نعيد رسم تلك المسيرة الشائقة بين حيرة العقاد ويقينه ، وأن نتعرف بشكل حميم إلى دقائق مسارها ..

وأن نكتشف كيف استقرت وعلام استقرت .. ولماذا لم يولها العقاد فى فترة اليقين ماتستحقه من اهتمام ؟ وهل من اللائق بالمفكر الحر أن ينبذ معاناة شكه ويقينه عندما يصل إلى مرحلة اليقين ، ولماذا لم يتحرج حجة الاسلام الغزالي من الحديث عن تلك المعاناة فى كتابه: « المنقذ من الضلال » وتجنب العقاد هذا الحديث ، وهو الذى تحدث عن كل قضية وقضيته ، وهل كان يتصور أن ذلك سيؤثر على صورته كمفكر مدافع عن الدين ؟ والى أي مدى كان العقاد ـ بالفعل ـ شديد الاقتناع بما يتخذ من مواقف فى قضايا علم الكلام؟ ... وهذه الأسئلة ليست عن عباس محمود العقاد !

إنها مجرد عينة للاسئلة التى نتمنى أن يطرحها المثقفون العرب بشان تراثهم الأدبي والفكرى كله قديمه وحديثه .. على أمل أن يبدأ لدينا ما يشبه النهضة .. الحقيقية .

وإلى مزيد من الأسئلة لاختراق جدار العقم .

د. محمد جابر الأنصاري

مجرمون إلى الأبد !

بقلم : خالد محمد خالد

على الرغم من أن مجلة « الدوحة » ليست مجلة سياسية ، فأنى أخط على صفحاتها هذا المقال الذى ان بدا سياسياً فى شكله ، فهو إنسانى فى مضمونه ..

أن قضية الشعبين الفلسطيني واللبناني المسحوقين فى بيروت ولبنان لم تعد قضية سياسية .. بل هى قضية انسانية فى المقام الأول والأخير .

وهى بما يتقحمها من ظلم وهوان لا تشكل اتهاماً للذكاء الانسانى الذى يعجز عن حلها بل انها اتهام للضمير الانسانى وطعنة له فى الصميم لا نخذاله أمام أقذر عصابات الاجرام فى تاريخ البشرية ، وأحقها بالزجر ، والتجريم .

ترى إلى أين يصير العالم وهو ينظر الى الشفق المرتحل والعدالة الغاربة ، نظرات زائغة مخبولة .. نظرات المغشى عليه من الموت ؟؟!!

هذه العدالة التى يدوسها أساتذة الاجرام بأقدامهم الفاشية ، ويطاردونها فى وحشية وسفالة .

هذا العالم الذى ابتلى بدولتين كبيرتين أو كما جرى العرف بتسميتهما « الدولتين الأعظم » !!

فأما أولاهما ـ وهى الولايات المتحدة فتساند الجرائم الاسرائيلية ، وتخطط لها ، ثم تتباهى بها وتدافع عنها فى غير حياء وفى غير أدب ..

وأما الثانية ـ وهى روسيا التى معها من القوة الرادعة مثل ما مع الأولى فانها تخاف خوف التعساء أن تستخدم معشار معشار قوتها وبأسها ونفوذها فى دعم الحق وكبح جماح المجرمين .

وتلك مصيبة عالمنا وأزمته ـ أن تسوده وتتزعمه وتحتل مركز الثقل فيه دولتان تحترمان المنفعة ولا تحترمان الحق .. وتؤثران حقوقهما الخاصة على حقوق الانسان ، ولا تعبآن أبداً بانهيار المبادىء وتهدم العدالة .. بل نراهما فى بعض الأحيان ، وربما فى كل الأحيان تقومان ضد الانسانية وحقوقها بابتزاز سافل وقاتل .. !!

أليس من الصعب غاية الصعوبة أن يصدق السمع والبصر والفؤاد ما تقترفه اسرائيل اليوم مع الفلسطينيين وشعب لبنان ؟!

وبأى مقياس من مقاييس الجريمة تقاس هذه الحرب الرجيمة .. ؟!

وماذا بقى للعالم من أمل فى مستقبله وثقة فى مبادئه ؟!

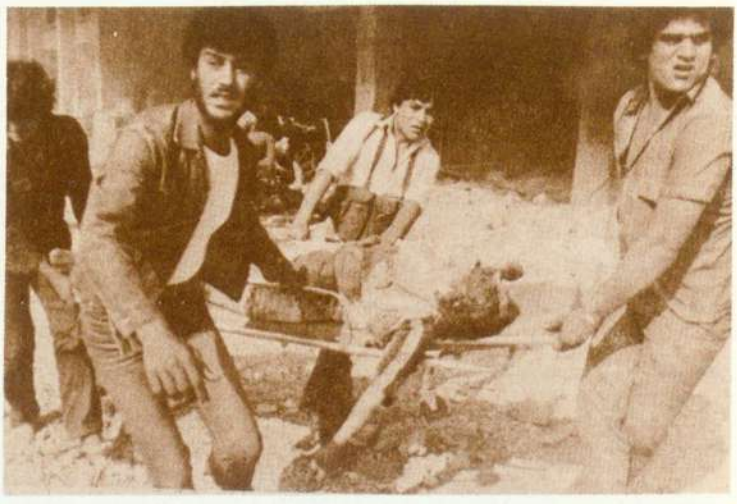
وأنا أتحدث عن العالم كله ، ولا أخص بحديثى العرب والمسلمين .

أتحدث عن العالم الذى كتب عليه أن يشهد فى حسرات نائحة أبشع مجزرة تقوم بها دولة تتباهى بأنها فوق المنظمات الدولية ، وفوق القانون الدولى ، وفوق الحق والعدل والشرف !!

• •

جريمة تثقل ضمير العالم لاريب ، وتعريه من كل مثله الكاذبة ، ومبادئه المدعاة ، وتجعله فى نوبات صحوه أقرب الى الذهول والجنون . ترتجف عيناه بنظرات زائغة لا ترى ولا تبين ..

خمسة عشر ألفاً من اللبنانيين



ضحايا العدوان الاسرائيلى على لبنان فى ابشع مجزرة تقوم بها دولة تتباهى بانها فوق المنظمات والقانون الدولى



أب يحمل ابنته الجريحة وسط الحطام .. انها صورة تعرى ضمير العالم من كل مثله الكاذبة ومبادئه المدعاة

والفلسطينيين حصدتهم الأسلحة الاسرائيلية فى يومين . ثم مضت وحدات الجيش الاسرائيلى بعد ذلك تصطاد الناس من منازلهم المحاصرة كأنهم جرذان ، ثم تقتلهم بالتعذيب .. وكأن العرب هم الذين نبادوا آباءهم وجنسهم الرجيم فى عهد هتلر .. كأن العرب هم الذين سحقوهم فى تلك الأيام سحق الأحذية الثقيلة للصراصير الهائمة !!!

وبعد مصرع الآلاف الخمسة عشر توالت المصارع . وارتفع عدد الضحايا ما بين قتلى ومصابين الى أربعين ألفاً من الفلسطينيين ، واللبنانيين كما أكد الدكتور فتحي عرفات رئيس الهلال الأحمر الفلسطيني وكما أكد أيضاً أن ٩٥٪ من الضحايا كانوا من المدنيين ، وأن ٧٠٪ منهم نساء وأطفال !!

وذكر أن نصف الجرحى يموتون متأثرين بجراحهم بسبب عدم توفر الظروف المناسبة للعلاج فى المستشفيات ، فقد ألقى الجيش الفاشى القبض فى جنوب لبنان على جميع الأطباء الفلسطينيين وقام بتعذيبهم ومعاملتهم أسوأ معاملة ..

واسرائيل لا تعتبر الذين يقعون فى يديها أسرى حرب . بل مجرمين وإرهابيين !!

وصدق المثل العربى القائل : « رمتنى بدائها وانسلت » ..

● ●

إن بيجن وشارون والجيش الاسرائيلى الغاشم فى غفلة عن تاريخهم ، وعن صيحات الرجال الشرفاء من اليهود الذين مافتئوا عبر التاريخ يحذرون بنى اسرائيل من عقبى ما يفعلون .

ولعل من بين هذه الصيحات الشريفة كلمات الحاخام « ماجنس » عميد الجامعة العبرية فى القدس إذ قال والدولة الفاشية فى أيامها الباكرة ، وفى مؤتنف تكونها وقيامها :

قال : « سينزل عقاب من الرب .. اننا نعبد الذهب ، إذ نحن ننشر الدعايات المأجورة .. ونعبد الدم ، إذ نحن نبث الرعب بين الناس .. وهذا لدى الرب حرام .. وشعائرنا شاهدة على اننا كنا نلقى العقاب فى كل مرة نفعل ذلك » !!

ولكن عبدة الدم لا يبالون بغضب الله إلا حين تحل بهم قارعة أو تنزل عليهم اللعنات ، ويحل بهم عذاب مقيم ..

وانهم لأبعد ما يكون عن أى شعور بتبعات السلام ، ولا يجدون فرصة للوثوب إلا اهتبلوها وانتهزوها .

انهم مجرمون فى أمسهم الدابر ، ومجرمون فى يومهم الحاضر ، ومجرمون إلى الأبد ..

ومن السذاجة والحمق أن يظن بهم الخير أو يطمع منهم فى سلام .. انهم يحلمون بامتلاك أرضنا كلها لأن التوراة التى يخبرنا القرآن مؤكداً انها قد حرفت وزيفت تقول لهم : « تملكون الأرض وتسكنون فيها ، لأنى قد أعطيتكم الأرض لكى تملكوها » !!

وهم يتوسلون الى هذا الامتلاك بابشع وسائل العنف والوحشية زاعمين أيضاً أن التوراة علمتهم ذلك وحرضتهم عليه .

ويعلق الأستاذ « فوشيه » على ذلك قائلاً: « انها نصوص تفيض وحشية عنصرية وتحيزاً صارخاً لا مثيل لهما » .

والعسكريون والفاشيون من الصهاينة الذين ركبهم شيطان التوسع يستخدمون هذه النصوص المسمومة فى صوغ شبابهم وشعبهم فى قوالب أطماعهم المسعورة .

ومع ذلك ـ كما يقول كتاب التحدى الصهيونى ـ فأن واحداً من أنبل كتب اليهودية وأعمقها يهتف بهم «ملعونون أنتم .. ملعونون ، وأرواح شريرة .. أنتم الذين لا ترون فى حكايات الكتب المقدسة إلا معناها الحرفى » !!

● ●

ولسوف يدرك العالم فى يوم قريب . بل لعله بدأ يدرك أن الصهيونية لم تكن ولن تكون تحدياً للعرب وحدهم ، بل كانت وستظل تحدياً للعالم كله ، وللانسانية جمعاء .

إن التجربة التى تدور رحاها اليوم على شعب فلسطين قد تكون آخر الدروس التى يلقيها القدر ، ويلقيها العدل الالاهي على بني الانسان .

ولعل المستشرق الفرنسي « ماسينيون » قد كان على بصيرة من هذه الحقيقة وهو يكتب عام ١٩٤٨م فيقول : « إن فلسطين اليوم هي خاتمة التجارب ، وآخر المطاف فى هذا الاستغلال الاستعماري الدولي الذى مايزال منذ قرون يزرع فى قلوب المضطهدين مر الاحقاد .. وهذا الاستغلال الظلوم ليس ثمرة مادية عمياء ، بل هو إفساد محسوب لما في الانسانية من قوى روحية أصيلة .. وإن الخلاف الظاهر بين الانجليز والأمريكيين ليس إلا مهزلة كاذبة .. أما تضامنهم العميق . ذلك الذى يزعمون

مجرمون إلى الأبد !

به صد خطر العدوان السوفييتي عن الديمقراطيات والاديان فى الشرق الادنى ، ولا سيما فى فلسطين ، فهو سوء نية متزايد الخطر يعجل بدفع الحضارة الأوربية الى الانتحار الخلقي » .. !!

نقول : إن ما يعانيه الشعب الفلسطيني اليوم ربما تكون الفرصة الأخيرة لعالمنا الملتاث ليثبت إن كان قادراً على حماية مبادىء الحق والعدل أم لا .. وليثبت بالتالي إن كان يستحق الحياة أم لا .. ؟!

● ●

إن العبريين الذين لم يحكموا فلسطين إلا مائة وثلاثة عشر عاماً على امتداد أكثر من اربعين قرناً يثبتون اليوم سرابهم وباطلهم بالاسلحة المدمرة الفتاكة ، بعد أن خدعوا العالم وحملوه على الصمت ، بل على المشاركة فى ارتكاب جريمة القرن العشرين ، بل جريمة كل القرون !!

والصهيونيون الفاشيون ينسون أو يتناسون فضل الإسلام على الجنس اليهودى كله . .

فبينما كان اليهود يذوقون الهول والهوان من أوربا المسيحية ، كان الاسلام يؤويهم ويهيىء لهم مكاناً آمناً فى قلب الجماعة الاسلامية ..

كانت أوربا المسيحية ترى فيهم « قتلة الرب » و « جلادي المسيح » .. بينما كان الاسلام يرى فيهم أهل كتاب .. هم والمسيحيون شركاء فيما يمنحهم المجتمع الاسلامي لأهل الكتاب من امن ورفاهية وسلام .

لم يحمل ذلك رواد الصهيونية فيما غبر من أيام ، ولم يحمل قادتها الفاشيين اليوم على الخجل من الجرائم البشعة التى يجترحونها فى فلسطين المحتلة وفي لبنان.

من قديم وهم يقولون : سيكون على العرب أن يرحلوا ويخلوا لنا المكان !!

وحين كان تصريح بلفور لايزال مجرد مشروع سأل الرئيس الأمريكي « ولسن » القاضي « براندس » وكان من كبار مستشاريه عن مغزى هـذا المشروع ، فاجابه قائلا : « إن اليهود الذين يطلبون تيسير سبل هجرتهم إلى فلسطين لا يبتغون فى الحقيقة إلا غاية واحدة . وهي أن يصبحوا أكثرية فى فلسطين ، وان يجبروا العرب على الارتحال عنها الى الصحراء » .. !!

كانت الغاية اللئيمة واضحة منذ البدء ، وكانت النية مبيتة من قديم على ما تنفذه اليوم حكومة بيجن ـ طرد العرب من فلسطين كخطوة أولى .. ثم الخطوة الثانية قيام امبراطوريتهم من النيل الى الفرات ..!

ولن يصرفهم عن ذلك سلام ولا مصانعة .. وفي هذا السبيل يجندون كل شيء ، بل يجندون الدول الكبرى لتحقيق جرمهم الشنيع !! وإنهم ليتخذون من السلام قناعاً جديداً يخفون وراءه انيابهم واظافرهم . كما اتخذوا من قبل خدعة الاضطهاد التى ضحكوا بها على العالم ، وتمسكنوا حتى تمكنوا ..

● ●

ومن عجب أن الدولة التى تزعم لنفسها حق الدفاع عن حقوق الانسان . الدولة التى كان يجب ان تكون محترمة ، والتى لا تني عن التلمظ بالكلمات الضخمة عما تلاقيه حقوق الانسان من تجاهل واضطهاد .

هذه الدولة « امريكا » تشترك اشتراكاً فعلياً وأكيداً في التخطيط لجرائم اسرائيل. ويدل على ذلك مواقفها الكثيرة من العدوان الاسرائيلي وموقفها الأخير من المذبحة الرهيبة فى لبنان !!

وإذا كان القصاص الإلاهي يحتم أن من اعان ظالماً سلط عليه ، فان على المؤمنين بوعد الله ان ينتظروا مصيراً مفجعاً ستلقاه امريكا ذات يوم بسبب ربيبتها المدللة اسرائيل .

إن امريكا تتجاهل صرخة جليلة اطلقها عام ١٧٨٩ زعيم من اشرف زعمائها هـو « بنجمان فرانكلين » حين قال مخاطباً الشعب الامريكي : « إن الولايات المتحدة تتعرض لخطر رهيب ، هو الخطر الذى يشكله وجود اليهود فيها .. فحيثما حل اليهود تدنى المستوى الخلقي والشرف التجاري .. وحيثما وجدوا يظلون على انعزالهم ، لا يلتحمون ابداً بالشعوب الأخرى .. وهم إذ يخشون على انفسهم الاضطهاد ينتهون الى خنق البلد الذى يعيشون فيه على الصعيد الاقتصادي .. انظروا إلى أسبانيا ، انظروا إلى البرتغال .. إنهم سيغيرون شكل الحكم الذى من أجله سالت دماؤنا . ومن أجله ضحى كثيرون منا بأرواحهم .. فاذا أنتم لم تطردوا اليهود فان أحفادنا سيقاسون الكثير منهم .. إنني أنذركم أيها السادة ، إذا لم تبعدوا اليهـود فان أولادكم سيلعنون قبوركم .. إنهم خطر على بلادنـا » .. !!! ـ كتاب التحدي الصهيوني ـ أضواء على اسرائيل من ترجمة نزيه الحكيم .

ولقد تحقق الكثير من نبوءة فرانكلين ، إذ استطاع اليهود أن يشوهوا الروح الأمريكي ويجعلون منه مسخاً شائهاً . وكل المباديء والمثل التى حارب من اجلها الأمريكان وسالت فى سبيلها دماؤهم قد وضعها التسلط الصهيوني داخل امريكا تحت أقدامه الدنسة .

لقد استطاعت الصهيونية أن تحمل امريكا على التنكر لحقوق الانسان ، وان تحملها على تدنيس يديها وضميرها بمشاركتها الفعالة فى القضاء على شعب بريء مسالم واخراجه من أرضه ودياره .

كذلك تحققت نبوءته فى الجانب الاقتصادي فاصبحت القوى الصهيونية داخل الولايات المتحدة قادرة على ضرب الاقتصاد الأمريكي ضربة قاتلة عندما تشاء

ولكن ، مادام هناك إله عادل ومقتدر ـ وإنه لهناك فعلا ـ فسوف تدفع امريكا وربيبتها الثمن غالياً ...

● ●

وماذا عن الدول العربية والاسلامية ؟؟

إن مجرد تذكرها يملأ الأنفس بالأسي والضيق ، ويجعل الاحساس بالهزيمة فضيلة العصر !!

لقد تمزقت تلك الدول شر ممزق ، وران عليها صمت اليم ، وتهيأت لتخوض تجربة اندلس جديدة ..

انظروا .. لقد قامت المظاهرات اللجبة الغاضبة فى اسرائيل نفسها تلعن بيجن وسفاحه شارون . بينما لم نسمع أن مظاهرة واحدة قامت في اي بلد عربي او اسلامي تشجب ولو بالهتاف والصراخ مايحدث فى لبنـان .. !!

فحسبنا اللـه ونعم الوكيـل .

خالد محمد خالد

من أخطاء العقل العربي

محاكمة ظالمة لأديب عالمي

بقلم : رجاء النقاش

من أكبر أخطاء العقل العربى هذه الظاهرة التى يمكن أن نسميها « باسم التفكير الانفعالى » ، وهذا التفكير الانفعالى يغرق العقل العربى فى بحار من الضلال ويشل قدرته على الحركة والرؤية الواضحة السليمة ، وما أكثر ما ينتج عن هذا التفكير الانفعالى من أخطاء ، فى التصرف والحكم على الأشياء ، والنتيجة الطبيعية لهذا التفكير الانفعالى هو أن الأمور تفلت من أيدينا ، فلا نستطيع التحكم فيها .. وعندما نستيقظ ونتخلص من الانفعال ونسيطر على عقولنا يكون الوقت قد فات ، ويكون الواقع قد فرض نفسه علينا وسلب منا الارادة وحرية الحركة .

وسوف أعالج هنا بعض جناية التفكير الانفعالى على العقل العربى فى قضية محددة ، هى قضية الهجوم العنيف الذى شنه عدد من أدبائنا فى الفترة الأخيرة على الكاتب العالمى « لورنس داريل » صاحب رواية « رباعية الاسكندرية » الشهيرة ، ومن خلال الحملة التى شنها هؤلاء الادباء العرب على هذا الأديب العالمى البارز ، نجد أن هذا الأديب متهم عند بعض الذين هاجموه بانه ينادى باراء تختلف عن الآراء التى نؤمن بها نحن العرب **فى قضايا أساسية . هذا هو الاتهام** الرئيسى ، وهو اتهام ينطوى على تفاصيل أخرى سوف نتعرض لها بعد قليل .

ولكن السؤال البديهى الذى يفرض نفسه علينا هو :

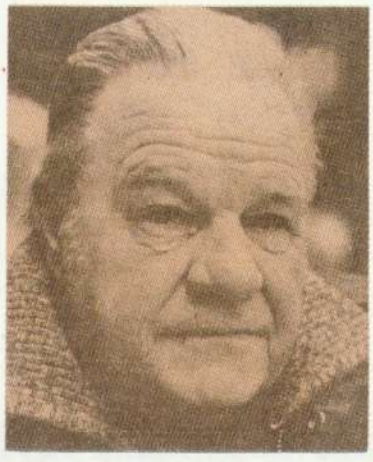
هل من المطلوب أن يكون كل كاتب عالمى غير عربى نسخة طبق الاصل من الشخصية العربية فى كل ارائها وافكارها ومواقفها المختلفة ؟

وإذا كان هذا الأمر مطلوبا .. فهل هو ممكن ؟

سارتر وموقفنا منه

إن الاجابة السليمة على هذا السؤال هو أن المفكر الغربى ، بحكم نشأته وظروفه وثقافته ، لا يمكن أن يرى الأمور مثلما نراها

محاكمة ظالمة لأديب عالمي



لورانس داريل
اديب عظيم ومحاكمة ظالمة



سلمى الخضراء
أديبة فلسطينية من أسرة مناضلة



غاندى
.. لو كنت يهوديا !

تماماً . وليس من الممكن أن نطالب سارتر مثلا ، وهو مفكر فرنسي من أصل يهودى ، أن يكون نسخة من « ساطع الحصرى » ، وأن يكون من دعاة القومية العربية ، وأن يحصر انتاجه كله فى الدفاع عن العروبة مثلما فعل « الحصرى » فى حياته الطويلة الخصبة المباركة .. إننا حين نطلب مثل هذا الأمر ، أو نحاكم سارتر على أساسه ، نكون قد وقعنا فى سذاجة عقلية ، وغرقنا فى نوع من العاطفية الفكرية ، لا قيمة له ولا جدوى منه ، لقد نشأ « سارتر » فرنسياً واشترك فى النضال ضد ألمانيا النازية فى الحرب العالمية الثانية ، بعد أن احتل الألمان فرنسا ، وتأثر سارتر بالثقافة الأوربية ، وتأثر على وجه الخصوص بما كان شائعاً فى أوروبا ـ خلال الحرب الثانية ـ من الدعوة إلى انقاذ اليهود من اضطهاد النازية التى تعمل على إبادتهم .. واقتنع سارتر بهذه القضية ، وترسب فى نفسه نوع من العطف على اليهود . فهل كان المطلوب أن نحاكم سارتر ، ونعاديه تماماً ، ونلغى وجوده الفكرى والأدبى بسبب هذا الموقف ؟ .

لقد فكر بعض المثقفين العرب فى الستينات فى هذا الأمر ، واتخذوا موقفاً هو من أفضل المواقف الفكرية والعقلية القليلة التى اتخذها العرب فى معالجة قضية الاتصال بالمفكرين الأوروبيين ، فقد قام الكاتب المعروف محمد حسنين هيكل ، وكان رئيساً لتحرير الأهرام فى ذلك الحين ، بدعوة سارتر لزيارة مصر ، وزيارة مخيمات اللاجئين فى غزة ، وجاء سارتر بالفعل إلى مصر ، سنة ١٩٦٦ ، وكنت ضمن الذين استقبلوه فى المطار عند وصوله الى القاهرة ، وتابعت محاضراته ومناقشاته ، فى جامعة القاهرة ، وفى المسرح القومى ، وقد عاد « سارتر » الى باريس بعد ذلك ، ولم تغير الزيارة رأيه فى اسرائيل كثيراً ، ولكن الذى تغير فى ذهنه هو نظرته الى القضية العربية ، فقد أدرك من خلال المناقشات ، ومن خلال زيارته لمخيمات اللاجئين فى غزة ، أن هناك خطأ تاريخياً فى الفهم الأوروبى للقضية الفلسطينية ، وكان من نتيجة هذا الموقف الجديد ، أن أصدر سارتر عدداً ضخماً من مجلته المعروفة « العصور الحديثة » عن « الصراع العربى الاسرائيلى » ، وكتب فيه عدد من المفكرين العرب « وليد الخالدى وأحمد بهاء الدين وغيرهما » ، فصولا شرحوا فيها القضية الفلسطينية شرحاً عميقاً ، وفى نفس الوقت كتب عدد من الاسرائيليين يشرحون وجهة نظرهم فى الصراع العربى الاسرائيلى .

لقد كان الكسب الذى عاد على العرب من دعوة سارتر لزيارة مصر وإجراء حوار معه كسباً محدوداً ، ولكن هذا الأسلوب فى التعامل مع المفكرين الغربيين هو الأسلوب الوحيد الصحيح ، وهو للأسف ليس الأسلوب الذى نحبه ونميل إليه .. فالحوار مع المفكرين الغربيين الذين يختلفون معنا ليس أمراً مقبولا عندنا ، لأننا فى ضجة التفكير الانفعالى نفضل الهجوم على هؤلاء المفكرين .. وهو هجوم نكتبه لأنفسنا ، فلا يقرأه أحد سوانا .

اهمال وعدم اهتمام

ويكمل هذه الصورة العجيبة ، أن بعض المفكرين الغربيين ، قد هداهم تفكيرهم ، وبحثهم الخاص ، ويقظة ضميرهم الانسانى إلى التعاطف الكامل مع القضية العربية ، ومثل هؤلاء المفكرين للاسف ، لم يجدوا منا سوى الاهمال وعدم الاهتمام . وفى هذا المجال يمكن أن نذكر المؤرخ الانجليزى الكبير « ارنولد توينبى » ، فقد وقف هذا المؤرخ بكل جهده العقلى ليدافع عن حق العرب فى فلسطين ، ويثبت بالبراهين العلمية والتاريخية الأصيلة بطلان الفكرة الصهيونية . وقد استجاب « توينبى » لدعوة قدمت إليه للدخول فى حوار علنى مع السفير الاسرائيلى فى كندا حول هذه القضية ، وواجه « توينبى » سفير اسرائيل بأقوى الحجج والبراهين ، وقد تم ترجمة هذا الحوار الهام إلى اللغة العربية منذ أكثر من عشرين سنة ، ولكن الكتاب الذى ضم الترجمة الكاملة لهذا الحوار اختفى من الأسواق العربية بسرعة غريبة ، كما تختفى عادة كل الكتب العربية التى تتعرض للصهيونية بالنقد العلمى الرصين والتحليل السياسى الدقيق، وهذا الاختفاء يدل دلالة قاطعة على وجود أيد غير ظاهرة ، تعمل على إطفاء كل الأنوار المضيئة امام العقل العربى .

هذا الموقف الواضح الحاسم الذى وقفه توينبى هل تجاوبنا نحن العرب معه ؟ ..



يوسف إدريس
احكام ادبية غريبة



ارنولد توينبى
اهملناه بعد أن تبنى قضيتنا



سارتر
زيارة لمخيمات اللاجئين



أحمد بهاء الدين
اول من قدم داريل إلى القارىء العربى



محمد حسنين هيكل
دعوة واعية الى الحوار



كولن ولسن
تايبد للعرب وتجاهل من العرب !

الذى حدث هو اننا نظرنا الى « توينبى » نظرة سلبية ، ولم نحفل حتى بترجمة كتبه الأساسية إلى اللغة العربية ، صحيح أن هناك ترجمة لمختصر موسوعته عن تاريخ العالم ، قام بها الأستاذ فؤاد شبل ، ونشرتها الجامعة العربية ، ولكن الموسوعة الأصلية لا تزال بعيدة عن المكتبة العربية ، ولم تهتم مؤسسة عربية رسمية أو غير رسمية بترجمة هذه الموسوعة الهامة ، وتقديمها إلى المثقفين العرب ، بصورة صحيحة سليمة ، كانت كفيلة بان تشعر توينبى – وقد توفى منذ سنوات بعد أن تجاوز الثمانين – بان العرب يقدرونه ويعترفون له بالفضل وأمانة الضمير .

لقد أهملنا « توينبى » ، ولم نعطه إلا أقل الاهتمام ، ومازال توينبى على رأس قائمة المجهولات العربية ، إلا فى نطاق ضيق من الباحثين والدارسين فى ميدان التاريخ .

وكاتب انجليزى اخر هو « كولن ولسن » وهو كاتب نال شهرة شعبية واسعة بعد كتابه الذى أصدره فى أواخر الخمسينات وهو كتاب « الغريب » وقد ترجم إلى العربية باسم « اللامنتمى » .. هذا الكاتب الناجح هو الآخر كان له موقف مؤيد للقضية الفلسطينية بغير تحفظ .. فماذا فعلنا نحن العرب ؟ .. لقد طلبت ، وطلب غيرى ، عشرات المرات أن تقوم مؤسسة عربية بدعوته لزيارة العالم العربى ، تعبيراً له عن التقدير لموقفه ، ومع ذلك لم يستمع أحد إلى هذا النداء ، وكل ما حدث أن بعض المثقفين العرب فى لبنان قد دعوه منذ سنوات إلى زيارة بيروت ، فلبى الدعوة وبقى هناك عدة أيام .

وما أطلبه هنا ليس « رشوة » هؤلاء الكتاب والأدباء الذين يعلنون التأييد الكامل لنا فى أوروبا ، وفى ظروف صعبة معادية لهم ، فالكاتب المبدئى المخلص لا يحتاج الى رشوة أو حتى الى مكافأة من أحد .. ولكننى أذكر هذه الأمثلة لتكون دليلا على ما أعنيه ، من أن العرب لم يحاولوا أبدا كسب أصدقاء حقيقيين فى ميدان الفكر والثقافة ، وانهم يسارعون إلى الهجوم العشوائى على من يختلف معهم ، بينما يهملون إهمالا بالغ الغرابة والعجب كل هؤلاء الذين يمدون إليهم يد التأييد والفهم والتقدير .

والموقفان خاطئان :

موقف الهجوم العشوائى على كل من يختلف معنا ، دون أى محاولة لفتح باب من أبواب الحوار مع هؤلاء الذين ينظرون – بحكم ظروفهم – إلى الأمور نظرة أخرى غير نظرتنا،وموقف الاهمال الكامل لهؤلاء الذين يتفقون معنا بدافع من ضميرهم ومبادئهم .

ثقافة البحر المتوسط

ونعود بعد ذلك الى القضية الراهنة ، وهى قضية الكاتب العالمى لورانس داريل .

لقد شن الدكتور يوسف إدريس هجوماً أدبياً عنيفاً على لورانس داريل فى مجلة فصول « المجلد الثانى – العدد الثانى – مارس ١٩٨٢ » وشنت الدكتورة ليلى عنان والسيدة منى أنيس هجوماً سياسياً أعنف من هجوم يوسف إدريس ضد لورانس داريل ، وذلك فى الأعداد الأخيرة من جريدة « الأهالى » المصرية .

ولنترك الهجوم الأدبى الذى شنه يوسف إدريس على « داريل » لنعود إليه بعد قليل .. ولنقف أمام الآراء التى رددتها الدكتورة ليلى عنان والسيدة منى أنيس .

إن الكاتبتين معاً تتهمان « داريل » بأنه يدعو إلى ما يسمى بثقافة البحر الأبيض المتوسط ، وتتهمان الكاتب العالمى بأنه عمل « جاسوساً » فى المخابرات الانجليزية وبأنه متعاطف مع اليهود،وكانت « مناسبة » هذا الهجوم من جانب الأديبتين الفاضلتين أن جامعة الاسكندرية أقامت ندوة أسمتها باسم « ثقافة البحر الأبيض المتوسط » ودعت الجامعة « لورانس داريل » للاشتراك فى هذه الندوة .

أما موضوع « ثقافة البحر المتوسط » فمن المؤكد انه موضوع « غير مناسب » بكل المقاييس لما ينبغى أن يثار من قضايا الآن فى الوطن العربى ، واللوم هنا ينبغى أن يتجه إلى جامعة الاسكندرية قبل غيرها لسوء اختيارها لهذا الموضوع . فمن الثابت أن هناك محاولة ذات دوافع سياسية وراء طرح ما يسمى بفكرة « البحر المتوسط » فى الثقافة والحضارة ، وعبارة « البحر المتوسط » يمكن أن تكون قناعاً لعدم استخدام عبارة « الثقافة العربية » ، ويمكن أن تكون قناعاً لادخال اسرائيل

محاكمة ظالمة لأديب عالمي

والثقافة العبرية ضمن نطاق « ثقافة البحر الابيض المتوسط » جنباً الى جنب مع الثقافة العربية ، بحيث يبدو أن هناك عاملا مشتركاً بين الثقافتين العبرية والعربية ... وطرح الموضوع بهذه الطريقة، والآن على وجه الخصوص ، يعتبر خطأ لا مبرر له . ولكن مثل هذا الخطأ لا سبيل الى رفضه بالعنف ، أو بهدم كل شيء على رؤوس الذين ينادون بمثل هذه الأفكار ، بل الأسلوب الصحيح هو مناقشة هذه الأفكار والكشف عن خطئها وتعريتها من أثوابها الشفافة ، وإبراز حقيقتها امام الرأى العام الثقافى . وعبارة « البحر الأبيض المتوسط » هنا ، أشبه بعبارة أخرى أكثر شيوعاً وأخطر تأثيراً ، هى عبارة « الشرق الأوسط » فالشرق الأوسط ، تعبير يتم إطلاقه منذ الحرب العالمية الثانية أو قبلها بقصد إخفاء التسميات الصحيحة مثل « العالم العربى » أو « الوطن العربى » ، وقد انسقنا نحن العرب إلى استخدام تعبير « الشرق الأوسط » تماماً مثلما يستعمله الأوروبيون دون أن ننتبه إلى ما وراء هذا التعبير من محاولة لطمس التسمية العربية الأصلية للمنطقة ، وما « ثقافة البحر الأبيض المتوسط » إلا محاولة أخرى لطمس التسمية الصحيحة لثقافة هذه المنطقة وحضارتها ، وهى ثقافة عربية وحضارة عربية .

هذا هو الموقف الصحيح الذى ينبغى أن نلتزم به علمياً ووطنياً .. ولكن عندما نجد فى داخل هذه الصورة التى يتم رسمها وتسميتها باسم « ثقافة البحر الأبيض المتوسط » .. عندما نجد فى داخل الصورة أديباً ومفكراً غربياً كبيراً مثل « لورانس داريل » يتصرف ويتحرك ويتحدث ويكتب على أساس اقتناعه بأن هناك ملامح ثقافية مشتركة بين الشعوب المطلة على البحر المتوسط فى الشرق والغرب على السواء ، فماذا يكون موقفنا ؟ .. إن « الحوار » هو الأسلوب الفكرى الصحيح ، وليس الهجوم والاتهام والتجريح بالحق والباطل .

لقد كان المفروض أن تدعو مؤسساتنا الثقافية « داريل » وأن تواجهه بالرأى ووجهة النظر المخالفة لرأيه ، خاصة أن داريل يعرف مصر ، فقد عمل فيها ، وفى مدينة الاسكندرية على وجه الخصوص ، عدة سنوات ، وكتب عمله الفنى الأكبر والأهم والأعظم عن « الاسكندرية » فى رباعية أجزاء كبيرة وسماه باسم « رباعية الاسكندرية » أى أن هذا الكاتب لديه استعداد عقلى ونفسى للحوار معنا . ولكن الذى حدث هو اننا رفضنا دعوته الى أى حوار واكتفينا بأن نطلب منه ، دون أى جهد من جانبنا ، أن يفكر مثلنا تماماً وأن يعتقد بكل ما نعتقده ويؤمن بكل ما نؤمن به وهذا مطلب خاطىء وغريب ، وهو جزء من ذلك « التفكير الانفعالى » الذى لا يجدى ولا يفيد ، والذى يضر أكثر مما ينفع . لأن هجومنا العنيف على داريل لن يؤثر فيه ، بينما يؤثر فيه على العكس أن نتحاور معه ونناقشه ونبادله الرأى بالرأى والحجة بالحجة .

هل كان جاسوساً ؟

على أن تهمة داريل عند الذين هاجموه ، لم تتوقف عند حدود انكار دعوته الى ما يسمى بثقافة البحر الأبيض المتوسط ، فلابد للمهاجمين كي تقوى حجتهم ، ان يبحثوا عن بقع أخرى فى ثوب هذا الكاتب الكبير .

والتهمة الاخرى الموجهة إلى « داريل » هى انه كان يعمل أثناء الحرب العالمية الثانية وقبلها « فى المخابرات الانجليزية » أى أنه كان جاسوساً ، وقد ناقش « داريل » نفسه هذا الاتهام الذى وجهه إليه البعض فى حوار صحفى « وهذا الحوار مترجم بنصه فى جريدة الجزيرة السعودية الصادرة فى ٢٠ سبتمبر ١٩٨١ » ، ويقول « داريل » فى الرد على هذا الاتهام :

« لقد عينتنى الحكومة الانجليزية ملحقاً صحفياً فى المفوضيات البريطانية فى الشرق الأوسط ثم فى يوغوسلافيا ، واعتقد أن العزلة التى أعيشها منذ سنوات يمكن أن تقنعك بصحة كلامى « أى باننى لست جاسوساً ولم أكن جاسوساً » .. اننى لا أصلح لدور الجاسوس ، فوجهى القاسى لا يسمح بالانتقال السريع من وضع الى وضع آخر ، هذا فضلا عن أن صوتى الخشن يعطينى صفة « رجل العصابات » أكثر من صفة الرجل السرى الذى ينتقل داخل نفسه . لم يكن ما قيل عنى صحيحاً . كنت موظفاً إعلامياً فقط ، دون أن يعنى ذلك أننى لم اكن مطلعاً على بعض الأسرار لكن بعض المؤرخين يتركون لخيالهم العنان ، وهذا على كل حال بات معروفاً ، فالتاريخ يكتبه المرضى عادة » .

ثم يعقب داريل بكلمات أخرى فى وصف نفسه وجذوره المتعددة فيقول :

« الحقيقة اننى استقررت فى أكثر من مكان ، وهذا ما جعلنى إلى حد بعيد أشبه بسوق مشتركة ، هذا فضلا عن أن جذورى متنوعة جداً ، لكن الأمر الذى لا أزال أعانى منه حتى الآن هو أن الانجليز يكرهون نصفى الأيرلندى ، والايرلنديون يكرهون نصفى الانجليزى ، والواقع هو أننى لا أصلح أن أكون انجليزياً ولا أيرلندياً ، فانتمائى الى الحياة مختلف » .

هذا ما يقوله « داريل » ومن الواضح أن تهمة الجاسوسية قد جاءته بسبب عمله كملحق صحفى فى السفارات والقنصليات الانجليزية « ومنها القنصلية الانجليزية فى الاسكندرية أثناء الحرب العالمية الثانية » .. ومن الممكن بالطبع أن يكون عمل « داريل » متصلا بالمخابرات الانجليزية ، فقد كان موظفاً من موظفى انجلترا ، فى مجال يفرض تقديم معلومات وتقارير .. ولكننا إذا اتبعنا هذا الأسلوب فى اتهام كل العاملين فى « الملحقيات الصحفية » بالجاسوسية ، فسوف نكون قد وضعنا أمامنا « مبدأ » يفرض علينا ألا نتعامل مع المئات من المشتغلين بالصحافة والثقافة فى العالم كله ، ونكون بذلك قد دفنا رؤوسنا فى الرمال ، حتى لا نرى ولا نسمع ، والأقرب إلى التفكير السليم هو اننا لا ينبغى أن نلقى الاتهام بالجاسوسية على أحد إلا إذا ثبت ذلك بالدليل القاطع الواضح ، وليس هناك من دليل ضد « لورانس داريل » .. إلا عمله السابق كملحق صحفى فى السفارات والقنصليات الانجليزية .

ومع ذلك فلو أن لورانس داريل كان مجرد موظف ، لا قيمة له ولا تأثير فى الثقافة العالمية المعاصرة ، فقد كان من الممكن أن نقبل اتهامه بالجاسوسية على أساس الشبهة ، وليذهب « داريل » فى مثل هذه الحالة الى الجحيم .. ولكن داريل كاتب كبير له قيمته وتأثيره فى الفكر العالمى المعاصر ، ولذلك فقد كان من الضرورى أن تكون محاكمته فى هذا المجال على أساس دقيق وثابت من الأدلة والبراهين ، حتى لا يترتب على اتهامنا العشوائى لهذا الكاتب أن يرفضه القارىء العربى رفضاً نهائياً ، بغير دليل أو علم ، والخسارة هنا تقع قبل كل شيء على العقل العربي الذى يندفع إلى الاعتقاد بأن قراءة داريل أصبحت من «المحرمات» .. فى الوقت الذى يقرأه الناس فى كل انحاء العالم ويستمتعون بادبه ويستفيدون من هذا الأدب فائدة روحية وعقلية عميقة ، ويناقشونه بالتاييد أو الاعتراض المبني

على المعرفة والفهم الصحيح .

ولكن بعض الذين هاجموا داريل رددوا هذا الاتهام المتسرع ضد الكاتب الكبير دون أن يقدموا عليه دليلا حاسما ، وطالبوا بعد ذلك بمنع الكاتب وأدبه من الدخول إلى البلاد العربية . وبالنسبة لي فانني منذ أن قرأت « رباعية الاسكندرية » ، واستولى الكاتب العالمي الكبير لورانس داريل على اعجابي واهتمامي ، فانني أتابع كل شيء عنه ، ولم أعثر ـ فيما قرأت ـ على أي دليل جدي يثبت اتهامه بالجاسوسية . وأذكر أن أول من قدم رباعية الاسكندرية الى الثقافة العربية هو الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين ، وبهاء كاتب سياسي واع ووطني ويقظ ، وليس من المعقول أن يخفى على انتباه كاتب مثل بهاء أن « داريل » جاسوس ، ولو وجد بهاء أساسا لهذه التهمة ، لما غاب عنه الأمر ، ولما قام بتقديم «داريل» إلى القارىء العربى فى كتابه « أفكار معاصرة ».

التعاطف مع اليهود

وناتي بعد ذلك إلى الاتهام الثالث الخطير ، وهو اتهام داريل ، بانه متعاطف مع اسرائيل ، والفرق كبير بين تعاطف داريل مع اليهود ضد اضطهاد النازية لهم ، وبين اتهامه بالتعاطف مع اسرائيل .

إن الثورة الفلسطينية نفسها لم تطلب في يوم من الأيام أن يضع العالم : الايمان بالقضية الفلسطينية فى قلبه وعقله بديلا عن التعاطف مع اليهود الذين اضطهدتهم النازية أو غيرها فى عصر من العصور ، فالدعوة العربية الفلسطينية « قومياً وسياسياً ودينياً » تطالب بحقوقها ولا تدعو أبداً إلى الاضطهاد أو تؤيد مثل هذا الاضطهاد حتى لو كان موجهاً إلى اليهود . ذلك لأن دعوتها إنسانية وليست عنصرية متعصبة ، وهذا هو سر قوتها وتأثيرها وبقائها فى ضمير العالم كله رغم عنف الصدمات والعقبات والآلام التى لا حد لها .

ويحضرني هنا نموذج له أهميته ، ذلك هو موقف الزعيم الهندى العالمي «غاندي» الذي كتب عند بداية الحرب العالمية الثانية مقالا بعنوان « لو كنت يهودياً » ، وهو مقال رحب به العرب وترجموه ونشروه فى صحفهم الكبيرة ، وفى هذا المقال يدافع « غاندي » عن اليهود ضد الاضطهاد النازي ، حيث يقول : « إن المباديء السامية تقتضي بأن يعامل اليهود كغيرهم من خلق الله أينما ولدوا وحيثما نشأوا . فاليهود الذين يولدون في فرنسا فرنسيون ولاشك ، كما أن المسيحيين الذين يولدون فى فرنسا فرنسيون ولاشك » ثم يقول غاندى بعد ذلك : « لو كنت يهودياً مولوداً فى المانيا ، وكنت أحصل رزقى منها ، لصرخت فى وجه أقوى رجالها : إن المانيا وطني ، ولا أخرج منها ولو قطعت أوصالي أو ألقى بي من حالق ..» ولرفضت أن أطرد منها أو أخضع لأي نوع من أنواع الاضطهاد بها » ثم يقول غاندي « .. إذا اتخذ اليهود فلسطين وطناً لهم ، هل معنى ذلك أنهم يستمرئون فكرة إخراجهم من ديارهم ؟ أو أنهم يريدون أن يكون لهم وطنان يعيشون فيهما كيف يشاءون ؟ إن تلك الصرخة فى طلب الوطن القومي تعطى الألمان حجة براقة اللون لطرد اليهود » ... وهكذا جمع غاندي بين تعاطفه مع اليهود ضد الاضطهاد الموجه إليهم من الألمان ، وبين رفضه دعوة اليهود لاقامة وطن قومي لهم على أشلاء شعب آخر هو الشعب الفلسطيني . وأنا أقدم هذا النموذج الانساني البارز ، لأخرج منه بنتيجة أساسية ، هي أن التعاطف مع اليهود فى قضية اضطهادهم من جانب النازية ، أو غيرها من القوى السياسية ، لا يعني أبداً كراهية العرب أو انكار الحق العربي فى فلسطين .

فتهمة التعاطف مع اليهود ، وهي التهمة الموجهة لداريل لاتقوم على أساس سليم ، فليتعاطف داريل مع اليهود ، ولكنه لم يعلن أبداً ـ فيما أعلم ـ أي انكار للحق العربي فى فلسطين .

ومع ذلك كله فأين تعاطف داريل مع اليهود ؟ .. إن أهم رواية كتبها داريل هي رباعية الاسكندرية . وقامت بترجمة جزءين منها الشاعرة الفلسطينية الكبيرة « سلمى الخضراء الجيوسي » وسلمى الخضراء ، هي سيدة فلسطينية من أسرة مناضلة ومعروفة ، وهي نفسها قد صرفت جهدها وعمرها فى الدفاع عن قضيتها العربية الفلسطينية والتعبير عنها ، ولا يستطيع أحد ، ولا يملك أن يتهم سلمى الخضراء فى عروبتها أو فلسطينيتها ، ولو أن سلمى قد وجدت فى داريل عداء للعرب وميلا نحو اسرائيل ، فهل كانت تقوم بترجمة جزءين من « رباعية الاسكندرية » إلى العربية ؟ .. لايمكن أن نتصور هذا ، بل إن سلمى الخضراء ، قد وجدت معنى عكسياً تماماً فى أدب « داريل » وهي تعبر عن هذا المعنى فى مقدمة رواية «جوستين» وهي الجزء الأول من «رباعية الاسكندرية» « منشورات دار الطليعة ـ ابريل ١٩٦١ » ... وهنا تقول الأديبة العربية الفلسطينية سلمى الخضراء فى مقدمتها بالنص :

« ... إن القارئ العربي سيفيد من هذه الرواية فى ناحية مهمة قد لا يعبأ بها القاريء الأجنبي . هذه هي الناحية السياسية . فمع أن ناحية السياسة ليست من أهداف الرواية الأساسية إلا أن العوامل السياسيةتسيطر على أحداث الرباعية ، وتصرفات الأشخاص فيها . إن الاطار السياسي فى الرواية لا يكاد يتبدى فى الروايتين الأوليين ، ولكنه يظهر بوضوح وجلاء فى « ماونت أوليف » الرواية الثالثة . فجوستين « بطلة الرواية الأولى » مثلا تستعمل كل أساليب اليهود « السحر والحب والاغراء » ، فى سبيل أهداف سياسية . والكاتب « داريل » يعاملها فى الرواية الأولى كفتاة جميلة ساحرة . ولكنه يعود فيكشف عن مناحيها الأخرى فى الروايات التابعه . ولاشك أن القاريء العربي سيضيف إلى معرفته العامة باساليب اليهود خبرة دقيقة مباشرة ومهما ذكرنا أنفسنا بأن الأحداث والشخصيات من ابتكار الكاتب فاني أظل أرى فيها نسيجاً واقعياً يفضح الأساليب التى كان العدو يتبعها فى قلب الوطن العربي جميعاً قبل ثورته الواعية » .

هذا ما قالته الشاعرة والأديبة الفلسطينية « سلمى الخضراء » فى تقديمها لرواية « داريل » : رباعية الأسكندرية ، بل إن داريل يذكر عن إحدى شخصيات الرباعية أن « رسائله كانت مليئة بالمذمات العجيبة لليهود ، كان يلقبهم بمصاصي الدماء « ص ٢٦٩ من رواية جوستين ـ الترجمة العربية » .

فاين إذن هذا الأساس الذى تقوم عليه الاتهامات ضد داريل بانه متعاطف مع اليهود ضد العرب ؟ .

إن مثل هذا التفكير السريع المتعجل لن يؤدى إلا إلى منع دراسة أدب « داريل » وفهمه وقراءته ، وهو أدب عظيم يستحق الدراسة والفهم والقراءة من كل المشتغلين بالثقافة العربية ، كما أن مثل هذه الاتهامات تحول بيننا وبين إجراء أي حوار جدي مع هذا الكاتب العالمي ، في أي شيء قد يكون أساء فهمه أو أساء تقديره ، وهذه الاتهامات أيضاً ، تؤدى بنا إلى التشنج ، والتفكير الانفعالي ، ولا تجدي شيئاً ولا تعود علينا باي نفع من أي نوع على الاطلاق .

اتهامات أدبية

بقيت النقطة الأخيرة فى هذه القضية ، وهي ماأطلقه الأديب العربي الكبير الدكتور يوسف إدريس حول رواية رباعية الاسكندرية » ، وأحكام يوسف إدريس هي أحكام بعيدة عن السياسة ، ولكنها تؤدى إلى نفس النتيجة التى تقودنا إليها المناقشات السياسية المتسرعة .. هذه النتيجة هي إساءة فهم الأديب العالمي « داريل » ، وإساءة تقديره ، وتجاهله أو الجهل به ، .. يقول يوسف ادريس تعبيراً عن رفضه ونفوره من أدب داريل « مجلة الفصول ـ المجلد الثاني ـ العدد الثاني ـ ص ٢٣٤ » ما نصه :

« لو أخذنا مثلا رباعية الاسكندرية لداريل ، وقرأنا الجزء الأول وفرغنا مه . وهذا غير ممكن لأني حاولته . فسوف نجد

محاكمة ظالمة لأديب عالمي

الأجزاء الأربعة تعبر عن نفس الجو ونفس الشخصيات » .

ومعنى كلام يوسف إدريس ، أن أدب داريل « لا يطاق » بدليل ، أنه لم يستطع ، أن يكمل الجزء الأول من « رباعية الاسكندرية » ، ولم يتمكن من ذلك بسبب نفوره من هذه الرواية ، ورغم ذلك فيوسف إدريس الذي لم يستطع أن يكمل الجزء الأول من الرواية باعترافه ، يحكم على الأجزاء الثلاثة الأخرى « ولا أدري بأي حق يحكم على هذه الأجزاء إذا لم يكن قد أكمل جزءها الأول » فيقول لنا بجرأة منقطعة النظير : « إن الأجزاء الأربعة من رواية داريل تعبر عن نفس الجو ونفس الشخصيات » ... هذا الحكم الأدبي الذى يصدره يوسف يعبر عن نوع من التسرع الفكري والنقدي المرفوض ، فمن حق يوسف إدريس أن يقول مثل هذا الرأي لو أنه قرأ الرواية بأكملها وهو لم يفعل ذلك ، ومثل هذا الموقف لا يليق بأديب كبير نعتز به مثل يوسف إدريس ، وهو موقف – في جوهره – يدعو إلى السطحية والخطف فى القراءة والدراسة والفهم . والحقيقة أن ما يدلي به يوسف إدريس من آراء أدبية حول هذه الرواية هو خطأ كله ، فالرواية أعمق وأجمل وأروع ، فى أجزائها الأربعة ، مما يصوره يوسف إدريس لقارئه .

والرواية عمل فني شامخ يتناول نفس الأجواء والشخصيات ، ولكنها تبدو فى كل جزء منها بصورة مختلفة تماماً عما تبدو عليه فى الجزء الأخير ، فلماذا يتسرع يوسف إدريس ويلقى مثل هذه الأحكام الأدبية السطحية ؟ ولماذا يضلل قراءه ومحبيه الكثيرين بهذه الأحكام المتعجلة التى لا تقوم على أي أساس من الحقيقة الأدبية ؟ ..

إن سلمى الخضراء ، الأديبة الشاعرة الناقدة ، مترجمة الجزئين « الأول والثاني» من الرباعية تشرح النقطة التى اختلطت على يوسف إدريس من خلال قراءته المتسرعة أو بالأحرى من خلال عجزه عن إكمال قراءة الرواية فتقول :

« إن رواية « جوستين » هي الكتاب الأول من رباعية لورانس داريل الشهيرة باسم رباعية الأسكندرية ... هذه الروايات الأربع هي : جوستين ، بالتازار ، ماونت أوليف ، كليا ... وهذه « الرباعية الروائية » قد بنيت على مخطط فني شديد الطرافة – يرتكز على حد تعبير داريل نفسه على « الفرضية النسبية » فالرباعية تستقطب ثلاثة أبعاد مكانية وبعداً زمنياً واحداً ، فتؤسس على هذا الاستقطاب بنيانها الطريف الدقيق . وحقيقة الفرضية التى تكمن وراء هذا المخطط هي أن الشخصية الانسانية مادة معقدة تدخل فى تركيبها عوامل كثيرة ، ولا يستطيع إنسان واحد أن يكتشف جميع أبعادها. إن الروايات الأربع تتحدث عن نفس الشخصيات الرئيسية لتظهر لنا ناحية واحدة من النواحي المتعددة لهذه الشخصيات فى الكتاب الواحد . ومع ذلك فان كل رواية منها مستقلة فى بنائها الفنى عن الأخرى . ففي « جوستين » وصف داريل جميع الحوادث والشخصيات من وجهة نظر شخص واحد هو راوي القصة الأيرلندي . وبالطبع فان الانسان يحسب عندما يتم قراءة « جوستين » أنه قد قرأ القصة كلها ، ولكنه سوف يكتشف عندما يبدأ في قراءة بالتازار أن راوي القصة الايرلندى « فى جوستين » قد أخطأ فهم الكثير من الحوادث ، لأنه كان ينظر إليها من وجهة نظره الخاصة ، وهي وجهة نظر « نسبية » لايمكن أن تتسع لتشمل الحقيقة جميعها . وفي نهاية الرباعية ، إذ يكتمل بناء الشخصية ، نجد أن هناك شيئاً من الصدق فى كل ما يقال عن كل فرد . وأن القديس والشرير شريكان ! »

ذلك ما كتبته سلمى الخضراء وفى تفسير البناء الفني لرواية « داريل » ، ورأيها فى هذا المجال صحيح ، وهو رأي مبني على الدراسة والفهم والمعرفة ، أما رأى أديبنا الكبير يوسف ادريس فمبني على القراءة الخاطفة والناقصة ، ومبنى على التسرع وعدم الدقة، وهو لا يجوز أن تتصف به أحكام يصدرها أديب كبير مسئول .

وأحب أن أضيف هنا أن رباعية الاسكندرية وهي تحفة أدبية نادرة ، قد أثرت – من حيث البناء الفنى – فى أدبنا العربي المعاصر وفى عملين معروفين هما رواية « ميرامار » لنجيب محفوظ ، ورواية « الرجل الذى فقد ظله » لفتحى غانم .

وهكذا يبدو بوضوح أننا قد حاكمنا لورانس داريل ، وهو أديب عالمي بالغ الأهمية والقيمة ، محاكمة سياسية سريعة وظالمة ، ومحاكمة أدبية أسرع وأسوأ وأكثر تعسفاً وظلماً .

الانفعال والموضوعية

ونعود إلى المشكلة الأصلية ، التى تمثل خطأ جوهرياً من أخطاء الفكر العربي ، ... هذه المشكلة هي مشكلة « العقل الانفعالي» الذى نعاني منه أشد المعاناة فى نظرتنا إلى الأمور ، فنحن نبدأ بمعلومات سريعة وغير دقيقة ، ونبني عليها موقفاً عاطفياً هو أن نكره « الشخص » قبل أن نعرفه وندرسه ، ثم نسارع على أساس هذه الكراهية الى تجريده من كل قيمة ، ثم نحاكمه بعد ذلك غيابياً دون أن نتيح له ولأنفسنا فرصة الحوار السليم ، وبعد ذلك كله نصدر عليه أحكاماً متسرعة بالاعدام الأدبي والفكري والسياسي ... ونكاد نجرده من ثيابه الشخصية .

ومن حقنا ، بل ومن واجبنا أن نرفض الأفكار التى نختلف معها ، ولكن الطريق الصحيح أيضاً هو أن نفهم صاحب هذه الأفكار فهماً سليماً جيداً ، ونعرف قدره وقيمته ، إن كان له قدر وقيمة ، حتى لو كان مختلفاً معنا ، ثم نسعى بعد ذلك إلى إجراء حوار مؤثر معه ، إن كان ذلك متاحاً لنا ، كما هو متاح فى حالة « لورانس داريل » حيث يتردد هذا الكاتب الكبير على بلادنا كثيراً ، ومن حقنا بعد ذلك أن نحاكمه محاكمة فكرية وأدبية عادلة ، نرد فيها على أفكاره الخاطئة ، ونبقي له حقه فى القيمة والمستوى والاهمية ، وذلك كله لن يفيد داريل أو غيره ، بقدر ما سوف يفيدنا نحن لأن هذه المحاكمات المتسرعة التى تجرد الآخرين من كل شيء تؤدى بنا إلى تجاهل أديب مثل « داريل » ورفضه وعدم قراءته ، بينما العالم كله يقرأه ويهتم به ، وينظر إلى أعماله ، وفى مقدمتها رباعية الأسكندرية ، على أنها إضافة كبرى إلى الأدب العالمي .

وهذا هو الفرق بين التفكير الانفعالي والتفكير الموضوعي ... ليس – فقط – فى قضية داريل ، بل فى كل قضية أخرى فى ميدان الأدب والسياسة والفكر والثقافة والحياة .

ولا تصدقوا الذين حاكموا « داريل » محاكمة ظالمة ومتسرعة .. فداريل أديب عظيم ، قد نختلف معه ونرفض بعض آرائه ... ولكن أدبه يظل عميقاً وممتعاً ومتألقاً ويستحق القراءة والتأمل والبحث والدراسة .

إننا لو تابعنا هذا المنهج الانفعالي فى التفكير ، وهو المنهج المسيطر علينا للأسف ، فسوف نظل عاجزين عن فهم الأشخاص والظواهر التى تواجهنا ، وسوف ينتهي بنا الأمر إلى إغلاق كل نوافذنا العقلية والحضارية ، وحصر وجودنا كله ضمن أسوار حديدية من العزلة والتفكير الضيق المغلق ، وسوء الحكم على الأمور ، وعدم القدرة على التصرف ، وكل مايصيبنا من الاضطراب فى أمور السياسة والثقافة والحياة ، إنما يعود فى جوهره الى هذه العقلية الانفعالية المتعجلة التى تستسهل الأحكام النهائية القاطعة ، وتستسلم للأوهام والأباطيل بسرعة عجيبة وترفض بذل أي جهد دؤوب صبور فى سبيل تغيير الواقع الذى لا ترضاه . فلنتخلص من ذلك العقل الانفعالى الذى قادنا إلى كثير من الهزائم الروحية والنكبات الواقعية ، ولنصبر على فضيلة التفكير الموضوعي الدقيق ، فمن خلال هذه الفضيلة وحدها يمكن أن يتغير واقعنا إلى ما هو أفضل ، وتنتقل حياتنا العقلية والعملية ألف خطوة إلى الأمام .

رجاء النقاش

حكايتي والمؤتمر

بقلم: الدكتور عبد السلام العجيلي

مؤتمر غريب انعقد في اليونان ودعي اليه الكاتب الكبير الدكتور عبد السلام العجيلي، وفي المؤتمر فوجيء الكاتب العربي بوجود ممثلين لاسرائيل، فانسحب من المؤتمر، وهذه هي قصة المؤتمر الغريب وقصة الزوبعة التي ثارت في داخله.

في مطار أثينا، بينما كنت في انتظار النداء للطائرة التي ستقلها إلى بيروت، اقترب مني شاب كان واقفاً في أحد صفوف المسافرين وخاطبني بالفرنسية قائلا: صباح الخير يا سيدي... انا واحد من أعضاء بعثة جريدة الفيغارو الى ندوتكم ... يالها من مؤتمر!

قلت: ما الذي استغربته من هذا المؤتمر، اعني من ندوتنا؟

قال: بدأتم بالثقافة وانتهيتم الى السياسة. من كان يصدق ان بيير موروا، رئيس وزراء بلادنا، يصوت في بيان الندوة الختامي موافقاً على التنديد باسرائيل وعلى اقامة دولة فلسطينية؟! تلك أمور ضد الخط السياسي للحكومة التي يرأسها. لما سألناه، نحن الصحفيين عن تفسير ذلك بدا عليه الحرج وقال انه وافق على ما وافق عليه بصورة شخصية..

قلت: انا لم احضر الجلسة الختامية.

قال: اعرف جيداً. فلعل هذا يرضيك بعد الضجة التي اثرتها أنت في الندوة. الى اللقاء يا سيدي.

ودعني الشاب بهذه الكلمة وانطلق معجلا الى احدى البوابات المنفتحة على المدارج، مستجيباً الى نداء كانت المكبرات تذيعه في قاعة الانتظار المزدحمة.

حدث هذا بعد ظهر يوم الرابع والعشرين من شهر مايو ـ ايار الفائت. كنت، كما قلت، اتهيأ للعودة عن طريق بيروت التي لم تكن قد تعرضت لمحنتها الكبيرة الأخيرة، وذلك بعد ان حضرت في اليونان الندوة الثقافية العالمية التي اتخذت شعاراً لها «البحر الأبيض المتوسط دائماً واليوم». هل حضرت انا تلك الندوة؟ الصحيح اني حضرت جزءاً منها فقط. جزءاً كفى وحده لان يجعلني أثير الضجة التي اشار اليها مراسل جريدة الفيغارو قبل ان يودعني الى طيارته.

ولقد اثرت تلك الضجة على الرغم مني. فحين قبلت حضور هذه الندوة، وقد انباتني برقية الدعوة اليها انها ستدور حول العلاقات الثقافية بين شعوب البحر الأبيض المتوسط، توقعت ان ادخل في نقاش وجدل في أمور هامة لن تقتصر على الثقافة بل ستمتد الى التاريخ القديم والى السياسة المعاصرة. الا اني ما توقعت ان يركز علي شخصياً بين كل الحضور في محاولة لادراك غايات بعيدة عن مشاغل مؤتمرنا المعلنة.

ولابد من القول ان مؤتمرنا هذا، على كونه اقيم في أرض اليونان فقد جاءت الدعوة اليه بآن واحد من وزير الثقافة الفرنسي، جاك لانغ، ومن وزيرة الثقافة اليونانية ميلينا ميركوري. دعوة صدرت من وزيرين مسؤولين، الا انها وجهت بصورة شخصية الى مفكرين وكتاب وفنانين لهم شهرتهم العالمية، ينتمون الى مختلف بلدان البحر الأبيض المتوسط دون ان يكون لهم ارتباط رسمي بحكومات بلدانهم. بل ان بعض المدعوين كانوا على خلاف واضح مع حكوماتهم، مثل المخرج السينمائي التركي ايلماز كونـاي الفائز بالميدالية الذهبية في مهرجان «كان» لهذا العام على فيلمه «الطريق» والذي تلقت اليونان اثناء انعقاد الندوة طلباً من الحكومة التركية لتسليمه اليها بصفته محكوماً بالسجن المؤبد في بلاده لسلوكه السياسي المعارض..

قلت ان المدعوين كانوا ينتمون الى مختلف بلدان البحر الأبيض المتوسط، لذا فان المنتمين الى البلاد العربية المتوسطية لم يكونوا قلة في العدد بين نحو من سبعين مدعواً الى الندوة سوى اليونانيين. بعضنا مثل كاتب هذه السطور، جاء من بلده، وبعضنا جاؤوا من منافيهم أو من مقر اقامتهم في بلدان غير موطنهم. من هؤلاء مثلا محمود حسين الكاتب السياسي المصري الذي يجهله العرب ويعرفه الفرنسيون معرفة جيدة. محمود حسين هذا ليس شخصاً بمفرده، بل هو كاتبان اسمهما عادل رفعت وبهجت النادي، يقيمان في فرنسا منذ زمن طويل وفيها يؤلفان كتبهما السياسية التي تصدر عن نزعة اشتراكية متطرفة تروتسكية أو ماوية.

اذن فقد كان في مؤتمرنا كتاب عرب وفنانون عرب كثيرون. فلسطين نفسها كانت ممثلة بريموندا الطويل المقيمة في الأرض المحتلة، والتي عرفت السجن في دفاعها عن مواطنيها وعرفها المتتبعون لنضال عرب فلسطين عن طريق كتابها عن هذا النضال. ولما كانت تهيئة الندوة ترجع في نصفها، اذا

حكايتي والمؤتمر

لم يكن فى أغلبها ، الى وزير الثقافة الفرنسى فما كان مستبعداً ان يدعو هذا الوزير مفكرين من اسرائيل الى الاشتراك بها . وحقاً كان هذا . فحين بلغت فى أثينا فندق خاندريس ، حيث حلت الوفود ،وتطلعت الى اسماء المشاركين وجدت بينهـــا اسـمين لاسرائيليين قادمين من تل أبيب ، احدهما نائب سابق مشهور بمعارضته للسياســة الصهيونية فى بلاده ، والثانى كاتب يسارى معروف كذلك بمواقفه العدائية لتلك السياسة . ذانك المشاركان هما أورى افنيرى واموس كينان . معارضان لاساليب الحكم فى اسرائيل ولطريقة الصهاينة فى معاملة العرب فى فلسطين بلدهم ، ولكنهما على كل حال اسرائيليان ، من اسرائيل .

ان يحضر اسرائيليان ، وان كانا معارضين لحكومة بلدهما ، كان بعض ما توقعت حدوثه فى هذا المؤتمر مادام الداعي الأول اليه هو ، كما قلت ، وزير الثقافة الفرنسي . انها البداية قلت لنفسي . فاحضار هذين الاسرائيليين الى ندوة البحر الأبيض المتوسط واشراكهما فى ابحاثها يعنيان اعتبار شعب اسرائيل شعباً متوسطياً له انتماؤه الى بلدان هذا البحر وله مساهمته فى حضارة هذه البلدان . تلك أفكار ستطرح فى جلسات الندوة ، ولكننا نحن العرب لا نقبل بمبدئها ولا بمحاولة جعلهـا مقبولة عند الآخرين . وليس عسيراً علينا أن نورد الحجج القطع فى دحضها اذا ما جرى اقحامها فى المناقشات الدائرة . قلت هـــذا لنفسي ، كما حدثت به بعض من انست منهم اهتماماً بما أهتم انا به من المشاركين العرب ، ونحن فى السفينة التى اقلتنا من أثينا العاصمة الى مقر اجتماعاتنـــا فى جزيرة هيدرا .

ذلك ان ميلينا ميركورى ، وزيرة الثقافة والعلوم فى الجمهورية اليونانية ، اختـارت لاقامة المؤتمر هذه الجزيرة الجميلة التى تبعد مسافة ساعتين عن أثينا بحراً فى اسرع الزوارق . فنحن لم نتلبث فى عاصمة اليونان الا ليلة واحدة حضرنا فى اولهـــا حفلة الاستقبال الكبيرة فى قصر الثقافة ، ثم ركبنا فى صباح اليوم التالى سفينة سياحية فاخرة توجهت بنا الى جزيرة هيدرا فى جو منطلق تحرر فيه المشاركون من قيود الرسميات ، وانصرفوا الى التمتع بهذه النزهة البحرية مجتمعين فى حلقات يتعرف اعضاؤها بعضهم ببعض ، يتبادلون المعلومات عن اهتماماتهم وانتاجهم الفكرى والفني ، كطليعة للمناقشات التى ستدور حـــول الموضوع الرئيسي للندوة ، وهو العـــلاقات الثقافية بين بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط .

فى هيدرا ، تلك الجزيرة الســاحرة ، عقدنا أول اجتماعاتنا فى كنيستها الأثرية الكبيرة التى لم تكن تبعد غير خطوات عن شاطىء البحر ومرسى المراكب فيه . وجلست فى مقعدي من قاعة الاجتماع وحولي بعض زملائي الذين تهيأوا معي للتصدى لمحاولة اقحام اسرائيل بين الشعوب المتوسطيـــة الأصيلة . الا ان ذلك التصدى لم يقـــع فى جلستنا الأولى . فما كدت احكم على اذني سماعة الترجمة الفورية حتى جاءتني مديرة مكتب الوزير الفرنسي لتقول لي بلهجة قلقة اني مطلوب لمكالمة عاجلة بالهاتف من أثينا . سمعت على خط الهاتف ، فى الغـــرفة المجاورة لقاعة الاجتماع ، صوت دبلوماسي عربى ، صديق قديم ما كنت اظنه يعمل فى أثينا ، يقول لي بعد التحية : ما هذا المؤتمر الذى تحضره يا فلان. ؟ هل تدرى باننا ، نحن الدبلوماسيين العرب ، لم نسمع به الا امس حين دعينا الى حفلة الاستقبال الرسمية. ؟ قلت : ولكنكم لم تحضروها ... لم ار عربياً فيها غير ممثل منظمة التحرير الفلسطينية . قال : لاننا قاطعناها جميعاً ، وسنعقد اجتماعاً لبحث هذه القضية ... نرجوك ان تعود الى أثينا مساء اليوم لتحضر اجتماعنا فى صبيحة الغـد ..

لم تكن عودتي الى أثينا متيسرة ذلك المساء ، فكان لابد من الانتظار الى صباح اليوم التالى . ولماذا عي اني ساترك اجتماعات الندوة لاحضر اجتماعاً للسفراء العـــرب يتعلق بموضوعها كثر التســـاؤل بين المؤتمرين عما وراء ذلك . وفي المساء ، عندما كنا نتناول جميعاً العشاء على موائد متفرقة فى الهواء الطلق ، جاءت ميلينا ميركورى ، وزيرة الثقافة ، الى المائدة التى كنت عليهـا يصحبها معاون وزير الثقافة الفرنسي ، وهي تقول شاكية : ماذا يريد سفراؤكم من مؤتمرنا هذا . ؟ انتم مدعوون بصفتكم الشخصية كرجال فكر ، فليس للساسة أو الدبلوماسيين دخل فى امركم . قلت : يا سيدتي .. فقـــالت الوزيرة محتجة : لا تناديني بياسيدتي .. قل لي يا ميلينا ! ضحكت وناديتها باسمها الأول كما ارادت . فقد كانت فى مخالطتها للمؤتمرين وانا من بينهم ، تبتعد عن شكليات منصبها الرسمى مذكرة بماضيها كممثلة فنـــانة وكمناضلة يسارية . قلت لها : ياميلينا .. ربما كان للدبلوماسيين العرب عـــذرهم فى الاستيضاح عن هوية ندوتنا ، فهم لم يدروا بها الا مساء أمس . قالت : كان خطأ ان نضع فى كتاب الدعوة تحت توقيعينا لقبينا كوزير للثقافة فى فرنسا ووزيرة للثقافة فى اليونان .. سأصدر مع وزير خارجيتنا ، فى هذا المساء بياناً يؤكد ابتعاد المؤتمر عن الرسميات ويعلن انكم لاتمثلون بلادكم سياســياً بل تمثلون قيم الفكر والثقافة والفن فى حوض بحرنا المتوسط هذا ...

● ● ●

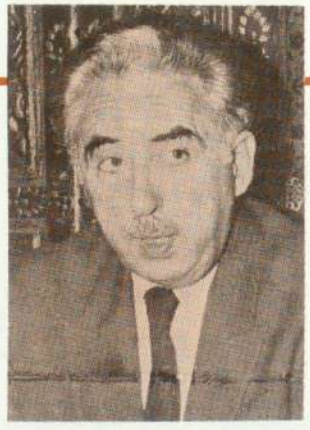
صدرت صحف أثينا فى الصباح التالى وفيها البيان الذى اشارت اليه ميلينا ميركورى . علمت بهذا فى اجتماع السفراء العرب الذى عرضت عليهم فيه الغاية من الندوة وبرنامج عملها ونوعية المشاركين فيها وكانت الوزيرة تنتظر مني هاتفاً على رقمها الشخصي الذى سجلته بيدها فى دفتري ، كى اعلمها ان من اجتمعت اليهم قد ارضـــاهم بيانها ، واني عائد الى المشاركة فى أعمـــال المؤتمر . ولكني فى الواقع لم اتصل بالوزيرة . فقد نشرت احدى صحف الصباح الموالية للحكومة مع بيانها شيئاً آخر يتعلق بي شخصياً ، ولم يدر بخلد المصطادين فى الماء العكر اني سأطلع عليه فى الوقت المناسب . كان فى تلك الصحيفة الواسعة الانتشـــار ريبورتاج مطول عن ندوتنا تضمن صوراً عن رحلتنا البحرية من أثينا الى جزيرة هيدرا ، ومن بين هذه الصور واحدة تمثلني انا والاديب التونسي عز الدين قلوزجالسين على مائدة واحدة ..

لم يكن نشر هذه الصورة امراً غير عادى . ولكن غير العادى كان ما كتب تحتها . فقـد كان الشرح عليها بهذه الجملة : « رجـــال الفكر فى العالم ليست بينهم حواجز .. انهم متكاتفون من أجل بحر متوسط عماده الثقافة والفكر .. فى الصورة مندوبا سوريا واسرائيل يجلسان على مائدة واحدة » .

بيار موروا
من يصدق انه وافق على التنديد باسرائيل ؟



جاك بيرك
انسحب من المؤتمر تأييداً لموقفي



ميلينا ماركوري
ابتعاد المؤتمر عن الرسميات



كان هذا افتراء مقصـــــوداً ومبيتاً . فالمشاركان الاسرائيليان ، افنيرى وكينان ، معروفان معرفة تامة عند الصـــــحفيين الحاضرين ولا يمكن ان تلتبس صورة احدهما بصورة المشارك التونسي . هذا التزوير المتعمد قصد به دون شك تسخير حضورى وامثالي لندوة البحر الأبيض المتوسط للايهام بان رجال الفكر العرب يخالفـــــون ما تفعله دولهم وما تعلنه وسائلها الاعلامية من رفض العرب لوجود الكيان الصهيوني فى المنطقة . واذا كان المـقصود من بيـــــان الوزيرين الذى صدر عشية أمس تبرئة الندوة من بعض الشبهات ، فان هذه الصورة بشرحها الكاذب جاءت مؤكدة واقعية تلك الشبهات وداعية اياى شخصياً ان اتخـذ موقفاً لابد من اتخاذه .

عدت فى الواقع الى هيدرا بمجرد اطلاعى على صورتي هذه فى صحيفة « توفيمـــا » اليونانية . ودخلت اجتماع الندوة فى قاعة الكنيسة الكبرى بينما كان أحد المتحـــدثين الايطاليين يلقى كلمته . لم تكن ميلينـــــا ميركورى ولا كان جاك لانغ ، وزير الثقـــافة الفرنسي ، بين الحاضرين ، فقد كانا فى أثينا يستقبلان بيير موروا ، رئيس وزراء فرنسا ، الذى قدم من بلاده وقيل لنا انه سيحضر كضيف حفل الندوة الختامي . وحين جاء دورى فى الكلام بعد عدة مشاركين بدأت بالحديث عن بعض ما كنت اريد التحدث فيه من أمور الثقافة المتوسطية ، ثم قلت اني لن اكمل حديثي فى الندوة لأن ثقتي بغايتها قد تزعزعت بسبب حادثة شخصية اخشى ان يكون لها انعكاسها على الندوة بصورة عامة . قلت هذا ووزعت على الحاضرين نسخاً من تلك الصورة مع ترجمة لشرحها بالفرنسية ، وعقبت على ذلك بكلمات بينت فيها ما وراء هذا الافتراء من مقاصد مشبوهة ..

وهكذا حدثت الضجة التى ذكرها مراسل الفيغارو فيما رويته عنه فى مطلع هذا المقال . ضجة حقيقية دفعت المسؤولين اليونانيين فى الجلسة الى الاعتذار ، وتحدث اثناءها عدد من المشاركين مستنكرين . وحين اعلنت انسحابي من الاجتماع انسحب مؤيداً لي المستشرق الكبير جاك بيرك ، وهو بين اعضاء الوفد الفرنسي الشخصية الثانية فى الأهمية بعد وزير الثقافة . واحتجاجاً على ذلك التزييف فى الصورة وقع الحاضرون بياناً يشجبون به ما اوردته الجريدة ويطالبون بتصحيحه . اما انا فقد قلت للذين ارادوا مني ان اجد فى هذا ترضية كافية ، اني مصر على عدم العودة الى الاجتماعات وان كنت لا اطلب من غيرى مقاطعتها . كل ما يهمنى هو ان يحول المشاركون فيها ، وكلهم من ذوى النوايا الحسنة ، دون ان تستخدم ندوتهم الثقافية كحصان طروادة للغايات السيئة المبيتـــة لهـا .

وكانت اجتماعات الندوة قد شارفت على الانتهاء على كل حال . ختام برنامجها كان حفلة موسيقية كبرى اقيمت فى مدرج ايبيدور حضرها ، كما كان مقرراً ، موروا رئيس وزراء فرنسا وباباندريو رئيس وزراء اليونان . اما آخر اعمالها فهو بيان مشترك نشرته الصحف ونقلت خلاصته وكالات الأنباء العالمية ، وفيه اجمع كل المشاركين فى المؤتمر على التنديد باسرائيل وشجب محاولاتها التوسعية وعلى المطالبة باقامة وطن مســـــتقل للفلسطينيين فى بلادهم . وهذا مناقض كل المناقضة لما اراد الموالون للصهيونية تسخير الندوة له ، مبتدئين من الصورة التى كشف زيفها غايتهم ولفت الانظار الى نياتهم .

وحين عدت الى بلدى تلقيت من الأستاذ جاك بيرك ، صديقي المستشرق الفرنسي الكبير ، قصاصة من جريدة الموند الباريسية فيها بيان الندوة الأخير ، مع رسالة منه يقول فيها : « وهكذا ترى ان المناورات التى حاكها نوو النيات السيئة حول المؤتمر انقلبت عليهم ، وجاء البيان الختامي ضد ما ارادوا » .

• • •

حدث كل هذا فى فترة خمسة أيام ، بين ٢٠ و ٢٤ من ايار ـ مايو الفائت . رجعت بعـــد ما جرى من اليونان الى سوريا عن طريق بيروت ، وذلك فى الأيام القليلة التى سبقت محنة لبنان ، بل محنة العرب ، الكبرى الأخيرة . حين عدت الى قراءة قصاصة جريدة الموند وانا الاحق أخبار النكبات المتتالية فى هذه المحنة لم املك غير ان اهز رأسي ، والاسى يعتصر قلبى ، متسائلا عن قيمة كل الكلام الذى قلته فى الندوة ، والذى اثرت به تلك الضجة ، والذى انتهى الى النتيجة التى تضمنتها القصاصة . ما قيمة الكلام الذى نقوله ونعبر به عما نعتقده اذا افتقدنا القوة التى تعطى الكلام شكله كفعل . ما جرى امس فى فلسطين ، وفى لبنان ، وفى كل الساحات العربية يصدق ما آمنت به دوماً وما رددته دوماً ، وما قاله قبلي بالف سنة المتنبي حين قال :

حتى رجعت واقلامي قـــوائل لي
المجـــد للسيف ليس المجـــد للقلم
اكتب بنـــا ابداً بعد الكتاب بـــه
فانمـــا نحن للاســـياف كالخدم

عبد السلام العجيلي
الرقة ـ سوريا

مسافر على الرصيف



كوتشينة..!

بقلم :
محمود السعدني

واذا كان أنور المعداوى هو اعظم أبناء قهوة محمد عبد الله ، فزكريا الحجاوى هو اخلص ابنائها واعظمهم فنا واشدهم تاثيرا فى الجيل الذى جاء من بعده . وعندما جذبت الصحافة زكريا ظل مواظبا على زيارة القهوة ولو لرشف فنجان القهوة على عجل ، واحيانا كان يتلكأ قليلا لينهى نقاشا حادا بينه وبين الاصدقاء . ولكن لحسن الحظ لم يعمر زكريا طويلا فى بلاط صاحبة الجلالة . سرعان ما عاد الى القهوة من جديد ، وقد امتلأت نفسه مرارة من غدر الزمان وخيانة الاصدقاء ! ولكن زكريا الحجاوى الذى كان يتفجر حيوية ويفيض نشاطا لم يستسلم . بدأ رحلة حياة جديدة والقى بنفسه فى نهر الفن الشعبى وسبح فيه بمهارة ، وربما فاضت نفسه بشرا عندما اكتشف انه وجد نفسه وانه عثر على الطريق الصحيح ! وراح زكريا الحجاوى يجوب ريف مصر ، يقضى لياليه فى افقر الكفور واصغر النجوم ، خادعا نفسه بالوقوع فى قصص غرامية مع مطربات شعبيات لم يكن لهن صلة بجنس النساء إلا عن طريق الملابس والأسماء . وكان هذا هو راى الأصدقاء ولكن راى زكريا كان يختلف . وعندما كانت الفرصة تسنح له بالحديث عن هؤلاء النسوة ، كان يتحدث عنهن باحترام ، وبنعومة وكانه يتحدث عن غادة الكاميليا أو ماجدولين أو جولييت او بثينة التى خلبت لب الشاعر جميل ! ومادامت المسائل كلها نسبية ، فان زكريا كان صادقا فى احساسه تجاه هؤلاء الماجدولينات ، فهو فى النهاية أصدق كاتب ريفى انجبته مصر . وهو كان يعشق الأرض المصرية ، وكان بينه وبين الطرق الزراعية علاقة غرام ، وكان يهيم بأشجار النخيل ويقف مبهورا أمام الخضرة الممتدة بلا نهاية فى الحقول . وكان يحمل عشقا خاصا لأشجار الجميز ، وينشرح قلبه كلما نفذت الى خياشيمه رائحة روث البهائم ، وكثيرا ما كان يصرخ من شدة الوجد كلما راى فلاحة سمهرية العود تتلوى كالأفعى وهى تخطر فى الملابس السود ! وحقق زكريا الحجاوى انجازات ما كان يمكن تحقيقها لو انه استمر فى عمله الصحفى . التقط الحانا ريفية كانت مجهولة ، وصنع نجوما فى المجتمع المصرى كانوا مجرد صعاليك يتسولون بالغناء . واستطاع زكريا الحجاوى أن يفرض على مصر عددا من هؤلاء ، ادهشوا مصر بفنونهم الاصيلة ، وبعضهم ادهش العالم كله بعد ذلك كالريس متقال . ولمع داخل حدود الوطن العربى محمد طه وخضرة وفاطمة سرحان ومحمد أبو دراع وجمالات شيحا ، واصبح زكريا الحجاوى هو شيخ الطريق والطريقة وكان سرادقه فى سيدنا الحسين خلال شهر رمضان هو التعبير الأكثر صدقا عن التغيير الذى حدث فى مصر خلال فترة الستينات ! وانتعش زكريا الحجاوى ولكن ليس بالقدر الذى كان يجب أن يتوفر لفنان على هذا المستوى العظيم . احيانا كان يشعر بالضياع فيعود عندئذ الى شلة الأصدقاء ، وكالصوفى التائه كان يتمنى لو جاء المخلص ليعتقه من الحياة ويخلصه من العذاب ! ولكن هذه الحالة كانت مجرد لحظات عابرة فى حياة زكريا . سرعان ما كان يتخلص منها ويعود إلى الدوامة من جديد ، ويختفى فى الريف . ولكنه حتى خلال غيبته الصغرى فى ريف مصر ، كان يحتفل بكل موهبة يصادفها فى طريقه ، ويدفع بكل ناشىء خطوات على الطريق ، ويحمى كل عود اخضر من النوايا الشريرة والظروف الحمقاء ! ولو اتيحت الفرصة لزكريا الحجاوى لترك لنا ميراثا ادبيا عظيما ، ولكن هذه الفرصة لسوء الحظ ، لم تتح له قط . كانت أعباء عائلته الكبيرة ، وموارده القليلة تقف حائلا بينه وبين التفرغ للابداع . وعندما أيقن أن الفرصة قد فاتت اكتفى بالحديث عن الكتب التى سيؤلفها فى المستقبل . ولكن حديثه اقتصر فى النهاية على كتاب واحد أطلق عليه اسم « كوتشينه » واعتقد انه كان يتمنى لو تتاح له الفرصة والوقت والامكانيات لتاليف هذا الكتاب ! وكتاب « كوتشينه » الذى كان يحلم به زكريا الحجاوى هو فصول عن شخصيات صادفها فى حياته ، وقد حصر الشخصيات التى كان ينوى الكتابة عنها ، وحدد أسماء الفصول أيضا . فالذئب عن شاعر معاصر شهير وعظيم ، ولكن بقدر عظمة شعره كان انحطاط الشاعر نفسه ، وبقدر لمعان ادبه كان سواد قلبه وخبث نواياه . وقد عانى زكريا الحجاوى من لؤم هذا الشاعر كما عانى آخرون من جيل زكريا لدرجة أن المع كاتب ساخر ربما فى قرننا هذا ضاع فى الحياة بسبب مكائد هذا الشاعر وغدره . والعقرب عن شاعر وكاتب شهير شغل الناس والحياة خلال عمره ، وبالرغم من طيبته كان مصدر ضرر للكثيرين . وكان لسانه كذنب العقرب يلطش الناس لطش عشواء . وكان يذبح اى صديق عزيز له إذا حبكت النكتة . وكثيرا ما كان يندم على ما فعله ولكن بعد فوات الأوان ، فهو كالعقرب لا يعض ولكن لسانه يلدغ لانه هكذا وظيفته التى خلق لها فى الحياة ! والشرطى عن اديب كان يعمل فعلا بالشرطة ، ثم احترف الأدب واشتغل بالوظائف المدنية ، ورفعته الظروف إلى منصب كبير كان زكريا يعمل مرؤسا فى ادارته . ولكن زكريا الفنان الذى كان يخاف الشرطة واقسام البوليس ، ظل يخاف من هذا المدير كانه طفل عابث يشعر بالخوف تجاه ابيه . او كانه مواطن غير صالح



يشعر بعدم الطمانينة اذا صادف شرطياً فى الطريق ! وفى الكتاب فصول أخرى عن الطيب ، والمجنون ، والضائع ، والموهوم ، والهايف ، والمزعوم ! ولعلنا خسرنا عملا ابداعياً عظيماً لأن زكريا لم ينته من تاليف هذا الكتاب ، وكان كلما حثه احد على الشروع فى تاليف الكتاب ، زعم أنه بدأ فى التاليف بالفعل ، وكان يتعلل باعذار كثيرة ولكن أهمها هو وقوف القلم فى يده عند شروعه فى كتابة الفصل الأخير عن الجوكر والجوكر هو كارت الكوتشينة الذى تضعه فى أى موضع فينسجم ، وتستخدمه على أى نحو فتحصد من ورائه المطلوب . وكان زكريا يقصد اديباً وشاعراً ، نصف فنان و ونصف نصاب ، نصف عبقرى ونصف مجنون ، وقد مارس كل شىء ، القصة والرواية والشعر وكتابة المقالات والتمثيل والاخراج ، وتستطيع أن تذكره إذا كان الحديث فى أى فرع من هذه الفروع ، ولكنك أيضاً تستطيع أن تسقطه فلا يحدث خلل على الاطلاق !

وكان كتاب زكريا الحجاوى الثانى المفضل ، والذى لم يكتب حرفاً واحداً فيه ، هو «البكور» . وهو عن حياته الاولى فى المطرية ، وتاثير بحيرة المنزلة على نفسه ، وحياته مع الصيادين ، وأيامه البعيدة المجيدة التى عاشها هناك . وكان يحكى عن شخصيات عظيمة صادفها فى صباه . كان يذكر منهم واحداً اسمه «عبد العزيز السودة» وشيخ من المعممين هو الشيخ «السنطورى» ، وهو رجل نال قسطاً من التعليم فى الأزهر ، ولكنه اشتغل بفن التواشيح ، وبالرغم من أنه لم يشتهر إلا أنه كان عالماً بالمقامات والألحان ! ولعل الوفاء كان أهم صفات زكريا الحجاوى بعد الفن . فهو لم يتخل عن أصدقائه القدامى ، ولم ينس مراتع صباه ، ولم يعشق مكاناً فى العالم قدر عشقه للمطرية مسقط رأسه ، وللجيزة حيث عاش بقية الحياة . ولو صادف زكريا الحجاوى ظروفاً حسنة ، ولو وجد من يستخرج من داخله أصدق خصاله وأنبل مشاعره ، فلربما كسبنا زعيماً شعبياً مثل عبد الله النديم ، ولكن لأن الظروف كانت معاكسة ونبض الحياة فى مصر كان مختلا ، فقد جاء زكريا الحجاوى نسخة من النديم ولكن بالمقلوب . واذا كان الشعب عند النديم وسيلة والهدف هو الثورة ، فان زكريا كانت لديه نفس الوسيلة ولكن بلا هدف على الاطلاق ! بالرغم من أن مصر لم تنجب فى زمانه أديباً يستطيع أن يخاطب الفلاحين مثله ، ولا خطيباً يستطيع أن يؤثر فى العامة من طرازه ! إلا أن الأثر الوحيد الذى تركه زكريا فى جماهيره من البسطاء لم يكن أكثر من أثر العشرة الطيبة والذكر الحسن .. وكما بدأ زكريا غريباً فى المطرية عاد غريباً فى القاهرة فى نهاية المطاف ! وعندما جاء أنور السادات رئيساً لجمهورية مصر ، ظن زكريا الحجاوى أن الحياة قد طابت له أخيراً . فهو صديق قديم للرئيس الراحل السادات وله عليه أياد بيضاء ، فقد اشترك فى اخفائه عن أعين الشرطة فى الأربعينات ، وهو أحد المصادر التى استمد منها الرئيس الراحل ثقافته ، وتعبيرات السادات الشهيرة : العيب وأخلاق القرية ، والأصول والقيم ، وديوان المظالم ، والتصحيح ، كلها من وضع زكريا الحجاوى ! ولكن زكريا الحجاوى فوجىء ، بمنع إذاعة أعماله الفنية من الاذاعة بقسوة . ثم فوجىء بفصله من وظيفته بخشونة ! ولأن المصائب لا تجىء فرادى ، فقد انهار المنزل الذى يسكن فيه ولم يستطع رغم كل الجهود التى بذلها العثور على مسكن آخر وربما أدرك زكريا الحجاوى عندئذ أن زمانه قد ولى وأن نهايته قد حانت ، واضطر مرغماً الى مغادرة مصر ليجد فى الدوحة على شاطىء الخليج ملجأ أميناً . وربما ضاعف من سروره وجود الطبيب صالح هناك وفى منصب يشرف فيه على العمل الذى يؤديه الحجاوى . ولكن قلب زكريا الحجاوى لم يحتمل الابتعاد عن مصر ، ورئتيه لم تتعود هواء غير هواء النيل ، فانفجر قلبه فجاة تحت ضغط نفسى هائل . وعاش مريضاً عدة أشهر على شاطىء الخليج ، ولكنه لم يتوقف عن كتابة الرسائل لأصدقائه . وفى آخر رسالة كتبها للعبد لله يقول «لم تتغير مصر يا محمود ولكن الذى تغير هم ناسها ، أو بمعنى أصح ، الذين تغيروا هم بعض الناس الذين يطفون على السطح ، والذين يتمتعون بألف وجه ، وهم يقدمون وجهاً لعبد الناصر ، ووجهاً آخر للسادات ، ولو ضربة حظ ، أصابتك يوماً وأصبحت مهماً فى مصر فان هؤلاء الناس ، أنفسم سيرتدون وجهاً ثالثاً لك ، وسيكتشفون عندئذ كم ساهم «برعى السعدنى» جدك فى حضارة مصر الحديثة ، ولأننى صديقك سيكتشفون أيضاً كم ساهمت «بهانة الحجاوى» يرحمها الله مع برعى السعدنى جدك ، فى صد الغزو الصليبى عن مصر» !!

وبعدها بأيام أغمض عينيه وأسلم الروح ... بعيداً جداً عن أرض مصر !

وهكذا مات ، أخلص أبناء قهوة محمد عبد الله ، وأعظمهم فناً ، وأكثرهم تأثيراً فى الأجيال التى جاءت من بعده ، فنان الشعب .. زكريا الحجاوى .

محمود السعدنى

وثيقة تاريخية بالغة الأهمية

المسألة الصهيونية الفلسطينية في الكونجرس الأمريكي

١٩٤٣ - ١٩٤٥

بقلم: الدكتور عاصم الدسوقي

مقدمة

يعلم القاريء الخاص أن ما كتب عن القضية الفلسطينية ، والحركة الصهيونية، والصراع العربي الاسرائيلي يشغل حيزاً كبيراً فى المكتبة العربية والمكتبة العالمية بمختلف اللغات . وتعكس هذه الكتابات بطبيعة الحال مختلف وجهات النظر بين مؤيدة ومعارضة أو بين حيادية زائفة وموضوعية مزعومة، ذلك أنه فى المسائل الخلافية يصعب على الكاتب أن يكون حياديا مطلقاً ، أي أن يكون فوق عواطف المختلفين ، أو أن يكون موضوعياً بمعنى أن يفصل بين وضعيته الثقافية والعقائدية وبين موضوع الخلاف الذى يتعلق بالضرورة بحركة المصالح البشرية المتناقضة . ولا يعني هذا أن الأمل قد أصبح مفقوداً فى الحيادية الفكرية ، أو الموضوعية البحثية ، ولكن المعول عليه أن يتغلب دائماً الجانب الموضوعي على الجانب الذاتي باكبر قدر ممكن . وكثيراً ما يلجأ الكاتب الموضوعي الى استخدام الوثائق فى محاولة لاثبات موضوعيته . غير أن قراءة الوثيقة تختلف من كاتب إلى آخر طبقاً لوضعيته الثقافية والعقائدية مما قد يؤثر بدرجة أو باخرى على الموضوعية المنشودة .

على كل حال .. فهذه الدراسة التى أضعها بين يدي القاريء العربي تمثل اسهاماً فى دراسة الصراع العربي الاسرائيلي . وهذا الصراع يظل مسالة خلافية فى التاريخ العربي المعاصر بصرف النظر عن الحلول السياسية التى قد ينتهي إليها ، إذ فى هذه الحالة يظل الخلاف منحصراً فى دوائر الاكاديميين شانه فى ذلك شأن المسائل التاريخية الخلافية الاخرى التى ما تزال قائمة منذ كانت

وتقوم هذه الدراسة جملة وتفصيلا على مضابط لجنة الشؤون الخارجية بالكونجرس الأمريكي خلال الفترة من ١٩٤٣ الى ١٩٤٥ ، وهي اللجنة التى أصبحت تعرف فيما بعد باسم لجنة العلاقات الدولية . وهذه المضابط لم يسمح بالاطلاع عليها إلا فى أواخر عام ١٩٧٦ ، أي بعد أكثر من ثلاثين عاماً من حدوثها ، حيث درجت الحكومة الأمريكية على نشر « مختارات » من وقائع اللجان البرلمانية المختلفة بين حين وآخر ، ووفق ما تمليه طبيعة الظروف المتعلقة بالموضوع . وهذا يعني أن الدراسات المتعلقة بالموضوع التى نشرت قبل عام ١٩٧٦ لابد وأنها جاءت خلوا من الافادة من هذه الوقائع مما يجعل لدراستنا هذه أهمية خاصة فى دائرة تلك الدراسات .

وكما قلت قبل قليل فهذه الدراسة تقوم أساساً على مضابط لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس الأمريكي . وبمعنى آخر فهي بمثابة اخراج لهذه المضابط فى شكل دراسة تنقسم إلى فصول ، وتستند الى

● ● المؤرخ العربى الدكتور عاصم الدسوقى ، قام بزيارة الولايات المتحدة الامريكية ، وعكف ـ لأول مرة فى العالم العربى ـ على دراسة وثائق الكونجرس الأمريكى حول القضية الفلسطينية فى مرحلة حاسمة بالغة الدقة هى المرحلة الممتدة ما بين ١٩٤٣ و ١٩٤٥ ، أى قبل قيام دولة اسرائيل بثلاث سنوات ، وهذه الوثيقة النادرة والبالغة الأهمية تكشف الكثير من جذور المسألة الفلسطينية فى الفكر السياسى الأمريكى ، وسوف تواصل « الدوحـــة » نشر هذه الوثيقة التاريخية الهامة فى الأعداد القادمة ، ونرجو أن تلقى هذه الوثيقة ما تستحقه من الاهتمام والدراسة من المورخين والباحثين والمؤسسات السياسية العربية ● ● « الدوحة »


روزفلت


تشرشل


امين الحسيني


عزرا وايزمان


بن جوريون

هوامش ، ولها ملاحق أيضاً من واقع هذه المضابط ، ودون الرجوع إلى مصدر آخر . ومن المعروف لدى الباحث المتخصص أن المضابط البرلمانية أشبه بمطبخ كبير متسع يضم أشياء وأشياء ، منها ما يتعلق مباشرة بالقضية المثارة ، ومنها ما يدور حولها ، ومنها ما هو بعيد عنها . وأسلوب العمل البرلماني لمن خبر التعامل مع المضابط يجعل استخلاص المادة التاريخية من ثنايا المضابط أمراً صعباً ، حيث تضم المضابط اسئلة واستفسارات واستجوابات من الاعضاء ، وردوداً ورسائل وبيانات مقدمة من المسئولين أو من الشخصيات التى تحتم الظروف استقدامها لالقاء أضواء معينة على بعض النقاط . وكثيراً ما تفرض المناقشات الدائرة على المتناقشين أن يذهبوا الى مسائل وقضايا قد تبدو للوهلة الأولى بعيدة عن الموضوع ، ولكنها تفيد ولاشك فى تقصى نقاط معينة من البحث للتعرف على الأصول ، وفى محاولة وصل حلقات سلسلة المادة التاريخية .

وهكذا .. ومن خلال هذه المضابط استطعت ترتيب مادة تاريخية متكاملة اخترت لها عنوان « المسألة الصهيونية ـ الفلسطينية فى الكونجرس الأمريكي ١٩٤٣ ـ ١٩٤٥ » ، ذلك أن المناقشة فى لجنة الشئون الخارجية كانت تدور أساساً حول كيفية انقاذ يهود أوربا من يد النازية الألمانية ، ثم فرضت عملية الانقاذ نفسها على الوضع فى فلسطين حيث كانت الحركة الصهيونية تريد فتح أبواب فلسطين لأولئك اليهود . كما قسمت هذه المادة حسب رؤيتي إلى أربعة فصول تمثل مراحل معالجة لجنة الشئون الخارجية للمسألة ، وأنزلت جزءاً من هذه المادة منزل الهوامش ، وجزءاً آخر موضع الملاحق حسب موقع كل منها من الخط الأساسي للدراسة .

وفى النهاية أمل أن يجد القاريء المتخصص فى هذه الدراسة اضافة لما يعرفه من دراسات سابقة فى هذا الميدان ، أما القاريء العام فيتعين أن يتزود مسبقاً بالتفاصيل التاريخية الخاصة بالقضية الفلسطينية والحركة الصهيونية والمتاحة فى الكتب المتخصصة وغير المتخصصة حتى يستعين بها على متابعة مناقشات لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس الأمريكي .

ولقد أسعدني أن يقرأ الدكتور عادل غنيم استاذ مساعد التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة عين شمس وأحد المتخصصين فى تاريخ القضية الفلسطينية مسودة هذه الدراسة . وكان للمناقشات التى دارت بيننا أهمية فى ضبط بعض المعاني والعبارات توصلا للكمال ، ولو أن الكمال للـه وحده سبحانه وتعالى وهو ولي التوفيق وعليه قصد السبيل .

د. عاصم الدسوقي

الاقتراب الامريكى من المسألة الصهيونية ـ الفلسطينية

● حتى قيام الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩) كانت المشكلة الفلسطينية مسالة خاصة ببريطانيا التى كانت تستمد شرعية سياستها من نظام الانتداب الذى فرض على فلسطين فى ١٩٢٢ . ولكن انتداب بريطانيا على فلسطين كان يتضمن من ناحية اخرى الاعتراف « بوعد » بلفور (١٩١٧) ، وما يعنيه من انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين . وكان هذا الوعد قمة ما وصلت اليه الحركة القومية اليهودية (الصهيونية) التى بدأت فى نهاية القرن التاسع عشر . ومن هنا كانت السياسة البريطانية فى فلسطين تتأرجح بين الالتزام بسياسة الانتداب بمعناه القانونى والالتزام بانشاء الوطن القومى لليهود . ومن الطبيعى ان تؤدى لعبة التوازن الى اغضاب طرفى الموازنة ، خصوصاً وان التناقض بينهما لا يحل الا على حساب احدهما ولمصلحة الطرف الآخر . ومن ثم فقد وجدت بريطانيا نفسها فى مواجهة الحركة الوطنية الفلسطينية التى تتشبث بالوطن وهى تراه يذهب منها الى ايدى المهاجرين اليهود ، وبين الحركة الصهيونية التى تسعى الى ابعاد بريطانيا والانفراد بفلسطين وطناً قومياً لليهود . وعلى حين كانت الحركة الوطنية الفلسطينية تعتمد فى نضالها على مؤازرة الدول العربية والرابطة الاسلامية والحقوق التاريخية ، كانت الحركة الصهيونية تعتمد على ظهير يهودى متغلغل فى المؤسسات التشريعية والتنفيذية فى بلدان غرب أوربا والولايات المتحدة الامريكية أسهم كثيراً فى اشتداد عود هذه الحركة ، وفى قدرتها على مناواة السلطات البريطانية فى فلسطين .

ثم جدت ظروف موضوعية ادت الى بروز المشكلة اليهودية ودفعها الى الامام على حساب المشكلة الفلسطينية . ونعنى بها المواجهة التى حدثت بين هتلر عقب اعتلائه الحكم (١٩٣٣) ويهود المانيا والتى حدت بهم الى الفرار من المانيا ، حتى اذا ما اعلن هتلر الحرب العالمية الثانية بهجومه على بلجيكا فى صيف ١٩٣٩ ، وسيطرته على جانب من الدول الأوربية ، تعاظمت مشكلة اليهود وخاصة عندما اعلن هتلر فى ١٩٤٢ ان « الحل النهائى » يتمثل فى القضاء على اليهود . وهنا بدأ المجتمع الدولى تحت ضغط العناصر الصهيونية النشطة يطلب ضم مشكلة يهود المانيا الى مشكلة اللاجئين الدوليين الذين تركوا بلادهم نتيجة تسويات الحرب العالمية الأولى وآثار الثورة الروسية العارمة (١٩١٧) . وكانت ثمة جهود دولية قد بدأت منذ ١٩٢١ لرعاية شئون اولئك اللاجئين كما سوف نرى .

وبعد اندلاع الثورة الفلسطينية الكبرى فى ١٩٣٦ ، اضطرت بريطانيا الى اعادة تقييم سياستها فى فلسطين حيث انتهى الأمر بعقد مؤتمر سانت جيمس بلندن ، واصدار الكتاب الأبيض فى ١٩٣٩ الذى قيد بيع الاراضى لليهود فى فلسطين ، وقيد هجرتهم ايضاً فى حدود ٧٥ الف مهاجر خلال خمس سنوات تبدأ من أول ابريل ١٩٣٩ ، وبشرط ان يتحدد ثلثا هذا العدد وفق الامكانيات الاقتصادية لفلسطين . وبعد هذه الخمس سنوات تكون الهجرة بموافقة العرب ، وكان ذلك يعنى أن تضيق فرص الهجرة امام يهود المانيا (١) .

وازاء هذه السياسة الجديدة علت موجة من السخط ضد بريطانيا بين الجالية اليهودية فى فلسطين دفعت بهم الى تنظيم دروب للهجرة باساليب مختلفة رغماً عن القيود البريطانية . ثم تشددت الادارة البريطانية فى منح تأشيرات الدخول الى فلسطين بحيث صعب حتى على اليهود الذين يستطيعون الهروب من أوربا الحصول على مثل هذه التأشيرات .

وفى الوقت الذى تغيرت فيه السياسة البريطانية فى فلسطين على ذلك النحو ، تصادف ظهور موجة معادية لهجرة الاجانب الى الولايات المتحدة بشكل عام من ناحية ، وعدم رغبة الادارة الامريكية فى ممارسة اية ضغوط على بريطانيا فيما يتعلق بسياستها فى فلسطين من ناحية أخرى .

وكانت الولايات المتحدة قد بدأت فى تحديد الهجرة اليها منذ نهاية الحرب العالمية الأولى بعد ان كانت ابوابها مفتوحة دون قيود . ففى ١٩٢٤ تقرر ان لا يزيد عدد المهاجرين عن ١٥٣٧١٤ مهاجراً سنوياً مع اعطاء أولوية خاصة للمهاجرين من بريطانيا والمانيا وايرلندة ودول اسكندنافيا . وبعد الازمة العالمية (١٩٢٩ ـ ١٩٣٠) قررت الادارة الامريكية الا تقبل مهاجرين يحتمل ان يكونوا عبئاً على الاقتصاد القومى . ومنذ صدور قانون عقد العمل للاجانب فى ١٨٨٥ والذى نص على ضرورة حصول المهاجر على وظيفة أو عمل مقدماً قبل الايذان له بالهجرة ، انحصرت فرصة الهجرة الى الولايات المتحدة بين الاغنياء القادرين فقط . وعلى هذا فقد انخفض معدل الهجرة الى الولايات المتحدة بشكل ملحوظ من ٢٤١٧٠٠ مهاجراً فى عام ١٩٣٠ الى ٩٧١٣٩ فى عام ١٩٣١ الى ٣٥٥٧٦ فى عام ١٩٣٢ ثم الى ٢٣٠٦٨ فى عام ١٩٣٣ وهو أقل عدد للهجرة منذ ١٨٣١ .

ولقد استمرت هذه القواعد المنظمة للهجرة سارية خلال سنوات الحرب العالمية الثانية ، اذ تشير الاحصاءات الرسمية الى ان الذين هاجروا الى الولايات المتحدة خلال المدة من أول يولية ١٩٣٣ وحتى ٣٠ يونيه ١٩٤٣ بلغ ٤٧٦٩٣٠ مهاجراً من جميع بلدان العالم منهم ١٦٥٠٠٠ يهودياً . بينما النسبة المخصصة لعدد المهاجرين خلال نفس المدة ووفقاً للقانون المعمول به كانت تسمح بمليون ونصف مهاجر . وخلال المدة الباقية من الحرب استمرت القيود الادارية فى وجه الهجرة قائمة وذلك بناء على توجيهات بريكنريدج لونج Breckinridge Long مساعد وزير الخارجية لشئون تاشيرات الدخول للولايات المتحدة .

لقد كانت هذه السياسة اذن انعكاساً للشعور المعادى لهجرة الاجانب الى امريكا ، وهو الشعور الذى بدأ اكثر وضوحاً خلال الثلاثينات بسبب نتائج الأزمة الاقتصادية (١٩٢٩ ـ ١٩٣٠) ، وما صحبها من ارتفاع فى معدل البطالة بين الامريكيين . وثمة منظمات وطنية نشأت فى المجتمع الامريكى عززت من هذا الشعور المعادى . وبعض هذه المنظمات كان متعاطفاً بشكل صريح مع النازية الالمانية . ولم يقتصر الأمر على هذه المنظمات ، بل ان فيدرالية عمال امريكا American Federation of Labour (الاتحاد العام للعمال) التى تضم فى عضويتها خمسة ملايين عامل والتى لم تكن تتعاطف مع الشعور النازى ، كانت مترددة تماماً فى تشجيع اية خطوات لتعديل قوانين الهجرة بسبب استمرار ارتفاع معدل البطالة بشكل ملحوظ حتى موقعة بيرل هاربور على

الاقل . وحتى فى اعقاب مذبحة كريستالنخت Kristallnacht التى أقامها هتلر لليهود ، كشف استطلاع للرأى اجراه ، معهد جالوب (بامريكا) فى نوفمبر ١٩٣٨ ان ٧٧٪ من الامريكيين يرفضون فكرة قبول اعداد متزايدة من اللاجئين اليهود .

ولقد اتضح هذا الموقف المعادى أكثر وأكثر عندما رفض الكونجرس الامريكى مشروع واجنر - روجرز Wagner-Rogers فى ١٩٣٩ الخاص بقبول عشرين الف طفل للمانى خارج الحصة السنوية المقررة للهجرة (٢) . كما اتضح ذلك ايضاً خلال دور الانعقاد السادس والسبعين (١٩٤١ / ١٩٤٢) للكونجرس الامريكى حيث قدم اكثر من سبعين مشروع قرار متشدد بشأن الهجرة وتسجيل الاجانب .

وفى أواسط ١٩٤٢ بدأت انباء التخلص من يهود أوربا تتسرب الى وزارة الخارجية الامريكية ، فبادرت الوزارة الى حصرها فى حدود ضيقة بحيث لا يعرف بها الا النفر القليل . ولكن سرعان ما طرقت الاسماع انباء «الحل النهائى» الذى توصل اليه هتلر بابادة اليهود . فتكاثفت المنظمات اليهودية فى الولايات المتحدة فيما بينها لتقف يداً واحدة فى مواجهة المناخ غير الودى الذى يسيطر على محاولات انقاذ اليهود . لكن الزعامة اليهودية فى الولايات المتحدة المتمثلة فى الحاخام ستيفن وايز Wise رئيس المؤتمر اليهودى الامريكى American Jewish Conference كانت متمنعة فى الجهر بالخصومة مع الرئاسة الامريكية (روزفلت) التى كانت راغبة آنذاك عن الدخول فى صراع مع المعسكر المعادى لهجرة الاجانب . ومع ذلك فقد تأثر عدد كبير بالقضية وبدأت معالجتها تدخل فى اسلوب المساومات .

وصول العناصر النشطة

ومنذ عام ١٩٤٠ بدأت عناصر نشطة من يهود فلسطين تصل الى الولايات المتحدة لتحريك الرأى العام الامريكى نحو تفهم قضية يهود أوربا ومساعدتهم .

كان على رأس هذه العناصر بيتر برجسون وصمويل مرلين Merlin اعضاء منظمة إرجون زفاى ليومى الصهيونية بفلسطين التى قادت نضالا مسلحاً ضد القيود التى فرضتها السلطات البريطانية على هجرة اليهود الى فلسطين .

اما برجسون فكان الأكثر نشاطاً (ولد فى روسيا ١٩١٠ وذهب الى فلسطين ١٩٢٠ واسمه الحقيقى كوك Kook) حيث قام بتأسيس مجموعات صهيونية مختلفة فى الولايات المتحدة مثل : الاصدقاء الامريكيون لفلسطين اليهودية American Friends of a Jewish Palestine والعصبة الامريكية من اجل فلسطين الحرة The American League for a Free Palestine ولجنة اعداد جيش ليهود فلسطين الذين لا وطن لهم The Committee for an Army of Stateless and Palestinian Jews ، والمنظمة الصهيونية الجديدة فى امريكا The New Zionist Organization of America

ولقد قامت هذه التشكيلات الصهيونية بحملة دعائية ضخمة لصالح قضية يهود أوربا حتى لقد استطاعت فى أواخر ١٩٤٣ ان تحصل على تأييد عدد كبير من أعضاء مجلس الشيوخ واعضاء الكونجرس الامريكى وبعض اساتذة الجامعات ، وعدد من الشخصيات العامة ، مما شجع برجسون فى النهاية على تأسيس أنشط هذه التشكيلات قاطبة فى نيويورك وهى المعروفة باسم : اللجنة العاجلة لانقاذ يهود أوربا Emergency Committee To Save The Jewish People of Europe حيث كان ويل روجرز وهو نائب الكونجرس الديموقراطى عن ولاية كاليفورنيا ، أحد رؤساء مجلسها التنفيذى (٣) . وويل روجرز هذا كان احد اثنين تقدما بمشروع القرار رقم ٣٥٠ ، ٣٥٢ للكونجرس فى نهاية عام ١٩٤٣ بشأن انقاذ يهود أوربا على نحو ما سنرى .

ولقد قامت هذه اللجنة العاجلة باعمال ونشاطات كثيرة بحثاً عن مؤيدين لقضية انقاذ يهود أوربا من قبضة المانيا النازية بكل الوسائل الممكنة . من ذلك انها جمعت تبرعات مالية من مختلف الشخصيات الامريكية اليهودية والشخصيات المتعاطفة مع الصهيونية . وقد انفقت معظم الأموال فى نشر اعلانات مدفوعة بالصحف الامريكية الكبرى آنذاك مثل : التايمز ، والتربيون ، والتلجرام ، والبوست Post ، والصن Sun حيث كانت هذه الاعلانات تناشد الرأى العام الامريكى والمهتمين بقضايا اليهود القيام بشىء تجاه انقاذهم .

كما قامت اللجنة العاجلة ايضاً بصياغة التماس عام موجه من « المواطنين الامريكيين » الى الرئيس روزفلت والى الكونجرس الامريكى خلال دور انعقاده . وقد جاء فى هذا الالتماس : « .. اننا نحن الامريكيين الموقعين ادناه ندعوا السلطة التنفيذية والتشريعية لحكومتنا لانشاء وكالة دولية مشتركة خاصة لانقاذ يهود أوربا تكون لها السلطات والوسائل التى تساعدها على العمل فوراً وعلى نطاق واسع .. كما نلتمس من حكومتنا بكل الاحترام ان تقوم بتبليغ الحكومة البريطانية التى عهد اليها بالانتداب على فلسطين ، برغبة الامريكيين فى فتح أبواب فلسطين لكل يهود أوربا الذين يفلتون من مصيدة الموت هناك ، وانه ليس من العدالة ان تغلق أبواب فلسطين أمام اليهود فقط من بين كل الشعوب . ونحن نهيب بالرئيس الامريكى والكونجرس وهما الامناء على تقاليد امريكا الانسانية ، القيام بهذا العمل فوراً » .

وكانت اللجنة العاجلة تهدف الى الحصول على خمسة ملايين توقيع ، واهابت بمن يصل اليه الالتماس ان يقوم بتوزيعه ونشره .

وعندما نوقش برجسون فى جلسات الاستماع فيما بعد (٤) ، عن تعارض هذا الالتماس مع مضمون مشروع قرار الكونجرس (رقم ٣٥٠ ، ٣٥٢) قال بوضوح ان هذا الالتماس جزء من جهود اللجنة العاجلة ويختلف عن قرار الكونجرس . فقرار الكونجرس يهدف الى انشاء هيئة امريكية U.S. Commission ، ولكن الالتماس يهدف الى انشاء وكالة دولية مشتركة لانقاذ يهود أوربا ، وانه يعنى بذلك مطالبة بريطانيا بتنفيذ جوهر سياسة الانتداب التى تقوم على فتح فلسطين لليهود اعتماداً على اعتراف الانتداب بوعد بلفور ، وان هذا كفيل بانقاذ مائة الف أو مائتى الف يهودى من أوربا .

ولقد نجحت هذه اللجنة العاجلة فى عرض المشكلة اليهودية على جماهير الشعب الامريكى من خلال البرامج الاذاعية ، والكتب

والدوريات ، والنشرات المختلفة ، فضلا عن الاعلانات المدفوعة بالصحف كما سبقت الاشارة . كما كانت وراء حركة الالتماس الشاملة والمظاهرات السلمية الشاملة ، والمواكب الدرامية لتنظيم الرأى العام الذى طالب بالعمل الفورى . وهى التى رتبت قدوم خمسمائة حاخام يهودى الى واشنطون ، وطلبت من الكنائس الامريكية تخصيص أسبوع للصلاة والتماس الرحمة من أجل اليهود . وقد استجابت لذلك النداء ستة آلاف كنيسة . كما بادرت اللجنة بتوجيه الشكر والامتنان الى السويد التى فتحت ابوابها ليهود الدنمرك الهاربين . ونظمت مظاهرة لذلك الغرض فى اول نوفمبر ١٩٤٣ حضرها مبعوث السويد فى الولايات المتحدة واعلنت اللجنة عن هذه المظاهرة فى صفحة كاملة من النيويورك تايمز بعنوان It can be done حضرها جمهور غفير من المؤيدين (٥) . كما كانت اللجنة ايضا وراء حركة الاحتجاجات العامة بشان تجاهل بيان موسكو (الصادر فى اول نوفمبر ١٩٤٣) الاشارة الى ما يتعرض اليه اليهود من بشاعة على يد النازية .

وحتى بعد تقديم مشروع الكونجرس الخاص بانشاء « هيئة لانقاذ يهود أوربا » وتخصيص جلسات استماع بشانه على نحو ماسبق ذكره ، وصلت اللجنة العاجلة الى اقتناع بعدم جدوى جهود الكونجرس فى هذا السبيل ، فنشرت اعلانا فى صفحة كاملة بالنيويورك تايمز (٢٤ نوفمبر ١٩٤٣) تقول فيه « ان اللجنة تطلب من الشعب الامريكى معونات مالية جوهرية تساعدها على مواصلة العمل لانقاذ الاربعة مليون يهودى فى أوربا » ، مما ادى الى حرج رئيس لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس (صول بلوم) الذى يدير جلسات الاستماع (٦) .

ولقد أعلن بيتر برجسون مؤسس اللجنة العاجلة اكثر من مرة خلال الاستماع الى شهادته امام لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس انه يهدف الى اقامة حكومة معينة فى فلسطين ومستويات معينة من الحياة المدنية هناك ، وان لديه خطة سياسية كاملة لاعادة بناء البلد من جديد من خلال مشروع للدستور تم اعداده (٧) .

ولقد تسببت « اللجنة العاجلة » بنشاطها الواسع المكثف فى وقوع شقاق بينها وبين المنظمات اليهودية الامريكية خاصة وان مؤسس هذه اللجنة « مواطن » فلسطينى ، وليس امريكيا كما سبقت الاشارة . ومن المنظمات الصهيونية فى امريكا التى كانت تعارض اللجنة العاجلة ما يعرف باسم اللجنة اليهودية الامريكية American Jewish Committee التى يراسها القاضى بروسكاور Proskauer ، والمؤتمر اليهودى الامريكى ويمثله الحاخام ستيفن وايز الذى لم يكن هو ومعه أبا هليل سيلفر يرغبان فى المواجهة العلنية لسياسة الولايات المتحدة المترددة تجاه مسألة اللاجئين (٨) . اما ستيفن وايز فلم يكن يعترف باللجنة العاجلة قائلا انها ليست عضوا فى « المؤتمر اليهودى الامريكى » . وبالتالى فهى ليست مفوضة من قبل احد ، ولا تمثل الا حفنة قليلة من اليهود وعددا من المسيحيين الذين اصبحوا يهتمون بقضية اليهود واستطاعت اللجنة العاجلة ان تكسبهم لصفوفها (٩) .

ولقد بلغ الصراع بين اللجنة العاجلة وسائر المنظمات اليهودية فى الولايات المتحدة حدا مؤثرا عندما قررت لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس عقد جلسات الاستماع المشار اليها حيث اتصلت بعض الشخصيات الامريكية الصهيونية برئيس اللجنة طالبة منه عدم عقد الجلسات احباطا لخطط اللجنة العاجلة .

مشكلة يهود أوربا

وقبل ان يدخل الكونجرس الامريكى فى موضوع انقاذ يهود أوربا بشكل تشريعى ، كانت الحكومة الامريكية قد ارتبطت بالمشكلة من خلال جهود عصبة الامم لتوطين اللاجئين الدوليين ، وهم العناصر التى ارغمت على ترك ديارها لسبب أو لآخر من جراء الحرب العالمية الأولى . ثم ما حدث من محاولات لكى تمتد هذه الجهود لتشمل يهود أوربا الذين بدأت أوضاعهم تتاثر بسياسة هتلر فى المانيا وسائر الدول التى وقعت تحت سيطرته خلال الحرب العالمية الثانية .

ففى ١٩٢١ انشأت عصبة الأمم منظمة نانسن لمعاونة اللاجئين Nansen Organization for help to refugees وكانت مهمتها تنحصر فى اعادة توطين الذين فقدوا اوطانهم بسبب الحرب العالمية الاولى . ولما كانت المصادر المالية لهذه المنظمة محدودة الى حد ما ، فلم يكن فى مقدورها اكثر من اصدار جواز سفر دولى صالح لمدة عام واحد لكل لاجىء ، فضلا عن تشجيعها لدول العصبة على المشاركة فى مشروعات اعادة التوطين . وبينما استطاعت منظمة نانسن تخفيف بعض مصاعب هؤلاء اللاجئين الا انها عجزت عن مواجهة مشكلات الهاربين من المانيا والنمسا وكانت اعدادهم فى ازدياد مستمر . ولهذا فقد انشأت عصبة الامم فى ١٩٣٣ مكتبا خاصا بلاجيء المانيا باسم Autonomous Office of High Commissioner for Refugees from Germany لكنه لم يقدم الا مساعدات محدوده .

ومما جعل اعادة توطين اللاجئين شيئا مستحيلا ، موقف دول عصبة الامم التى اغلقت ابواب بلادها امام قبول مهاجرين اليها بسبب المصاعب الاقتصادية التى كانت تعانيها هذه الدول من جراء استمرار الكساد العالمى احيانا ، وبسبب الشعور المعادى لليهود خفية أو علانية وخاصة بين دول امريكا اللاتينية التى كانت قد اقترحت كاماكن لتوطين المهاجرين . وفى مارس ١٩٣٨ دعا وزير الخارجية الامريكى (كورديل هال Hull) بتوجيه من الرئيس روزفلت ، الى عقد مؤتمر دولى لبحث مشكلة اللاجئين . وقد انعقد هذا المؤتمر فى يوليه ١٩٣٨ تحت رعاية فرنسا فى افيان بجبال الالب حيث اشتركت فيه ثلاثون دولة . وفى تلك الاثناء كانت المانيا قد ابتلعت النمسا وضمتها الى الرايخ الكبير ، فبدأت اعداد المهاجرين تطرق بشدة أبواب سائر الدول الاوربية .

ولقد اثبت هذا المؤتمر (مؤتمر افيان) عبث المحاولات المطروحة لحل المشكلة . فالوفد الامريكى كان يصر على عدم تجاوز الحصة المخصصة سنويا للهجرة الى الولايات المتحدة (لا تزيد عن سبعة وعشرين الفا من المانيا والنمسا) ، والتزمت بريطانيا بما جاء فى الكتاب الابيض لعام ١٩٣٩ معترضة على الهجرة الشاملة لفلسطين . ثم فكر المؤتمرون فى استخدام امريكا اللاتينية

لهذا الغرض لكن باءت المحاولات بالفشل لوجود اقليات فى تلك البلاد تعمل لصالح المانيا النازية .

وعلى هذا انتهى مؤتمر افيان الى نتيجة محددة وهى انشاء اللجنة الدولية المشتركة لشئون اللاجئين Intergovernmental Committee on Refugees (IGCR) وتضم الدول التى ترغب فى المشاركة (١٠) وقد كان لهذه اللجنة مجلس تنفيذى فى لندن وانحصرت مهمتها فى الاشخاص الذين يفرون من المانيا والنمسا ، ولم يناقش المؤتمر مصادر تمويل هذه اللجنة بشكل رسمى حيث تركت كمنظمة تطوعية بحتة . ولهذا فقد بقيت تلك اللجنة لا حول لها ولا قوة ، بل كان وجودها برهانا على عجز الدول المشاركة فيها عن عملية انقاذ يهود اوربا .

وفى نهاية ١٩٤٢ عندما تناقلت الأنباء عمليات « ابادة » اليهود فى المانيا وفى الدول الأوربية التى خضعت لها ، بادرت جماعات مختلفة لممارسة ضغوط اعلامية توصلا لاجراءات حاسمة . ومن ذلك ما قامت بـــه « اللجنة العاجلة » كما سبقت الاشارة . كما تعرضت بريطانيا لانتقادات شديدة بشان سياستها فى تحديد الهجرة الى فلسطين ، ادت فى النهاية الى ان دعت بريطانيا لعقد مؤتمر انجلو ـ امريكى بشان اللاجئين برعاية اللجنة الدولية المشتركة المحبطة . وقد انعقد المؤتمر بالفعل فى هامليتون فى برمودا حيث أحيط بسرية تامة حتى لا تتسرب الى الخارج اى خطط يتم التوصل اليها بشان المشكلة كما زعم بذلك المؤتمرون . على ان هذا المؤتمر انتهى بالفشل ايضا حيث تمسكت كل من انجلترا والولايات المتحدة بسياستهما تجاه الهجرة كما سبق اعلانها . وكان هذا الفشل بمثابة « احياء » لـــدور اللجنة الدولية المشتركة على الرغم من كونها اصبحت عديمة الجدوى من الناحية الواقعية .

مطالب المنظمات الصهيونية

وبعيداً عن اللجنة الدولية المشتركة كانت للولايات المتحدة جهود خاصـــة « لانقاذ » اليهود لعبت الدور الأساسي فيها وزارة الخارجية من خلال القنوات الدبلوماسية المباشرة قبل دخولها الحرب ، واستمرت بعد دخولها الحرب بطرق اخرى غير مباشرة .

فقبل ان تدخل الولايات المتحدة الحرب ذهب وفد لمقابلة بريكنريدج لونج مساعد وزير الخارجية الامريكي (١١) ، يمثل حاخامات اليهود فى مناطق ليتوانيا وشمال بولندة وشمال شرق المانيا وشرق بروسيا قائلين له : إن بهذه المناطق عدداً من الحاخامات والمدارس اليهودية والعناصر التى تمثل خلاصة العقيدة اليهودية ، وهم يقومون على تربية النشء اليهودي بما يحفظ على الشعب اليهودى عقيدته ، ويطلبون من الخارجية الامريكية تقديم المساعدات اللازمة . وفى هذا الخصوص قدم هذا الوفد للمستر لونج قوائم بالاف الاشخاص المراد انقاذهم فى تلك المناطق .

وقد أرسلت الخارجية الامريكية لسفارتها بموسكو هذه القوائم لكي يقوم السفير بالاتصال بكل اولئك الاشخاص واخطارهم بالحضور للسفارة للحصول على تاشيرة دخول لامريكا .

ونظراً لتعقد اجراءات الاقامة فى موسكو لهؤلاء الناس انتظاراً لتاشيرة الدخول وفقاً للتعليمات المتبعة فى الاتحاد السوفيتي ، إذ لم يكن من حقهم المبيت فى موسكو ، فكان عليهم ان يخرجوا بالقطار إلى الحدود عند المساء ثم يعودوا مع الصباح وهكذا .. مما ترتب عليه فى النهاية ان عدداً بسيطاً تمكن من الحصول على التاشيرة اللازمة . اما الباقي فقد ذهب إلى سيبيريا ومنها إلى كوريا ثم منشوريا ثم إلى اليابان ، ووصل بعضهم إلى الولايات المتحدة . ثم ابرقت الخارجية الامريكية إلى سفارتها فى اليابان وفى الصين باسماء من تبقى من القوائم لاعطائهم التاشيرة إذا ما كانوا باليابان او الصين .

فلما دخلت الولايات المتحدة الحرب بعد قصف بيرل هاربور ، توقفت خطوط الملاحة فى المحيط الهادي ، ولم يعد هناك مفر من بقاء هؤلاء المهاجرين فى طوكيو حيث سمحت لهم الحكومة اليابانية بالبقاء بضعة شهور ثم امرتهم بمغادرة البلاد ونقلتهم السلطات اليابانية بمعرفتها إلى شنغهاي .

ولقد وضعت الخارجية الامريكية فى برنامجها الخاص باللاجئين القيام بالمحاولات الممكنة لاستقدام عشرين الف طفل يهودي من المانيا عن طريق السويد . وتحقيقاً لذلك طلبت من الحكومة السويدية ان تتصل بالحكومة الالمانية لكي تسمح لها (السويد) بالاتصال ببعض المؤسسات الخيرية فى المانيا لهذا الغرض وتنقلهم إلى الأراضي السويدية . وقد تعهدت امريكا بالمشاركة فى نفقات الاقامة والايـواء اللازمة لهذا العدد . غير ان الحكومة الالمانية لم تستجب لهذا الطلب رغم استمرار اتصالات الحكومة السويدية .

كمـــا ان الخارجية الامريكية ساعدت اللجنـــة اليهودية المشـــتركة لشئون التوزيع Jewish Joint Distribution Committee فى مهمة ارسال الطعـــام اللازم لهؤلاء الصـــبية من خلال تركيـــا وبواسطة الصليب الأحمـــر الدولي فى ترانزنستريا Transnistria (وهو اقليم اقتطعه الالمان من اوكرانيا بهذا الاسم) ، ولو ان الحصار الذى فرضته المانيا على المناطق التى احتلتها كان يحول دون سهولة مثل هذه الاجراءات .

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل ان الخارجية الامريكية ساعدت المنظمات الصهيونية فى امريكا على ان تتقدم بطلبات لوزارة الخزانة الامريكية للسماح لهذه المنظمات بارسال الاموال اللازمة عن طريقها الى سويسرا لاستخدامها فى اخراج اليهود من فرنسا ورومانيا . وكانت الطريقة التى اتفق عليها تتلخص فى ان يودع يهود رومانيا القادرين اموالا كافية فى اي بنك روماني ، ثم يسحبون من ودائعهم بالفرنك السويسري المحول ، وبعد ذلك يسهل تحويل الفرنك السويسري إلى الدولار . وبهذا يكون مع يهود رومانيا من الاموال ما ما يكفى لنفقات خروجهم من رومانيا إلى سويسرا إذا ما سمحت لهم السلطات الالمانية بذلك ، او يذهبون الى تركيا ، او يتم اخراجهم من رومانيا باية طريقة اخرى إلى البحر الأسود ومنها إلى فلسطين . اما يهود فرنسا فيمكنهم الخروج من خلال اسبانيا بنفس الطريقة السابقة فى ايداع الاموال .

وبالاضافة الى هذا فقد دخلت الحكومتان الامريكية والبريطانية فى مشروع يهدف إلى اخراج عدد من اللاجئين من البلقان إلى فلسطين عن طريق تركيا . ولقد تمت مناقشة هذا الامر فى مؤتمر برمودا على اساس تاجير مركبين يبحران من احـد الموانىء على البحر الأسود الى تركيا ومنها الى فلسطين مباشرة . واتفق على أن ينقل هذان المركبان فيما ينقلا خمسة آلاف طفل يهودي . وكانت المسالة مكلفة للغاية . إذ كانت الرحلة الواحدة

تتكلف نصف مليون دولار . وقرر البيت الابيض تخصيص ثلاثمائة الف دولار لدفع ما يخص الحكومة الامريكية من اجمالي النفقات (نصف التكاليف حسب الاتفاق) . لكن الخطة فشلت لأن المانيا علمت بها ومنعت رومانيا من المشاركة فيها باي شكل من الاشكال .

وعندما وصلت الأنباء إلى المنظمات اليهودية فى الولايات المتحدة بان السلطات التركية تمنع دخول اليهود الهاربين من اوربا إلى اراضيها ، طلبت إحدى هذه المنظمات (وهي لجنة اعداد جيش ليهود فلسطين الذين لا وطن لهم والتى أسسها برجسون كما سبقت الاشارة) من وزارة الخارجية السماح لاحد اعضاء المنظمة وهو إيرا هيرشمان Ira Hirschmann (نائب مدير محلات بلومينجدال إحدى المحلات الكبرى فى نيويورك) بالذهاب بنفسه إلى تركيا ليتاكد من مدى صدق هذا الامر . وقد منحته الوزارة جواز سفر خاص لهذا الشان حيث ادى مهمته بنجاح فى ازالة العقبات التى تحول دون تدفق موجات اليهود المهاجرة .

وعند ذلك طلبت المنظمات اليهودية الاخرى التى لها ممثلون فى تركيا من وزارة الخارجية الامريكية ان تسمح لها بارسال مندوبين لنفس الغرض . لكن الوزارة رفضت قائلة لهم ان من الافضل ان تتفق كل المنظمات على وكيل واحد لها يباشر هذه المهمة وذلك مراعاة لأوضاع العمليات الحربية .

ولو أن السفير الأمريكى فى تركيـــا وهو يهودي (واسمه شتينهاردت Steinhardt) شهد بان السلطات التركية لم تمنع دخول المهاجرين إليها ، ولكن القوات الالمانية مع البلغارية كانت تحرس الشواطىء البلغارية وتمنع الدخول والخروج .

كما أن إحدى المنظمات الصهيونية اتصلت بالخارجية الامريكية طالبة الحصول على ترخيص من وزارة الخزانة لارسال بعض الاموال إلى سويسرا لتكون تحت تصرف اللجنة الدولية المشتركة لشئون اللاجئين . وعندما تحين الفرصة يمكن استخدام هذه الاموال لتوفير الطعام اللازم لبقايا اليهود الذين كانوا ما يزالون فى اجزاء من تشيكوسلوفاكيا وبولندة من خلال الصليب الاحمر الدولي . فوافقت وزارة الخارجية بشرط الاطمئنان الى سرية العملية بين اللجنة الدولية المشتركة والصليب الاحمر دون علم الحكومة الالمانية حتى لا تقع فى ايديها الاموال والاغذية . ولقد اوضحت تلك المنظمة أن العملية كلها قد تتكلف عشرة ملايين دولار، وانها سوف تضع مبدئيا مليونين تحت حساب العملية ، وترسل فقط ٢٥٠ الف دولار كدفعة أولى إلى سويسرا . وتحقيقا لهذا قامت الخارجية الامريكية بتحويل طلب المنظمة الى الخزانة ، وحدث أن اشتركت الحكومتان الامريكية والبريطانية فى التكاليف الاجمالية حيث دفعت كل منهما أربعة ملايين دولار . وأما المليونان الباقيان فقد اسهمت بهما المنظمات اليهودية والعناصر المتعاطفة داخل الولايات المتحدة

ولم يقتصر الأمر على الاسهامات المادية بل ان الحكومة الامريكية كثيراً ما كانت تعرب عن شعورها المتعاطف مع مشكلة اليهود . فعندما فتحت السويد ابوابها ليهود الدنمرك استدعى لونج (مساعد وزير الخارجية) السفير السويدي لمقر الوزارة وقال له : « اود أن أعبر لك عن شكر الحكومة الامريكية وتقديرها العميق لاسهامكم فى قضية اللاجئين بفتح ابواب بلدكم لهؤلاء المساكين . وإذا كان هناك اي شيء يمكننا القيام به فى هذا الخصوص سوف يسعدنا المشاركة متى ابلغتمونا بذلـك » .

ومع أن الولايات المتحدة لم تكن طرفاً فى مؤتمر سان ريمو (١٩٢٠) الذى قرر انتداب بريطانيا على فلسطين ، إلا انها عقدت معاهدة مع بريطانيا فيما بعد (١٩٢٤) ليكون لها حق حماية حقوق الرعايا الامريكيين فى فلسطين . ومن هنا اعلن مستر لونج أن الحكومة الامريكية لاتتجاهل ما يحدث فى فلسطين ولا يصح أن يقال انها لا تهتم بالقضية المثارة . بل هي على العكس من ذلك فى اهتمام متزايد على أساس مسئوليات الأمن والسلام العالمى والحقوق الانسانية وما تتضمنه هذه المباديء من شعور ديني وانساني .

د. عاصم الدسوقي

الجزء الثاني
في العـــدد القـــادم

الهوامش :

(١) كانت فعالية الكتاب الابيض لعام ١٩٣٩ فيما يتعلق بهجرة اليهود الى فلسطين تنتهى فى ٢١ مارس ١٩٤٤ . ولكن وبسبب ظروف الحرب العالمية الثانية التى حالت دون اتمام هجرة العدد المستهدف صرح الكولونيل اوليفر ستانلى وزير المستعمرات البريطانى فى البرلمان يوم ١٠ نوفمبر ١٩٤٣ مد العمل بالكتاب الأبيض دون أن يضع تاريخاً محدداً . غير ان مناقشات البرلمان البريطانى التى دارت فى اعقاب تصريح ستانلى اثبتت انه لم يكن فى نية السلطات البريطانية ادخال اى تعديل على الاحكام الخاصة بالقواعد الشرعية التى يخضع لها المهاجرون اليهود . وكل ما فعله التصريح انه مد اجل العمل بالكتاب الابيض حتى يمكن الانتهاء فقط من تهجير الخمسة وسبعين الف يهودى المتفق عليهم سلفاً . وبناء على مضمون تصريح ستانلى الذى نشرته النيويورك تايمز فى حينه ، اثار صول بلوم Sol Bloom نائب الكونجرس عن نيويورك (ديمقراطى) موقف بريطانيا هذا . (انظر هامش رقم ١٧ من الفصل الثاني . وايضا ص ٣٤ من نفس الفصل) .

(٢) كان مشروع قانون واجنر ـ روجرز (نسبة الى روبرت واجنر واديث نورز روجز من الحزب الجمهورى) يسمى بمشروع قانون الطفل اللاجىء ، ويقضى بقبول عشرة الاف طفل كحد اقصى داخل الولايات المتحدة فى ١٩٣٩ ، وعدد مماثل فى ١٩٤٠ خارج الحصة المسموح بها فى نطاق نظام الهجرة المعمول به انذاك . وقد تمت مناقشة التشريع المقترح فى ابر يل ـ مايو ١٩٣٩ . ولكن الضجة التى اثارتها مختلف المنظمات الوطنية ضد المشروع ادت الى انه لم يتلق اية مساندة من السلطة التنفيذية . ثم اعيد المشروع فى اول يولية ١٩٣٩ ببعض تعديلات تقول ان العشرين الف تاشيرة دخول التى تصدر لهؤلاء الأطفال تكون من النصيب المخصص للهجرات الالمانية الى الولايات المتحدة وليس زيادة عليها . وعندئذ سحب السناتور روبرت واجنر المشروع لأن هذا التعديل يؤدى الى حرمان الافراد البالغين الهاربين من المانيا من فرص دخولهم إلى الولايات المتحدة .

(٣) سوف نشير الى هذه اللجنة فى ثنايا البحث بعد ذلك باسم « اللجنـــة العاجلة » على سبيل الاختصار . أما المجلس التنفيذى لهذه اللجنة فكان يتكون من كل من :

الرؤساء : بيتر برجسون ، ولويز برومفيلد ، ودكتور ماكس ليرنر ، وبن هيخت ، وويل روجرز (النائب الديمقراطي) ، ومدموازيل سيجريد لوندست Sigrid Undest .

نواب الرئيس : دين الفانج Alfange ، ووليام بينيت Bennet وكونراد بركوفيشى Bercovici وجو دافيدسون ، واوسكار اهيرهورن Ehrohorn ووليام هليز Helis ، والبروفيسور فرانسيز مكماهون ، ودين جورج ماثيسون Matheson ، وهربرت مور Moore وفليتشر برات Pratt ، وهدانى رافائيل ، وليزا سيرجيو ، واندرو سومرز (عضو الحزب الجمهورى) ، ودكتور موريس وليام .

امانة الصندوق : وتتولاها مدام جون جنثر Gunther

الاعضاء : ستيلا ادلر ، و ج . اميل Amiel وال بوير Al Bauer ، وبن عامى Ben-Ami وبن اليعازر ، وبيرشن Berchin ، والحاخام بوكستابر ، والاسقف جيمس كانون ، وليستر كوهين وبابيت دويتش Babette Deutsch ، وصمويل نيكشتين (عضو الحزب الجمهورى) ، وناثان جورج هورويت Horwitt ، وجابوتنسكى ، وروز كاثين ، واميل لينجيل Lengyel ، وليبشوختز Lipschutz ولورنس ليبتون ، واميل لودفيج ، وادوارد مارتن (محافظ ولاية بنسليفانيا) ، وهوارد مكجراث (محافظ ولاية رود ايلند Rohad Island) ، وصمويل مرلين ، وميشيل بوتر ، وفيكتور راثنر ، وكورت رايس ، وشريدها راني ، وجوهان سمرتنكو ، وارثر سيرايت ، وارفنج تايتل ، وتوماس واطسون ، وجابرييل ويخزلر Wechsler ، والكس ويلف .

(٤) الجلسة الثانية بتاريخ ١٩٤٣/١١/٢٣ من جلسات الاستماع .

(٥) نفسه .

(٦) جلسة ١٩٤٣/١١/٢٤ .

(٧) جلسة ١٩٤٣/١١/٢٣ .

(٨) نفسه .

٩) جلسة ١٩٤٣/١٢/٢ .

(١٠) سوف نشير الى هذه اللجنة فى الصفحات التالية باسم « اللجنة الدولية المشتركة » وذلك على سبيل الاختصار . ولقد بلغ عدد الدول المنضمة اليها فى نهاية ١٩٤٣ اثنان وثلاثون دولة هى : الولايات المتحدة ، والارجنتين ، واستراليا ، وبلجيكا ، وبوليفيا ، وانجلترا ، والبرازيل ، وكندا ، وشيلى ، وكولومبيا ، وكوبا ، والدنمرك ، وجمهورية الدومينكان ، واكوادور ، وفرنسا ، وهايتى ، وهندوراس ، وايرلندة ، والمكسيك ، ونيكارجوا ، والنرويج ، ونيوزيلندة ، وبارجواى ، والاراضى المنخفضة ، وبيرو ، والسويد ، وسويسرا ، واورجواى ، وفنزويلا ، ثم وجهت الدعوة الى سبع عشرة دولة اخرى للانضمام .

(١١) فى ٢٦ نوفمبر ١٩٤٣ القى لونج بيانا طويلا استغرق القاؤه ومناقشته اربع ساعات ونصف فى جلسة استماع بمعرفة لجنة الشئون الخارجية للكونجرس . وقد شمل هذا البيان سياسة الولايات المتحدة تجاه المهاجرين وقوانين الهجرة واللجنة الدولية المشتركة .

قصيدة إلى الشاعر أمل دنقل

« ... اليه فى فراش مرضه »

شعر الدكتور نصّار عبد الله

الأرض لم تزل تدور والأيام
وأنت لا ينقذك الصمت ولا يقتلك الكلام !
عام يمر إثر عام
منذ أتيت من جنوب مصر .. شاهراً
نصل حسام الشعر .. ملقياً
على قلوبنا اللعنة والسلام ..
وهائماً بين دروب هذه المدينة التى
يكسو رموشها الضوء وقلبها الظلام

• • •

صاحبت من صاحبت فى قوافل الزحام
خاصمت من خاصمت
رميت ما رميت من سهام
حوصرت بين الصمت واجتراع كأس الموت
بين انحناء الهام واحتساء السم فى موائد اللئام
(وكنت دائماً
تخرج سالماً
مرتفع الهامة ممشوق الحسام)

• • •

الكون لم يزل يدور والأيام
هذا زمان تستطيل فيه قامة الأقزام
ويسقط الكرام
إلاك يا مستندا الى جدار قلبك النبيل
حين تراع النفس أو تميل
وحينما تزعزع الأقدام

• • •

هأنتذا تنام
مبتسم وساخر ، حتى وأنت فى فراش الداء والسقام
فذلك الذى يقر فى العظام
موقعة من الخصام
وأنت لم تزل تمتشق الحسام
والأرض لم تزل تدور والأيام

الشيخ رفاعة الطهطاوي

بقلم: فتحي رضوان

العمامة الثانية فى تاريخ مصر الحديث ، هى عمامة رفاعة رافع الطهطاوى ، الذى كان ازهرياً ، نشأ فى رحاب الأزهر ، وتتلمذ على شيخ من شيوخه ، هو شيخ الأزهر الأكبر حسن العطار ، الذى كان بدوره ، رائداً ، وداعياً الى عهد جديد ، وفكر حديث ، ومنهج فى الحياة والحكم ، يختلف كثيراً عما كان عليه الحال ، حتى شب هو عن الطوق ، وفرغ من طلب العلم فى طهطا ، موطنه ومسقط رأسه ، وفى القاهرة موئل الأزهر الشريف . فرفاعة الطهطاوى لم يكن مجرد رجل علم ، ولم يكن بشيراً بأسلوب لا عهد للناس به ، وإنما كان فوق ذلك ، قائد الجماعة التى آمنت بهذا العهد الجديد ، وعملت على اخراجه الى حيز الوجود ، وبنته بيديها لبنة لبنة ، وملأت عقول وقلوب الناس بمبادئه وأفكاره .

ولد رفاعة الطهطاوى فى عام من اخطر اعوام تاريخ مصر الحديثة ، ونعنى به عام ١٨٠١ م ، الذى غادرت فيه جنود الحملة الفرنسية التى قادها القائد الفرنسى الفذ نابليون بونابرت ارض مصر وبذلك يكون رفاعة قد استقبل الحياة ، فى حين استقبلت مصر دوراً عظيم الشان بعد ان رأت لأول مرة ، صوراً من اوروبا وحضارتها ، وقوتها العسكرية والعلمية ، واسلوب حياتها وطرائق نظمها ، راتها غازية فاتحة ، وراتها مجددة فى حياة المصريين ، ومغيرة لكثير من قواعد حياتهم ، وراتها بعد ذلك محاربة تنتصر وتنهزم ، وتشتد وتلين ، حتى جمعت متاعها ، ولملمت سلاحها وعتادها ، ورحلت عن ارض الكنانة مهزومة فى الظاهر ، منتصرة فى الواقع ، إذ انها بذرت من البذور ما بقى فى تربة مصر اجيالا .

وقد شاء القدر ان يوافى رفاعة رافع الطهطاوى ، بداية الحياة ، والفرنسيون يتركون مصر ، وصفحات من تاريخ مصر ، تبدأ وتتوالى ، فى تلاحق رهيب ، اشبه شىء بوقائع قصص المغامرات وقصص العجائب .

ولد رفاعة الطهطاوى ، كما يدل اسمه فى «طهطا» ، وهى قرية فى اقصى الصعيد لم يكن فيها من معاهد العلم ، ولا اساتذته من يمكن ان يفتح لرفاعة الغلام ، ابواب المعرفة ، التى احبها فيما بعد ونهل منها ، ما جعله قادراً على ان يؤدى دور الامام والرائد والمجدد والمؤلف والمترجم ، فاداها جميعاً فى كفاية واقتدار واخلاص ، بحيث اصبح الأستاذ والمربى الحقيقى لكل من ساهم فى نقل مصر ، من القرون الوسطى الى العصر الحديث ، وكل من نبه اذهان شباب مصر الى المعانى الجديدة التى اصطنعتها الأمم فى اوروبا ، وعضت عليها بالنواجذ ، من مثل الحرية السياسية للشعوب ، والمساواة بين



مجموعة من العمائم التى آثر اصحابها فى التاريخ الحديث لمصر والوطن العربى كله

المواطنين ، والاقبال على العلم الوضعى الحديث ، الى جانب علوم الدين ، وإدراك ان للمرأة دوراً غير دور الأم التى تعيش فى البيت ، تنشىء اطفالها ، وتعنى بصحتهم ، دون ان تدرى شيئاً ذا بال عما يجرى فى الدنيا ، من أمور الحكم والسياسة .

ولكن كل انسان ميسر لما خلق له ، فرفاعة اضطرته حياته ، وهو بعد صبى صغير ، ان يترك طهطا ، وان يرحل مع ابيه الى قرى اخرى فى الصعيد مثل قنا وفرشوط ، راكباً حماراً حيناً ، سائراً على قدميه حيناً آخر ، فقد دفعت الضائقة المالية اباه ، الى ترك بلده ، بحثاً عن الرزق ، فتفتحت نفس رفاعة على مجتمعات غير قريته ، وعرف معنى الضيق ، ومعنى التماس الرزق بالسعى والدأب ، فلما بلغ السادسة عشرة من عمره ، سافر الى القاهرة ، فى رحلة نيلية شاقة ، استنفذت من الزمن ، على سطح النيل ، فى مركب بدائية ، اسبوعين انهكت جسده ، ولكنها عوضته عن ذلك ان رأى مدن النيل الكبرى واحدة واحدة ، فعرف وطنه ، واحبه واشتد عوده ، فلما وصل الى القاهرة تلقفه اخواله ، وهم جميعاً طلبة علم فى الأزهر ، وشيوخ دين

وقد حفظ لنا التاريخ اسماءهم : فراج وابو الحسن ومحمد الانصارى . ولكن الذى تولى عقل (رفاعة) بالتهذيب والصقل لم يكن اخواله ، بل كان عالماً من علماء ذلك العصر الأفذاذ ، هو الشيخ حسن العطار ، الذى كان حبه للعلم ، وتوقه للمعرفة ، ورغبته فى الوقوف على كل حديث وطريف ، قد اهله ليكون زعيماً من زعماء الفكر فى تلك الأيام ، وقد كان من ثمار حيويته ، وقوة شخصيته ، رفاعة رافع الطهطاوى ، فقد كان مديناً له بكل التقدم الذى حققه فيما بعد : رعاه وهو طالب فى الأزهر ، وحبب اليه الأدب ،

دور العمائم في تاريخ مصر الحديث

والقراءة فى مختلف الفنون ، وتحدث اليه فى شئون الوطن ، وفيما آل اليه الاسلام ، فاخرجه من نطاق التقليد الى فريق المجددين . وقد نجح حسن العطار فى اقناع (محمد علي) والي مصر ، بتعيين (رفاعة) إماماً فى الجيش ، ولما قرر الوالى أيضاً أن يوفد عدداً من شباب مصر الى باريس عام ١٨٢٦ م ، عاد (حسن العطار) فزين لمحمد علي أن يجعل لهؤلاء المبعوثين إماماً ، يبصرهم فى باريس الهائجة المائجة ، وآن يكون رفاعة هو الامام فاقبل على دراسة العلوم المقررة على طلاب البعثة ، بأكثر مما اقبل طلاب البعثة نفسها ، فبدأ باتقان اللغة الفرنسية ، وبها قرأ التاريخ والجغرافيا والأدب ، فلفت بهذا الاجتهاد نظر رئيس البعثة الفرنسي ، الذى أحبه وشجعه وسعى فى تحويله مترجماً ، ينقل الى العربية ما تحتاج اليه القوة الجديدة الناشئة ، قوة الجيش ، من علوم عسكرية وهندسية وطبيعية وكيمياء ، فدرس كل تلك العلوم ، كما درس الى جانبها الفلسفة وعلوم الاجتماع ، ولكن الذى زاده علماً ، وزاد شخصيته اتساعاً ، أنه لم يكن يقرأ فقط ، وإنما كان يقرأ وينظر الى ما حواليه ، فيفهم جميع الأنظمة التى تكونت منها فرنسا ، فعرف ما هو الدستور وما هى الانتخابات وما هما المجلسان اللذان يكونان السلطة التشريعية ، وكيف تجرى الانتخابات ، وكيف تصدر الصحف وراقب المظاهرات التى تجرى فى الشوارع واهتزت نفسه للهتافات التى كانت تصدر عن الحناجر ، ومعناها ، ورأى فى بعض الأحيان ، جنود الشرطة يحيطون بالمتظاهرين ، وينهالون عليهم ضرباً ، وعلى جموعهم تفريقاً ، ثم يرى فى اليوم التالى أثر ذلك ، فى مقالات المحررين الذين ينهالون بدورهم على الحكام الذين قمعوا المظاهرات ، وضاقوا بطلبات المتظاهرين ذرعاً ، لوماً وتقريعاً بعبارات حادة .

كل ذلك خلق من (رفاعة) انساناً آخر ، عرف الأدب الفرنسى ، وبصفة خاصة الأدب السياسى ، وعرف التاريخ وتطورات الدولة الفرنسية ، فى عهود الطغيان وعهود التحرر ، فعاد الى مصر سنة ١٨٣١ م ، وقد امتلأت نفسه بالأفكار ، واحتدمت فيها الرغائب والطلبات ، وجاشت بآمال التطوير والتجديد ، بلا اندفاع ولا طيش .

ومما يدل على نضجه ، أن أولى بواكير أعماله ، أنه انشأ (مدرسة الألسن) فى سنة ١٨٣٦ ، وعينه الوالى ناظراً لها ، فكأنه عينه ناظراً على مصر الحديثة كلها ولم يكن هدف (رفاعة) من هذا المعهد ، الذى أصبح عتيداً وعريقاً ، أن يخرج مدرسين ، بل هدف منه الى تخريج طائفة أعمق أثراً ، ونعنى (المترجمين) ولم تنقض سوى عشر سنوات ، حتى تخرج فى هذه المدرسة ، مائة مترجم ، يساوون كتيبة كاملة ، من المعلمين ، والرواد ، والمجددين وراح هؤلاء يصلون الليل بالنهار ، وهم يترجمون فى كل فن وعلم ، كتباً ومراجع تعد أمة كاملة ، فقد ترجمت هذه الطليعة ألفى كتاب ، وكان (رفاعة) يراجع كل ما يترجمه أفراد هذه الكتيبة .

وكان (رفاعة) قبل تعيينه رئيسا لمدرسة الألسن ، قد اشتغل مترجماً فى مدرسة الطب ، والمدفعية ، وكان الذين يدرسون هذه العلوم فرنسيين ، ويترجم لهم سوريون ، بلغة عربية ركيكة ، فقام رفاعة وتلاميذه ، مقام هؤلاء المترجمين ، فاستقامت اللغة العربية ، وألف هو كتباً منها كتاب عن (الجغرافيا) .

ولما أنشأ محمد علي سنة ١٨٣٤ (مدرسة الادارة) التى كانت نواة مدرسة الحقوق ، انضم رفاعة الى هيئة التدريس فيها ، والغيت مدرسة الادارة ، وحلت محلها فى سنة ١٨٣٦ مدرسة (الألسن) الأم الحقيقية لمدرسة الحقوق ، المعهد العظيم الذى اتسعت رحابه للدراسة القانونية ، والدراسة الادبية ، وللخطابة كما أدمجت فيها مدرسة التاريخ والجغرافيا ، وكانت اللغات التى تدرس بها هى الفرنسية والتركية والفارسية والايطالية والانجليزية ، وقد كان تلاميذ هذه المدرسة يترجمون من اللغات الاجنبية كتب العلوم التى يدرسونها ويقوم الأساتذة بتنقيح هذه الترجمة ، ثم يطبع فى كتاب ، وبذلك كانت الترجمة أساس النهضة العلمية التى قام على تاسيسها رفاعة الطهطاوى ، ولذلك كان طبيعياً أن يصبح اسم هذه المدرسة نهائياً (مدرسة الألسن) ، وقام رفاعة بنفسه بتدريس اللغات والادارة والشريعة والقانون الفرنسى .

وقد شابت حياة رفاعة ، شوائب الالم والحزن ، ليكون مثالا كاملا للمجاهد من اجل رسالة ، فقد جاء الى حكم مصر ، الخديو عباس الأول ، وكان ضيقاً بنهضة المدارس والمعاهد ، فاغلق المدارس جميعاً بما فيها مدرسة الألسن ، ونقل رفاعة الى السودان ليشاهد كيف تتحول المعاهد التي انشئت إلى خرائب بغير ذنب ارتكبه ولم ينى (رفاعــه) ولم تصده هــذه الكــارثة التي صــدت زميلــه الاستــاذ (محمد البيومى) الذى مات أسى وحزناً ، أما رفاعة فقد تحمل المصاعب متجلداً ، حتى عاد الى مصر ، بعد أن انقضى عهد عباس الأول ، وفى فترة منفاه ، ترجم من الفرنسية قصة (وقائع تليماك) ونشرها فى بيروت ، وأقبل فى همة يعلم أولاد أبناء السودان ، فكان هذا عملا مجيداً ، إذ بذر به رفاعة ، البذور الأولى للنهضة العلمية والثقافية فى النصف الجنوبى من وادى النيل .

ويعتبر بعض مؤرخى الفكر الحديث ، أن رفاعة الطهطاوى هو أبو الصحافة المصرية الحديثة ، إذ أن علي باشا مبارك عينه فى سنة ١٨٧٠ م رئيساً لتحرير مجلة «روضة المدارس» التى صدر العدد

الأول منها فى ١٧ ابريل سنة ١٨٧٠ م ، وقد جعلها رفاعة الطهطاوى ، مجالا لرواد العمل الثقافى فى مصر ، فكتب فيها علي باشا مبارك ناظر المعارف ، وعبد الله باشا فكرى ، ومحمد قدرى باشا ، واسماعيل باشا الفلكى ، وصالح بك مجدى ، وهو تلميذ رفاعة الطهطاوى النجيب ، والشيخ حمزة فتح الله ، واسماعيل افندى صبرى (اسماعيل صبرى باشا) .

وقد كانت هذه المجلة ـ نصف الشهرية ـ هى المجلة الرابعة التى ظهرت فى مصر بعد المجلتين الفرنسيتين اللتين أصدرهما نابليون لجنود وضباط الحملة وبعض الأجانب ، باسم الكورييه دى جيبت ، اى (بريد مصر) و (الديكاو) المصرية اى العشرية المصرية ، تلتهما فى سنة ١٨٢٨ الجريدة الرسمية (الوقائع المصرية) وكانت تكتب باللغتين التركية والعربية ، بحيث كانت اللغة التركية تحتل القسم الأيمن ، وتحتل العربية القسم الأيسر ، باعتبار ان التركية هى اللغة الرسمية ، ولما عين رفاعة الطهطاوى رئيسا لتحرير الوقائع ، قلب الوضع ، فجعل القسم الأساسى هو القسم العربى ، وكان فوق ذلك يجعل الصدارة فى الجريدة لأخبار مصر ، تليها الأخبار الآتية من الخارج ، ولكن العناصر التركية تالبت عليه ، فاعادت كل شىء الى أصله ، إلا أن الأثر الطيب لرفاعة فى هذا المجال ، هو انه فتح باب الأدب والتحرير ، لأصحاب الأقلام ، يرسلون نفثات أقلامهم لجريدة الوقائع ، بعد أن كانت وقفا على الأخبار ، أما مجلة النهضة ، فقد استمرت منبر المثقفين ، ومجال الكتاب المصريين سبع سنوات ، رققت خلالها الأساليب ، وفتحت باب المنافسة بين حملة الأقلام .

إلا أن الأثر الخالد لرفاعة الطهطاوى ، الذى ارتفع به الى سواء القيادة ، بل الى صفوة الثوار ، فهما كتاباه العظيمان «تخليص الابريز فى تلخيص باريز» الصادر سنة ١٨٣٤ م رواية لرحلة الطهطاوى الى فرنسا ، أما الكتاب الثانى فهو «مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية» الذى صدر سنة ١٨٦٩ م .

فى هذين الكتابين ، فعل الطهطاوى ما يساوى الدعوة المتاججة للثورة والانقلاب إلا انه لم يفعل أكثر من وصفه لما رآه فى فرنسا ، من صور الحياة ، حياة النساء والرجال ، وحياة الحكام والمحكومين ، وحياة العمال وأرباب الصنائع وهو وصف دقيق ، على بساطته ، وعلى عدم ترسله فى معانى هذه الحياة الفرنسية التى تقوم أساسا على حرية الشعب فى اختيار حكامه أولا ، وفى محاسبتهم ثانيا ، وفى انزال العقوبات ثالثا ، يعمل هذا كله فى حكمة ماثورة «سلطان الملوك على أجسام الرعايا لا على قلوبهم» .

وقد أخذ المصريين على انهم لم يساهموا قط فى شىء من التصميمات التى رآها فى باريس واعجبته ، فقد كانت آفات الشعب المصرى فى رأى رفاعة ، عدم المبالاة ، والتكاسل عن تاييد الأعمال الصالحة التى تشاد فى بلده ، كما حدث فى عهد محمد على ، الأمر الذى ذكره كلوت بك ، ونقله عنه الأستاذ لويس عوض فى كتابه تاريخ الفكر الحديث «ولا يأخذ احد بجريرة هذه النزعات ، فان الروسيين لم يشدوا أزر بطرس الأكبر فيما تصدى لاجرائه من جلائل الأعمال ، وأدخله على شئونهم ، من نافع الاصلاحات . وتلك شنشنة معروفة عن الأمم فى أدوار ارتكاسها ونكستها ، كلما ظهر من بينها مصلح يريد الأخذ بيدها والنهوض بأمرها ، والسمو بها الى الغايات الغالية فى الحضارة والرفاهية ، تعرض على إحباط مساعيه ، والقت فى طريقه العقبات والمصاعب ، ولم يذكر التاريخ قبلا لأمة نهضت بدافع من نفسها لبناء صرح المدنية ، وإقامة معالمها ، وإنما الذين تعرضوا لذلك أفراد امتازوا بذاتية متينة وعبقرية عالية ، فدعوا الى مشاركتهم فى عملهم ، أبناء وطنهم ، وكثيراً ما لجأوا فى تنفيذ مقاصدهم إذا ما أرهقتهم من هؤلاء نزعة الجمود على القديم ، الى وسائل العنف والشدة» .

هذان الكتابان اللذان بشرا بافكار جديدة ، تلك الافكار التى بقيت زماناً طويلا يتحاشاها ويتحاشى الكلام فيها ، الكتاب والمفكرون ، حتى الذين ذهبوا بعد رفاعة الطهطاوى الى أوروبا باجيال . وكان الجو فى مصر ، وفى العالم العربى كله ، قد تهيأ لمناقشة أفكار لم تعد تخيف كثيراً، من مثل الدعوة الى إقامة نظم دستورية ، والى نشر التعليم بين العمال والفلاحين ، والى إتاحة فرص المشاركة فى الشئون العامة ، للمرأة العربية ، ولو على سبيل التدرج ، وذلك يدل على أمرين :

أولهما أن رفاعة الطهطاوى ، رجل بطبيعته متقدم عهده ، وانه بدأ فى كتابه الأول «تخليص الابريز» أكثر اعتدالا منه فى كتابه الثانى المباهج العصرية ، الذى يفصل بينهما أكثر من ربع قرن .

وثانى الأمرين ، أننا نبالغ فى القول ، إذا اعتبرنا أن كتابى رفاعة قد مهدا لشىء مما جاء فيهما ، فالكتابان بقيا مغمورين فى رفوف المكتبات ، لا يطالعهما إلا المؤرخون ، الذين يريدون تسجيل ما احتوته الكتب ، دون أن تتصل هذه الكتب بفكر الكتاب ، ولا القراء . وهذا يكشف عن مدى الجحود والاهمال الذى يصيب أهل الفكر فى بلادنا ، فان ما يكتبونه ، يبقى بعيداً عن تداول الأيدى ، وتناقل الألسن ، وتعليق العقول .

ولكن هذا ـ على مرارته وقسوته ـ لا ينقص من قدر أصحاب العمائم الذين أدوا واجبهم فأحسنوا الأداء ، وارتادوا الأصقاع المجهولة فى شجاعة وجراة . يستحقون معها التمجيد وإحياء الذكرى .

فتحي رضوان

قطعة حية من تاريخ البطولة العربية

قلعة الشقيف

فتحها صلاح الدين واستبسل فيها الفلسطينيون

بقلم : نبيل خالد الأغا

فى اليوم السادس من شهر يونيه « حزيران » الماضى بدات قوات الغزو الصهيوني فى اجتياح جنوب لبنان تحت شعار « السلام فى الجليل » !

وبعد معارك طاحنة مع بضع عشرات من المقاتلين الفلسطينيين استطاع العدو الصهيونى احتلال قلعة « الشقيف » التاريخية الشهيرة ، بعد أن خسر عشرات القتلى والجرحى من وحدات كتيبة « غولاني » الخاصة ذات التاريخ الارهابى الطويل .

ونظراً لخسائرها البشرية الكبيرة فقد عمدت القيادة الصهيونية إلى إنهاء المعركة باستعمال القنابل العنقودية والجرثومية والغازية لانها لم تستطع انهاء صمود المقاتلين الفلسطينيين عبر الأسلحة التقليدية .

وسيسجل تاريخ النضال العربى الفلسطيني ان سبعة وثلاثين فدائياً من ابطال الثورة الفلسطينية قد صمدوا أكثر من أربع وعشرين ساعة يتحدون أحدث أسلحة الترسانة الامريكية الاسرائيلية التى كان من ضمنها قنابل الاعماق التى تزن الواحدة منها ٩٠٠ كجم ، والتى تصل فى عمقها الى عشرة أمتار فى باطن الأرض وهى نفس القنابل التى استعملها الاسرائيليون فى تدمير مفاعل تموز النووى العراقى فى حزيران عام ١٩٨١ م . ولكى نكون على ثقة مطلقة ببطولة مقاتلينا وبسالتهم فسنورد مقتطفات من تصريحات اثنين من كبار العسكريين الصهيونيين

انها مذبحة رهيبة !

شرح المقدم « دوف » قائد الحملة الأولى لجريدة « دافار » الاسرائيلية كيفية احتلال القلعة والصعوبات التى واجهتها قواته فقال :

« كان معى ٩ دبابات ، و ١٣ ناقلة جنود تقدر طواقمها بتسعين فرداً بينهم أربعة ضباط ، وجميعها من وحدات « غولانى » الخاصة . وفى البداية كنت على قناعة بان هذه القلعة تضم مئات المقاتلين الفلسطينيين لان كثافة النيران التى تعرضنا لها ، والمقاومة الشرسة التى ابداها الفلسطينيون دلت على صحة تكهناتى ، ولم يخطر ببالى ابداً بان اعدادهم فى هذه القلعة لا تزيد عن بضع عشرات . وحمى وطيس المعركة ، وقطعت جميع الاتصالات بيننا وبين القيادة ، وشعرت عندها كمن وقع فى مصيدة ، وحينما أردت الانسحاب الى الخلف لتنظيم قواتى كان الوقت قد فات ، فالدبابات والناقلات المصفحة تلقت اصابات مباشرة .. لقد كانت حقاً مذبحة رهيبة لم اشهد مثيلا لها فى جميع الحروب التى خضتها من قبل .

لقد كان عدد الناجين – اضافة لي – سبعة جنود تم اخلاؤهم الى الخطوط الخلفية بعد أن جاءتنا تعزيزات ضخمة فى الثالثة صباحاً .. وفى السادسة والنصف دار قتال عنيف بيننا وبين من تبقى من المقاتلين الفلسطينيين احياء داخل القلعة ، وفى النهاية قتلوا جميعاً لأن احداً منهم لم يرفع علماً أبيض ولم يستسلم لنا رغم كل نداءاتنا لهم برفع اعلام بيضاء والاستسلام .

اننى احترم جداً واقدر هذا النوع من المقاتلين الأشداء ، وانى احيى هذه الشجاعة النادرة التى ابدوها ، وانى أعتقد بأن صورة المقاتل العربى الذى يهرب امامنا أو يلقى بنفسه مستسلماً قد اختفت هذه المرة ، وكل ما استطيع قوله الآن هو اننى أصلي لسلامة الجنود الذين يخوضون حرباً حقيقية شرسة فى لبنان » .

وقعنا في المصيدة

أما اللقاء الثانى فقد أجرته اذاعة الجيش الصهيونى ظهر يوم الثامن عشر من حزيران الماضى مع الجنرال شاؤول تكديمون الراقد فى مستشفى «تل هشومير» العسكرى لمعالجته من الاصابات التى لحقت به فى منطقة النبطية ، وقد اضطر الاطباء بالمستشفى الى بتر ساقه انقاذاً لحياته .

ونظراً لطول اللقاء مع الجنرال فاننا سنورد فقط ما ذكره عن معركة الشقيف فقال :

« قبل الهجوم بيومين قامت ١٣ طائرة اسرائيلية بقصف مكثف لهذه القلعة ، وكنا نعتقد بأن أطنان القنابل التى القيت عليها لم تدمرها فقط وانما مسحتها عن وجه الأرض واننا لن نجد أثراً لفلسطيني واحد ولكن حينما اقتربنا من هذه القلعة – وكانت أول موقع فلسطيني نواجهه فى الجنوب اللبناني – اتضح لنا انها ما تزال على حالها ، وان أحداً من المقاتلين الفلسطينيين لم يصب باذى نتيجة لكل تلك القصف الجوي الطويل .. ربما كان طيارونا يلقون بحمولة طائراتهم بعيداً عن القلعة نظراً للمقاومة الأرضية العنيفة التى ابداها أولئك الفلسطينيون داخل القلعة . والحقيقة التى يجب أن أقول هنا بأن



العميل سعد حداد فى قلعة الشقيف التى لم تسقط إلا بعد معارك طاحنة بين قوات الغزو الصهيونى وبضع عشرات من المقـــاتلين الفلسطينيين .

المعارك الطاحنة التى دارت حول قلعة الشقيف وفى داخلها ، والخسائر الكبيرة التى تكبدتها قواتنا فى هذه المعارك كانت بمثابة علامات الشؤم بالنسبة لنا .. لقد فقدنا خلال هذه المعارك خيرة ضباطنا وجنودنا من قوات غولاني والمظليين .. إن لي بين الضباط الذين سقطوا فى معارك قلعة الشقيف العديد من الأصدقاء مثل الركن افنير شماعيا ، والمقدم جوني هدنيك والمقدم بتسلئيل مزراحي ، والرائد يفتاح ابن حاسو واخرين . وحينما ابلغوني عن مدى الخسائر التى تكبدناها من اجـــل احتلال موقع فلسطيني واحد سبق لطائراتنا ان قصفته طوال أيام ، قلت في نفسي بأن هذه الحرب ليست مثل الحروب السابقة ، فهذه الحرب كانت تبدو كالمصيدة التى وقعنا فيها كالفئران الصغيرة .. وقد اجريت اتصـــالا عاجـــلا مـــن موقعـــى بالجنرالين ايتان ودوري وابلغتهما باننا نواجه مقاومة غير متوقعة ، وكنت اعني ما اقول ، وطالبت بارسال المزيد من التعزيزات .. لقد دخلنا الحرب بـــ ٢٨ الف جندي من القوات النظامية . لكن العدد ارتفع خلال اليومين الاولين لهذه الحرب الى ٨٣ الف جندي ، وان عنف وضراوة المقاومة وشراسة العدو الذى نواجهه هى التى كانت تدفع بنا الى الاستعانة بالمزيد من التعزيزات خاصة بعد استدعاء قوات الاحتياط ، والتى اشك فى انه قد بقى لدينا سلاح متطور واحد لم نستخدمه فى هذه الحرب الا اذا كان الحديث عن سلاح نووى .. لقد فقد الفلسطينيون فى قلعة الشقيف ثلاثين مقاتلا او ما يزيد قليلا ، اضافة الى بعض المواقع وراجمات الكاتيوشا وبعض الأسلحة الخفيفة ، لكننا فقدنا خمسة اضعاف ما فقدوه .. حقا لقد ذهلت مما رات عيناى ..

... هذا وبرغم كل تلك الخسائر التى منيت بها قوات «جيش الدفاع الاسرائيلي» الا أن احتلال قلعة الشقيف الاستراتيجية قد أدخل البهجة فى قلوب القادة الاسرائيليين ، حيث ذهب الارهابي ميناحيم بيجن لزيارة القلعة ظهر يوم الأثنين بصحبة وزير الدفاع اربيل شارون ، ورئيس أركان الجيش رفائيل ايتان ، والعميل سعد حداد ، وبعد أن تفقد الارهابيون أسوار القلعة نظر بيجن إلى حداد وقال له حرفيا : هذه قلعة اجدادك .. نقدمها هدية لك ! !

شيء من التاريخ

ولكن ماذا تعرف من تاريخ هذه القلعة الشهيرة - ؟ .

للقلعة أربعة أسماء : بوفور ، ارنون ، تيرون ، اضافة الى الشقيف وهو اسمها الاكثر شيوعاً ، ويقال انه لفظ سرياني الأصل ومعناه « الصخر الشاهق » . وقد اطلق عليها ابن خلدون اسم شقيف بيروت لوقوعها على جبل مطل على بيروت وصيدا.

وقد ورد فى معجم البلدان لیـــاقوت الحموي ان « المجي » قد اطلق على القلعة اسم شقيف ارنون حيث قال « والشقيف يعرف بشقيف ارنون وهو اسم رجل اضيف الشقيف اليه ، والرجل اما رومى واما افرنجى ، ويعرف ايضاً بالشقيف الكبير وهو حصن بين دمشق والساحل بعضه مغارة منحوتة فى الصخر ، وبعضه له سور وهو فى غاية الحصانة » .

كما أن ارنون اسم لقرية تقع الى الجنوب من القلعة ، وتنسب القلعة اليها كذلك .

اما اسم بوفور فهو نسبة الى أول قائد فرنسى دخلها أثناء حكومة فيشى ، حيث لوقف زحف الحلفاء من الجانب الفلسطيني ثم اتخذها مقراً لقيادته .

ويقال أن تيرون كلمة لاتينية الأصل ومعناها « الجندى الشجاع » . وتفيد المعلومات التاريخية بأن ملك القدس الصليبي « فولك » هو أول من شيدها عام ١١٣٥ للميلاد ، على انقاض حصن روماني قديم .

وقد تم بناؤها على طريقة بناء قلاع القرون الوسطى من حيث نظامها الداخلي ووظائفها الدفاعية .

ويتفق المؤرخون على أن البطل الاسلامى صلاح الدين الايوبى حاصر القلعة عام ١١٨٩ م أى بعد عامين من انتصاره الساحق على الصليبيين فى معركة « حطين » ، واستسلمت له فى النهاية بعد مراوغات قائدها الصـــليبي « رينالد » .

لكن البهجة بتحرير الشقيف من الاحتلال الصليبي لم تدم طويلا ، فلقد اعيدت القلعة إلى الصليبيين ضمن معاهدة جائرة قام بتوقيعها معهم المدعو الصالح اسماعل باشا سلطان دمشق آنذاك مقابل أن يكونوا ظهيراً له على ابن أخيه الصالح ايوب فى مصر وعلى الناصر داود فى الأردن !!

وفى مقابل ذلك تعهد الصالح اسماعيل باعطاء الصليبيين مدينة بيت المقدس

قلعة الشقيف

ولكى يبرهن على حسن نيته نحوهم قام بتسليمهم القدس وطبريا وعسقلان . اضافة الى قلعتي صيدا ، والشقيف .

ولكن حاميتها الاسلامية ابت أن تسلمها مجاناً إلى الافرنج ، ثم جاء السلطان بنفسه وتسلمها من الحامية وقام بدوره بتسليمها إلى الاعداء عام ١٢٣٨ ميلادية .

وفى عام ١٢٦٠ قام فرسان الهيكل بشرائها من صاحبها جوليان مع مدينة صيدا . وبعد ثمانية أعوام شن الظاهر بيبرس هجوماً عنيفاً على القلعة واستولى عليها وقام بتوزيع حاميتها ارقاء على مرافقيه ، ثم عمرها وبنى فيها مسجداً وداراً للنيابة على نحو ما ذكر المؤرخ ابو الفداء .

وفى عام ١٦١٠ م وخلال العهد العثماني استولى عليها الأمير فخر الدين المعني الثانى وضمها الى جملة القلاع التى استولى عليها لتعزيز نفوذه ، فرممها ونظم شؤونها لكى تصبح مرتكزاً له فى حروبه مع الدولة العثمانية .

ولما حاول الامير أن يستقل فعلا عن السلطة العثمانية أمر السلطان العثماني بالقبض عليه ومعاقبته فالتجأ الى قلعة الشقيف ، فاضطر الجيش العثماني الى محاصرته وتضييق الخناق عليه مما اضطره إلى الاستسلام وتم الحكم عليه بالاعدام .

ومنذ ذلك التاريخ وحتى مطلع العصور الحديثة فقدت القلعة الكثير من اهميتها الاستراتيجية نظراً لتطور الاسلحة الهجومية .

التاريخ الحديث للقلعة

مع استقلال لبنان عام ١٩٤٣ م ، ومع نشوء الدولة اليهودية عام ١٩٤٨ م استعادت القلعة أهميتها ، وبرزت الى ساحة الاحداث من جديد . واقام عليها الجيش اللبناني التحصينات العسكرية ، والرادارات والأضواء الكاشفة .

ولكن الجيش اللبناني الشرعي اضطر الى الانسحاب منها فى بداية الحرب الأهلية اللبنانية عام ١٩٧٥ م ، بعد أن استولى عليها الملازم أحمد الخطيب وضمها الى قيادة « جيش لبنان العربي » .

وبعد عامين أصبحت القلعة تحت سيطرة القوات الفلسطينية ـ اللبنانية وأصبحت مدافعها تواجه مباشرة مدافع الرائد الصليبي المتمرد سعد حداد الذى اتخذ من قرية القليعة مقراً لقيادته حينئذ ، ومنذ ذلك الوقت بدأت بين الطرفين اشتباكات عنيفة بالمدفعية ، ومن ثم اصبحت الشقيف هدفاً رئيسياً للقصف الصهيوني برا وجوا انتقاماً من الفدائيين الفلسطينيين الذين كانوا يقذفون منها مدافعهم البعيدة المدى وصواريخهم « الكاتيوشا » لتصب فى المستعمرات الاسرائيلية فى الجليل الاعلى .

وأثناء الاجتياح الصهيوني للجنوب اللبناني في شهر آذار (مارس) عام ١٩٧٨ م تعرضت القلعة ـ على مدى ثلاثة أيام لقصف جوي عنيف اشتركت فيه عدة اسراب من الطائرات الامريكية ـ الاسرائيلية ، وقد فشلت فى احتلالها جميع عمليات الانزال المظلي ، والزحف البري الصهيوني .

وتقوم قلعة الشقيف فوق جبل عال جداً يكشف بالعين المجردة جزءاً كبيراً من فلسطين المحتلة وخاصة منطقة الجليل الأعلى ، التى تتواجد فيها كثير من المستعمرات الصهيونية مثل « المطلة » التى تبعد عن القلعة مسافة ٥ كم جواً . وترتفع القلعة مسافة ٨٠٠ م عن سطح البحر المتوسط ، وتطل من الناحية الشرقية على سهل مرجعيون وبحيرة طبريا . واعالى الجولان ، وتطل من الناحية الشمالية على منطقة الشوف ، ومن الناحية الغربية على مدينة النبطية ، وقراها .

ويبلغ طول واجهة القلعة ١٢٠ متراً ، وعرضها ٣١ متراً ، وترتفع جدرانها الى حوالى ٢٣ متراً .

والقلعة على هيئة مثلث ، وقد شيدت من الصخر الأصم الكبير القطع ، ويحيط بها خندق كبير يبلغ عرضه حوالى ٢٠ متراً داخل الصخر . وهى تتالف من أربعة طوابق ، ولها أربعة ممرات داخلية تؤدى الى الغرف داخلها ، ويقال ان بها ممراً سرياً يربطها بنهر الليطاني من الناحية الشرقية ، وعن طريقه استطاع الجنود العثمانيون أن يصلوا الى الأمير فخر الدين ، فضيقوا الخناق عليه واجبروه على الاستسلام .

القلعة والشعراء

وبرغم رفع العلم الصهيوني على القلعة ، فان الجنود الصهاينة فى داخلها يتعرضون ـ ومنذ أكثر من شهرين على احتلالها ـ الى هجمات فدائية جرئية تكلف المحتلين خسائر ليست قليلة .

وقد تفاعل كثير من الشعراء العرب باحداث القلعة ، فانشدوا القصائد الوطنية المعبرة .

يقول الشاعر المعروف معين بسيسو ضمن « رسالة مفتوحة الى قلعة الشقيف »

يا قلعة الشقيف
لم يرفع الراية البيضاء
لا كيس من الرمل
ولا حجر
قاومت الشمس
وقاوم القمر
وقاومت الجذور
والصخور
وقاوم الشجر ..

ويقول الشاعر خليل السواحري :

كومة من حجارة
وكومة من اجساد
سبع وثلاثون وردة حمراء
تملأ التاريخ زهواً
افق من الخلود
ضوء يملأ الاجيال
مجداً
وفخراً
وكبرياء
كومة من حجارة
وجبال من بطولة
يا قلعة الشقيف
يا منارة الرجولة .

نبيل خالد الأغا

ملاحظات حول مقال:

شكوى الحيوان من ظلم الإنسان

بقلم : يوسف الشاروني

فى عدد يوليو الماضى من مجلة الدوحة نشر الدكتور أحمد الحوفي مقالا سريعاً بعنوان « صفحة طريفة من التراث العربي » عن شكوى الحيوان من ظلم الانسان التى وردت فى رسائل اخوان الصفا . ولاشك ان صغر حجم المقال ظلم بدوره هذا الموضوع العظيم الطريف . وقد تساءل الدكتور الحوفى فى نهاية المقال بضعة تساؤلات نجملها ـ ونعلق عليها ـ فيما يلي :

أولا : لماذا لم يذكر بنو آدم فى الاستدلال على تفوقهم وسيادتهم على الحيوانات أن الخالق عز وجل منح بني آدم العقول والتفكير والنطق ؟ ... وإذا كان الانس قد عرض لها فان عرضه موجز عابر .

والواقع أن زعيم الانس حين أعلن فى اليوم الأول من هذه المناظرة أو المحاكمة الفريدة فى تاريخ الأدب أن قومه يتميزون عن الحيوان بالذكاء ورجحان العقول ، رد عليه زعيم البهائم قائلا « لو كان لكم عقول راجحة لما افتخرتم علينا بشيء ليس هو من أفعالكم ولا اكتساب منكم بل هي مواهب من الله جل ذكره لتعرفوا مواقع النعم وتشكروا له ولا تعصوه . وإنما العقلاء يفتخرون باشياء هي أفعالهم من الصنائع المحكمة والعلوم الحقيقية والمذاهب المرضية والسنن العادلة والطرق المستقيمة ولسنا نراكم تفتخرون بشيء منها » (رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، ١٩٢٨ ، ص ١٨٢)

ثانياً : كذلك لم يذكر بنو آدم أن الله عز وجل اختصهم بالرسل والشرائع والتكاليف ولم يختص الحيوانات بشيء من هذا .

ولو رجعنا إلى ثالث يوم من أيام المناظرة لوجدنا أن الانس يعلنون أن الله أكرمهم بالوحي والنبوءات والكتب المنزلات والآيات المحكمات وما فيها من ألوان الحلال والحرام والحدود والاحكام ، والأوامر والنواهي ، والترغيب والترهيب من الوعد والوعيد ... وما وعدنا من الجنان والنعيم وما أكرمنا به من الغسل والطهارة والصوم والصدقة والزكاة والاعياد والجمعات ، والذهاب إلى بيت العبادات والمساجد والبيع والصلوات ... وكل هذه الخصال كرامات لنا وأنتم بمعزل عنها ، وكل ذلك دليل على أننا أرباب وأنتم عبيد (المرجع السابق ص ٢٧٠/٢٧١).

وقد رد الحيوان هذا السهم إلى صدر الانسان حين أجاب أن الله لم يبعث أنبياءه للانسان إلا لكفره وجهله وانكاره لربوبية الصانع وجحوده لوحدانيته ، أما الحيوان فهو بريء من ذلك كله . أما الصوم والصلوات والصدقات فهي عذاب وعقوبات وغفران للذنوب ومحو للسيئات ، والحيوان لا يحتاج لشيء من هذه الأوامر والنواهى لأنه بريء من الذنوب والفحشاء . هنا يفخر الحيوان على الانسان بانه لا يتصل بانثاه إلا مرة واحدة فى السنة لا لشهوة غالبة ولا للذة راغبة ولكن لبقاء النسل . وأما ما جاء فى الكتب المنزلة من بيان للحلال والحرام فهذا لقلة معرفة الانسان بما ينفعه وما يضره ، بينما الحيوان قد ألهم جميع ما يحتاج إليه من أول الأمر ، وأما كون الانسان له أعياد وجمعات وذهاب إلى بيوت العبادات وليس للحيوان شيء من ذلك ، فان صاحب النواميس اقتضى ذلك لأن الانسان ينقصه التعاون عند الشدائد ، فاقتضى اجتماع الخلائق فى الأعياد والصلوات حتى يحصل من اجتماعهم الصداقة، أما الحيوان فليس لديه شيء من ذلك لأنه لا يحتاج إليه فالأماكن « كلها لنا مساجد والجهات كلها قبلة ، أينما توجهنا فثم وجه الله . والأيام كلها لنا جمعات وعيد ، والحركات كلها صلوات وتسبيح » . (المرجع السابق ص ٢٧٤)

ثالثا : أن الحيوانات لم تذكر فى مفاخرها أن بعضها أقوى جسداً من الانسان ، مثل الحمار والبغل والثور والحصان .

والواقع أنه بعد انتهاء اليوم الأول من المناظرة (وقد استغرقت أربعة أيام) وقبل عودة المحكمة للانعقاد تجمعت كل مجموعة تتشاور فيما بينها استعداداً لليوم التالي (الانس والجن والبهائم) . وقد انتهت البهائم إلى رأي أكثر ديمقراطية بلغة أيامنا . إذ رأت أن تبعث رسلا إلى سائر اجناس الحيوان لارسال زعمائهم وخطبائهم ليعاونوا فى قضيتهم .

وعندما وصل الرسول إلى الأسد ملك السباع أعلن الأسد أنه إذا كان الانسان يفتخر بالقوة والشجاعة فانه سيجمع جنوده ويذهب لمحاربته وإبادته . وهنا يعلن الرسول أن قوة الانسان فى عقله أكثر مما فى جسده ، وإن كان هناك من الناس ممن يفتخرون بقوتهم الجسدية . وبهذا العقل اخترع الانسان من السلاح ما يتفوق به على مخالب السباع وأنيابها ، ومن الحيل مايأسره بها كالفخاخ المنصوبة والخنادق المحفورة ، ولكن المناظرة بحضرة ملك الجن لن يكون فيها شيء من هذا وإنما الحجاج بفصاحة اللسان وجودة البيان ورجحان العقول ودقة التمييز . فلما اجتمعت السباع لاختيار من ينوب عنها ، بادر النمر مستعرضاً قوته الجسدية قائلا : إذا كان الأمر هناك يمشي بالقوة والجلد ، والغلبة والقهر ، والحقد والحنق والحمية ، فأنا لها ، كما قال الفهد : إن كان الأمر يمشى بالوثبات والقفزات ، والقبض والبسط ، فأنا لها ... ولكن الأسد ملك السباع أفهمهم أن هذه الخصال لا تصلح إلا لجنود الملوك من بني آدم وسلاطينهم ، وقادة الجيوش لأن أنفسهم سبعية وإن كانت أجسادهم بشرية وصورهم آدمية . أما مجالس العلماء والفقهاء والحكماء فان أخلاقهم وسجاياهم أشبه بأخلاق الملائكة .. (المرجع السابق ص ٢٠٢ ـ ٢٠٥) .

وإنما الذى لم يثره استاذنا الدكتور الحوفي فهو إلى أى حد تقترب « شكاية الحيوان من جور الانسان » من الفن القصصى بمعناه المعاصر . ولكن هذا موضوع دراسة مستقلة .

●● تنشر الدوحة هذا المقال للأستاذ الفاضل عبد الرحيم عنبر عملا بحرية الرأي مع تأكيد احترامنا واعتزازنا بالأستاذ الكبير فتحى رضوان الذى نعتبره عضواً فى أسرة تحرير الدوحة ●●

رد هادئ على فتحي رضوان عن :

سعد زغلول في قفص الإتهام

بقلم : محمد عبد الرحمن عنبر
المحامي بالنقض

لقد أفزعنى حقا ـ كما أفزع العديدين من المواطنين المخلصين لوطنهم ـ ما جاء بمقال الأستاذ فتحي رضوان بعدد يونيو ١٩٨٢ من مجلة الدوحة عن سعد زغلول .. ذلك العملاق الوطنى الذى لم يستطع أحد حتى الآن ـ ولن يستطيع ـ مهما كان مركزه أن ينال من عظمته أو أن ينزله عن « عرشه الخالد فى التاريخ » رغم كل المحاولات الشرسة المتعددة فى هذا الشأن ، والتى باءت كلها بالفشل ، والخزى المبين ! !

وإذا كان سعد زغلول ـ وهذا دليل عظمته ـ لا يحتاج إلىدفاع .. فسيرته الذاتية ، وما كتب عنه كافيان وحدهما فى الدفاع عنه .

ولكن الأجيال الجديدة .. لما لها من هموم ومشاكل حياتية آنية ومستقبلية قد تصرفهم عن الالمام بالحقائق الوطنية التاريخية فلا يفرقون بين الحق والباطل ، ويقعون أسرى لمن يزيفون التاريخ ، ويطمسون الحقائق سواء عن حسن قصد أو سوء قصد .

وإلى هؤلاء يجب أن نتوجه أن يقرأوا الرأى والرأى الآخر لعلهم يصلون إلى الحقائق .. وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين .

وقبل أن أرد على ما جاء بالمقال من وقائع ، وتخريجات ، واستنتاجات ضعيفة وتتعارض مع بعضها البعض .

قبل ذلك أقرر أن لصديقى الأستاذ الكبير ـ الذى أحترم شموخه ، وعلمه الغزير ، ونضاله الكبير ـ هواية قديمة مثيرة . تلك هى « سلخ جلود الشوامخ من الأموات » . وعيب هذه الهواية الغريبة ليس دينيا « اذكروا محاسن موتاكم » وليس أخلاقيا « الضرب فى الميت حرام » لأنه لا يستطيع الدفاع عن نفسه . فالشخصيات العامة قد تشذ عن هذه القاعدة لأنها ملك للأمة وللتاريخ . فنقدها مباح ، بل ومطلوب حتى لتأخذ موقعها الصحيح من التاريخ ، ، ومن قلوب الجماهير .. بل حتى لا تتكرر الأخطاء

... إن الزعماء ليسوا معصومين من الخطا كالأنبياء ، بل هم بشر مثل سائر البشر لهم نقاط ضعف ، ولحظات ضعف . ولكن بطولاتهم ، وتضحياتهم فى سبيل أوطانهم ومواطنيهم ، تغطى على هذه الثغرات فى حياتهم الخاصة او العامة .

ونعود إلى هواية صديقنا الأستاذ الكبير . فبالأمس ليس بالبعيد أقام « سلخانة كاملة » لعشرين من كبار أدبائنا وشعرائنا الذين لم يختلف حتى الآن إثنان فى علو كعبهم ، وسمو أقدارهم فى فنهم وابداعهم .

وتصادف أن طلب منى أن أنسخ له هذا الكتاب على الآلة الكاتبة فى مكتبى المجاور لمكتبه وقتذاك فى البنك المركزى الرئيسى بشارع قصر النيل حتى يقدمه للناشر (مكتبة الانجلو المصرية) منسوخا لا مخطوطا .

وتصادف أيضا ـ فليس من طبعى الفضول ـ أن اطلعت عرضا على بعض صفحات الكتاب فافزعتنى كذلك كمية



سعد زغلول .. قصة كفاح بطولى يجب الا نظلمها

الدماء الرهيبة التى تسيل من بين السطور وكانه « سلخانة » حقيقة لا نقد أدبى !!

اتصلت به وصارحته برأيى فقال إنهم يستحقون هذه المجزرة فعلا . ودهشت حين عدل قليلا عن رأيه ، وترك لي « حرية التصرف » رغم معارضتى الشديدة له بانى كاتب ولست اديبا .. فضلا عن انه اجدر بهذه المهمة باعتباره المؤلف . فهو وحده الذى يستطيع ان يقرر من « تقطع رقبته » ومن يكفيه « نتف ريشه » !! وذلك سر اذيعه لاول مرة .

ورغم ما حذفته فى الكتاب من العبارات الجارحة .. او المهينة .. او الخادشة للشرف لمن عالج سيرتهم فقد قابله بعض النقاد بالاستنكار وتجاهله معظمهم . بل ان صديقنا العتيد ، الأستاذ حافظ محمود ، الاديب المخضرم وشيخ الصحفيين خرج على هدوئه ، ومجاملاته ، وكتب يهاجمه فى مقال عنيف جداً !!

وبعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ شغل عدة مناصب وزارية هامة لمدة ست سنوات .

وحدث ذات يوم ان فوجئنا بتعديل وزارى لم يخرج فيه من الوزارة سواه ، وقد كنا نقول ـ لطول بقائه فى الحكومة ـ إنه من الثوابت الذين لا يتناولهم اى تعديل وزارى .

ومع ذلك ظل صامتا .. بعيداً عن الاضواء .. لا يتناول النظام او الرئيس عبد الناصر بكلمة سوء او نقد واحدة . وما انتقل الرئيس عبد الناصر إلى جوار ربه فى سنة ١٩٧٠ حتى فاض قلمه السيال .. ومازال بالطعنات الحادة فى امور اشترك ـ كما قلت ـ فى المسئولية عنها !!

وحدث ان قابلت الأستاذ امين شاكر وزير السياحة السابق ، غداة ذلك التعديل الوزارى وكان وقتها مديراً لمكتب الرئيس عبد الناصر ، فسالته عن سر هذا التعديل الغريب فقال لي بعد تردد ـ لانه متحفظ بطبعه ـ إن الأستاذ فتحى كان يسبب صداعاً دائما للرئيس لمعارضته فى كل شيء تقريباً دون سبب مقنع .

سموم فكرية

وكنت قد انضممت إلى « حزب الوفد » برئاسة مصطفى النحاس سنة ١٩٥٠ ، ونجحت فى المعركة الانتخابية . اقول ذلك لانى كنت فى « حزب مصر الفتاة » ثم فى « لجنة شباب الحزب الوطنى » مع الأستاذ فتحى رضوان فاكتشفت كمية « السموم الفكرية » التى كنا نتجرعها عن سعد زغلول . ومقال الأستاذ فتحى الذى نحن بصدده خير مثال !!

فقد قامت ثورة سنة ١٩١٩ بزعامة سعد وخطبه التى كانت تلهب شعور الجماهير وحماستهم .

وانتهى الأمر بصدور قرار باعتقال سعد ورفاقه ، ونفيهم الى مالطه فى ٨ مارس سنة ١٩١٩ .. واشتعلت الثورة فى اليوم التالى لرحيلهم ! ولم يعلم سعد بالثورة إلا بعد وصولهم إلى مالطة عندما زارهم حاكم الجزيرة ، وقال لهم عرضاً :

ـ لقد جئتم إلى هنا بعد ان اشعلتم الثورة فى مصر !!

وكان أول عمل قام به سعد فى المنفى ان استانف جهاده .. فارسل برقية باسمه إلى رئيس الوزارة البريطانية يستنكر فيها ما حدث ، ويصر على رفض فرض الحماية على مصر . وقال فيها ايضاً قولته المشهورة « ان دولة الظلم ساعة ودولة العدل الى قيام الساعة » .

وأمام هذا الكفاح البطولى لسعد وشعب مصر .. اضطر المارشال البريطانى حاكم مصر ان يكتب لحكومته يحثها على الافراج عن سعد وصحبه عاجلا .. واحنت الامبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس راسها ! وافرج عنهم فعلا فى ١٩ ابريل ١٩١٩ . اى بعد شهر !

ولكن سرعان ما تحولت مظاهرات الفرح والابتهاج بعودة سعد إلى مظاهرات دامية .. فاستقالت وزارة رشدى باشا ، وامتنع السياسيون المصريون الآخرون عن تاليف وزارة جديدة !!

كان سعد كذلك

وقد كتب عباس العقاد عن سعد زغلول « كان لقومه مدد من عزمه .. وكان لعزمه مدد من قومه » .

وكتب عنه عبد الرحمن الرافعى المؤرخ الكبير واحد زعماء الحزب الوطنى الذى ينتمى إليه الأستاذ فتحي حتى الآن :

« ان الزعامة هى قدرة الانسان على أن يقود الجماهير ، وان يجمع حوله اكثر ما يمكن من الانصار . ولاشك ان سعداً كان كذلك من أواخر سنة ١٩١٨ إلى ان توفى سنة ١٩٢٧ .. فزعامة سعد اصبحت حقيقة من حقائق التاريخ القومى المصرى » .

ولقد كان غاندى ـ الذى يعجب به الأستاذ فتحى وكتب عنه اول كتبه ـ يصرح دائماً بانه مدين فى ثورة الهند واستقلالها لسعد زغلول ، ولثورة سنة ١٩١٩ التى اتخذ منها نموذجاً ونبراساً .

ولما زار خليفته ـ نهرو ـ مصر فى أوائل ثورة ١٩٥٢ الخ فى مقابلة مصطفى النحاس خليفة سعد ليقدم له تحية الوفاء النادر فى هذا الزمان !!

لمصلحة من ؟

إذا راينا كل هذا ، ونظرنا على ضوئه ما أورده الأستاذ فتحى سقطت كل حججه واستنتاجاته التى بنيت على آراء شخصية بل ومتناقضة لزملاء سعد الذين اختلفت آراؤهم ومواقعهم معه ، وهو امر طبيعى فى كل الحركات الثورية التى لا تخضع للمقاييس العادية للأمور .

فهى :

أولا : ـ لم تنقض زعامة سعد لثورة سنة ١٩١٩ ، ولا من قدره كزعيم وبطل شعبى اسطورى بكل المقاييس .

ثانياً ـ لا تعارض بين تلك الحقيقة الثابتة تاريخياً ، وشعبياً وبين مالزملائه من قدر ، وجهاد كبير ، وعلم غزير .

ثم لا ندرى لمصلحة من يقوم فينا بين الحين والحين من يحاول ـ لا إضافة ولو قدر ضئيل من امجادنا ـ بل هدم جزء كبير وثمين من هذه الامجاد ؟ وذلك فى وقت وصلنا فيه إلى التمزق والضياع عربياً واسلامياً بسبب « الاضطرابات والصراعات » التى ترجع إلى الأطماع الشخصية والزعامات الوهمية ؟

ان الدول تخلق لنفسها امجاداً وهمية اذا لم تكن لها امجاد حقيقية . فما بالنا نحن ننكر امجادنا الحقيقية ؟ !

هذه هى المسالة .. كما يقول شكسبير !

الجامعة الإسلامية العالمية

تحية كريمة :

فكرة جيدة تلك التى تدعو الى انشاء جامعة يتمناها كل جامعي وكل مسلم غيور وكل شاب طموح .

ذلك ان لا جامعة عندنا اليوم ـ تقليدية كانت كالأزهر أم حديثة ـ تفى بالاهداف الاكاديمية والاسلامية . الفكرة جيدة اذن والغاية شريفة وانا كاستاذ جامعى درست فى ست جامعات عربية لنيف وعشرين سنة اتمنى لو يتم تحقيق مثل هذه الجامعة الاسلامية العالمية وان لي زملاء فى جميع العالم الاسلامى يتمنون لو توجوا حياتهم الاكاديمية بالتدريس فى مثل هذه الجامعة المقترحة .

ان فى بديهيات الحياة الجامعية ان الاستاذ الحق هو روح الجامعة . هكذا كان افلاطون روح الاكاديمية وكان ارسطو طاليس روح اللوفيون ـ وهاتان جامعتان شهيرتان فى العالم اسستا قبل اربع وعشرين قرنا وتخرج فيهما علماء وفلاسفة وعندنا كان حجة الاسلام الغزالي قبل ما يقرب من الف عام روح النظامية . وطاغور فى القرن العشرين اسس جامعة ادبية فنية وهكذا ..

وفى الاسلام الحديث يمكن ان نختار اسماء كجمال الدين الافغانى وتلميذه محمد عبده وساطع الحصرى ومحمد اقبال وابى الاعلى المودودى وعدد قليل غيرهم لينشئوا الجامعة الاسلامية العالمية . لكن اين امثال هذه الاسماء عندنا اليوم ؟ على أية حال لا داعى للتشاؤم ولو عنينا بالتشريع الصحيح ووضعنا فى اول مجلس جامعة عدداً من الرؤوس المفكرة والقلوب المخلصة ، فان التشريع الصحيح سوف يوجه التوجيه الصحيح .

الاستاذ :

اذن فى الامكان ان نقترح او نجمع عدداً من الاسماء اللامعة بمؤلفاتها وماضيها العلمى والاكاديمى وبرغبتها الصادقة فى المشاركة . ولئن هيانا البناء المناسب فى المكان الجيد واوجدنا الظروف العلمية الحرة فى نشر العلم والاسلام ، عند ذلك سيتجمع عدد من الاساتذة الجيدين وسوف تقوى ثمارهم العلمية وثمارهم الحية فى تلاميذ نجباء .

واى أستاذ مهما كان ماضيه العلمي يجب ان لا يجدد اختياره للتدريس اذا ظهرت عليه امارات الضعف والعجز ، وان كان فى الامكان ابقاؤه فى حرم الجامعة يستفاد من اشارته واشرافه على الرسائل العلمية والمناقشات لو امكن ان يكون فى ذلك فائدة والا يصار الى غيره .

والاستاذ الجيد ليس هو المطلوب فى التدريس فقط ، وانما العالم الحقيقى يظهر له وجه فى التدريس وله وجوه اخرى فى التاليف والمناقشة وسواهما . اذن سيكون هناك مجال فى حرم الجامعة لعدد من العلماء الذين وان عجزوا عن التدريس ـ مثلا ـ فان فى الامكان الافادة منهم فى وجوه علمية أخرى .

هذا ويجب ان تهيا التشريعات للحرية الاكاديمية وهذا معناه ان يتوفر الامن العلمى والفكرى وان تتوفر النوايا الطيبة معا ، ليس فى جامعتنا مجال ان تنقلب الى دار عجزة او ان يكون فيها أوكار الحاد او أى ارهاب شيطانى فى أى شكل كان .

المكان ! وأرض الله واسعة :

هناك الاماكن المقدسة وعلى راسها مكة والمدينة وهناك المناطق الصحية والجميلة كسواحل المحيط الاطلنطي او سواحل البحر الابيض المتوسط او سفوح الهملايا او فى جزيرة قليلة السكان فى اندونيسية .

فاذا اصابنا التوفيق فى اختيار المكان قامت امامنا مشكلة او مشكلات الانشاءات ـ قاعات الدرس والمختبرات والمكتبات وسواها .

التلميذ : واختياره ايسر بكثير من اختيار الأستاذ وحسبنا ان يتقدم لنا التلميذ الذكي ذو العقيدة ، ولسوف ينضج النضج الصحيح اذا تيسرت امامه بقية الامور الأخرى ـ الاستاذ والكتاب والامانى والحرية ، اذا وجدنا مثل هذا التلميذ فلا يهم بعد ذلك ان كان سيدفع اجر تعليمه أم لا يدفع لانه إن كان نقداً ففى امكان الهيئات والحكومات الغنية ان تدفع عنه . اللغات الرسمية والمدروسة فى الجامعة : العربية ضرورية دون شك وفيها يتم تدريس معظم المحاضرات وفيها تتم المناقشات فى معظم المناسبات . لكن التخريج ـ وحسب اختيار كل فرد ـ يجب عند حصوله على الشهادة ان يلم الماما كافيا بلغة اسلامية واحدة على الاقل الى جانب العربية كما يجب ان نعطى دروسا فى جميع المراحل فى عدد من اللغات الحديثة العالمية بحيث ان التلميذ عند تخرجه يعرف عدا العربية ولغة اسلامية واحدة على الاقل لغة أو أكثر من اللغات العالمية الحديثة .

ان تعدد اللغات ضرورى فى تحصيل العلم وضرورى فى نشر الاسلام وتقويته فى نفوس ابنائه عامة وعلمائه بشكل خاص .

العلوم والمناهج :

ا ـ العلوم الاسلامية وهى معروفة للمختصين ، هناك علوم العربية وعلوم القرآن والحديث والتاريخ الاسلامي والشريعة والقوانين الاسلامية والمذاهب الفقهية ويمكن تنويع الاختصاصات وتوزيع كل هذا فى كليات واقسام .

ب ـ العلوم الفلسفية والرياضية والطبيعية والبيولوجية والنفسية والاجتماعية .

هذه العلوم كثيرة وعلى التلميذ المختص فى أى قسم من الاقسام ان يختار فى أى سنة من سنوات دراسته احد هذه العلوم حسب هواه ورغبته واذا كان التلميذ نشيطا فى امكانه ان يحصل على دروس اختيارية فى أكثر من علم واحد من العلوم الاخيرة .

المناهج :

الجامعة الاسلامية العالمية هى ليست لتدريس الطب او الهندسة كطب وكهندسة وتحويل الأزهر الى المناهج الحديثة جعله معهداً تجاريا الى حد كبير واخرجه عن اغراضه الاصلية .

بلقيس الراوى

ورد خطأ فى . العدد الماضى من الدوحة ان اسم السيدة زوجة الشاعر نزار قبانى هو بلقيس العانى وصحة الاسم هو بلقيس الراوى .

العلوم الاسلامية هى العلوم الاصلية الاساس فى الأقسام المختلفة . لكن الى جانب العلوم الرئيسية توضع ساعات للغات وللعلوم الفلسفية والطبيعية والاجتماعية يجب ان ياخذ التلميذ عدداً منها ، انما هو يختار منها حسب اهوائه واستعداداته .

هذا واقترح ان تكون هناك سنة اعدادية للتاكد من التوفيق بين المرحلة الثانوية والمرحلة القادمة . يتاكد فيها التلميذ من قابلياته وقد يكون فى امكانه فى نهايتها ان يبدل الجامعة اذا شاء ، اذ ما الداعى الى ابقاء تلامذة غير راغبين فى العلوم التى يدرسونها . ثم ان السنة الاعدادية تؤكد للمشرفين مدى صلاحيات المناهج والساعات والاختصاص . بعدها تكون هناك دراسة جادة لاربع سنوات يعطى فى نهايتها اختصاص ابتدائى فى مقدمات العلوم الاسلامية التى درسها الطالب . وفى امكان الطالب الذى لم يثبت كفاءة كبيرة فى دراسته ان يكتفى بالشهادة الأولى . ولا يسمح بمواصلة الدراسات العليا الا لعدد أقل . ان الاشراف على طلبة الدراسات العليا فى حاجة الى عدد كبير متدرب جاد اكاديمى من الاساتذة الذين يخلصون للبحث الحق ويخلصون تربوياً فى اشراف عميق ومفصل على الرسائل والابحاث التى يتسلمونها بعيداً عن التهويل والتجارة والسطحية التى نراها سائدة الآن فى اوساطنا العلمية مع الاسف .

وختاماً : ان الافكار الجيدة فى حاجة الى افئدة مخلصة وعزائم ثابتة تدعمها . ان الاسلام الحق الذى اخذ يبتعد تدريجياً عن الجو الاكاديمي فى بضعة القرون الأخيرة فى حاجة الى جامعات اصيلة كالازهر فى صورته الاولى عند انشائه وكالمستنصرية والنظامية .

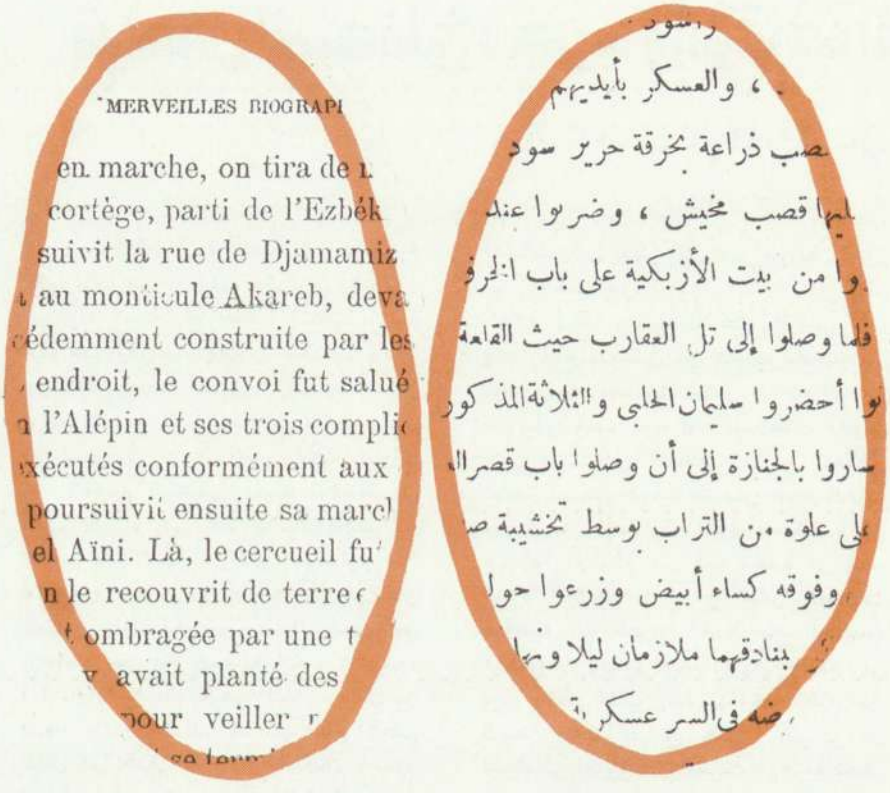
هذا مع العلم ان هناك بذرات طيبة اليوم توجد فى انحاء من العالم الاسلامى من فاس والقيروان ومروراً بالقاهرة والنجف وانتهاء بمدن اسلامية عريقة كان لها ماض عظيم وفى الامكان احياء هذا الماضى اليوم بهمة ابناء نشطين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

د . صالح الشماع – جامعة بغداد

أعدموا سليمان الحلبي في "تل العقارب" وليس في تل العقاب

صفحتان جاء فيهما ذكر « تل العقارب » وهما فى الجزء الخامس من تاريخ الجبرتى .. والجزء السادس من الطبعة الفرنسية لنفس الكتاب



MERVEILLES BIOGRAPI

en marche, on tira de l.
cortège, parti de l'Ezbék
suivit la rue de Djamamiz
au monticule Akareb, deva
édemment construite par les
endroit, le convoi fut salué
l'Alépin et ses trois compli
xécutés conformément aux
poursuivit ensuite sa marc
el Aïni. Là, le cercueil fu
le recouvrit de terre
ombragée par une t
avait planté des
our veiller

حول مقال « الموت على تل العقاب » الذى كتبه الاستاذ صلاح عيسى فى العدد (٧٦) ابريل ١٩٨٢ والذى تناول فيه وقائع مصرع القائد الفرنسى كليبر على يد ازهري من حلب هو سليمان الحلبي ، جاءنا من الدكتور احمد حسين الصاوي تصحيحاً حول اسم المكان الذى اعدم فيه الرجل الذى طعن قائد جيش الشرق كليبر ، واعتمد فى هذا التصحيح على ما ذكر فى كتاب الجبرتي ، الذى يتضح منه ان الحلبى وزملاءه أعدموا فوق « تل العقارب » وليس « تل العقاب » ، وهو اول تلال منطقة زينهم (زين العابدين) ، ومازال يحتفظ باسمه حتى الآن ، ويقع بعد نهاية شارع السد قبل الاتجاه شرقاً إلى قصر العيني ..

ففى الجزء الخامس من كتاب « عجائب الآثار فى التراجم والاخبار » لعبد الرحمن الجبرتي ، جاء فى وصف جنازة كليبر وإعدام سليمان الحلبى التالي :

« ... وضربوا عند خروج الجنازة مدافع وبنادق كثيرة ، وخرجوا من بيت الازبكية على باب الخلق إلى درب الجماميز إلى جهة الناصرية ، فلما وصلوا إلى « تل العقارب » حيث القلعة التى بنوها هناك ضربوا عدة مدافع وكانوا احضروا سليمان الحلبى والثلاثة المذكورين ، فامضوا فيهم ما قدر عليهم ، ثم ساروا بالجنازة إلى أن وصلوا باب قصر العينى فرفعوا ذلك الصندوق ووضعوه على علوة من التراب بوسط تخشيبة صنعوها واعدوها لذلك وعملوا حولها درابزين وفوقه كساء ابيض وزرعوا حوله اعواد سرو ووقف عند بابها شخصان من العسكر ببنادقهما ملازمان ليلا ونهاراً يتناوبان الملازمة على الدوام وانقضى امره واستقر عوضه فى السر عسكريارية قائمقام « عبد الله جلك منو » وهو الذى كان متولى على رشيد من قدومهم وقد كان ظهر انه اسلم وتسمى بعبد الله وتزوج بامراة مسلمة .. الخ » .

ويرى الدكتور احمد حسين الصاوي انه اراد بهذا التصحيح ان يدعم الدراسة الجادة التى جاءت فى المقال الذى نشرته مجلة الدوحة ..

الأسرة البهمانية

تواصل التطلع للعرب والثقافة الإسلامية العربية

بقلم: أحمد العناني

اريد أن أقول ان ما أفعله الآن هو مجرد نظرة طائر من عل على امتدادات واسعة ، ومحاولة لاستخراج القصة المتصلة للعلاقات العربية الهندية ـ فلقد بدأ محمد ابن القاسم بداية حضارية رائعة بتاسيس مراكز للدعوة الاسلامية فى الديبل (كراتشى الآن) وفى الرور والملتان ، واذا كان الوضع السياسى لدولة الخلافة فى الهند قد انحسر بعد ماساة محمد بن القاسم فان الأمثولة والأثر الحضارى ظلا متصلين ، وليس من المبالغة فى شىء أن نقول ان بطولة محمد ونزعته الحضارية فى الاهتمام بترسيخ قيم العدالة والاخوة والمساواة الاسلامية فى الهند ، وهى من أحوج بلاد الله لذلك ، قد ظلت المثل الأعلى الماثل فى خيال كل من السلطان محمود الغزنوي وملوك دلهي اللاحقين من الغوريين ومحمد بن تغلق وخلفائه .. الذين انتهى أمرهم بظهور السلطنة البهمانية بين عامى ١٣٤٧ ـ ١٥٢٧ م .

لقد أدرك السلطان محمد الثانى ـ من أحفاد علاء الدين بهمن شاه ـ والذى حكم من (١٣٧٨ ـ ١٣٩٧) م أهمية صبغ الحياة الهندية بالصبغة العربية الاسلامية فما زال يشجع من يستطيع من علماء العرب والمسلمين ـ وبخاصة العرب ـ للقدوم إليه ومباشرة العمل فى تعليم العربية ونشر الثقافة الاسلامية فى دولته وفى عهده تحول الكثيرون من الهنود فى هضبة الدكن والبنغال الى الاسلام .

العناصر العربية تركز نفسها فى جوجارات

وحدثت أحداث كثيرة قبل أن تؤول قيادة المسلمين فى دلهى الى امبراطورية المغول التى حكمت من (١٥٢٦ ـ ١٧٦١) تم خلالها تركيز واضح للتجار والجاليات والوعاظ والمدرسين من العرب بخاصة فى موقع جوجارات على ساحل المحيط الهندى لكن ثورة قامت فيها ضد السلطان المغولى اكبر أدت الى اضعاف المركز المعنوى المتميز لسكان جوجارات بمن فيهم العرب ولاشك بأن الأباطرة المغول العظام الذين توصلوا الاسلام الى قمة مجده فى شبه القارة الهندية قد رفعوا شان العلاقات الثقافية مع العرب فضلا عن العلاقات التجارية ، ويكفى المرء اعتزازاً واكباراً أن يرى معظم كتاب الله منقوشاً بطراز من الخط الثلث الرائع على أرضيات من القيشانى الأزرق فى اطارات مزخرفة تحف بكل الأقسام الرئيسية من تاج محل ، وفى فترة هذه الدولة العظيمة نشط الأوروبيون فى الاتصال بالهند اتصالا بلغ قمته فى ترسيخ النفوذ والاحتلال البريطانيين حيث بدأت المؤامرة الكبرى ضد الاسلام طوال قرنين من الزمان امتدا إلى نهاية الحرب العالمية الثانية .

الوجود الأوروبى يضعف العلاقات العربية الهندية

هنالك علاقة عضوية بين تاريخ شبه القارة الهندية والخليج العربى وشرقى افريقيا اعتباراً من بداية القرن السادس عشر ، والواقع ان أى بحث فى تاريخ الخليج خلال فترة الوجود الأوروبى فى المحيط الهندى وشرقى افريقيا لا يمكن أن يكون واضحاً وموضوعياً بغير دراسة تاريخ الهند بخاصة وشرقى افريقيا .

لقد افتتح القرن السادس عشر بالهجمة البرتغالية المتعصبة الشرسة على خطوط الملاحة العربية فى المحيط الهندى والخليج .. وكانت المقاصد الاساسية للبرتغاليين الاستمرار فى الحرب التى كانت دائرة بينهم وبين المغاربة فى البحر المتوسط والهيمنة على الخطوط التجارية للمسلمين والعرب بعامة . وفى نطاق الحملة الدينية الصليبية بحث البرتغاليون عن القوى المسيحية كالحبشة وبعض قدامى النصارى فى سواحل الهند الغربية فاحكموا تعاونهم معها ثم جعلوا همهم انشاء قواعد ومحطات محصنة فى جوا وسورات بالهند وفى هرمز ومسقط والبحرين فى الخليج وفى مواقع أخرى فى شرقى افريقيا ملتجئين لكل وسيلة مهما كانت بربرية فى هجماتهم المباغته ولا سيما على الساحل العمانى . وقد كانوا ينشئون قلعة ضخمة غاية فى التحصين فى كل موقع هام يستولون عليه ، كما عنوا بالسفن الكبرى المزودة بمدافع ثقيلة لتجوب البحر بين تلك المواقع وتحطم اية سفينة تجارية للمسلمين تستخدم الخطوط البحرية بين مواقعهم وقلاعهم الساحلية ، وقد استغلوا فرصة ضعف الدولة المغولية التى كانت تعانى الانقسام وتواجه حروباً متصلة من الثائرين عليها من غير المسلمين الهنود .. ومن المؤسف حقاً أن المغول الذين اعطوا تراخيص لطلائع البرتغاليين على سواحلهم برهنوا على انهم لم يكونوا على أدنى تصور للخطر الكامن فى ذلك التسامح الغافل .. وقد باشر البرتغاليون العنف فى

محاولة تنصير الاهالى فى المواقع التى احتلوها فى مواقع كجوا وسيلان وبعض سواحل ولاية مهارشترا حتى أصبح عدد هؤلاء الكاثوليك الآن خمسة ملايين نسمة فى مختلف المواقع المذكورة ..

ثم جاء الهولنديون فى مطلع القرن السابع عشر فوضعوا خطتهم على أساس تجارى محض وهو احتكار تجارة البهارات كالكمون والفلفل يشترونها بالمنسوجات التى يحصلون عليها من الهند وبعض بلدان الشرق الأقصى وقد ركزوا على السفن الكبرى المسلحة وعلى احتلال بواغيز ملقا والجزر الاندونيسية جاعلين مقرهم فى بتافيا (جاكرتا الحديثة) بجزيرة جاوا .. وقد حصلوا على ارباح هائلة جداً كانت من قبل من نصيب العالم العربى .. وقد أدى الهولنديون دوراً هاماً فى طرد النفوذ البرتغالى وتعاونوا بادىء الأمر مع الانجليز فى الخليج للاجهاز على البرتغاليين .. ومهما يكن من أمر ذلك النزاع فان ضم البرتغال الأم الى اسبانيا لواخر القرن السادس عشر والكره الشديد لهم فى سائر الشرق أديا الى اضعاف هائل لنفوذ البرتغال فى الشرق باسره .. وقد ظل الانجليز ضعافاً الى جانب الهولنديين طوال القرن السابع عشر ومنتصف القرن الثامن عشر ، وان كانوا بمعاونة ملوك الصفويين فى الخليج قد تغلبوا مبكرين على خصومهم الهولنديين .. غير أن النفوذ السياسى الخطير للانجليز انما بدأ فى أعقاب انتصارهم على الفرنسيين فى حرب السنوات السبع الاوروبية (١٧٥٦ ـ ١٧٦٣ م) ، وكان هؤلاء قد مدوا نفوذهم هم الآخرون فى مواقع متعددة من ساحل الهند الغربى فالت مستعمراتهم هناك للانجليز .. وكانت الطفرة الكبرى الثانية للانجليز بعد هزيمة بونابرت عام ١٨١٥ حيث لم يلبث نفوذهم ان امتد الى الخليج العربى اعتباراً من هجوم الجنرال سير كير ـ جرانت على القواسم واملاء معاهدة السلام البحرى على شيوخ الخليج عام ١٨٢٠ .

ومهما يكن من شأن التصرف الاستعمارى البريطانى فى الهند والخليج على السواء فان خضوع منطقة المحيط الهندى لسلطة واحدة ، وان قضى على آخر نشاط تجارى ضخم للعرب من الخليج الى الهند فى منتصف القرن الماضى ، إلا أن وحدة المنطقة ادارياً (حيث كان حوض الخليج يحكم من الهند) أدى الى تنشيط العلاقات العربية الهندية والى عودة بعض الجاليات العربية للظهور على الساحل الهندى الغربى ولا سيما فى بومباى كما أن التجار الهنود من رعايا الهند البريطانيين وجدوا من تشجيع بريطانيا وحمايتها ما أدى الى كثرة وجودهم كممولين لصناعة اللؤلؤ ينالهم نصيب الأسد من ارباحها ، كما اصبحت بومباى هى المركز العالمى الأول لتجار اللؤلؤ فى العالم باسره . كذلك كان الهنود يظهرون فى الخليج كجنود فى اسطول الهند البريطانى وكموظفين لبعض الأعمال التجارية والفنية فى معظم بلدان الخليج العربى ..

لكن الوجود الملحوظ للهنود انما بدأ فى أعقاب عصر البترول ولجوء شركاته الى استخدام الأيدى العاملة الرخيصة من الهنود في أعمال كالمحاسبة والطباعة والمهن الكهربائية والميكانيكية ، وبعض المهن الطبية واعمال الخدمة فى المكاتب والبيوت ، وكذلك قيادة السيارات وخياطة الملابس وانواع من المتاجرات والحرف الأخرى ... وقد تزايدت هذه الحركة كثيراً بتنفيذ الخطط الكبرى للتنمية فى الخليج فكثر استخدام الناس من شبه القارة الهندية فى حرف البناء واعمال الطرق وغيرها .

الحاجة الى دراسات علمية

مما ورد حتى الان يتبين بوضوح أن بابا واسعاً للدراسات التاريخية الأكاديمية فى تاريخ العلاقات العربية الهندية ما يزال مفتوحاً دون أن يدخله منا غير القلائل فى دراسات سريعة معظمها قائم على أوراق وزارة الهند البريطانية ووثائق مكتبتها فى لندن وهى تمس فى أغلبيتها الساحقة مجرد القرن التاسع عشر والعشرين وقليل منها يتعلق بما قبل ذلك .

فى هذا الصدد هنالك مجال كبير لدراسة عملية مدققة عن القبائل العربية من أيام الفتح الأول عهد محمد بن القاسم ، وهى قبائل ظلت متشبثة بحدود ولاية السند فى باكستان مع خراسان ، كما أن المجال مفتوح لدراسات للفترات التى انتعش فيها وجود جاليات عربية فى الهند فى عهد المماليك وأيام الاسرة البهمانية التى حمكت فى الهند نهاية القرن الرابع عشر وعملت على تشجيع الاتصال الهندى ـ العربى ... كل ذلك بالاضافة الى العلاقات الدائمة الناشئة عن الثقافة الاسلامية الواحدة التى أدى لها الهنود خدمات جلى ...

أما فى القرن الماضى فان هناك علاقات أخرى أكيدة فى المجال السياسى حيث كان الهم واحداً في مقارعة الاستعمار البريطانى ، ومقاومة حملات التبشير فى الهند كما فى البحرين . كما كانت هناك علاقات ود وتجاوب فى الشعور بين حركات التحرير الهندية ، الاسلامية منها وغير الاسلامية وبين قادة الكفاح من أجل الاستقلال فى العالم العربى وهذا أمر معروف ...

وفى المجال الأدبى والفنون الشعبية هناك صلات قديمة ومتصلة بين شبه القارة الهندية والعالم العربى ، فآثار الهند واضحة فى القصص الشعبى كالف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة وفى كتب الرحالة العظام كابن بطوطة وفى مؤلفات وحياة كبار الفقهاء والعلماء الهنود،وفى مذكرات الحجاج الهنود فى رحلاتهم للديار المقدسة وفى أشعار وفلسفة الهنود المسلمين بخاصة كمحمد اقبال وغيره .

كما أن دراسة العائلات العربية التجارية التى ما يزال بعضها يعيش فى الهند ، ودراسة تاريخ الجاليات الهندية فى البلاد العربية والأثر اللغوى لكل جانب منها فى الجانب الآخر هو موضوع كبير قائم بذاته كما يقال .

وفى مجال المخطوطات حسبى أن أشير الى وجود الوف مؤلفة من المخطوطات العربية فى الهند ولاسيما فى جامعتى عليكرة وحيدر اباد ، كما اشير الى الوثائق وما تحويه فى دور الوثائق الهندية والباكستانية كدلهى وبومباى وجوا وكراتشى وعليكرة وغيرها ... إن وجود دراسات علمية وافية للعلاقات العربية الهندية هو أمر غنى عن التعريف باهميته بالنظر لتزايد تلك العلاقات المرتقب بعد نوبان ثلوج الاستعمار وأخذ الجميع بأسباب التطور والتحديث وارتباط المصالح بيننا وبين شبه القارة الهندية بعامة ... وعسى أن يكون ذلك موضع اعتبار جامعاتنا ومراكز دراساتنا فى سائر شبه الجزيرتين العربية والهندية والله ولى التوفيق .

أوري أفنيري
الصهيوني الخائف من التاريخ



دأب «أوري أفنيري» على طرح نفسه ، فى صورة الاسرائيلى غير الصهيونى ، وهى صورة تكتنفها ظلال كثيفة من الشك ، لكن هذا الطرح بحد ذاته ، يشكل ظاهرة من جملة الظواهر التى اخذت الحركة الصهيونية تتمخض عنها فى السنوات الاخيرة ، وهذه الظاهرة ـ ظاهرة افنيرى ـ تستحق التامل والتقصي والدرس فيما اعتقد ، لان ذلك يعين العقل العربى على رصد التفاعلات الجارية داخل الحركة الصهيونية والكيان الصهيونى من جهة ، وصياغة موقف تكتيكى ، اكثر تناسبا وتلاؤما مع المرحلة الراهنة من جهة اخرى .

وفى إطار هذه الصورة ، كان اخر اهم ما كتبه اورى افنيرى ، مقالة فى «هعولام هازية» بتاريخ ١٩٨٢/٣/١٧ ، حمل فيها بشدة على الحاكم «المدنى» للضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين «البروفسور» مناحيم ملسون ، وقال إن اسلوب ملسون القمعى ضد عرب الضفة والقطاع «يقود الى فاجعة وربما الى كارثة لا يمكن اصلاحها» .

وكان افنيرى قد كتب مقالة مهمة اخرى فى «هعولام هازية» فى ١٩٨١/١/١٤ ، انتقد فيها الاستيطان اليهودى فى الضفة الغربية المحتلة ، ووصف المستوطنين الجدد بانهم إما رعاة بقر يهود ، او معادين للديمقراطية .

وفى العاشر من شباط (فبراير) ١٩٨١ ، رفع افنيرى فى الكنيست الصهيونى العلم الفلسطينى الذى كان ملصقا على كرسى مطوى يحمل فى واجهته الاخرى صورة العلم الاسرائيلى ، وادعى افنيرى ، وهو يرفع الكرسى «أن هذين العلمين الواحد الى جانب الآخر هما مفتاح السلام .. كذا ..» «وان على الشعبين الفلسطينى والاسرائيلى ان يعيشا جنبا الى جنب ، ولكل منهما علمه الخاص وضميره الوطنى .. !!» . وادعى ايضا أن هذا هو السبيل «لحل النزاع الذى يمزقنا» و «الخوف» من مواجهة «أهم مشكلاتنا» ـ اى القضية الفلسطينية ـ بطريقة واقعية ، تلك المشكلة التى «تجعلنا نعيش فى حالة هذيان» .

وبالطبع فان ردود الفعل داخل الكنيست على بادرة افنيرى ، تراوحت ما بين الاستهجان والازدراء ، من شمعون بيريس الى مناحيم بيجن ، ثم الى النائبة الشوفينية جيئولا كوهين التى عقبت على بادرة افنيرى بالقول : ان رفع هذين العلمين يعادل تماما رفع علم واحد فقط ، هو العلم الفلسطينى ، وذلك يعنى تدمير اسرائيل .

وكان الجنرال (المتقاعد) ماتى بيليد (متتياهو) ، قد رفع العلم الفلسطينى فى ١٩٨١/١/١٢ ، خلال اجتماع عقده ما يسمى بـ «مجلس السلام بين اسرائيل وفلسطين» الذى يشترك فيه اورى افنيرى نفسه ، وفى ذلك الاجتماع الذى عقد فى القدس المحتلة ، قال الجنرال بيليد : «ان العلمين الاسرائيلى والفلسطينى مجتمعين سيشكلان منذ الآن شعار المجلس» .

وفى الواقع فان ظهور ما يسمى «بمجلس السلام بين اسرائيل وفلسطين «الذى اسسه افنيرى وبيليد ، يشكل ظاهرة تستلفت الانتباه ـ لكن دون إعطائها حجما اكبر من واقعها ـ وهى إن دلت على شىء ، فانما تدل على المازق الايديولوجى والسياسى الذى بدأ يواجهه الكيان الصهيونى المصطنع .

واذا عدنا الى تقصى الاسباب الخفية لهذه الظاهرة ، فاننا نلمس عقدتها فى وقت مبكر من حياة افنيرى ، فهذا الصهيونى الذى هاجر الى فلسطين المحتلة مع ابويه من مدينة هانوفر الالمانية فى عام ١٩٣٣ ، كان متشبعا اولا بالافكار الصهيونية ، وخاصة لجهة نفى حقوق الشعب الفلسطينى ، واعتبار فلسطين «ارض الميعاد والاجداد» بالنسبة لليهود .

وهكذا نرى افنيرى يكتب فى عام ١٩٣٨ «... قتل العرب وإلقاء الانجليز خارج البلاد وتغيير زعماء اليهود ، هو الاسلوب الوحيد الذى كان يبدو مقبولا بالنسبة إلي» . لكن افنيرى الذى انتسب الى المنظمة الارهابية «الارغون» ، بدأ بالتفكير بشكل اعمق بعد الانشقاق الذى عرفته هذه المنظمة ، لذا نراه يكتب فى وقت لاحق عن افكار جديدة بدأت تتسابق الى ذهنه ، وقادته الى تشكيل مجموعة صغيرة ، اخذت تزاول العمل السياسى ، واثارت بعض الضجة قبيل عام ١٩٤٨ ، وعرفت هذه بـ «جماعة الكفاح» ، وكانت «عقيدة» هذه الجماعة فى غاية البساطة : «... لقد ولدت امة جديدة فى فلسطين وأصبحت جزءا من الشرق الاوسط عليها ، ومن خلال كفاحها للتحرر من النير البريطانى ، أن تساعد الامم الاخرى فى هذه المنطقة على طرد اسيادها الامبرياليين ... وكان على «حركتنا القومية» أن تقيم «جبهة سامية» منسقة مع حركة القومية العربية : نضال مشترك هدفه توحيد المنطقة السامية» .

هكذا نرى من خلال طروحات افنيرى المبكرة ، أن هذا الصهيونى بدأ يكتشف «خللا ما» فى صلب الايديولوجيا الصهيونية ، وهو يقول إن تحولا جذريا طرأ على تفكيره بعد قيام اسرائيل ، بحيث أصبح «داعية تفاهم مع العرب» على حد ادعائه .

وقبل أن نوغل اكثر فى استعراض افكار اورى افنيرى ، نشير الى أن هذا الرجل الف فى اواخر عام ١٩٤٧ ، كتيبا تحت عنوان : «الحرب والسلام فى المنطقة السامية» ، حذر فيه من اخطار مشروع تقسيم فلسطين انذاك ، وخلال

بقلم : عصام شريح

حرب عام ١٩٤٨ ، كان افنيرى يقاتل فى صفوف جيش العدو على الجبهة الجنوبية ، وقد جرح انذاك ، وعند خروجه من المستشفى كتب يومياته تحت عنوان : «فى حقول الفلسطينيين» ، وجنى من حقوق التاليف ما يكفى لشراء صحيفة اسبوعية كانت على وشك الزوال ، هى صحيفة «هعولام هزيه» (١٩٥٠) ، ومنذ ذلك الوقت استخدم افنيرى الصحيفة كمنبر لنشر افكاره السياسية ، وكاداة عمل سياسى ، سعى من خلالها الى تكوين تجمعات وحركات ذات هدف سياسى : الحركة السامية (١٩٥٧) ـ البيان السامى (١٩٥٨) ـ اللجنة اليهودية ـ العربية لالغاء الحكم العسكرى (١٩٦١) .

وفى عام ١٩٥٦ ، فاز افنيرى بمقعد فى الكنيست ، وبقى فيه حتى فبراير ١٩٨١ عندما تخلى عن مقعده لعربى من نفس الحزب «شيلى» . وكان قد اصدر منذ عام ١٩٦٦ ، مجلة شهرية باللغة العربية اطلق عليها اسم «هذا العالم» ، وهو يوزعها فى الأوساط العربية فى الأرض المحتلة قبل عام ١٩٦٧ وبعدها . وفى عام ١٩٦٨ ، نشر كتابا بالانكليزية والالمانية ، يعتبر خلاصة افكاره ونشاطاته ، وكان بعنوان «اسرائيل دون صهيونية» ، وقد أعاد نشره باللغة الفرنسية ، لكنه أصدر طبعة منه باللغة العربية تحت عنوان مختلف تماما هو : «حرب اليوم السابع» ، فيما يبدو انه تهرب من مواجهة انتقادات صهيونية .

تسوية مستحيلة

من خلال قراءة أفكار وآراء أفنيرى ، يتبين أن هذا الصهيونى القديم اخذت تتنازعه بعد قيام الكيان الصهيونى أفكار وهواجس مختلفة تصب كلها فى محاولة البحث عن تسوية للصراع العربى ـ الصهيونى ، يقبل بها العرب ، ولا تمس «اسرائيل» فى خطوط عام ١٩٦٧ . ولهذا نلحظ أن افنيرى يحاول تقليص الصراع بل ومسخه ، من صراع بين حركتين وقوتين لابد لاحداهما من الغلبة على الأخرى فى نهاية المطاف ، الى ترتيبات هامشية توقف التمدد الاستيطانى فى الأراضى العربية المحتلة ـ ولو بصورة مرحلية ـ وتعيد للعرب الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين فى عام ١٩٦٧ ، واقامة كيان فلسطينى الى جانب الكيان الصهيونى ، على أن يتعايش الكيانان بموجب صيغة سلام مكتوبة . وهو يقول فى هذا السياق : «.. إن فلسطين بكاملها وطن لأمتين : «الأمة العبرية» (اليهودية) و «الأمة الفلسطينية» ، وإن وحدة البلاد ضرورية بجميع سكانها من الناحية الروحية والسياسية والاقتصادية والاستراتيجية ، ولا يمكن تحقيق هذه الوحدة إلا بفضل اتفاق «الشعبين» اللذين يعيشان فوقها ، ويحق لكل منهما الاستقلال الوطنى .

ويمضى افنيرى فى عرض تصوراته لحظة السلام المقترحة ، فيقول : إن المناعة القومية للشعبين فى البلاد تتحقق بوجود دولتين : «دولة اسرائيل» و «دولة فلسطين» ، وتكونان مرتبطتين بروابط اقتصادية وسياسية واستراتيجية ، وعلى اسرائيل أن تشجع قيام دولة فلسطين العربية على الضفة الغربية وقطاع غزة ، شريطة أن تدخل هذه الدولة منذ البدء فى حلف سياسى ودفاعى مع اسرائيل !!!

أما بالنسبة للحدود او بالأحرى الخطوط الفاصلة بين «الدولتين» المقترحتين ، فان افنيرى يربطها بخطوط عام ١٩٦٧ ، ويقول انه لا يمكن تعديل هذه الخطوط إلا بموافقة «الدولتين» ، لكن افنيرى يتخبط بشكل فاضح عندما يصل الى تحديد وضع مدينة القدس ، فهو يدعو الى جعل «القدس الموحدة» عاصمة لاسرائيل والدولة الفلسطينية فى آن ، ومركز «مؤسساتها المشتركة» ثم نراه يتخبط مرة اخرى ، عندما يحاول تحديد علاقة اسرائيل بيهود العالم ، ولكى يبرر هذه العلاقة ويسبغ عليها صفة الشرعية ، يقول فى خطته ، انه لا يجوز أن تمنع الروابط القائمة بين اسرائيل والدولة الفلسطينية قيام علاقات وشراكة خاصة بين الدولة العبرية ويهود العالم من جهة ، وبين فلسطين والعالم العربى من جهة أخرى ، على الا يمنع ذلك احتفاظ كل من الكيانين بسيادته الكاملة فى جميع الأمور غير المدرجة صراحة فى بنود تحالفهما ويشير افنيرى فى مشروعه الى ضرورة انضمام الأردن الى الحلف (الاسرائيلى ـ الفلسطينى) المنشود ، إما باندماج الضفة الشرقية لنهر الأردن مع الدولة الفلسطينية ، وإما بادخالها فى الحلف كدولة ثالثة .

ويشرح افنيرى افكاره حول هذا الحلف بشىء من الاسهاب ، فيقول إنه لا توجد حواجز اقتصادية غير تلك التى يتفق عليها الطرفان الاسرائيلى والعربى ، وانه لا يسمح لتواجد قوات عسكرية اجنبية ، كما يتوجب توفير ضمانات فعلية لمنع «التهديدات المسلحة الموجهة ضد احدى الدولتين» ، وهذه قد تشمل مناطق منزوعة السلاح ، أو قواعد عسكرية لكل دولة داخل أراضى الدولة «الشقيقة» على حد تعبيره ، أو انشاء جيش فدرالى .. الخ . وبالنسبة للتنقل والاقامة يدعو افنيرى الى حرية واسعة فى هذا النطاق ، كما ينادى بجعل اللغتين العربية والعبرية ، لغتين رسميتين فى كلا «الدولتين» ، لكنه عندما يتطرق الى موضوع الاستيطان اليهودى نراه يتهرب من اتخاذ موقف واضح من هذه القضية ، ويطلق حرية الاستيطان «للدولتين» ليبرر بذلك مضي اسرائيل فى استقدام وجلب المهاجرين اليهود اليها .

وبشكل عام ، فان بيت القصيد من «الحلف الاسرائيلى ـ الفلسطينى» المفترض لدى افنيرى هو تحقيق «اندماج البلاد بدولتيها» فى إطار إقليمى عريض ، يرتكز الى «سلام عادل وتعاون اقتصادى وسوق اقتصادية مشتركة» ، كما يعتمد مشروع افنيرى على وسائل دفاعية جماعية بغية الوصول الى اقامة كونفدرالية اقليمية .

تخبط وعموميات .. أيضاً

وفى وثيقة اخرى وضعها اورى افنيرى تحت عنوان : هذه مبادئنا (نشرها فى تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٦٩) ، نلحظ نفس التخبط السابق لدى افنيري ، اضافة الى اطلاق العموميات دون حساب وفى خفة تبلغ حد التفاهة احياناً . كما نراه فى هذه الوثيقة ، يجتر معظم افكاره السابقة ، فهو يقول فى المبدأ الأول مثلا : ان « دولة إسرائيل » المستقلة ذات السيادة بحدودها القائمة ، ملك لجميع مواطنيها دون فرق فى القومية أو الطائفة او الدين أو الأصل او اللغة . ،يكرر هذا النص او ما يشبهه فى اكثر من مبدأ واكثر من موضوع .

أوري أفنيري

الصهيوني الخائف من التاريخ



كما ان افنيري يدعو في نطاق العموميات التي يسردها في «هذه مبادئنا» الى دمج العرب في الحياة الاسرائيلية !! والغاء التمييز العنصري ضدهم ، والغاء « قانون الغائب » الصادر في عام ١٩٥١ ، وقانون شراء الأراضي الصادر في عام ١٩٥٣ ، وهذان القانونان يسبغان الصفة القانونية المظهرية على استيلاء السلطات الاسرائيلية على الأراضي العربية .

وفي خطوة تبدو اكثر تقدما ، نلحظ افنيري يدعو الى تحديد علاقة اسرائيل بيهود العالم .. وبالعكس ، بحيث لا يكون لأي منهما تدخل في الشؤون الداخلية للآخر ، لكنه لا يضمن الوثيقه دعوة صريحة إلى فسخ « الزواج الكاثوليكي » القائم بين الطرفين .

- وفي بادرة خجولة لتأييد الهجرة اليهودية واستمرارها ، نراه يقول :

« ... تستقبل الدولة باحترام اليهود القادمين ، او اي قادمين آخرين !! ، يستطيعون مد المساعدة والعون لتقوية الدولة وتقدمها » .

لكن المسالة الاكثر اهمية في « هذه مبادئنا » ، تكمن في دعوة افنيري « لدولة اسرائيل » ، لكي تكون « جزءاً لا يتجزأ من منطقة شرق آسيا وشمال افريقيا » ، ثم تحديده الهدف الأساسي للجيل الحالي من الاسرائيليين ب « ضمان الاندماج » في المنطقة كشريك مستقل ومتساو في الجسم السياسي والاقتصادي « لهذه المنطقة المتعددة القوميات » !! ، ويكمل افنيري دعوة الاندماج هذه ، بدعوة اسرائيل « الى التجاوب بشكل مبدئي مع رغبة العالم العربي في التحرر القومي والتقدم الاجتماعي والنمو الاقتصادي » ويقول : إن « على دولة اسرائيل ألا تمد يد المساعدة الى اي جسم عالمي أو من المنطقة يهدف إلى سلب شعوب المنطقة حقوقها الكاملة في كنوزها ، الطبيعية ، او الى استعبادها للمصالح الاستعمارية او الراسمالية » ، كما « على اسرائيل ان تعمل على قيام تجمع حر لشعوب المنطقة ، اقتصادي وعسكري ، وتحييد الشرق الأوسط ، واخلائه من السلاح الذري » .

الصهيونية والصليبية

في ضوء ما تقدم ، وبخاصة تركيز افنيري على اعتبار اسرائيل جزءاً لا يتجزأ من المنطقة العربية !! على حد قوله طبعاً ، ودعوته إياها الى الاندماج في المنطقة ، نطرح سؤالا : لماذا هذا الالحاح على هذه النقطة بالذات لدى افنيري ؟!؟! .. وما هي رؤياه في هذا النطاق ؟! في وقت لا يتورع فيه عن الاعلان عن رفضه للنضال الفلسطيني ، ومباركته للكيان الصهيوني .

في الحقيقة تشكل « العقدة الصليبية » مفترقاً حاسماً في تفكير افنيري ، فهو يخشى ان تلافى اسرائيل في نهاية المطاف ، نفس المصير الذي لقيته الدولة الصليبية في الشرق ، وإن كان افنيري يحاول استبعاد هذه الكاس المرة عن اسرائيل ، بالاشارة الى فرضية تقول ان التاريخ لا يكرر نفسه بشكل حتمي وميكانيكي . لكن نرى افنيري يعقد مقارنة بين الحركتين الصهيونية والصليبية ، فيروى انه بعد عدة سنوات من حرب عام ١٩٤٨ ، وقع صدفة على كتاب « ستيفان رونسيمان » البارع ، وهو بعنوان « تاريخ الحروب الصليبية » . ويقول انه عندما وصل الى الفصل المتعلق بتحصينات الصليبيين الهادفة الى حماية مملكتهم من العرب ، مقابل قطاع غزة ، اصيب (اى افنيري) باضطراب ، بسبب تفكير اسرائيل في احتلال نفس المواقع ، عندما كان هو نفسه جندياً في الجيش الاسرائيلي . ويضيف انه خلال قراءته لكتاب « رونسيمان » هذا ، كانت تتبادر الى ذهنه مئات الصور المتشابهة ، حتى في الشخصيات الصهيونية المعاصرة وتلك الصليبية البائدة ، ويقول افنيري متسائلا : اى اسرائيلي يا ترى يطابق امير الجليل الصليبي ؟!؟! ومن هو الاسرائيلي الذي يشبه دوق الأردن الصليبي ؟!؟! ... « إن التشابه مثير للغاية .. » . ولقد كان الصليبيون بارعين في لعبة الحرب ، شان الاسرائيليين اليوم ، إذ كانوا يعرفون ان امنهم انما كان يكمن في سرعتهم في رد « هجوم العدو » ، وقد استمرت مملكة الصليب ، تماماً كمملكة نجمة داوود ، في التوسع بواسطة الحرب ، ولفترة طويلة بعد قيامها ، كان الصليبيون يسيطرون في لوج توسعهم على مساحة تفوق مساحة الأرض التي احتلتها اسرائيل بعد حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ .

وفي هذه المقارنة ، يلاحظ افنيري ان الاسرائيليين يعتبرون انفسهم اليوم « مكافحين » في سبيل يهود العالم ، تماماً كما كان الصليبيون يعتبرون انفسهم « مكافحين » لأجل جميع مسيحيي العالم ! !

كما يلاحظ افنيري التشابه في الوضع الاقتصادي لكل من المملكة الصليبية والكيان الصهيوني ، فقد كانت مملكة القدس الصليبية (كما يورد ذلك رونسيمان) ، بحاجة من اجل بقائها واستمرارها ، الى سيل متواصل من الأموال والرساميل القادمة من اوروبا على شكل هبات دينية او مدنية ، وصدقات وضرائب حج .. لقد كانت اوروبا كلها ملزمة بتمويل الدولة الصليبية ، وفي حال اختفاء هذا التمويل كان من المحتم ان يختفي الصليبيون من الشرق .. وهكذا اسرائيل ايضاً .. إذ كيف لاسرائيل أن تستمر دون المساعدات ، بل سيل المساعدات والهبات المالية والسلاحية والغذائية من الغرب ؟ !

العبرة .. والمازق

تقود المقارنة التى عقدها افنيرى بين المملكة الصليبية والكيان الصهيونى ، الى طرح السؤال التالى : هل يعني التشابه الذى يصل احياناً كثيرة الى حد التطابق ، الى احتمال ان تواجه اسرائيل نفس مصير المملكة الصليبية ؟؟ .. ثم هل أدرك افنيرى هذه النتيجة من خلال المقارنة المثيرة التى عقدها بين الكيانين ؟؟

إن مما لاشك فيه ، أن طروحات أورى افنيرى ، ورفيقه الجنرال بيليد ، تنبىء عن فهم متعمق لحركة التاريخ ، وتوميء إلى أن اسرائيل قد وصلت بعد أربعة حروب متواصلة مع العرب ، إلى طريق مسدود ، تماماً كتلك النتيجة التى وصل اليها الصليبيون الذين فشلوا فى اخضاع العرب واجبارهم على الاستسلام بعد حروب دامت ثمانية اجيال ، وعلى مدى قرابة مائتى سنة ، وكانت تلك النتيجة أن القى العرب بالصليبيين فى نهاية المطاف فى البحر ، وهذا المصير ، يعتبر فى الواقع انذاراً لاسرائيل بمصير مماثل ، وهو ما يضعه افنيرى فى رأس قائمة حساباته ، ويحاول تفاديه عن طريق طروحاته التى للحنا اليها .

وحتى اللمعة الفكرية فى طروحات افنيرى ليست فى الحقيقة من بنات افكاره ، بل هى مقتبسة من « رونسيمان » حيث يقول : « ... ما وراء البحار ـ هكذا كان الأوروبيون يدعون الدولة الصليبية ـ وكان « ما وراء البحار » هذا ، قد تاسس بفضل مزيج من الحمى الدينية ، والتعطش الى المغامرة وبناء الاقطاعات والامارات والممالك الخاصة ، انما اذا كان على هذا ال « ما وراء البحار » ان يدوم ويستمر بشكل سليم ، فانه ما كان بامكانه أن يظل تابعاً للغرب من حيث امداده بالمال والرجال ، بل كان يتوجب عليه ان يمكن وجوده الاقتصادى الخاص ، وما كان بوسعه التوصل الى هذه النتيجة ، إلا بشرط التفاهم مع جيرانه ، فاذا كانوا محبين وحياتهم مزدهرة ، كان هو ايضاً محبوباً ومزدهراً » ، ويمضى « رونسيمان » قائلا : « ... غير أن نشدان صداقة المسلمين كان يبدو خيانة كاملة للتصور المثالى لدى الصليبيين ، وأما بالنسبة للمسلمين فما كان بمقدورهم قبول فكرة وجود دولة دخيلة واجنبية فيما كانوا يعتبرونه لرضهم ! ... ان الصليبيين راكموا الأخطاء فى الواقع ، وكانت سياساتهم متقلبة تخشى المبادرات الجريئة ، ولكننا لا نستطيع ادانتهم (على حد تعبير رونسيمان) ، لكونهم لم يجدوا حلا لمشكلة لم يكن لها حل فى الحقيقة » .

نستنتج مما تقدم ، أن افنيرى قام باقتباس فكرة رونسيمان عن ضرورة قطع الصليبيين علاقاتهم باوروبا ، وإيجاد قاعدة اقتصادية والتفاهم مع جيرانهم العرب المسلمين ، من أجل البقاء وديمومة الكيان . وافنيرى يحاول منذ عدة سنوات تنبيه الاسرائيليين الى المازق التاريخى الذى وصلوا اليه فى المنطقة العربية بعد أربعة حروب مريرة اثبتت فشل الحلم الصهيونى فى استقطاب يهود العالم . ولذلك نراه « يستعير » الحل الذى طرحه « رونسيمان » على أساس التعايش و « الاندماج » من أجل الخروج من المازق ، وتفادى نفس المصير الذى لقيه الصليبيون وافنيرى نفسه يقول ان مؤرخاً مشهوراً « لم يسمه » ، قدم له نصيحة فحواها ما يلى : « على الاسرائيليين أن يعتبروا كتاب رونسيمان « تاريخ الحملات الصليبية » دليل عمل لهم لمحاولة تجنب الاخطاء وعدم تكرارها » .

ولعل فى رأس العبر والدروس التى خرج بها افنيرى من قراءته لكتاب رونسيمان ، أنه لمس أن هناك عاملين اساسيين لعبا دوراً حاسماً فى انهاء الاحتلال الصليبى ، وهما : الرفض العربى للاحتلال ، ثم منطق الاحتلال نفسه الذى لا يستطيع الا الأخذ بمبدأ التحالف مع الخارج (الغرب المستعمر) ومعاداة العرب دون هوادة .

تجاهل وتحريف

وخلاصة القول أن افنيرى مصاب بالرعب من صورة النهاية بالنسبة لاسرائيل ، وخاصة بعد الحربين الثالثة والرابعة ، فبالرغم من الانتصار الكاسح الذى أحرزته اسرائيل فى حرب ١٩٦٧ الا أن العرب لم يستسلموا أبداً ، ولم يفقدوا إرادة الصمود والمقاومة والاستعداد للانتقال من الدفاع الى الهجوم ، وهو ما فعلوه وحققوه فى الحرب الرابعة ١٩٧٣ واذا كان افنيرى يحاول التهرب من رؤية الصورة التاريخية ، بل الحتمية التاريخية بنفى هذه الحتمية ، والقول إن التاريخ لا يتكرر بنفس الرقابة والحركة الميكانيكية ثم بالقول إن السلاح النووى له تاثير حاسم فى صياغة المعادلات التاريخية ، فان افنيرى يقع فى خطأ جسيم ، لانه يتصور ان التطور والتقدم مقتصران على إسرائيل فقط ، وان امتلاكها للسلاح النووى لن يقابله سعى عربى لامتلاك هذا السلاح عاجلا أو آجلا .

ثم هناك نقطة اخرى يتجاهلها افنيرى ويحاول تحريفها ، وهى دعوته إلى قيام اتحاد كونفدرالى بين الدولة الفلسطينية المقترحة و « الدولة الاسرائيلية » من أجل السيطرة على اقتصاد المنطقة ، واستغلال ثروات الوطن العربى ، فافنيرى يتجاهل هنا ان الفلسطينيين هم عرب أولا وأخراً ، وارتباطهم بامتهم اقوى . ولهذا .. فاننا نقول لافنيرى وزميله الجنرال بيليد : ان مواجهة الواقع كما هو ودون تزييف ، وليس تبرير الأمر الواقع الذى فرضته القوة الغاشمة الصهيونية ، هو الطريق الى الحل السلمى المرتجى للصراع العربى ـ الصهيوني .

عصام شريح

جمال قطب



الفنان « موديلياني » ، الذى ترك وطنه (ايطاليا) ليبحث عن ذاته فى باريس

موديلياني

العبقري الصعلوك

قبل أن يلفظ (موديلياني) أنفاسه الأخيرة ، أفاق لحظة وهو يعاني سكرات الموت ، ونظر إلى أصدقائه من الفنانين الذين تجمعوا حوله من سكان حي الفنانين فى مونمارتر ، ومونبارناس ، وقال :

« لقد قبلت زوجتي قبلة الوداع ، واتفقنا على أن نلتقى فى الجنة » !

وأوصى بأن يشيع إلى (بير لاشيز) مقبرة الكتاب والشعراء والفنانين ! وهكذا ودعت باريس آخر الفنانين البوهيميين عام ١٩٢٠ ! ... شاباً وسيماً ذا ستة وثلاثين ربيعاً قضاها متعبداً فى الجمال ورسم المرأة بأسلوبه الفذ المميز !

أما صاحبة الصورة فى هذه اللوحة الشهيرة فهي زوجته الفنانة الرقيقة (جان هيبوتيرن) التى أوفت بالعهد .. وانتحرت فى اليوم التالي لوفاته لتلحق به فى العالم الآخر !

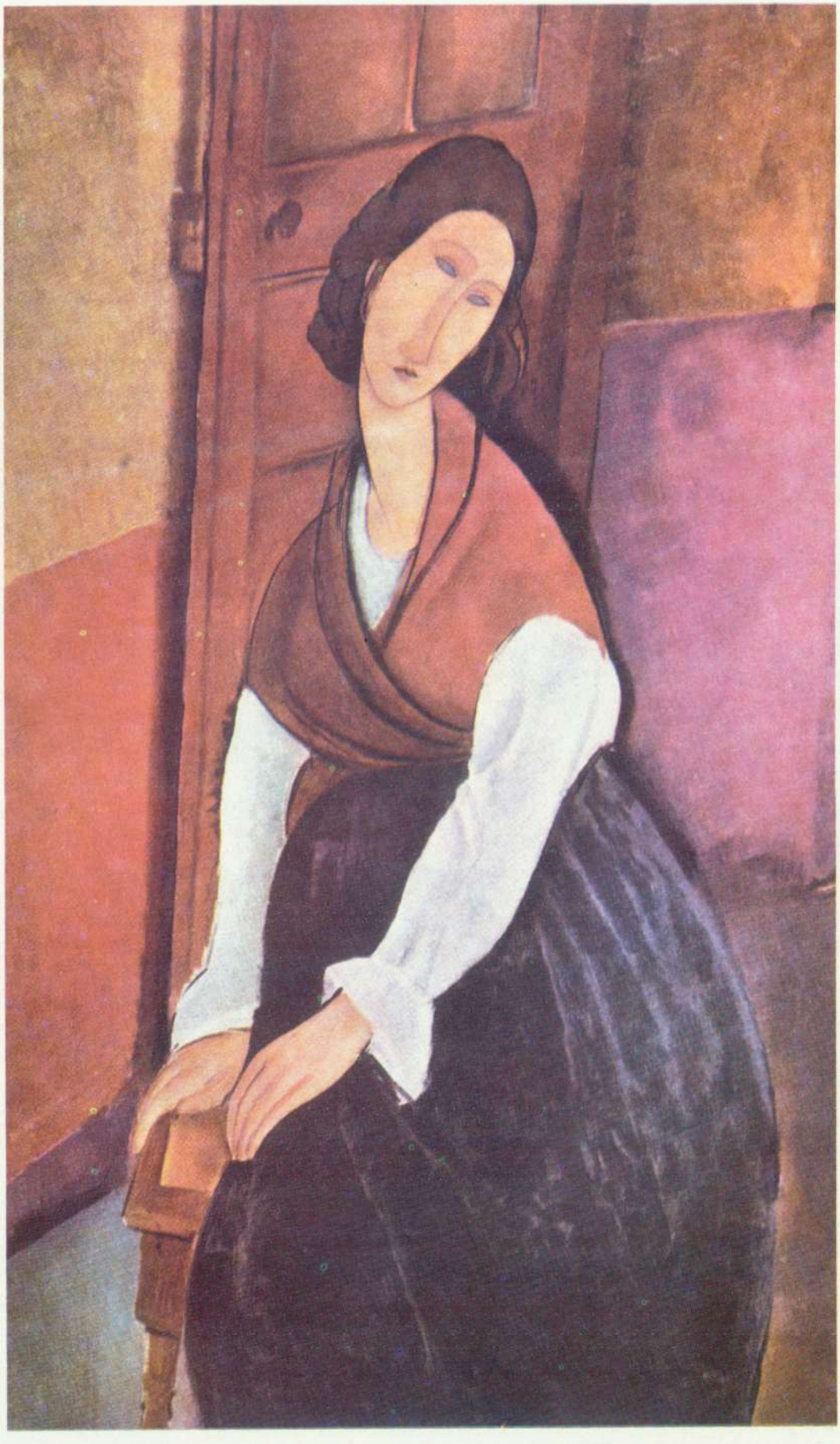
رآها لأول مرة بمقهى (الروتوند) الشهيرة فى مونبارناس حيث يلتقى الفنانون وأصحاب المواهب وحول موائدها الكلاسيكية العتيقة .. كانت فتاة بسيطة وديعة رقيقة الوجه لاتعرف التبرج .. خفق قلبه بحب حقيقي لأول مرة ، فقد كان مضرب الأمثال فى مغامراته الطائشة وحياة الفوضى والبؤس والتسكع .. وكان مرضه القاتل القابع فى رئتيه منذ الطفولة يدفعه دفعاً إلى الاستهانة بحياته القصيرة ، وكانه يتعجل يوم الخلاص ! وما إن وقع فى غرام فتاته الوادعة حتى أحب الحياة وعكف على إبداعه يتامل ويرسم ويستخلص من بين عشرات الأساليب الفنية التى درسها على يد أساتذته الكبار .. أسلوبه المميز الذى انفرد به وأصبح علماً فى الفن الحديث . وتزوج العاشقان .. وأحاطته (جان) بكل عطفها ورعايتها ، فأنتج عدداً من أحسن لوحاته مستلهماً فيها بساطتها ورقتها وبراءة وجهها ودقة ملامحها . ولكن الداء لم يمهل الزوجين طويلا ليهنآ بالحب والشهرة أكثر من عامين بعد حياة الاستقرار التى نعما بها أخيراً ... واسدل الستار ، وكانت النهاية !

ويطلق على موديلياني : أمير الصعاليك .. ولكن (مودى) كان فى حقيقته شاباً تعيساً مرهف الحس لدرجة التوتر ، يغص قلبه بكل هموم الفنانين الباحثين عن طريق. !لقد هاجر إلى باريس تاركاً وطنه ايطاليا ، لا ليعربد أو يبدد حياته فى اللهو والعبث .. وإنما ليبحث عن ذاته فى عاصمة النور ومعترك المدارس الفنية الحديثة والتيارات الفكرية وملتقى المبدعين من جميع أنحاء العالم .. وكان يرسم فى سرعة وعصبية وكانه يفترس الصفحات افتراساً ، فقد قضى سنوات عمره القصير يبحث عن أسلوب يعبر به عن مشاعره هو وإحساساته لا ليقلد الآخرين وعاش مهموماً يعتصره المرض والقلق والطموح والفقر والشعور بدنو الأجل بين يوم وآخر .. ولذلك .. كان يهيم على وجهه متجولا فى أزقة باريس لا يلوي على شيء .. ولا يعير الناس التفاتاً .. ولا يبالي بأسماله البالية التى لا تمت إلى الأناقة بصلة ؛ فقد كان مشغولا عن كل ذلك بأثقال ينوء بحملها جسده السقيم وعواطفه المكدودة !

ولذلك أسموه بالبوهيمي الصعلوك .. وتقديراً لعبقريته ومكانته الفنية ، خلعوا عليه الامارة فلقبوه بأمير الصعاليك !

لقد كان موديلياني ومضة فى ابداعات الفن الحديث ، ماكادت تتوهج حتى خبت وابتلعها عالم الصمت الرهيب ! ولكنه سيعمر طويلا .. طويلا ، إن تاريخ الفن يضعه الآن فى مصاف العمالقة الكبار !

●●●



لوحة زيتية رسمها الفنـــــان العالمى « موديليانى » لزوجته التى ماتت بعده بيوم واحد !

الكنوز الحية
في المياه القطرية

بقلم: إبراهيم فؤاد أحمد



أجمل أسماك « النيسرة » المحلية ، وهى غير شائعة ، وتنمو ليصل طولها إلى ٣٥ سم

يعتبر الخليج كنزاً غنى الألوان والأشكال من الأسماك والأحياء البحرية الأخرى قل أن تتوفر فى غيره من البحار فهو بشبه انعزاله يشكل بيئة بحرية فريدة غنية تتطلب قدراً كبيراً من العناية والاهتمام من قبل الأقطار المحيطة به حتى يستمر فى عطائه وحتى تنعم وتستفيد به الأجيال القادمة .

. والخليج غنى نسبياً ومنتج من الناحية البيولوجية حيث تتوفر فى مياهه بكثرة الهائمات النباتية والحيوانية (البلانكتون) التى تتكون أساساً من النباتات والطحالب المجهرية ، وبيض ويرقات الحيوانات المختلفة وتعتبر البلانكتون الأساس الغذائى الهام لجميع الأسماك والحيوانات البحرية ، وتختلف طبيعة القاع فى الخليج من منطقة الى



سمكة صندوق البحر ، التى تغطى نفسها بدرع واق ، ولها زعانف رشيقة تستخدمها فى المناورة



هذه السمكة تستطيع سحق المرجان والمحار ، وتنام فى عش على قاع البحر ، ويسمونها « جين » !

أخرى .. من صخرى الى رملى الى الطمى الدقيق ثم الشعاب المرجانية والأصداف والقاع المحتوى على الأعشاب البحرية ، وكل شكل من أشكال القاع هذه تضم فيما بينها مجتمعاً متكاملا ومتشابهـــاً فى الخصائص من النباتات والحيوانات البحرية المختلفة . ولقد انعكست هـذه الظروف الطبيعية الفريدة التى تميز الخليج على الحياة البحرية فى مياهه مما أضفى على هذه الحياة صفات متميزة وخصائص نادرة .

يعيش فى ميـــاه الخليج أكثر من ثلاثمائة نوع من الأسماك التى تم وصفها والتعرف عليها حتى الآن ، سنستعرض هنا بعض المجموعات الهامة وكذا الأنواع الغريبة والنادرة . وسنستخدم الأســماء العربية الدالة على الصفة المميزة لهذه الأسماك وكذا الأسماء المحلية الخليجية بقدر الامكان .

● الأسماك المنشارية (الهوامير)

من أسماك المياه الضحلة التى تعيش بالقرب من الشواطىء وهى من الوجبات الشهية فى الخليج ، بطيئة الحركة تعيش فرادى قابعة بين الصخور والمرجان . تتميز

بفمها الواسع وهى شرهة نهمة تفترس بلا تمييز ولا تخصيص كل ما يمكنها أكلة ، وقد ينمو الهامور ليصل طوله الى أكثر من مترين ومن الظواهر العلمية والغريبة أن فى هذه الأسماك تتحول الاناث فيها الى ذكور بعد وضعها للبيض وهذا التغيير يحدث فى أعمار تتراوح بين ٥ ـ ١١ سنة ، وتعيش الذكور حوالى ٢٥ سنة . أما سمكة « الشنينوه » القريبة الشبه بالهامور نهى مفترسة وخطيرة ولكن لا يزيد طولها فى الغالب عن ٤٠ سم وهى تتميز بالوانها الزاهية الجميلة وتعيش فى شكل انفرادى متوارية فى الصخور المرجانية .

● الأسماك الببغائية

شائعة جداً ومنتشرة بين الشعاب المرجانية الضحلة وحول المناطق العشبية تتميز بالوانها الزاهية وتمر بتغييرات فى أشكالها وألوانها حسب جنسها وعمرها فمعظم الأشكال البنية والحمراء منها هى اناث أو صغار الذكور . بينما تكون ذات الألوان الزرقاء والخضراء عامة ذكوراً متقدمة فى العمر ، وهى تبنى أعشاشها بين الحشائش البحرية لوضع بيضها وحماية صغارها . وتنام عادة فى شرنقة رقيقة من مادة مخاطية أو عشبية داخل حفرة مرجانية . وتتحور الأسنان هنا وتلتحم فى شكل منقار قوى يشبه منقار الببغاء ويستطيع سحق وتفتيت كميات هائلة من المحارات والقواقع والشعاب المرجانية التى تتغذى عليها أساساً هذه الأسماك .

● الأسماك الأنبوبية

مجموعة متباينة ليس لها أسنان تتغذى بامتصاص الماء المحمل بالكائنات الحية الدقيقة داخل الفم الصغير الذى يقع فى نهاية الخشم الأنبوبى الطويل ، معظمها ذات حجم صغير ، تعيش فى المياه الساحلية الضحلة ، تتعلق بالمرجان والطحالب والأعشاب البحرية . وجميع هذه الأسماك ضعيفة فى السباحة وتعتمد على قدرتها فى التمويه والتخفى للمحافظة على حياتها بتلوين نفسها وثنايا جلودها بالوان تتشابه مع البيئة المحيطة . و (حصان البحر) هو أحد هذه الأسماك التى يتشابه الرأس فيها ومقدم الجسم مع رأس وعنق الحصان ، ولها ذيل طويل تتعلق بواسطته فى الأعشاب أو المرجان ، ولذكر حصان البحر زعانف بطنية ملتحمة مكونة كيساً أو جيباً تضع الأنثى بيضها فيه ، ويلقحه الذكر ، ويحمله حتى يفقس صغاراً يحتضنهم إلى أن يستطيعوا الاعتماد على أنفسهم .

● الأسماك الحجرية

أسماك مفترسة خطيرة ضعيفة السباحة تعتمد على التمويه والتخفى وعلى أشواكها السامة لتضمن حياتها . فالسمكة الحجرية القبيحة الشكل تساعدها ألوانها الباهتة وقدرتها على تغيير ألوانها حسب البيئة المحيطة على التخفى وسط الصخور والحجارة والقيعان الرملية والصدفية ، ولا يمكن تمييزها عنهم الا بصعوبة بالغة وتبقى ساكنة هناك فى انتظار مرور فريستها لالتقاطها ، ولهذه السمكة غدد سامة منتفخة عند قاعدة أشواك زعنفتها الظهرية ومن خلالها تستطيع أن تحقن سماً مؤلماً قوى التأثير قد يكون قاتلا . أما ديك أو دجاجة البحر ، فهى تتميز بألوانها الزاهية ، وتسبح ببطء ، وهى تنفش ريشها (زعانفها الصدرية) كما ينشر الطاووس نيله ، مثلما تخفى أشواكها التى تنفث السم الخطير فيمن يقترب منها كسم

هذه السمكة المألوفة تسبح عمودياً مستعملة زعانفها الصغيرة فقط ، ونطلق عليها اسم حصان البحر ، بينما اسمها العلمى « بوزيزى » !





عدة انواع من اسماك الشعب المرجانية تسبح وسط ما ينمو من المرجان الحى

العقرب تماما . وهى تشاهد متعلقة داخل الشقوق الصخرية والشعاب المرجانية بدون حركة فى انتظار اختلاس سمكة صغيرة كفريسة سهلة غير متوقعة لها .

● الأسماك الصندوقية ، المنتفخة ، المسلحة ، الابرية

أنواع ملفتة للانتباه تمتلك مجموعة من وسائل الدفاع للحماية ومعظمها بطيئة فى السباحة وتعيش حول الشعاب المرجانية وفى المناطق العشبية وكثير منها من النوع السام ، فأسماك الصناديق الجميلة تمتلك درعاً صلباً من صفائح عظمية ملتحمة تتخللها فقط بعض الفتحات التى تبرز منها الزعانف الرخوة . صندوق البحر (سمكة يونس) مهياة لافراز مواد سامة فى الماء يمكنها أن تنتحر بها وتقتل ما حولها من أسماك اذا ما استثيرت فى مياه مغلقة .

أما الأسماك المنتفخة (الفحل والاعنزة) فلها القدرة على نفخ أجسامها فجاة لتصبح ضعف أو ثلاثة اضعاف حجمها الأصلى وتبدو مثل البالون بابتلاعها كمية كبيرة من الماء ، وحينئذ تتصلب الأشواك القصيرة الموجودة فى جلود بعض أنواعها مما يؤدى الى تقهقر فورى للمهاجم . ومعظمها أسماك سامة لا تصلح للأكل إلا أنها تؤكل فى اليابان بعد ازالة الكبد والمبايض القاتلة بعناية فائقة .

أما الأسماك المسلحة والابرية فكلها تمتلك أشواكاً وإبرا ظهرية قوية يمكنها أن تبقى منطوية وكأن هناك صمام أمان يتحكم فى طيها واطلاقها عند الحاجة إليها فى الهجوم والدفاع ومن أمثلتها أسماك الحمارة ، حمارة الكعبان ، كليب الدو ، الجرجومية الشائعة ، وبعضها يتميز بالوان زاهية جميلة مثل النوع الذى يطلق عليه (الخنزير) حيث تتشابه كثيراً مقدمة الرأس والفم مع رأس الخنزير ، وجميعها ذات فم وأسنان قوية تتولى تقطيع وتكسير والتقاط أجزاء المرجان والمحار والأعشاب وقنافذ البحر ذات الأشواك (رماى ـ رشيته)

وعلى العموم فان الأنواع الكثيرة التى تضمها هذه المجموعة هى أسماك شعاب مرجانية هامة ترعى وتأكل المرجان وتستخدم (الفجل والاعنزه) منقارها العظمى القوى لتسحق به أهداف المحار والرخويات والمرجان . أما صناديق البحر فهى قادرة بمقدمة رأسها وفمها القوى المشطوف عديم الأسنان على قرض وامتصاص الغذاء ، وعلى الرعى فى المناطق العشبية . وهناك نوع من الأسماك الجميلة النادرة المسلحة بمشرطين كمشرط الجراح الماهر على جانبى ذيلها تستخدمها بمهارة كوسيلة للدفاع والحماية ولذلك أطلق على هذه السمكة (الجراح) ويتوفر منها فى الخليج نوعان أبدعتهما يد الخالق عز وجل وهما من أسماك الشعاب المرجانية النموذجية .

● أسماك الشعب المرجانية

تضم الشعاب المرجانية أكثر المجتمعات البحرية الحية انتاجية وتنوعاً فى الخليج وأجملها وأندرها على الاطلاق ، (فراشات البحر ـ الأسماك الملائكية) (العنافيز ـ عماد كرب ـ مشط العروس (الرقيعة) ـ العماد .. وغيرها) أمثلة نموذجية لهذه الأسماك المرجانية الرائعة الجمال ، وهى تتواجد فى المياه الضحلة فى ثنايا المرجان



أشكال والوان رائعة الجمال من مجتمع اللافقاريات البحرية فى الخليج

تعطيها أشكالها الرقيقة سهولة للاختباء داخل الشعاب (التمويه) ، وتتميز بالوان زاهية فالبعض منها مزخرف والآخر مخطط بخطوط بيضاء أو صـــفراء أو برتقالية اللون . وهناك اختلاف كبير فى الألوان بين صغار هذه الأسماك وكبارهـا كما فى (العنفوز) . وفى (الرقيعة) يستطيل مقدم الرأس لينتهى بفم صغير يحتوى على أسنان صغيرة جداً مثل أطراف الفرشاه تؤهلها لالتهام زوائد المرجان (البوليب) والطحالب المائية واللافقاريات الصغيرة. ونلاحظ أن (أسماك العماد) و (عماد كرب) لها أجسام مفلطحة تغوص بها الى القـــاع ببطء (عندما يعتريها الفزع) وتندمج أشكالها وزعانفها الطويلة مع أشكال الأعشاب البحرية والمرجان فتبدو وكأنها ورقة نبات ميتة صفراء أو سوداء أو رمادية اللون .

● الأسماك الثعبانية

أسماك خطيرة مفترسة تعيش داخـل الشقوق الصخرية والكهوف المرجانية تستطيل أجسامها كما فى الثعابين البرية وتختفى الزعانف التقليدية فى الأسماك حيث تلتحم الزعانف الظهرية والذيلية والشرجية مكونة مع الذيل القوى مجدافا يساعد مع عضلات الجسم فى حركة الحيوان البطيئة فى الماء . والمثـــال النموذجى لهذه الأسماك هو الانكليس (الناجوج) الذى يصل طوله أحياناً إلى حوالى ثلاثة أمتار ، وهو مخلوق خطير مفترس يصعب طرده من شقوق الصخور وتسبب أسنانه الحادة القوية جروحاً بليغة .

● أسماك القرش (القرقور) والقوابع وما شابهها

أسماك بدائية تتميز بهيكلها الغضروفى وجلدها الخشن المغطى بصفائح عظمية صغيرة بدلا من القشور فى الأسماك الأخرى . وللذكور زوج خـــارجى من الأعضاء التناسلية ، ويتم تلقيح الذكر للأنثى داخلياً وليس خارجياً كما فى بقية الأسماك المعروفة ، وتضع الأنثى بيضها فى أغلفة مربعة أو مستطيلة الشكل ملتصقة بمجموعة خيوط مخاطية بالأعشاب البحرية والصخور ، وقد تحتفظ الأنثى فى بعض الأنواع ببيضها داخـــل تجويف الجسم حتى يفقس صغاراً حية تضعهم فى الماء بعد خروجهم من خـــلال فتحة بولية تناسلية مشتركة بين البطن والذيل . والقروش كلها ذات نشاط ليلى تعتمد على حاسة الشم القوية فى البحث عن غذائها ، ولكن ليست جميعها خطيرة ومفترسة (كما يظن) أما (الحياسة ، الكنازة ، وكلاب البحر) فهى قروش اليفة كسولة بطيئة الحركة تمسح القاع ليلا باحثة عن غذائها من اللافقاريات وحيوانات القاع ، وتعتمد فى سباحتها على ضربات ذيلها القوى وعضلات جسمها ذى الهيكل الغضروفى المرن ، وقد تنمـو (الكنازة) فيصل طولها الى أكثر من مترين ووزنها الى ربع طن . أما القروش السريعة والخطيرة والمفترسة فنعرف منها فى الخليج سبعة أنواع أساسية منهـــا الناعوض والقرقور . وأخطرها وأشرسها على الاطلاق هى القروش مطرقية الرأس (الأقرن) وهى تتميز برأسها الغريب الشكل الذى يشبه المطرقة وتتواجد الأعين على النهايتين البعيدتين من الرأس .

وأضخم القروش وأندرها فى الخليج هى (القروش الحيتان) تلك الأسماك العملاقة الغير مؤذية على الاطلاق ، والتى تتغذى على الكائنـــات المجهـــرية (البلانكتون) ، ويصل طول الواحد منها أحياناً الى حوالى ١٤ متراً . وتعتبر القوابع القرشية (السيافى ـ السوس ،



هذه العلامات المثيرة والاشواك السامة تستخدمها سمكة « الديك » فى ابعاد الاعداء عنها !

الهيريرى) أسماكا انتقالية بين القروش والقوابع (اللخمة) . وفى « السيافى » يستطيل الفم للأمام على شكل منشار مسنن عظمى مفلطح يستخدم فى قتل وتقطيع الفريسة ، وتستخدم أسماك السوس ، الهريرى هذا البروز الأمامى فى تقليب القاع بحثا عن اللافقاريات الحية .

والقوابع (اللخمة) من الأسماك شديدة التفلطح التى تلتحم فيها الزعانف الصدرية تماما مع الجسم مكونة قرصا بيضاويا أو مستديرا . وهى تسبح قرب القاع مرفرفة بهذه الزعانف كما يرفرف الطائر بجناحيه ، وذيلها غالبا ما يأخذ الشكل الحبلى الطويل وهو مزود بشوكة أو اثنتين . والشوكة حادة خطيرة تغطى قاعدتها مادة مخاطية سامة يمكن أن تسبب شللا وخطورة كبيرة للانسان . ومع أن موضع الفم على السطح السفلى للرأس يعتبر مريحا أثناء انتزاع اللخمة للقشريات والرخويات من قاع البحر ، إلا أنه يسبب مصاعب فى التنفس ، لذلك فان اللخمة تتناول الماء المحمل بالأوكسجين واللازم للتنفس من خلال فتحتين فى السطح العلوى من الرأس خلف العينين . ويتواجد فى الخليج نوع من القوابع الكهربائية(رعاد ـ فترة) تستخدم قدرتها فى احداث صدمة كهربائية قوية لشل الفريسة واقصاء الأعداء عنها . وهناك فى الخليج حوالى عشرة أنواع مختلفة من (اللخم) تختلف أشكالها وأحجامها من الصغيرة الى العملاقة التى قد يصل طولها الكلى (بما فيه الذيل) الى حوالى اربعة امتار ، وقطر اجسامها الى اكثر من مترين والجدير بالذكر أن هناك نوعا من الأسماك الذى يعيش دائما مرتبطا بهذه المجموعة من القروش والقوابع ملتصقا بها مستخدما ممصات قوية على السطح العلوى للرأس ملتقطا بقايا الغذاء منها ، ذلك هو (اللزاق) أو (قملة القرش) ، ويسبب لها أحيانا كثيرا من المضايقات وربما الجروح .

● الأسماك الاقتصادية الشهيرة

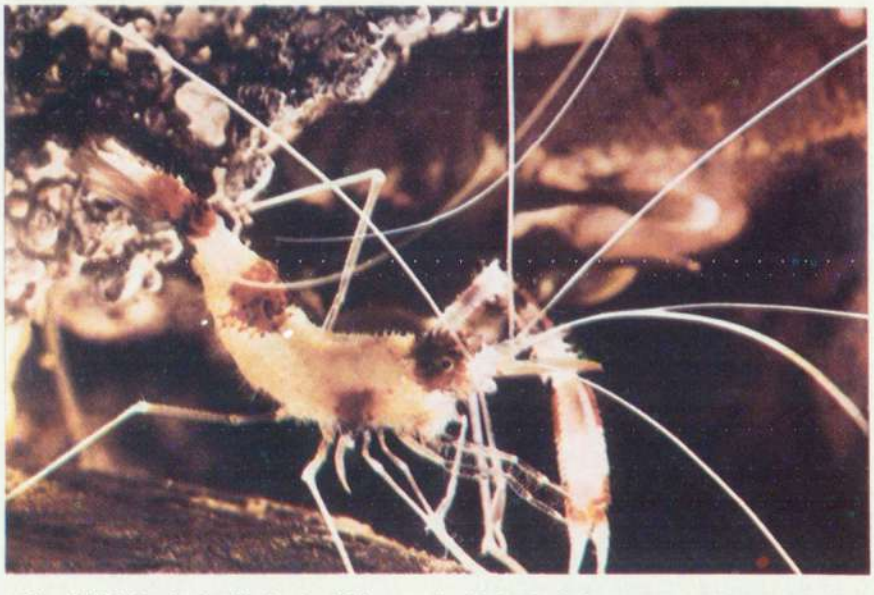
يعتبر الخليج غنيا بخيراته من الأسماك الاقتصادية العالية الجودة من الناحية الغذائية والتى تشكل غذاء أساسيا لشعوبه . وهو فى هذا يكتفى ذاتيا ويقوم بتصدير الفائض أحيانا إلى الأقطار الأخرى المجاورة . وإذا استعرضنا بسرعة تلك الأنواع من الأسماك سنجد من أهمها عائلة الهوامير ـ عائلة الربيب ، الصافي ، الكنعد ، الحاكول ، السلس ، السكن ، الجد (البراكورا) ، النيسر ، الحمرة ، الشقرة ، الينم ، المطوع ، الهلالي ، البدح ، البياح ، الجرجفان ، الفسكر (بنت النوخذة) ، السردين (العوم) وغيرها من عشرات الأنواع الجيدة والشهية على المائدة الخليجية ، ومن هذه الأنواع اسماك مفترسة خطيرة مثل السكن ، الجد (البراكودا) (الذى يصل طوله احيانا إلى مترين ويهاجم الانسان عشوائيا بلا تمييز ويشاهد أحيانا فى أسراب وجماعات تضم المئات مختلفة الاحجام .

● الزواحف البحرية

تعيش فى مياه الخليج باعداد كبيرة مجموعتان من الزواحف البحرية هي السلاحف البحرية (الخمس) ، ثعابين البحر (بولجين) . وهي مثلها مثل بقية الزواحف التى تسكن اليابسة (السحالى ـ التماسيح والثعابين وخلافه) . تتنفس الهواء الجوى مباشرة بواسطة الرئتين ولها درع من قشور صلبة تحمى اجسامها ، ولكن حدثت بها بعض التحورات الخارجية والفسيولوجية الداخلية لتلائم حياتها فى البحر .

وتتواجد في مياه الخليج خمسة انواع





لقطتان نادرتان ، الاولى لنجم بحر ازرق يرقد فى قاع البحر .. والاخرى لربيان الشعاب المرجانية اثناء حركته للستمرة بحثا عن الطعام !

من السلاحف اكثرها شيوعا وانتشارا هما النوعان الاساسيان المعروف اولهما بالسلاحف الخضراء التى تاخذ صدفتها اللون البنى المائل للاخضرار ويصبح زيتونيا غامقا بتقدمها فى العمر وتنمو الى اكثر من متر فى طول صدفتها ، وترعى فى الاعشاب البحرية .

النوع الثانى اصغر حجما ويعرف باسم (ذات منقار الصقر) وهو اقل شيوعا ويتغذى على مختلف الانواع المتوفرة من الحيوانات البحرية صدفته بلون الكهرمان تتراكب قشورها فوق بعضها . وهناك نوع ثالث (ذات الراس الضخم) صدفتها ذات لون اصفر وعريضة وعنقها قصير جدا . اما السلحفاة الجلدية فهى اندر السلاحف البحرية واضخمها على الاطلاق فى العالم كله وفى الخليج قد يصل طولها الى ثلاثة امتار ووزنها الى نصف طن . وفى هذا النوع تستبدل الصدفة العظمية للسلاحف البحرية الاخرى بغطاء سميك من الجلد الاسود المدعم بخمسة حواجز طولية متعظمة ، والجلد هنا غنى جدا بالمواد الدهنية ، وتتغذى اساسا على الاسماك الهلامية والخشاق ، كما ترعى الاعشاب البحرية .

اما ثعابين البحر (البولجنى) فهى من اهم الزواحف المفترسة التى تلفت الانتباه ويوجد منها على الاقل خمسة انواع لعل اكثرها شيوعا النوع ذو اللون الاصفر الذى يميل للاخضرار مع وجود خطوط رمادية تحيط بالجسم كله وينمو الى اكثر من متر ونصف متر طولا ، وهو يسبح ببطء مندفعا بواسطة ذيله المفلطح مستخدما إياه كمجداف ، ويظهر على السطح فى فترات للحصول على الهواء الجوى وهو يتغذى على الاسماك الصغيرة الحفارة والديدان الصغيرة التى يلتقطها بادخال راسه الصغير فى جحورها ويبتلعها ، وهناك نوع اخر من ثعابين البحر وهو ذو لون رمادى مخطط بخطوط سوداء ، وهو اصغر حجما ويطفو على سطح الماء دون حراك كقطعة خشب طافية ، وعندما تحاول بعض الاسماك الصغيرة الاحتماء اسفله يمسك بها بفكيه المتحورين لهذا الغرض اتساعا وطولا . وتحقن ثعابين البحر فريستها بسم قوى يؤدى الى شللها وقتلها فى الحال . وهذا السم خطر جدا على الانسان ، وعلى الرغم من ان الانواع المحلية لا تهاجم الانسان إلا انه يجب التعامل معها بحرص شديد لخطورتها .

● الثدييات البحرية :

● عائلة الدلافين (الدخس) وعائلة بقرة البحر :

تعتبر الثدييات البحرية من اكثر المخلوقات ندرة وإثارة للاهتمام فى منطقة الخليج والعالم كله ، وربما يكون الخليج هو الملاذ الاخير لهذه الحيوانات البحرية التى قاربت على الانقراض إن لم تكن قد انقرضت فعلا فى بعض بحار العالم . وهى مثلها مثل بقية الثدييات الارضية ومنها الانسان . إنها تلد وترضع صغارها وتتنفس الهواء الجوى بواسطة رئتين متطورتين وتمتلك مخا وجهازا عصبيا راقيا وخاصة الدلافين مع بعض التطورات الخارجية والفسيولوجية للتلاؤم مع البحر . وهذا النوع النادر الموجود فى الخليج فى طريقه الآن للانقراض إذا لم يتم بسرعة المحافظة عليه وتحريم صيده . اما الدلافين (الدخس) فهى اذكى الحيوانات البحرية على الاطلاق . فهى تمتلك مخا وجهازا عصبيا متطورا جدا ، ويتواجد فى الخليج حوالى اربعة انواع من الدلافين منها ذلك النوع المعروف باسم (الدرفيل ذى انف الزجاجة) وله جسم انسيابى رمادى فاتح من اعلى وابيض من اسفل وهو اذكى انواع الدلافين حيث يستجيب للتدريب والتعليم بسهولة ويقوم الآن بتقديم عروض رائعة والعاب مختلفة فى بعض المعارض المائية فى العالم كما يستخدمونه الآن فى الولايات المتحدة فى اغراض حربية وفى التجسس .

● اللافقريات البحرية

الأسماك والزواحف والطيور والثدييات حيوانات فقارية تتميز بوجود عمود فقرى متكون من عدد من الفقرات المنفصلة ، لها جهاز عصبى متطور ومعقد ، وهنالك أنواع أخرى هائلة العدد من الحيوانات شغلها الشاغل هو التغذية والهرب من الافتراس والحركة والتكاثر ولكنها غير مزودة بالخصائص المتقدمة الأخرى وهى تفتقر أساساً للعمود الفقرى تلك هى (اللافقاريت) التى تتواجد أنواعها فى مياه الخليج ، فالاسفنجيات ، المرجان ، الديدان البحرية ، الرخويات ، القشريات ونجوم البحر والقنافذ البحرية كلها ضمن اللافقاريات الهامة التى تشكل أهمية اقتصادية كبيرة للانسان نفسه ، كما أنها تعتبر من المكونات الغذائية الأساسية لأعداد ضخمة من الأسماك والحيوانات البحرية الأخرى .

● شقائق البحر ، المرجان الحجرى والمرجان الزهرى ، وقناديل البحر

ينتمى الى هذه المجموعة كثير من أجمل اللافقاريات التى تسكن البحار وأكثرها إثارة على الاطلاق ، التركيب الاساسى لها هو ما يسمى (البوليب) ذلك البروز أو الانتفاخ البسيط التركيب المجهرى الحجم والمحتوى على فتحة واحدة مركزية محاطة بعدد من اللوامس الطويلة المزودة بخلايا لاذعة متخصصة تنطلق منها قذائف مسممة تصوب ناحية العدو أو الفريسة لالتقاطها وهضمها داخل البوليب ثم طرد بقاياها خارجه .

وشقائق البحر (شقائق النعمان) تتركب أساساً من عدد من البوليبات الأسطوانية ذات لحم هلامى متصلب . وهى بدون هيكل ولها أشكال براقة جميلة . وفى المرجان الحجرى تفرز قاعدة كل بوليب رخو مادة كربونات الكالسيوم (يستخرجه الحيوان من ماء البحر) لبناء هيكلها الصلب . والأشكال المختلفة من الشعاب المرجانية (الفشت) إن هى إلا مستعمرات من أعداد هائلة من البوليبات المرتكزة على قاعدة صخرية .

وتسكن الخليج فى أعماق مياهه المختلفة عشرة أنواع أساسية على الأقل من المرجان الذى يبني أشكالا وألوانا غريبة من الشعاب تؤلف مع الأسماك والمخلوقات البحرية الأخرى ـ التى تزدحم داخله وحوله ـ حديقة مائية زاهية لا ينعم بجمالها غير الغواصين الذين يصلون بأجهزتهم إليها .

● الرخويات البحرية

● القواقع ، المحارات ، عاريات الخياشيم ، الحبارات (الختان) والأخطبوط .

جميعها من الرخويات الخليجية ذات الأهمية الاقتصادية العالية .

فى « القواقع » يمتلك الحيوان قدماً عضلية واحدة يتحرك بها ببطء زاحفاً على الصخور والقاع الرملى ، ويعزز الحيوان صدفة جيرية واقية لحمايته تأخذ أشكالا مختلفة معظمها حلزونى الشكل وبعضها قمعى أو قلمى . والحيوان هنا عادة يفترس اللافقاريات الصغيرة وبعضها مثل الأصداف القمعية) تستخدم أحد أسنانها القمعية الحاقنة للسم لتقتنص به فريسة أو ربما سمكة صغيرة . وقد حدثت بعض حالات الوفاة للانسان من تأثير هذا السم القوى أما المحارات فتفرز صدفة ذات مصراعين منفصلين لحماية أجزاء جسمها الرخوة ولها فتحتان تسمحان للماء المحمل بالأكسجين وجزئيات الطعام الدقيقة بالدخول للمرور على الخياشيم ثم الأمعاء بعد ترشيحه (تقوم بترشيح أكثر من ٤٠ لتر ماء فى اليوم) . ومن أمثلتها العامة محار اللؤلؤ (بنكتارا) الذى يثبت نفسه فى الصخر أو القاع الرملى بخيوط خاصة وعندما يتسرب جسم غريب أو حيوان بحرى صغير داخل أنسجة المحار فانه يسبب إزعاجاً للمحارة التى تحاول التخلص من هذا الازعاج بافراز اللؤلؤ من مادة الماء كى تحاصر ذلك الجسم الطفيلى ، وتستمر المحارة فى افرازها لعرق اللؤلؤ الى أن تتكون اللؤلؤ .

أما « عارية الخياشيم » فهى رخويات لا تمتلك صدفة لحمايتها وكلها مفترسة رغم ضالة أحجامها . وأجسامها عبارة عن كتلة هلامية تتميز بالوان زاهية وأشكال وحركات رشيقة ويشاهد دائماً فى طرفها الأمامى من أعلى حلقة من ريش رقيق (تلك هى الخياشيم العارية) التى تتنفس بها .

ويعتبر الربيان ـ أم الربيان (لوبستر) ـ السرطانات (القباقب) ثم (النو) من أهم القشريات فى الخليج التى تتميز جميعها بهيكل خارجى صلب (صدفة مرنة) ومجموعة من الأرجل المفصلية ، وأكثرها شهرة هو ربيان الخليج الذى يدفن نفسه فى الرمل والطمى ، ويتغذى على حيوانات القاع الصغيرة ليلا ويتواجد النوع الشائع من أم الربيان فى نفس مناطق الربيان ، أما النوع من أم الربيان المتميز بقرون استشعاره وملامسه وزوائده الراسية الطويلة وألوانه الجميلة وحجمه الأكبر فيتواجد بكميات محدودة مختبئاً نهاراً فى الجحور والثنايا المرجانية ، وينشط ليلا بحثاً عن غذائه من المحارات والسرطانات وغيرها .

أما السرطانات (القباقب) فتتواجد بكثرة فى الشواطىء الرملية (وفى المساكر) وكذا مختبئة بين الصخور والشعاب المرجانية وأشهرها هو السرطان السباح الأزرق ، وسرطان المرجان الأحمر وكلها مفترسة وتسبح جيداً فى عرض البحر ، وهناك السرطان الناسك أو المتعبد المتواجد فى بيئات متعددة حيث يقوم بحمل أى صدفة قوقع خالية ليحمى بطنه الملتف الرخو ، وعليه أن يقوم بانتظام بتغيير هذه الصدفة بأخرى أكبر حجماً كلما زاد نموه وكبر حجمه .



الدولفين ذو انف الزجاجية إنه يستجيب للتدريب والتعليم بسهولة

ابراهيم فؤاد أحمد

لقطات من الكون المثير

حسنة للـــه

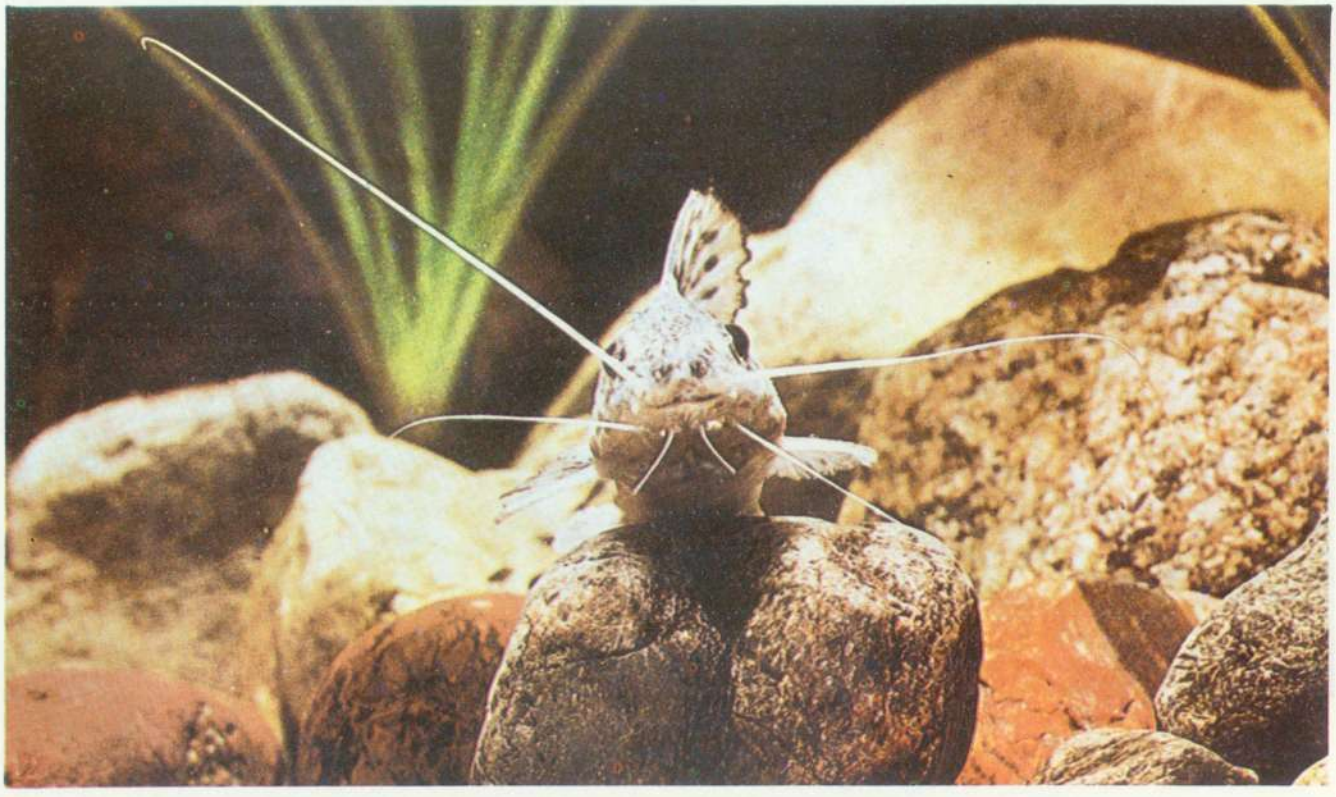
في وادى كاتماندو بنيبال يوجد معبدان بوذيان كبيران ، وحول كل معبد ينتشر حوالي ٣٠٠ قرد وزعت نفسها على هيئة جماعات من « الشحاذين » ، وبحيث لا تختلط كل مجموعة بالأخرى ، ربما لعدم التدخل فى مجال عملها ، حتى لا تاخذ بعض رزقها ، او ربما كان ذلك لعادات قديمة متاصلة فى هذه القرود ، لأنها تعيش ايضاً فى الطبيعة على هيئة جماعات .. المهم اننا نرى مجموعة من هؤلاء « الشحاذين » القردة ، وقد تقدم رئيسهم او زعيمهم إلى احد القادمين للمعبد ، ليربت على جيبه ، ويستعطفه وكانما يقول له : اعطنا مما أعطاك اللـــه ! .. فى حين تتوجه إليه انظار القرود الاخرى منتظرة ماقد يجود به عليها من طعام مثل الفول السوداني او الفيشار او اليقطين .. الخ ، ويقول علماء السلوك الحيواني إن هذه العادة ربما تكون قد نشات قديما من عادة وضع النذور او القربان على هيئة طعام امام تماثيل المعابد ، ومن ثم جذبت القرود من الغابات ، فاستانست بالطعام وبالبشر ! .





أسعد اللحظات !

نعم .. خنزيرة ، لكنها باطفالها سعيدة ، فاسعد لحظات الأمومة هى التى تقدم فيها اثداءها ليرضع منها انجالها ، ولا يختلف فى ذلك اناث البشر عن الخنازير او البقر ! .. وصورة الخنزيرة الام توضح لنا كيف استلقت باسترخاء تام ، وسعادة معبرة عن رضائها ، رغم العبء الذى تلقاه من أوضاع عشرة من الصغار دفعة واحدة ، لكن العدد هنا مناسب تماما ، لأن لها سبعة أزواج من الأثداء ، تكفى لأرضاع اربعة عشر طفلا ، لكن بعض الأناث قد تنجب ذرية تربو على العشرين ، وهنا قد يحدث الصراع بين الأنجال والقوى منهم يتغلب ويفوز بنصيب الأسد .. وفى هذا السلوك لا تختلف الخنازير عن الحيوان عن البشر !



جهاز حى يتنبأ بالزلازل

هذه السمكة الرابضة ببطنها على صخرة ،والمتجهة بلوامسها الطوال والقصار فى اتجاهات شتى تعرف باسم سمكة القط (من نفس فصيلة القراميط) ، وهى من الأسماك ذات الحساسية الفائقة للكشف عن أية اهتزازات أرضية طفيفة قد تؤدى بعد لحظات أو دقائق الى حدوث زلزال مدمر ، ولهذا يقول الناس الذين لاحظوا سلوك هذا النوع من السمك : اذا رأيت أسماك القط تهجر القاع ، وتتجه الى الشواطىء ، فان ذلك ينبىء بزلزال قادم ، والعلماء لا ينكرون ذلك ، لأن بعض الكائنات قد امتلكت احاسيس تفوق احاسيس البشر بعشرات ومئات المرات ، « لكن اكثر الناس لا يعلمون » .

نبات يأكل حيواناً !



متناقضة احياناً أمور هذه الحياة ، فلقد جاءت القاعدة ليصبح النبات غذاء للحيوان ، لكن يبدو أن لكل قاعدة شواذاً ، إذ أن هناك مجموعة خاصة من النباتات قد حورت حياتها لتعيش على اصطياد الحيوانات الصغيرة (خاصة الحشرات) ثم تهضمها وتمتصها ، تماماً كما يفعل الحيوان ، ولقد تحورت منها اجزاء خاصة لتساعدها على بلوغ ذلك الهدف ، والصورة توضح أوراق نبات « الدروسيرا » وقد تغطت بشعيرات تنتهي برؤوس ، تفرز مادة لزجة ومعطرة لتجذب بها الحشرات ، فاذا حطت عليها التصقت بها ، والتفت الشعيرات الأخرى حولها ، حتى تشل حركتها كما تراها هنا ، وبعدها تفرز عليها خمائرها أو نزيماتها الهاضمة ، لتهضم لحمها ، وتمتصه ، وبعد الوليمة ، تعود الشعيرات إلى سابق وضعها ، لتصطاد من جديد .. وهكذا تنعكس الآية .. فما أغرب المفارقات .. مفارقات الحياة !



فى وسط العاصمة نيقوسيا حيث الطبيعة الخلابة التى تجعلك تشعر بمتعة النزهة

قبرص

عالم السحر والجمال والأساطير!

بقلم: مجدي نصيف

عندما ولدت سيدة الجمال « أفروديت » على شواطىء هذه الجزيرة الجميلة ، حملتها حوريات البحر إلى الغابات حيث نمت وترعرعت ، لتصبح أسطورة يتداولها الجميع فى شغف ، وينصتون الى تفاصيل أحداثها فى متعة لا يشعر بها إلا من يضع قدميه على أرض جزيرة قبرص الزاخرة بالجمال والفتنة والحكايات التى تمثل نهراً لا ينضب أبداً !

وتاريخ قبرص على العموم مليء بالمغامرات والاحداث . فقبرص تقع فى الطرف الشرقى للبحر الأبيض المتوسط ، فى مفترق الطرق بين الشرق والغرب ، انها لا تبعد غير أميال قليلة عن آسيا الصغرى وسوريا ولبنان وتركيا واليونان ، ومائتى ميل عن مصر . وهذا الموقع الاستراتيجى لقبرص بين آسيا وافريقيا وأوربا جعلها مركزاً هاماً وهو الذى حدد ـ فى نفس الوقت مصيرها ، وبالتالى تاريخها وثقافتها . إن هذا الموقع هو



مدينة نيقوسيا هى المدينة الوحيدة التى تقع داخل البلاد ، لأن كل مدن قبرص الأخرى على الساحل !



السور القديم الذى كان يحيط بالعاصمة ، بعد أن تجاوزه العمران والتوسع الذى حدث فى العاصمة

الذى جعلها نهباً لجميع القوى الكبرى التى توالت على تاريخ العالم منذ قديم الزمن . وتعطى آثار الجزيرة التى تمتد خمسة آلاف سنة دليلا قاطعاً على أحداثها التاريخية .

وتستأثر قبرص بظاهرة انقاذ الآثار الهامة والموجودات منذ العصر النيوليثى حتى العصر الحديث ، وتتنافس على أرضها القصور الكلاسيكية والمعابد القديمة والآثار الرومانية بالذات بقلاعها وحصونها وأسوار العصر الوسيط والمعابد القوطية والكنائس البيزنطية . والجزيرة عموماً متحف لكل هذه المراحل التاريخية . وقد تجمعت الصور البيزنطية فى متحف صغير بنيقوسيا العاصمة ، كما توجد أيضاً فى معابد بيزنطية مبعثرة على امتداد الجزيرة ، وكذلك من خلال الفن الشعبى الذى لعب دوره فى انقاذ الأساليب والأنماط والتصميمات البيزنطية متمثلة فى صناعة الأوانى والنسيج والتطريز . وتكون عادات وتقاليد سكان الجزيرة (اليونانيون) عادات وتقاليد بعيدة . وكما كتب البروفيسور الهولندى هسلخ :

ـ «لا يوجد مكان اخر فى العالم احتفظ فيه بالتقاليد البيزنطية كما فى قبرص . فرئيس أساقفتها يمسك فى يده بصولجان الأباطرة البيزنطيين ، ويرتدى رداء الأباطرة الأحمر ، ويوقع مثلهم بالمداد الأحمر» .

لكن قبرص استقبلت بالتتابع روافد حضارية من اليونانيين والفينيقيين والأشوريين والمصريين والعرب والرومانيين والاتراك ، وتلاقت فيها تيارات شتى ، فكان لها من هذا كله طابع فريد يعكس بصمات الزمن وأصداء التاريخ . وهناك مؤرخون عرب ابتداء من القرن التاسع الميلادى حتى القرن الخامس عشر خصصوا لقبرص صفحات كثيرة من كتبهم وفى طليعتهم الواقدى والبلاذرى وابو المحاسن والطبرى والادريسي وابن الاثير وأبو الفداء وابن بطوطة والسيوطى .

رحلة بالسيارة

وقبرص جزيرة صغيرة فى البحر الأبيض المتوسط لا تزيد مساحتها عن ٩٢٥٠ كيلومترا مربعاً ، مما يجعلها

الجزيرة الثالثة فى البحر الابيض بعد جزيرتى صقلية وسردينيا ، وهى اكبر قليلا من جزيرة كريت ، وتعداد سكانها لا يزيد عن ٦٥٠ الفا ، يتجمع منهم مائة الف فى نيقوسيا . ولأن الجزيرة صغيرة فافضل شىء لاكتشافها هو رحلة بالسيارة ، ذلك انها جزيرة ، عالم صغير ، يمتزج فيه التاريخ بالأساطير وجمال الطبيعة .

بدأنا بالعاصمة : نيقوسيا ، والمدينة الوحيدة أيضا التى تقع فى داخل البلاد ، إذ أن بقية المدن على سواحلها . أصبحت عاصمة الجزيرة منذ القرن الثانى عشر الميلادى حينما دمر الغزاة المدن الساحلية وهى مبنية على موقع احدى مدن المماليك الأثرية المسماة ليدرا . وقد توسعت العاصمة اليوم لتمتد خارج أسوارها القديمة ، وفى منطقة نيقوسيا هناك العديد من المناظر الخلابة ، خاصة ناحية الغرب ، حيث تمتد حدودها الى تلال ترودوس ، ووديانها الجميلة المليئة باشجار الحور الفضية الباسقة وبساتين الكرز والتفاح ، هنا أماكن الاصطياف التى تجذب آلاف السياح كل عام .

والى جنوب غرب العاصمة تقع مدينة بافوس . انها مزيج غنى من المناظر الخلابة والأماكن التاريخية والأسطورية والميناء الجميل والقلعة حيث الحانات والمطاعم وزوارق صيد السمك . وقد كانت بافوس هى عاصمة قبرص فى العصر الرومانى ، وهى تقترن فى نفس الوقت بافروديت التى ولدت هنا على بعد خمسة أميال ونصف قرب مجموعة بارزة من الصخور تعرف باسم «بتراتو روميو» حيث الزبد الأبيض . ومنطقة بافوس غنية بالآثار القديمة ، حيث ترك اليونانيون القدماء والرومان والبيزنطيون وحكام قبرص فى العصور الوسطى آثارهم هنا على هذا الجزء من الجزيرة .

ثم نصف ساعة من نيقوسيا تقع لارناكا على الشاطىء الجنوبى لقبرص ، وهى مبنية على موقع احدى المدن القديمة تعرف باسم كيتيون ، تقول احدى الأساطير ان الذى أسسها هو خيثم حفيد نوح . وقد أبرزت أحد أكبر المفكرين فى العالم ، ألا وهو زينو مؤسس المدرسة الزينونية للفلسفة فى أثينا .

ومن أهم معالم لارناكا ، البحيرة المالحة العظيمة بالغابة والتى يستقر بها الطير المعروف باسم «أبو اللهب» أو «أبو سعد» الذى يحط فى هذه المنطقة بين ديسمبر الى مارس فى أثناء طريق هجرته الطويل . وعلى حافة البحيرة المالحة تقع احدى تذكارات العالم الاسلامى ـ كما يقول قسم السياحة القبرصى ـ وهى تكية هالا سلطان مربية النبى محمد صلى الله عليه وسلم . وعلى مسافة ستة كيلومترات أخرى وفى قرية كيتى الصغيرة توجد كنيسة بانايا انجالو كنيستوى القديمة الشهيرة التى يرجع تاريخها الى القرن السادس بعد الميلاد وهى تعتبر مثالا لأروع الفنون البيزنطية فى العالم .

فى الطريق الى ليماسول ، قطعنا الطريق لنصعد طريقا جبليا تستقر فوقه قرية لافكارا ، حيث لازال سكانها جميعا يقومون بعملهم التقليدى منذ العصور القديمة ، ألا وهو التطريز اليدوى تحت اسم لافكارا . إنها القرية الوحيدة التى مازالت تحافظ على هذا التقليد ، ومازالت تنتج أفضل أنواع التطريز اليدوى . زار الفنان الشهير ليوناردو دافنشى هذه القرية وأعجب بفنها فاشترى تطريزا ليستعمله ستائر لهيكل كاتدرائية ميلانو عام ١٤٨١ ، ومازال الرسم الذى فضله وأخذه يتداول جيلا بعد جيل ، ومعروف بانه «التطريز الذى اخذه دافنشى وتأثر به واستخدم تشكيلاته فى فنه» .

محطة قفز للصليبيين

وبسبب موقعها الاستراتيجى ، ظلت قبرص ـ ومازالت ـ محطة لكل الامبراطوريات وقوى الغزو على الدول العربية ودول الشرق الأوسط عموما . فاذا كانت الدويلات والدول والامبراطوريات الكبرى قد ضمتها ضمن ما ضمته من بلاد وأراض فى المنطقة ، فهى بالمثل كانت معبرا لكل القوى التى استولت على بلاد المنطقة وأثرت فى سياساتها .

فبعد أن استوطن الجزيرة اليونانيون أساسا ، ومن بعدهم الفينيقيون بشكل جزئى ، وقعت قبرص تحت سيطرة الأشوريين فى نهاية القرن الثامن قبل الميلاد . وتشير كتابة على لوحة تذكارية وجدت فى كيتيون ، ومحفوظة الآن بمتحف برلين الى احتلال قبرص من قبل سرجون الثانى ملك الفرس عام ٧٠٨ ق.م .

ثم وقعت قبرص على التوالى فى أيدى عدد من الفاتحين ، ففى عام ٥٨٨ ـ ٥٦٩ ق.م قام الملك المصرى هفرع بانزال الهزيمة بالأسطول القبرصى ، ثم حوالى عام ٥٦٠ ق.م احتل الملك أماسيس خليفة هفرع ، قبرص ، واصبح ملوك قبرص خاضعين له يدفعون له الجزية ، وكان لهذه الفترة تأثير كبير على الحركة المعمارية فى الجزيرة . ثم عام ٥٤٠ ق.م انتقلت قبرص لحكم سيروس الأكبر مؤسس الدولة الفارسية .

وحدث تغير أساسى فى وضع ملوك قبرص عند بدء حملة الاسكندر المقدونى فى آسيا ، إذ أعربوا عن رغبتهم فى الانفصال عن الفرس ، وقدموا مساعدتهم للاسكندر فى شكل أسطول بحرى مكون من ١٢٠ سفينة ، إبان حصاره لمدينة صور اللبنانية ، وقد ساعد هذا الاسكندر على متابعة طريقه الى مصر .



صناعة النحاس وشغله من أهم الصناعات اليدوية فى الجزيرة



احدى قلاع قبرص القديمة حيث تعيش لحظات هنا مع تاريخ الاجداد

بعد موت الاسكندر أصبحت الجزيرة ، ولمدة طويلة فى حالة نزاع بين خلفائه انتيجونوس وبطليموس الذى أصبح ملكا لمصر ، ووقعت مصر تحت حكم بطليموس . وبعد فترة طويلة ضمت قبرص الى حكم البطالسة لمدة قرنين ونصف ، فيما بين ٢٩٤ ـ ٨٥ ق.م وخلال هذه الفترة حققت قبرص درجة كبيرة من الثقافة والتقدم . بعد ذلك بدأ الاحتلال الرومانى لقبرص . وعندما نقلت عاصمة الامبراطورية الرومانية الى روما ، ووضعت أسس الامبراطورية البيزنطية عام ٣٣٠ بعد الميلاد ، أصبحت قبرص ضمنها ، وكانت قبرص تدار من القسطنطينية من قبل من يسمى بـ «القسطور» .

ثم بعد ظهور الاسلام بدأت عدة غزوات عربية للجزيرة فى القرنين السابع والعاشر غزوة بقيادة معاوية بن أبى سفيان عام ٧٤٧ . وغزوات أخرى أخرها على يد هارون الرشيد التى أخذ فيها عديداً من القبارصة بما فيهم رئيس الاساقفة بالجزيرة ، أسرى .

ومنذ القرن الحادى عشر الميلادى وبداية الحملات الصليبية استخدمت قبرص كمعبر للصليبيين ، للقفز على العالم العربى ، بدءاً بالملك ريتشارد قلب الأسد الذى استولى على الجزيرة بمعركة أنهت العصر البيزنطى الذى دام ما ينوف على القرنين من الزمان .

وهناك قصة تحكى حول الحرب التى خاضها ريتشارد قلب الأسد ، تقول انه كان فى طريقه مع فيليب أغسطس ملك فرنسا لتحرير الأراضى المقدسة كقائد للحملة الصليبية الثالثة ، بعد احتلال صلاح الدين الأيوبى للقدس . انقسم أسطول الصليبيين ، ولجأت احدى سفنه التى كانت تقل خطيبة الملك ريتشارد ، وأخته جوانا ملكة دواجار بصقلية الى الرسو فى ميناء ليماسول . كان ملك قبرص آنذاك هو الملك اسحق كومينوس ، استفاد من الضعف الداخلى الذى أصاب الامبراطورية البيزنطية بسبب الهجمات التركية من الشرق ، ونصب نفسه ملكا لقبرص . ذهب ملك قبرص لاستقبال خطيبة الملك وأخته ، وتقول القصة إنه حاول اغواءهما فرفضتا ، هنا وصل ريتشارد قلب الأسد بجيوشه واحتل ليماسول بسرعة ، فهرب الملك اسحق الى نيقوسيا . وتزوج الملك ريتشارد من خطيبته فى ليماسول ، ثم زحف بعدها الى داخل الجزيرة حيث جرت معركة حاسمة فى سهل ميساورى هزم فيه ملك قبرص وقبض عليه . وبدأ استخدام قبرص فى الحملة الصليبية .

توجه الملك ريتشارد بعدها الى عكا ، وكان الصليبيون بحاجة الى المال والرجال أكثر مما كان لديه ، فباع قبرص «لفرسان تمبلار» على أقساط ، وأحد هؤلاء الفرسان واسمه جاى دى لوزيجنان حكم الجزيرة وورثتها عائلته من بعده حيث حكمت قبرص على مدى ثلاثة قرون من عام



عند هذه الصخور ولدت « أفروديت » سيدة الجمال وسط الزبد والماء

١١٩٢ م وحتى عام ١٤٨٩ .

ومنذ جاى دى لوزيجنان ، انخرطت قبرص بحماس فى الحملة الصليبية المدمرة ، فزارها الامبراطور فريدريك امبراطور المانيا ، بينما كان فى قيادة الحملة الصليبية السادسة . وخلال الحملة الصليبية السابعة بقى ملك فرنسا فى نيقوسيا ضيفاً على الملك هنرى الأول ملك قبرص ، وخلال بقائه كدس المؤن للحملة الصليبية التى كان مصيرها الفشل مثل سابقاتها .

... والآن أيضاً

وكما حدث أيام الحملات الصليبية ، حدث فى العصر الحديث . فكانت القواعد البريطانية فى قبرص هى التى استخدمت فى شن «العدوان الثلاثى» على مصر عام ١٩٥٦ ، وهى أيضاً التى استخدمت كنقطة «وثوب» فى «عدوان ١٩٦٧» لنقل الأسلحة والعتاد العسكرى الأمريكى الى اسرائيل . ويستخدم حلف شمال الأطلنطى هذه القواعد فى نفس الأغراض منذ عام ١٩٥٨.

والمنشآت البريطانية العسكرية فى قبرص مازالت مستمرة حتى بعد استقلالها ، وهى تضم القواعد العسكرية البريطانية فى «ابيسكوبى» و «اكروتيرى» و «ديكيليا» .

وتتركز «القوات الجوية الملكية» البريطانية (راف R.A.F.) فى هذه القواعد بعد أن انسحبت القوات البريطانية من الشرقين الأوسط والأدنى ، واكروتيرى التى تقع فى الطرف الجنوبى للجزيرة ، هى أكبر قاعدة للقوات الجوية البريطانية فى العالم . وهى تضم عدة تسهيلات ، وتمتد واجباتها من الضرب الاستراتيجى بالقنابل ، حتى خدمات الرادار ، ويعمل بها خمسة آلاف موظف يضاف اليهم ثلاثة آلاف جندى وألف مدنى ، الى جانب ١٧ ألفاً آخرين ، مما يصل بعدد البريطانيين هناك الى حوالى ثلاثين ألفاً . وقاعدة اكروتيرى مكلفة بخدمة وحماية الجناح الجنوبى لحلف شمال الأطلنطى ، وهى مجال الاتصال بالوجود البريطانى ـ وبالتالى الأمريكى ـ فى الخليج العربى . أما شبكة الرادار الموجودة هناك ، فتجمع معلوماتها عن طريق أفضل «نظام رادار» فى العالم موضوع على قمة جبل الأوليمب ليغطى كل منطقة شرقى البحر الأبيض المتوسط .

وسط هذا كله قاد الأسقف مكاريوس هذه الجزيرة الصغيرة منذ أن استقلت عام ١٩٦٠ مؤمناً بالتعايش السلمى وعدم الانحياز وتأييد قضايا التحرر فى العالم وخاصة كفاح الشعوب العربية . لهذا فبعد الاستقلال بقليل وصل جريفاس الى الجزيرة سراً وسرعان ما بدأت الحرب الدموية الأهلية بين الأتراك واليونانيين القبارصة (١٩٦٣ ـ ١٩٦٤) . ودائماً يصل فى الوقت «المناسب» تماماً ، فقد ثبت أن الصدامات المسلحة التى وقعت بين الطائفتين حتى عام ١٩٦٧ ، كانت فى الأساس نتيجة لنشاط حلف الأطلنطى الذى أخذ يسعى لتقويض سياسة مكاريوس وعزله ومحاولة اغتياله . وبعد



بيت ريفى فى جزيرة قبرص ، حيث يعيش اهل الريف حياتهم بحب الفن والاساطير والحرف الشعبية

سنوات أخرى ظهر «جريفاس» مرة ثالثة فى أحد ليالى صيف عام ١٩٧١ رغم الاتفاق الذى تم فى نهاية عام ١٩٦٧ وضمن أحد بنوده انسحاب جريفاس من الجزيرة ، وقد ثبت أنه وصل الى احدى القواعد العسكرية البريطانية ، ثم تسلل فيها الى الجبال وجمع رجاله ليبدأ نشاط «ايوكا ـ ٢» ضد مكاريوس .

كل هذا لم يفلح . لذا أخذت الطغمة العسكرية اليونانية التى كانت فى السلطة آنذاك تضرب على نغمة خطر الأتراك القبارصة وساعدت على قيام انقلاب ضد الأسقف مكاريوس فى يوليه ١٩٧٤ .

هنا قامت تركيا بغزو الجزيرة لـ «حماية الأقلية التركية» الموجودة فى الجزيرة والتى تشكل ١٨٪ من سكان قبرص . وانقسمت الجزيرة من الناحية العملية الى قسمين : جزء فى الشمال تحتله القوات التركية حتى الآن ، وجزء فى الجنوب به القبارصة اليونانيون .

لم تستطع إذن قيادات الطائفتين ، بعد الاستقلال ، حل مشكلة العلاقات بين الجانبين . وإذا أردنا أن نفهم لماذا لم يتمكن الجانبان من تحقيق سلام دائم ، أى السبب الجذرى للماساة التى مازالت مستمرة حتى يومنا هذه لتقضى على السلام والجمال فى جزيرة الأحلام ، فعلينا أن نعود الى الجذور التاريخية للصدام ، ونفهم العوامل السياسية والايديولوجية التى أدت الى عدم حل المشكلة .

عندما بدأ كفاح «ايوكا» ضد البريطانيين من أجل التحرر ، ارتفع شعار «الاينوسيس» أى الوحدة مع «الوطن الأم»: اليونان ، وهو ما عارضه القبارصة الأتراك وكانت إقامة جمهورية قبرص المستقلة فى أغسطس عام ١٩٦٠ ، يعنى من الناحية العملية ، أن اليونانيين الذين قادوا النضال من أجل الاستقلال و «الاينوسيس» والأتراك الذين قادوا النضال ضد الاينوسيس ، سيجلسون معاً ، ويتعاونون على ادارة الدولة الجديدة . ونعتقد أنه لو القى الجميع ـ وخاصة قيادة الجانبين التى تسنمت قمة السلطة ـ بالعداوة خلف ظهورهم ـ ونظروا الى الحاضر والمستقبل بعد الاستقلال ، وبنظرة واقعية دون تعصب ودون لجوء لقوى خارجية ، لاستمر تطور الجزيرة ، ولسارت الأمور فى قنوات غير تلك التى سارت فيها .

وفى عام ١٩٦٣ انسحب الأتراك من وظائفهم التى شغلوها بعد الاستقلال وبدأت حوادث عنف بين الجانبين ، وأنشأوا داخل «جيوبهم» فى الجزيرة نظاماً سياسياً وادارياً واجتماعياً وقضائياً ، أخذ شكل «الدولة» . رفض اليونانيون الاعتراف بها ، ولم يطالب الأتراك بأى اعتراف .

وبذلك تكرس وجود «دولتين» بالفعل فى قبرص . أما الدولة «الرسمية» فقد تركها الأتراك بين أيدى اليونانيين ، واستمر مجلس النواب من اليونانيين فقط .

ثم أدت أحداث عام ١٩٧٤ الى غزو القوات التركية للجزيرة لتكريس هذا الوضع رسمياً ، والذى ظل قائماً حتى الآن .

مجدى نصيف

مراثي أسمهان في مجمع اللغة العربية

بقلم: كمال النجمي

رسالة من أديب كبير ، صديق لي ، تتالت سطورها تحت بصري ، تطوى الأيام القهقرى بضعة وثلاثين عاماً ، حتى ردتنى الى موضعى من تلك الأيام ، شاعراً صغير السن ، لا أبالي من الدنيا بعد الشعر والشعراء ، إلا المغنين والغناء ، وأخصهم بوجدانى يومئذ ـ والى اليوم وما بعد اليوم ـ أم كلثوم وأسمهان ! .

وإنما ذكرت أم كلثوم وأسمهان لأن رسالة صديقنا الاديب تقف برهة تحت العش الذهبى الذى ملأته هاتان البلبلتان تغريداً ..

فى عام ١٩٥١ خطر لي أن أطلب يد الجائزة الحسناء ، جائزة الشعر ، من مجمع اللغة العربية فى القاهرة ، قلعة العمالقة فى الأدب والشعر ، حسبك منهم العقاد والزيات ولطفى السيد وطه حسين واحمد امين والخضر حسين ومن إليهم من فحول ذلك العصر الادبى ذى الأثر العميق فى الادب العربى على امتداد الأرض العربية كلها ..

شاورت فى الأمر صديقنا الأديب الكبير الناقد العلامة الدكتور شكرى محمد عياد ، وكان محرراً ـ بعد الظهر ـ فى إحدى المجلات القاهرية ، نعمل معاً .. وأما قبل الظهر ، فكان محرراً بمجمع اللغة العربية.

لم أكد أبدأ جمع شعرى وكتابته على الآلة الكاتبة حتى ألمت بالمجلة عسرة جعلتنى والكثيرين من محرريها نعفيها مضطرين من وجودنا فيها ، ولجأت أنا الى قريتى فى أقصى صعيد مصر حتى يأذن الله بأمره ..

ومن قريتى أرسلت ديوانى مخطوطا الى صديقنا الدكتور شكرى عياد ، فقدمه الى لجنة الادب فى المجمع ، ولولاه لتأخر عن موعده واستبعدوه من المسابقة فقد وصل فى اليوم الأخير ، أو بعد اليوم الأخير بيوم ! ..

فاز الديوان بالجائزة .. أعطونى الجائزة كاملة غير منقوصة ولم يقسموها بينى وبين غيرى كما يفعلون دائماً .. ولم يفز بالجائزة كاملة غير منقوصة قبلى إلا خليل مطران وعزيز أباظة ، ولم أكن منهما ولاقلامة ظفر شهرة وتاريخاً .. ولكن هكذا كان ! ..

قال لي الدكتور شكرى إن لطفى السيد باشا رئيس المجمع أراد منح الجائزة لشاعر آخر كبير السن فمنعه العقاد من ذلك ـ وكان رئيس لجنة الشعر ـ ولم يلتفت الى رأى الباشا الذى لم يقرأ شيئاً من الدواوين المقدمة فى مباراة المجمع ولكنه أراد الجائزة لصديقه ! ..

لبثت أعتقد أن العقاد ـ وحده ـ صاحب الفضل فى حصولى على جائزة الشعر ، حتى تلقيت رسالة صديقنا الأديب المفضال الدكتور محمد رجب البيومى عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة الذى أتابع إنتاجه الأدبى ويتابع إنتاجى منذ أكثر من ثلاثين عاماً ، بدون أن أراه أو يرانى ! ..

لم يكن العقاد وحده فى لجنة الشعر وإن كان هو رئيسها بل كان معه غيره .. يكفى أن يكون معه الأديب الكبير صناجة النثر العربى فى عصرنا الأستاذ أحمد حسن الزيات رحمه الله ..

الزيات وأسمهان

قال الدكتور البيومى فى رسالته : «قدر



اســـــمهان
قصيدتان فى رثائهـــا !



علي احمد باكثير
لو عاشت اسمهان لغنت من شعره !



ام كلثـوم
كان احمد امين يفضل صوت اسمهان على صوتها !

لي ان اقرأ ديوانك مخطوطاً مع الأستاذ الزيات ، حين قدمته لمسابقة المجمع ، وكان الزيات يشكو مرضاً فى عينه ، فقمت بقراءة دواوين المسابقة معه .. وكان الزيات معجباً كل الاعجاب بقصيدتك فى رثاء «اسمهان» ويقول إنها كقصيدة علي احمد باكثير فى رثائها » ..

ثم يقول الدكتور البيومى : لقد مدح ابن الرومى المطربة « وحيد » ورثى المطربة « بستان » فخلدتم صوادح الايك بما ابدعتم من بيان .. ومازال يرن فى سمعى قول ابن الرومى فى رثاء بستان :

يا غضـــة الســـن يا صغيرتهـــا
اصبحـت إحـدى المصائـب الكبـر
لو علـم القبـر مـن اتيـح لـه
لانحفـر القبـر غيـر محتفـر

ويقول باكثير فى رثاء اسمهان :

غرقت .. كيف يغرق النور والحسن (م)
وفـن الخلـود فى شـبر مـاء
ما تقولـون ؟ هـل تجـدون او تلهون
ام هـل يجـد صـرف القضـاء
لو حواهـا البحـر العريض لضـاق
البحـر ذرعـاً عن روحها الشـماء
او حوتهـا الصحـراء لانتفضت ظلا
ومـاء فـى جنـة خضـراء

لفتتنى رسالة الدكتور البيومى الى الدنيا لفتة حادة وإن كنت الآن قلما التفت الى شىء فى الدنيا ! ..

لقد مرت السنون بنا مر السحاب ، فمازلت اذكر كيف رايت المرحوم علي احمد باكثير اول مرة فى منتصف الاربعينات ، بعد أن عرفت اسمه وقرأت له منذ منتصف الثلاثينات فى مجلة «الفتح» العروبية الاسلامية التى كانت تصدر فى القاهرة ، والتى هى – فى الحقيقة – ديوان لشعر كوكبة ممتازة جداً من الشعراء العروبيين والاسلاميين المصريين فى تلك الايام التى كان فيها صوت العروبة مجهولا فى الشعر المصرى ، لأن « الفتح » كانت محدودة الانتشار ! ..

ومن أراد أن يعرف عروبة الشعر المصرى كيف كانت فى ذلك الزمن فليطالع مجلدات « الفتح » .. وسيرى فى القسم الثانى من هذه المجلدات عروبيات باكثير الشعرية ، وعلى راسها فلسطينياته التى لا أنسى من بينها قصيدته التى مطلعها :

بنـي يعـرب ماذا دهاكـم اجيبونـي
ألم تشـــهدوا أشلاءكـم بفلســطين ؟

رحم الله باكثير ! ..ماذا كان يقول الآن لو بعث ليرى أشلاء بنى يعرب لا فى فلسطين وحدها بل فى لبنان وفى كل مكان ؟! ..

مضى على قصيدة باكثير هذه خمسة وأربعون عاماً حتى الآن .. ومازالت فى فلسطين بقية أشلاء تستصرخ بنى يعرب ليشهدوها ؟! ..

باكثير الفنان

ثم نعود الى مجرى الذكريات .. وهو رثاء ودموع على كل حال ! .. والحديث ذو شجون ! ..

فحين رايت المرحوم علي احمد باكثير وعرفنى ، كانت قصيدته فى اسمهان قد ذاع امرها ، فاستنشدته إياها فتمنع ، فانشدته قصيدتى فى رثائها ، فاهتزت اريحيته وانشدنى قصيدته هذه البارعة التى ذكرنيها الدكتور البيومى ، وهى من احسن شعر باكثير واصدقه واندره ! ..

كان باكثير فناناً زاهداً عابداً متشدداً فى امر الدين .. فكان نسيج وحده ، لم أر له فى هذا مثيلا ! ..

وهو الشاعر الاسلامى الوحيد فى عصرنا – وفيما قبله بطبيعة الحال – الذى اندمج فيما يسمونه « الوسط الفنى » ونظم مسرحيات شعرية وغير شعرية وكتب قصص افلام ، فضلا عما كتبه للمغنين والمغنيات من نظمه الفريد ..

ولو عاشت اسمهان لغنت من شعره كما غنت ام كلثوم ..

وكانت قصيدته فى رثاء اسمهان مثار تعليقات كثيرة : استحسنها المازنى ، ولاغرو ، فقد كان يحب باكثير ويشهد لشعره بالجودة ، بل استحسنها حتى العقاد الذى يتحفظ حيال كل شعر يسمعه او يقرؤه .. اما الزيات فكان – كما حدثنا الدكتور البيومى – يستحسنها ويقرنها بروائع ابن الرومى فى مغنيات عصره مدحاً ورثاء ..

ويبدو أن حب هؤلاء الادباء الكبار لصوت اسمهان كان له أثر فى حب ما يقال

مراثي أسمهان في مجمع اللغة العربية

فيها من الشعر ، ولو كان رثاء وبكاء ! ..

واذكر انى طالعت منذ مدة فى مجلة «العربى» الغراء مقالة عن الأديب الكبير المرحوم احمد امين كتبها ابنه الاستاذ جلال ، يذكر فيها ان والده الكريم كان يعجبه صوت اسمهان اكثر مما يعجبه صوت ام كلثوم ، لان فى صوت اسمهان حزناً ! ..

وبغض النظر عن راينا فى مسالة «الحزن» هذه ، نلاحظ ان صوت اسمهان لفت اسماع الجيل الماضى من كبار الادباء ، واعجبتهم شخصيتها المشعة بالجاذبية الفائقة .. فلا عجب ان يبكيها باكثير ، وان يتحزن عليها الزيات ولو بقراءة ما قيل فيها من رثاء ، ومن هذا الباب دخلت اسمهان الشعر المعاصر ..

اما قصيدتى – إن اذنت بالحديث عنها – فانى حاولت نشرها فى حينها « سنة ١٩٤٤ » بعد موت اسمهان بقليل فلم يتيسر لي ، مع انى بعثت بها الى مجلة « الرسالة » صحيفة الأستاذ الزيات ! ..

وظنى ان القصيدة لم تقع فى يده ، او ضاعت فى البريد ، وإلا فكيف يستقيم إعجابه بها حين قراها فى الديوان سنة ١٩٥١ ، وإهماله نشرها سنة ١٩٤٤ وقد نشر لي قصائد طويلة فى اكرم مكان من مجلته العظيمة ؟! .. ام هو حظى السيىء مع بحر « الرمل » .. فانى ما نظمت قصيدة منه إلا ساء حظها معى او حظى معها ! .. وقصيدتى فى اسمهان من هذا البحر ! ..

على اننى انشغلت عن قصيدتى بما قراته او سمعته من مراثى الشعراء لاسمهان ، ومازلت اذكر قول الشاعر الكبير بشارة الخورى :

اضاع جبريل من قيثاره وتراً
فى ليلة ضل فيها نجمه الهادى

ومنذ نظم ابن الرومى بدائعه فى مغنيات عصره ، ثم الشاعر ديك الجن فى رثاء جاريته المغنية ، وهى من ابدع الشعر لم يرث احد من كبار الشعراء مغنية ، حتى صدمت فاجعة اسمهان افئدة الشعراء فى عصرنا ! ..

لقد رثى امير الشعراء احمد شوقى بعض مطربى عصره امثال عبده الحامولى وعبد الحي حلمى وسيد درويش ، ولكنه لم يرث « المظ » مثلا ولا ذكر مطربة من مطربات عصره ، مع انه سمع اشهر هؤلاء المطربات ، ولكنه كان يلتزم فى امرهن بتقاليد بيئته الخديوية ..

مراثى الأصوات الجميلة

وللشعراء على امتداد عمر الشعر العربى الطويل ، شذرات ومقطعات فى المغنين والمغنيات ، مدحاً او قدحاً او دعابة تجد ذلك فى الشعر الجاهلى والاموى والعباسى والأيوبى والمملوكى .. الى العثمانى ، حتى عصرنا ..

لكن رثاء المغنيات والمغنين نادر ، ونعتاض من ندرته بروعته وارتفاع طبقته ورهافة إحساسه وتفرده – على قلته – بمكان خاص فى شعرنا كله على كثرته ! ..

ولكم تمنينا ان يستحدث النقاد واهل العلم بالشعر العربى بحوثاً فى مراثى الشعراء للأصوات الجميلة ، فان هذا باب من البحث يقوم مستقلا باصله فى ادبنا ، إن اقامه احد من ذوى الكفاية والاختصاص ..

بقى ان اقول إننى لما جمعت ديوانى لاعرضه على المجمع اللغوى الموقر ، اوشكت ان احذف منه ثلاث قصائد ، اولها قصيدتى فى رثاء اسمهان ، والاخريان فى امتداح ام كلثوم ومطربة اخرى .. فقد ظننت ان لجنة الشعر بوقارها ، لن تتفهم بواعثى الشعرية فى هذه القصائد ، ثم نظرت فى قصائد ديوانى فوجدت ان ولعي بالغناء قد اشاع الكلام عنه وعن اهله فى قصائد كثيرة من الديوان ، لا يمكن حذفها منه .. فقلت فى نفسى : إن قبلوا الديوان .. وإلا فان قصائدنا اكرم علينا ! ..

غير انى كنت – ومازلت – لا اذهب بعيداً فى النظر الى قصيدتى فى اسمهان ، ولا ظننت انها تعجب الزيات ولا غيره ، وكل ما املته ان تغض لجنة الشعر عينيها الكريمتين فلا تحسبها لنا ولا علينا ، وقصرت املى على القصائد المطولة الرنانة فى الديوان ..

إلا ان الزيات – رحمه الله – التقط بذوقه المرهف معانى الاسى الصادق فى القصيدة ، وكانت هذه المعانى تساوره منذ وفاة احد اولاده صغيراً فى اواخر الثلاثينات ، وكانى به قرا من القصيدة هذه الأبيات :

كوكب عوجل فى فجر الصبا
وعدا الموت عليه فخبا
ضاء فى مصر فكانت مشرقاً
وثوى فيها فامست مغربا
واتاه الموت فاستنقذه
يا له مستنقذاً مغتصبا
اسمهان اى طير تعس
غال اهاتك لما نعبا ؟!

ويله من هاتف مستكره
كلما صاح بعمر ذهبا
طرق السمع فغشاه اسى
واتى النفس فشبت لهبا

ومنها فى غرقها ثم إخراجها من مياه «ترعة الساحل» التى سقطت فيها سيارتها وهى فى طريقها الى مصيف راس البر :

طلعت من دارها باكرة
ما درت اى قضاء كتبا
تنشد البحر لتنسى برهة
محناً جرن عليها حقبا
اوغلت حتى إذا مقصدها
نفحت انسامه إذ قربا
قفزت من حفرت ناضبة
لمسيل غامر ما نضبا
سلبت امواجه لؤلؤة
عظمت غنماً وجلت سلبا
اخرجوها روضة قد صوحت
وربيعاً بعد زهو اجدبا
لا اخاها ودعت إذ رحلت
ومضت لم تلق اماً او ابا
ورات كيف جرى السعد لها
لحظة ثم تردى وكبا

ومنها :

وقف الفن حزيناً والهاً
يذرف الأدمع حتى تنضبا
ويوارى نجمة سيارة
اصبح الترب لها منقلبا
اين صوت كان إن غنى لنا
وثب القلب إليه وصبا
ذو انين وحنين إن سرى
مس دمعاً جامداً فانسكبا

وكنت اود ان اجيء بالكثير من قصيدة باكثير لولا انها ليست تحت يدى الآن .. والامر فى يد صديقنا رئيس تحرير الدوحة فان شاء جعلناها موضع تحليل طويل يستمتع فيه القارىء بشعر باكثير على الاقل ..

ورحم الله الزيات والعقاد وباكثير وذلك الجيل ، لقد كانوا يعرفون قيمة فن الغناء ، وإن انقطاع هذا الفن من اى بلد لا يكون إلا عند انقطاع تقدمه وبداية اضمحلاله او سيره شوطاً بعيداً فى الاضمحلال ، كما يقول ابن خلدون وكما يقول كل مستقرىء للتاريخ ، وبخاصة تاريخ الامة العربية ، ومن شاء فليتامل الغناء العربى فى الآونة الراهنة ! ..

لقد كان غرق اسمهان سنة ١٩٤٤ ماساة ولوعة فى افئدة الكثيرين ، ولكن الافئدة الملتاعة سلت وخلت ، ولم تبق إلا نفثات قلوب الشعراء ! ..

كمال النجمي

محاولة في تأويل عيني حبيبتي

شعر : حسن طلب

قاصداً كنتُ .. وأنْصِتْ :
مِهرجَانٌ من تَراتيلَ .. وسَجعٌ عربيٌّ
وجَماهيرُ تُصلّي ..
وحَواريّونَ فِيهمْ .. ونَبيُّونَ يقولونَ وَقَوْمْ
قَاصِداً كنتُ .. وأنظرُ :
دَيْدبانٌ ومِحفّاتٌ وإيوانٌ وبابٌ ملَكِيٌّ
وحِصانَانِ .. وحُوذِيّانِ تُركيّانِ بالباب ..
وقوْسانِ وَسَهْمْ
قاصداً كنتُ – ومازلتُ – وأَلْمِسْ
طَيلَسانٌ فيهِ وَشْيٌ .. وَمِقْصٌ فارسيٌّ
وتَصاويرُ ونقشٌ بابليٌّ
صِيغَ فى هيْئةِ جُندىٍّ كَمِيٌّ ..
وَحَريمٍ تَستحِمْ

●●●

هاتانِ العينانِ – فديتُهما
قَابلتَانى فى أوّلِ حُلمٍ راودَنى
.. فتذكّرتُهما

حينَ عرفتُهما ..
أوّلتُهما .. فجعلتُهما :
حَقلَيْنِ وزيْتونَتُهما
وأشرتُ الى خُلَصائى فى البأساءِ وحينَ العشْقِ ،
إليكمْ تأويلَهُما :
لَيْلَكتانِ وشطّانِ طويلانِ يميلانِ ولا يلتقيانْ
هاتانِ العيْنانِ الحقلانْ

●●●

أخِذْ قِبلةَ عينَيْكِ .. وأقرأْ :
خَيْزُرانٌ ويَعافيرُ وبَقْلٌ ونخيلٌ أنثَوِيٌّ
ومَهاتانِ ويَنبوعٌ ورملٌ ..
وغزالٌ يسْتجِمّْ
أخذاً كنتُ .. وأكتُبْ :
سَيْسَبانٌ فِرعَوْنِيٌّ .. وغِيدٌ يتهادَيْنَ
وَوِلدانٌ ينادونَ : تَعالَيْنَ إلينا
ومَواعيدُ هوًى تَمّتْ ..
وأُخرىٰ ستَتِمّْ
أخذاً كنتُ – ومازلتُ – وأرسِمْ :
كَهرمانٌ وقَواريرُ وَراووقٌ وأضغاثٌ من الدِّفْلىٰ
وَماءٌ كهرَبائِيٌّ .. وسَيفانِ يَمَانِيّانِ ظَلاّ لم يُسَلاّ
وعَناقيدُ ضِياءٍ تتراءىٰ ..
خلْفَ غيْمْ

●●●

هاتانِ العينانِ عشقتُهما
قابلَتانى فى أوّلِ حُلمٍ راودَنى
فتذكّرتُهما

حينَ عرفتُهما
أوّلتُهما .. فجعلْتُهما :
يَمّيْنِ وفيروزُهما
وأشرتُ إلى خُلَصائِى فى اللّوْلاءِ وحينَ العشْقِ
إليكُمْ تأويلَهما :
أزْلانِ ودهرانِ مَديدانِ يَصيرانِ ولا يَنيانْ
هاتانِ العينانِ اليَمّانْ



من واقع الحياة الشعبية

نزار سليم

● فنان كبير من أسرة .. كلها فنانون

● رحل بعد أن ترك وراءه أكثر من ٢٠٠٠ لوحة .. وكثير من القصائد والقصص



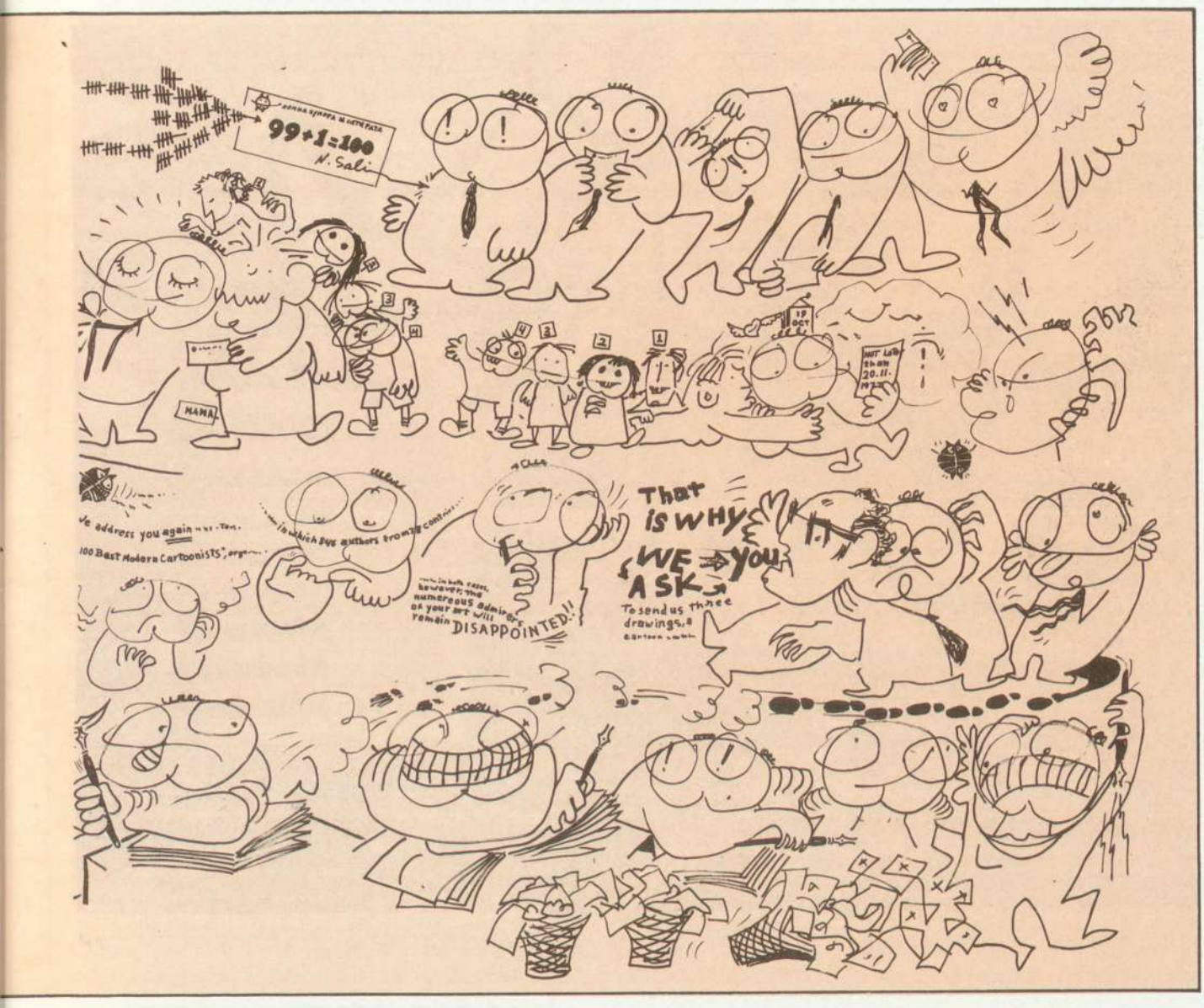
الوان



الفنان نزار سليم صاحب المواهب المتعددة .

انه واحد من الفنانين الذين سيعيشون فى ذاكرة الثقافة والفن فى الوطن العربى ، فقد اعطى كل حياته من اجل الابداع الفنى والثقافى ممثلا فى لوحاته الفنية وانتاجه البارز فى فن النحت وفن الكاريكاتير ، وذلك بالاضـــــافة إلى ما قدمـــه من كتب وقصص ومسرحيات وقصائد شعرية كانت كلها فى مجموعها تعبر عن مشاعر مرهفـة صادقة ، وتعدد ملحوظ لوسائل التعبير عن واقع الحياة المعاش كما احس به فى اعماقه !

وقد ولد الفنان والقاص والناقد الفنى نزار سليم فى انقره بتركيا فى عام ١٩٢٥ من ابوين عراقيين ، وترعرع فى أجواء بيت كل افراده من الفنانين ، فوالده الحاج سليم له اعمال فنية فى الرسم والتصوير ، واخوته رشاد وسعاد وجواد ونزيهة فنانون اثبتوا جدارتهم فى مجالات الابداع الفنى المعـــاصر فى العراق ..



رسوم كاريكاتيرية تركها الفنان ضمن اعماله الخالدة .

الميلاد والرحلة

ويروى نزار ذكرياته عن فترة التاثير والميلاد ، فنعرف أن والده الحاج سليم كان قارئا للقرآن وحافظا للمقام ومحبا للغناء ، وانه كان العضو الثالث فى لجنة اختيار المقرئين والمطربين والمغنين عند تاسيس محطة اذاعة بغداد .. أما اخوه الكبير رشاد فقد كان يقتنى كمنجة وعودا الى جانب ادواته الزيتية ورسومه المائية وعشقه للمسرح والتمثيل ..وعندما يتحدث عن اخيه سعاد نكتشف انه كان من اوائل رسامى الكاريكاتير إلى جانب انه كان ممثلا ورياضيا ، وكذلك فان اخته نزيهة رسامة معروفة ، واخاه جواد سليم يعتبر من اعلام النحت والرسم فى عالمنا العربى ..

وهكذا ندرك أن نشاة نزار وسط بيت يتوفر فيه كل هوايات الفن والثقافة ، جعله يقرأ فى نهم كل ما يقع بين يديه من كتب قيمة ، وكانت النتيجة مبكرة عندما بدا يكتب متاثرا بقراءاته العديدة ، فاصدر مجموعته القصصية الأولى بعنوان « اشياء تافهة » وتبعها بمجموعات قصصية اخرى وعدة مسرحيات مؤلفة ومترجمة ومجموعة من القصائد الشعرية .

واثناء ذلك كانت هواية الرسم تسرى فى وجدانه إلى جوار التاليف ، وبعد ان تخرج من كلية الحقوق ودخل معهد الفنون الجميلة لثلاث سنوات ، اقام معرضه الشخصى الاول فى « بون » بالمانيا ، ليتبعه بعدة معارض اخرى فى بغداد والخرطوم واستوكهلم ، وليعين فى عام ١٩٧٣ كاول مدير عام للفنون الجميلة ، ولتكرمه وزارة الثقافة والاعلام وتقيم له معرضا شاملا لاعماله فى عام ١٩٧٩ ، القى خلالها عدة قصائد من اشعاره ، بالاشتراك مع صديقه الشاعر المعروف بلند الحيدرى ..



الحنين

الشعور بالتمرد

وقد حاول الكثير من النقاد أن يتساءلوا عن الطريقة التى يمكن بها تقييم أعمال الفنان نزار سليم : هل هو رسام أم نحات أم فنان كاريكاتير أم أديب موهوب ؟ ..

ورد على هؤلاء فى مذكراته بقوله : « ان عوالم نفسى متعددة الجوانب ، يراها البعض غير مستقرة على حال ، متضاربة ، وأراها متكاملة منسجمة تعمق فى أبعاد التجربة وتلونها فلا تبقيها على رتابة أو ضيق فانا أرسم واكتب واقرأ واستمع للموسيقى ، وأجمع بين هذا وذاك ، ولا أفرط فى أى جانب من الجوانب » ..

والواقع أن ذلك يجرنا ـ نحن ـ إلى سؤال: لماذا مارس الكتابة إلى جوار الرسم ؟ ..

وقد رد على ذلك السؤال فى أوراقه التى تركها شاهدة على موهبته الأصيلة عندما قال انه استطاع ان يقنع نفسه بالكتابة إلى جوار الرسم ، نتيجة لشعوره بالتمرد على بديهية ممارسة الرسم ، ونتيجة لأن فى أفراد عائلته من يتفوق عليه فى مجال الرسم ، ولذلك بحث عن وسائل تعبير أخرى يضيفها إلى موهبته حتى يتجاوز بها تفوقهم عليه ، وحتى يكون معهم على نفس القدر من القدرة على العطاء !

غير أن حبه لفن الكتابة ، لم يمنعه من أن يترك خلفه أكثر من ألفى لوحة فى النحت والرسم الزيتى والمائى والتخطيطات والفخار ورسوم الكاريكاتير ، وهذا بخلاف لوحاته الأخرى التى كان يهديها إلى أصدقائه فى كل انحاء الدنيا !

عقل وقلب الفنان

ان مجرد نظرة على الدور الذى قام به الفنان نزار سليم بالنسبة للفن التشكيلى ، تجعلنا ندرك مدى أهمية معرفتنا بجهوده الملموسة من أجـــل تطوير الحركة الفنية فى بلاده .. فمن ضمن الأعمال التى قام بها عندما كان مديراً عاماً للفنون ومستشاراً للفنـــون التشكيلية فى العراق ، أن كون نقابة الفنانين وكون هيئة ادارية لجمعيـــة الفنـــانين التشكيليين ، وعقد أول مؤتمر للاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب ، واقام المعارض الفنية المتميزة ، وذلك الى جوار قيامه بدور رئيسى فى تكوين لجان ومؤسسات فنية مثل اللجنة الموسيقية والمعهد النغمى ، وتطويره لدار الأزياء التى تهتم ببعث تراث الأزياء ، وهذا بخلاف مساهماته فى تطوير الحـــركة الثقافية والفنية وربطها بقضايا الانسان فى كل مكان ..

وفى أواخر أيامه ، أحس بآلام مبرحة فى ظهره وقدميه ، جعلته يمكث فى فراش المرض ويطلب تفرغه للعمل كفنان ـ فقط ـ حيث ان حالته الصحية لا تساعده على الجمع بين العمل الادارى والعمل الفنى !

وتفرغ ـ فعلا ـ للعمل الفنى منذ عـــام ١٩٧٦ ، وطوال فترة مرضه لم يهدأ ، فقد كان شعله من الانتاج الفنى ، إلى ان فاجأته نوبة قلبية حادة فى يوم ١٣ مايو عام ١٩٨٢ ، ودع بعدها الحياة ليدفن إلى جوار أخيه الفنان الراحل جواد سليم .. وليعطيه النقاد فى مماته أكثر مما أعطوه فى حياته ، ولعل أجمل الكلمات التى قيلت فيه يوم وفاته ، ما قاله أحد أصدقائه :

ـ شلال من ضوء الحب الهادر يتساقط فى الذاكرة وهى تستنبت معها بذور الـــوداع اللانهائى .. وما تركه لنا من آثار فنية وأدبية وترجمة ، ستكشف لنا أى نوع من الحب كان « نزار » وأى انسان مبدع يحمل عقل مفكر ساخر وقلب طفل يلهو على مدارج الحياة ، ولهذا فان فن نزار سليم سيظل حياً فى ذاكرة الفن المعاصر ..

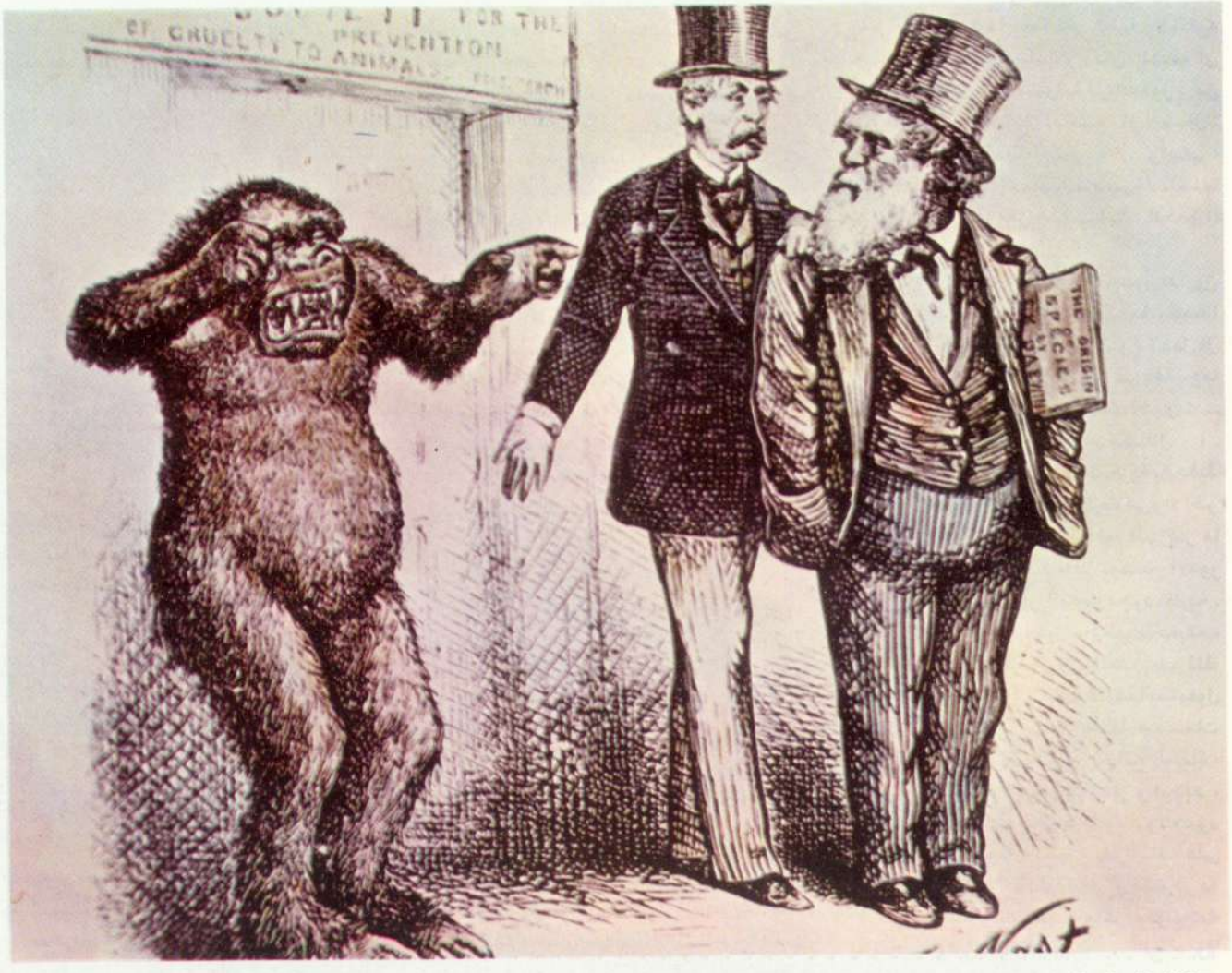
بقلم: الدكتور عبد المحسن صالح



فى هذا الرسم الكاريكاتيري الساخر ايضا ، يتصور الرسام ان بعض الحيوانات قد عقدت اجتماعا ، وظهر على المنصة احد الحيوانات المنقرضة ، ليلقي محاضرة ويقول : لعلكم تدركون ان الجمجمة التى ترونها امامكم هي لمخلوق من رتبة ادنى من الحيوانات (يقصد طبعا الانسان) . فالاسنان ضعيفة ، والفكان ضامران ، والمسالة برمتها تدعو الى العجب ، إذ كيف كان هذا المخلوق البدائي يلتهم طعامه ؟!

مات رجل.. وعاشت نظرية!

فى الركن الشمالى الشرقى من كاتدرائية وستمنستر الشهيرة بلندن ، وبجوار قبر العالم الشهير اسحق نيوتن ، الذى طور مفاهيمنا عن قوى الجاذبية ، وصاغ معادلات حركة الأجرام السماوية ، يوجد قبر عالم شهير آخر يدعى تشارلز داروين الذى دفن فيه بتاريخ ٢٦ ابريل عام ١٨٨٢ .. وداروين غنى عن التعريف ، فهو صاحب أخطر نظرية طرحها فى القرن الماضى ، فأقام الدنيا ، لكنها لم تقعد حتى يومنا هذا .



صورة كاريكاتيرية ساخرة نشرتها إحدى الصحف عندما نشر داروين كتابه عن اصل الانواع ، وفيها يتهكم الرسام على داروين (الذى يقف إلى اليمين) ، والغوريلا هنا تحتج غاضبة ، لأن داروين قد سبها عندما اشار إلى ان الانسان ينتسب إليها ، وهي ترى ان ذلك يحط من شانها .. منتهى السخرية والتهكم .

والشيء الغريب ان الرجل قد دفن فى رحاب كنيسة عريقة ، وفى هذا تناقض ، لانه فى عرف الكثيرين عدو للدين ، ولقد هوجم لول ما هوجم من رجال الدين ، وتلقى الاهانات واللعنات أثناء حياته ، وبعد مماته ، حيث اتهمه قومه بالكفر والالحاد ، لانه قد جاء بافكار غريبة تخالف ما وقر فى عقول الناس ، ويرغم هذا ، فقد كرم ودفن حيث يرقد الآن مع العظماء والنبلاء ، فهل يستحق ذلك حقا ؟ .. دعنا نرى .

ورغم مرور مائة عام على موت داروين ، الا ان نظريته لازالت حية ، بل انها تزيد حيوية واشراقاً ـ لا فى عقول الناس ، بل فى عقول العلماء الذين يفكرون بطريقة منظمة ، مستمدين زادهم الفكرى من قوانين الكون ، وشرائع الحياة ، اذ كلما مرت السنوات ، وتطورت البحوث ، وزادت حصيلة العلماء من الاسرار الكثيرة التى تنطوى فى خلق الكائنات ، كلما اصبحوا من حقيقة التطور قاب قوسين أو أدنى .

والواقع أن أية نظرية علمية ، لم تحظ بجدل واسع ، ونقاش مستمر ، مثلما حظيت به نظرية التطور ، واصل الأنواع ، وظهور الانسان على هذا الكوكب ، وعلاقته بما ظهر قبله من ملايين الأنواع ـ الباقية منها والمنقرضة .. وطبيعى أن الجدل المستمر فى اية مسالة علمية ، هو ظاهرة صحية ، خاصة اذا قام بهذا الجدل علماء متخصصون ، وليس ذلك مرده الى رداءة أو قصور فى النظرية ، لأن الردىء ـ على أية حـــال ـ لا يستحق جدلا أو مناقشة يضيع العلماء فيها وقتهم ، ويستهلكون طاقتهم ، فالردىء هو الذى يسقط نفسه بنفسه ، بل يرجع استمرار الجدل حتى اليوم ، أو فيما قد يتلوه من اجيال الى اختلاف فى وجهات النظر على النظرية التى وضع داروين بذرتها ، أو النظريات الأخرى التى جاءت بعدها .

تصحيح واجب

والواقع أن مناقشة أية مسالة مناقشـــة هادفة ، يستوجب تفقها أو علما بالأصول التى تاسست عليها ، وقامت بها ، فاذا كانت المسالة طبية ، فالأولى الرجوع فيها الى فقهاء الطب ، واذا كانت قانونية ، فأولى بها رجال القانون ، وكذلك الحال مع المسائل الفلسفية ، أو العلمية أو الدينية أو الكونية

مات رجل.. وعاشت نظرية!

.. الخ ، فهذا من شانه أن يضع الامور فى نصابها ، ويحدد مساراتها ، ويوجهها الوجهة المفيدة ، لكن يبدو أن البعض قد ألم بكل علوم دينه ودنياه ، وبحيث تجد عنده الجواب جاهزاً لأية قضية ، فيحسمها حسم الخبير المتمكن !

أذكر ـ عندما كنت فى مهمة علمية بانجلترا ـ أن أحد العلماء الانجليز قد طرح على سؤالا فى بحث متخصص نشترك فيه سوياً ، وقدحت ذهنى علنى أصل الى جواب مقنع ، وبعد فترة صمت ، كان جـــوابى : لا أعرف ، ولما سالته بدورى ، قال : وأنا أيضاً لا أعرف ، فقد كنت أعتقد أنك تعرف !

ليس عيباً ـ اذن ـ أن يعترف الانسان بانه لا يعرف .. « فمن قال لا أعرف ، فقد أفتى » حتى ولو كان ما لا يعرفه ضمن فرع تخصصه ذلك أن الانسان لا يمكن أن يصل الى نهاية المعرفة .

نقول قولنا هذا ، بعد أن كثر اللغط ، وانتشرت عندنا التصريحات فى المجلات والصحافة ، وتعددت الأحاديث فى الاذاعة تارة ، وفى التليفزيون تارة أخرى ، عن نظرية التطور ، والغريب ان جميع من ناقشوا النظرية وفندوها وهدموها لم يكونوا رجال علم ، عدا واحداً تحدث فى الاذاعة تحدث العالم الواثق ، والواقع انني لم اسمعه ، بل عرفت ذلك عن طريق تعليق طويل كتبه فى واحدة من أكبر الصحف المصرية اليوميـــة « أديب » يتسم تعليقه بالسطحية ، وفيه رد الأديب على العالم رد الذى يحشر نفسه فيما يجهل ، وطبيعى ان رده لم يتناول مسالة واحدة موضوعية ، وهو لا يستطيع ، ومن اجل هذا فقد ظل طوال التعليق يسخر ويســب ويتهكم ويتهم بالكفر ويستخدم الفاظا جارحة ويبدو أن هذا كان كل بضاعته ، وهى بضاعة العاجز ، والغريب أيضاً انه كان يتكلم باسم الدين ، ويدافع عنه ، وهو نفسه يسىء الى الدين دون ان يدرى ، أو يدرى .. لسنا ندرى ، لكن الذى ندريه أن الدين ليس غوغائية ، وليس كذلك وسيلة أرهاب فكرى ، بل يدعو الى الكلمة الطيبة ، والموعظة الحســنة ، والجدل المفيد ، وليس عند صاحبنا ـ فى هذه المسالة ـ ما يفيد ، لكن هذه افة التخلف ، وافة الكراهية للعلم .

ولقد أفرد التليفزيون المصرى حلقات لشيخ من أئمة الاسلام ، وهو لم يحدث الناس فيها عن الاسلام ، بل عن نظرية التطور ، ومدى مسايرتها للدين ، ولقد هدم بدوره النظرية دون الاستناد الى دليل علمى راسخ ، بل كان الهدم عن الهدم عن طريق كلام منمق يجد هوى فى نفوس الناس ، ويريحهم من عناء التدبر والتفكير .

وفى واحدة من المجلات المصرية الأسبوعية الواسعة الانتشار ، ناقش شيخ جليل له فى قلوب الناس مكانة كبيرة سؤالا طرحه عليه أحد الصحفيين لكى يدلى بدلوه فى نظرية التطور ، وطبيعى ان السائل والمسئول هنا كلاهما فى الهم سواء ، فلا السائل قد عرف الى من يتوجه بسؤاله ، ولا المسئول قد أشار عليه ان يطرح سؤاله العلمى على فقهاء العلم ، اذ « لا يفتى ومالك فى المدينة » !

وعلى مثل هذه الوتيرة تسير الامور ، وهو كثير ، وكل يدلى بدلوه فيما يعرف ، وفيما لا يعرف !

بين العلم والدين

ولقد كان من الممكن ان تمر هذه الآراء مرور الكرام ، وأن يكتفى الجميع بالقول بأن نظرية التطور مخالفة لتعاليم الدين ، أو هى تناقض ما جاء فى بعض آيات القرآن الكريم التى تحدثت عن خلق الكائنات عامة ، والانسان خاصة ، هذا رغم ان القرآن الكريم يحثنـا صراحة على البحث فى أصول الخلق ، وفى ذلك تأتى اشارة واضحة . « قل سيروا فى الأرض ، فانظروا كيف بدأ الخلق » .. اللهم الا اذا كانت الآية تعنى شيئاً غير ذلك ، « وفوق كل ذى علم عليم » .. أضف الى ذلك ان القرآن الكريم قد أشار الى اطوار خلق الانسان تلميحاً لا تصريحاً ، ومكتفياً بالايجاز دون الاسهاب ، حتى لا يحمل الناس أعباء فكرية قد تكون فوق طاقتهم ، وبالنسبة للزمن الذى نزل فيه القرآن ، وسوف نعود الى ذلك لتوضيحه ، ان لم يكن فى هذه الدراسة ، ففى دراسات أخرى قادمة نوضح لنا كيف يفكر العلماء ، وكيف يفكر الناس .

والواقع أن داروين قد بدأ حياته العلمية بالنظر فى الخلق ، فسار باحثاً فى الأرض ومنقباً عن أصوله ، وجمع فى هذا ثروة علمية هائلة ، وعلى اساسها وضع نظريته الشهيرة التى حاول بها أن يشرح أصول الخلق وتسلسله أو تطوره من بساطة الى تعقيد .

ولسنا هنا بصدد تفنيد آراء الذين تحدثوا عن التطور أو نظرياته بغير علم ، ثم هدموها فى بعض فقرات جاؤا بها على غير علم أيضاً رغم أن ما قيل فيها ، وما كتب عنها ، لا تكفيه مجلدات من فوق مجلدات ، لكن الهدف ان نوضح أموراً لازالت مشوشة فى العقول .. من ذلك مثلا ان أحدهم قال لسائله ، او لا نسال : هل هى حقيقة علمية أم نظرية ؟ .. واجاب : انها نظرية ، ولكن غير الفاهمين استقبلها على أنها حقيقة ، ومن هنـــا نشا الخطا !! (هكذا) .

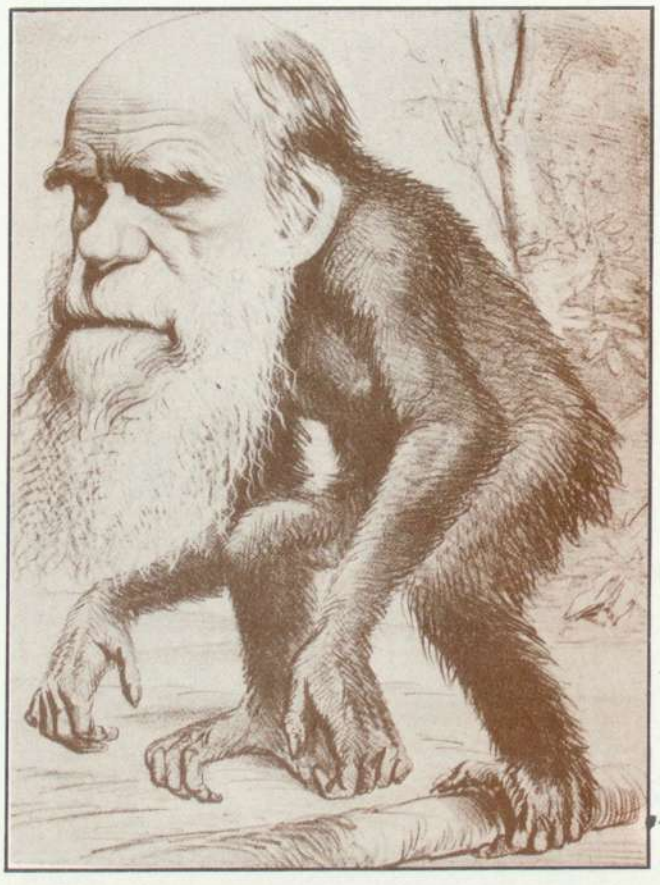
ثم يردف قائلا : « وإذا كان التابعون لدارون لولا ، هم الذين فندوا نظريته ثانياً ، فلماذا نتعب نحن انفسنا فى هذا الموضوع تعباً أقل ما يوصف به اننا نجعل دارون فى كفة ، وما قاله الله الذى آمنا به فى كفة أخرى ؟ .. وحسبنا من هذا البحث ذلك الضلال » ! والخلط هنا واضح فى علاقة النظرية بالحقيقة فكأنما الحقيقة فى واد والنظرية فى واد آخر ، والرجل معذور بلا جدال ، فهو على قدر ما عرف ، فقد أفتى ، ولابد هنا من توضيح الامور فى نصابها ، فالقول بأن التطور مجرد نظرية ، وليس حقيقة علمية ، قول مجانب للحقيقة ، فالتطور ذاته حقيقة ، ولا يختلف على ذلك اثنان من العلماء ، ولا شان لنا هنا بما يقول الناس ، لأن التطور سمة أصيلة من سمات الكون ، وشريعة واضحة من شرائع الحياة ، فهو يعنى أساساً التنوع والتغير والتجدد ، وعكس ذلك ركود ، والركود جمود ، والجمود سىء غاية السوء ، سواء كان ذلك على مستوى الأفكار أو المخلوقات ، أو ما تزخر به الأرض والسماوات من ظواهر بيولوجية وطبيعية وفيزيائية وكونية ... الخ ، ولا يعرف ذلك حق المعرفة الا العلماء ، لانهم يعايشون هذه الظواهر ليل نهار ، ويستقون أصول علومهم من النظم المتقنة التى وضعها الله فى خلقه ، ثم تراهم يتتبعون مسارات هذه الأصول ، علهم يضعون ايديهم على فكرة الخلق ظاهراً وباطناً ، وليس فى ذلك حيود أو خروج عما اشارت اليه الآية « قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق » .

بين الحقيقة والنظرية

ولكى تكون مناقشتنا لهذا الموضوع الحساس موضوعية ، وقائمة على أسس علمية ، فلا أقل أولا من توضيح نضع به النقط فوق الحروف ، ونبين الغث من السمين .

فما هى النظرية العلمية أولا ؟

هى التى ـ على حسب تعريف دائرة المعارف العلمية ـ تتضمن محاولات لشرح أو تفسير مجموعة من الظواهر الطبيعية ، وهى ليست مفصولة عن المنهج التجريبى ، لأن ادراكنا باسرار الطبيعة يتطلب ربط النظرية



لم يتعرض عالم من العلماء لمثل ما تعرض له داروين من تهكم وسخرية وتجريح ، وها هو « داروين والقرد » كما تهكم عليه احد الرسامين ، ولقد نشرت الصورة فى احدى الصحف البريطانية عام ١٨٧١ م .

بالتجربة العلمية ، ولهذا هدفان محددان ، اولهما : الكشف عن القوانين الأساسية الطبيعية ، وثانيهما : استخلاص الاستنتاجات من هذه القوانين .

وهناك ـ بطبيعة الحال ـ نظريات علمية كثيرة ، وهى لا تنشأ من فراغ ، بل تعتمد أساساً على التأمل والدراسة والبحث الجاد ، لتجميع أكبر قدر من الحقائق البيولوجية أو الفيزيائية أو الطبيعية .. الخ ، والحقائق موجودة ، ولا خلاف عليها ، وهى تتجلى امامنا جميعاً بظواهر شتى ، لكن احداً من الناس لا يكلف نفسه مشقة البحث فى اسرارها ، ومحاولة الربط بينها ، واستخلاص نسيج فكرى خاص يكشف به عن جوهرها ، والنسيج هو ـ فى نهاية الأمر ـ النظرية العلمية ، وهى التى نشأت أساساً من انماط التفكير العلمى الجاد فى حقائق الكون ، وهذا من اختصاص العلماء ، لأنهم ادرى بمضمونها . وهم الذين قاموا بصياغتها ، مستندين فى ذلك على حقائق مدروسة مقدماً ، ومن اراد أن يدلى بدلوه فى مناقشة اية نظرية ، فعلية أن يكون فقيهاً باساسياتها ، وملماً بكل عناصرها ، فيحدد لرجله قبل الخطو موضعها ، قبل ان ينزلق الى هاوية من الأخطاء التى لا تجوز الا على أصحاب العقول الساذجة .

خذ على سبيل المثال « نظرية الكم » لماكس بلانك ، وهى ـ ببساطة شديدة ـ نظرية تبحث فى طبيعة المادة والموجات الكهرومغناطيسية ، والتفاعل بين هذه وتلك .. وكل هذا موجود فى الطبيعة ، ولا جدال فيه لكن كيف ندرك جوهرها ، ونتعرف على طبيعتها ، ونحاول ترويضها تجريبياً وتطبيقياً ؟ ... ذلك ما فعله بلانك على أساس من تحليل رياضى ، تمخض عن نظرية ، اصبحت بمثابة « حجر رشيد » هذه الظاهرة الفيزيائية ، لأنها فسرتها ، وارشدتنا الى كثير من الحقائق الخافية ، ثم اثبتت اصالتها فى كل ما تعرضت له من اختبارات قاسية .

ونظرية النسبية أيضاً . كانت تحليلا رياضياً لالبرت اينشتاين للعلاقة بين المادة والطاقة والزمن والحركة ، وهى ايضاً محاولة جادة لتفسير الكون ، وتنبأت بامكان تحرير الطاقة من المادة ، وصحت النبوءة فى القنابل الذرية وغير ذلك من ظواهر قد يتشعب فيها الحديث ويطول .

ونظرية الحركة والمدارات فى الاجرام السماوية ، وعلاقتها بالجاذبية ، قد اتاح للعلماء ان يحسبوا كل شىء بدقة تامة ، وأن يتنبأوا مقدماً ، ولسنوات طويلة قادمة بالكسوف والخسوف فى الزمان والمكان بدقة تامة ، على هداها ايضا أمكن غزو الفضاء ، واطلاق الأقمار الصناعية ، ووضعها فى مدارات ثابتة ، لتنقل البرامج التليفزيونية ، وتيسر الاتصالات بين القارات ، ويتحدث عن طريقها المهاجمون للنظريات .

كل هذا وغيره يوضح لنا معنى النظرية العلمية ، وقيمتها فى ربط الحقائق الكونية ، وتفسير الظواهر والأسرار التى ينطوى عليها الخلق ، ثم تظهر اصالتها ايضاً فى تنبؤات قد تتحقق مستقبلا أو تطبيقات نافعة يثاب الناس بهـا .

ثم ان نظرية التطور ليست الا واحدة من النظريات العلمية التى تناولت فكرة خلق الكائنات ، لكن لسوء الحظ انها الوحيدة التى تعرضت لهجوم قاس ، خاصة على مستوى الناس ، لاعتقادهم انها لا تتمشى مع ما نادت به الأديان ، وليس العيب فى النظرية بقدر ما هو عيب فى انماط التفكير السطحى ، فلقد اخذوا من النظرية ظاهرها دون ان يتعمقوا فى باطنها ، لأن الباطن قد تاسس على حقائق موجودة فى الخلق ذاته ، والخلق حق ، وفكرته حق ، وكل ما بنى على حق ، فهو حق ، « ولكن اكثر الناس لا يعلمون » .

ما أشبه اليوم بالأمس البعيد

ويبدو ان الناس قد جبلوا على القفز الى الاستنتاجات قفزاً ، فهم يخطئون عندما ينسبون الى داروين قوله بأن أصل الانسان قرد وتطور ، رغم ان داروين لم يذكر ذلك حقاً ، لعلمه بالفجوة الواسعة التى تفصل بين القرد والانسان ، ثم قد يطرح الناس أسئلة ساذجة ، فيقولون : لماذا لم نلحظ قرداً يصيبه هذا الدور من الارتقاء ، حتى يصير الى انسان ؟ .. ثم يعقبون : ان داروين واتباعه يقولون انها ارتقت فى حلقات ، فاذا كان كذلك ، فلماذا لانرى حلقة من حلقات الحيوان ، ولا حلقة من حلقات النبات ، ترتقى امام اعيننا الى النوع الآخر ؟!

والذين يطرحون مثل هذه الأسئلة معذورون ، لأنهم لا يدركون ان عملية التطور محكومة بعوامل كثيرة ، ومنها عامل الزمن ، فلكى ينشق نوع اعلى من نوع ادنى ، فان ذلك لايحدث بين يوم وليلة ، ولا فى آلاف السنين ، بل يقاس ذلك بمئات الألوف أو ملايين أو حتى عشرات الملايين من السنين ، لكن ذلك موضوع طويل ، وسوف نعود اليه فى دراسة مستقلة ، لنوضح ما قدمنا فأوجزنا .

على ان مثل هذه الأسئلة أو الظنون الخاطئة عن النظرية ، ليست وليدة هذا العصر ، بل ترجع جذورها الى عام ١٨٥٩ عندما نشر داروين كتابه الأول عن « أصل الأنواع » ، وطبع منه ١٢٥٠ نسخة نفدت

مات رجل.. وعاشت نظرية!



صورة خطية لتشارلز داروين عندما بلغ من العمر ٣١ عاما ، وفي هذه السن المبكرة ، كان قد توصل إلى وضع الخطوط العريضة لنظرية التطور في عام ١٨٤٠ ولم ينشرها إلا في عام ١٨٥٩ .

جميعها في نفس اليوم الذي صدرت فيه ، فاحدثت ثورة فكرية وعقائدية عارمة ، ثم زادت الصحف ورسامو « الكاريكاتير » . الطين بلة ، فانتشرت التعليقات الساخرة ، وراجت التهكمات اللاذعة ، لدرجة أن مجلة علمية نقدية ربع سنوية لها وزنها ، قد ادانت الكتاب ومؤلفه ، وقالت بالحرف الواحد « انه يحتوى على حقائق سخيفة ومنافية للعقل ، ومدعمة بتلفيقات عفنة من التخمين والظنون » .. وجاءت صحيفة اخرى لتقول : ان النظرية تناقض العلاقة الراسخة في العقول بين الخلق والخالق ، وفهم كثير من الناس ان الانسان ليس خلقا قائما بذاته ، بل ـ على حسب النظرية ـ من سلالة قرود ، رغم ان داروين لم يتعرض لذلك حقا في كتابه ، ولم يذكره ، بل اشار فقط في نهاية كتابه بجملة واحدة الى أنه سيعود فيما بعد ، ليتناول أصل الانسان بالنسبة للأنواع الأخرى ، لانه لا يستطيع أن يكتم الحقيقة عن العقول الذكية الواعية .

وبعد حوالى عام من نشر الكتاب ، لم تجد الجمعية البريطانية لتقدم العلوم مخرجاً من هذا المأزق ، الا بعقد اجتماع باكسفورد في يونيو عام ١٨٦٠ ، خاصة وان هناك ثلاثة بحوث مقدمة للجمعية لتفنيد آراء داروين ، ووأدها وهي لازالت في مهدها ، وعندما سمع صمويل ويلبرفورس اسقف كنيسة اكسفورد بالنبأ ، حزم أمره لحضور هذا المؤتمر ليكيل لداروين الصاع صاعين ، ويجعله أضحوكة ، الا أن داروين استجاب لنصيحة بعض اصدقائه بعدم حضور الاجتماع ، وحضر عنه صديقه العالم البيولوجي توماس هكسلى الذي كان يتحيز للنظرية ، ويعرف فحواها معرفة الخبير الحاذق .

وامتلأت القاعة عن آخرها ، حتى انه لم يكن هناك موضع لقدم ، ونقدم الأسقف ، وانطلق هادرا ومهاجما للنظرية وصاحبها ، وعندما لم يجد داروين اتجه ببصره الى هكسلى ، وحملق فيه ببرود شديد ، ووجه اليه سؤالا متهكما ولاذعا : هل يدعى هكسلى نسبه لقرد عن طريق جده لأبيه أو جدته لأمه ؟

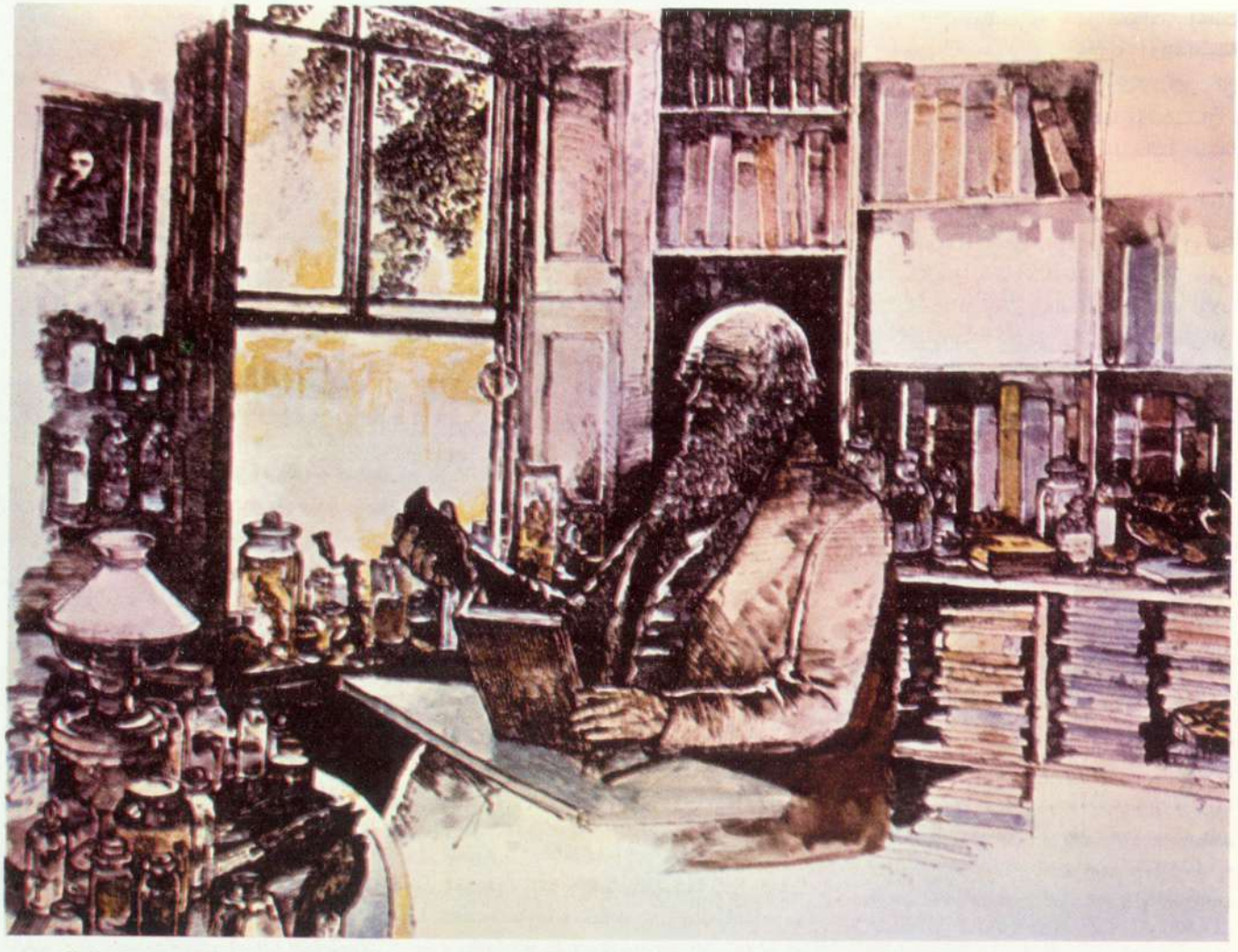
وكظم الرجل غضبه ، وهمس الى صديق له بجواره « لقد اوقعه الله بين يدى » ..

وعندما انتهى الأسقف ، انطلق هكسلى كالنمر المتوحش نحو المنصة ، واخذ يدافع بحرارة عن أصول النظرية ، وفي قمة انفعاله جالت عيناه بين جمهور الحاضرين ، وقال : انه لا يشعر بالعار حقا لانتسابه لسلالة القرود ، ولكن العار كل العار ان يقحم رجل مرموق نفسه في مسائل علمية لا يفقه في أصولها شيئا ، ولقد شعر معظم الحاضرين بمرارة هذه الاهانة الذكية ، اذ فهمها البعض ان هكسلى كان يقصد انه لا يجد عارا في نسبه لقرد ، لكن العار ان ينتسب لمثل هذا الرجل .

وعند هذا الحد ، حدث هرج ومرج ، ووقف قائد السفينة التي حملت داروين في رحلته الشهيرة وهو يلوح بعصبية شديدة بالانجيل ويصرخ « لم اكن ادرى اننى احمل في سفينتى مثل هذه الأفعى الخبيثة (يقصد داروين) .. ان هذا هو الحق (يقصد الانجيل) » !

وانفض الجمع ونظرات الحقد والكراهية تكاد تلتهم العلماء القلائل الذين حضروا هذا الاجتماع الصاخب الذي صاحبته حالات من التشنج والاغماء والتهديد والوعيد ، وخرجت الصحف لتشير الى امكان حدوث مواجهة جديدة بين العلم والكنيسة ، اذ لم تكن هذه المواجهة هي الأولى من نوعها ، بل سبقتها مواجهات اخرى كثيرة ، كان أهمها سجن جاليليو ومحاكمته ، ثم اصرار الكنيسة على ان يتخلى جاليليو عن فكرة ان الأرض تدور حول الشمس ، حتى يمكن اطلاق سراحه فاعلن ذلك كراهية ، وعندما خرج ، أخذ يتمتم بينه وبين نفسه : ومع ذلك فلازالت الأرض حول الشمس تدور !

ومع ان كثيراً من المسائل العلمية التي اصطدمت بالعقائد المتوارثة قد انتصرت في النهاية ، وسارت في طريقها لا تلوى على شيء .. مع ذلك فلازالت نظرية التطور تجد حتى اليوم معارضين ، وخاصة من رجال الدين ، لأن فكرة خلق الانسان تتعارض ظاهرياً مع



لقد اتخذ داروين من بيته معملا ومكتبا ومكتبة ، وقضى فيه ٤٠ عاما ، وهو يدرس ويطلع ويقارن ويشرح ويجرب .. الخ ، عله يتوصل إلى صياغة نظرية معقولة للتطور ، وهي لازالت بدورها تتطور إلى الأحسن على يدي علماء القرن العشرين .

الأديان ، ونقول ظاهرياً ، لأن الناس يتعاملون مع الظاهر ، ولو اطلعوا على الباطن ، لعرفوا ان الخلق جميعاً قد توحد فى فكرة واحدة ، وهى بلاشك تشير الى وحدة الخلق ، ووحدانية الخالق ، وهذا ما سوف نقدمه فى دراسات قادمة ، لتتضح الأمور لكل ذى عقل رزين ، وهو ما كشفت عنه البحوث العلمية الجادة التى لم تتوقف بعد موت داروين ، والى الآن ، وبعد الآن ، لأن حلقات القصة لم تكتمل بعد ، رغم ان كل الدلائل تشير الى ان التطور حقيقة موروثة فى طبيعة الحيـــاة ذاتها .

الرجـــل والنظرية

والسؤال الذى قد يلح الآن على الأذهان هو : لماذا خرج داروين على الناس بنظريته الغريبة التى تخالف كل ما وقر فى عقولهم ؟ .. ومن اين جاء بها ؟ .. وكيف توصل اليها ؟

الواقع انه لم يأت بها من فراغ ، بل ان الحقائق التى ينطوى عليها الخلق هى التى رسمت له الطريق ، وهو طريق شاق وطويل بدأ فيه رحلته المضنية وعمره لم يتجاوز ٢٣ عاماً ، ثم لم يكل ولم يهدأ الا بعد موته عن ٧٣ عاماً .. اى انه قضى ٥٠ عاماً طوالا فى بحوث ودراسات جبارة عزل فيها نفسه عن العالم فى محراب العلم ، وظل يتامل ويجرب ويقارن ويصنف ويجمع حصيلة علمية تنوء بها عقول الرجال ، وكان يعلم خطـــــورة الاستنتاجات التى توصل اليها ، ويدرك مدى ما يمكن ان تجره من محن ومكاره هو فى غنى عنها ، لكنه كان كمن يحدث نفسه : هذه هى الحقيقة امامى واضحة ، فكيف اجبن واخفيها ؟

ولا أحد يعرف قيمة الرجال ، الا اذا عرف كيف انجزوا ما انجزوا ، ولهذا يطلق العلماء على داروين انه « اسحق نيوتن » علم الحياة .. فهذا طور نظرتنا الى علم الفلك ، وذاك طورها فى البيولوجيا ، بدليل أن داروين لايزال حياً بأفكاره بين العلماء خاصة ، والنـــاس عامة ، وان اختلفت نظرة هؤلاء وهؤلاء الى ما جاء به الرجل ، ولهذا لا يقيم العلماء الا العلماء .

وجدير بنا ان نلقى بصيصاً من الضوء على حياة داروين ، لنعرف كيف لعبت الصدف لعبتها فى تغيير مجرى حياته ، فلقد نشأ فى عائلة معظمها من الأطباء ، فوالده طبيب ، وكذلك جده لأبيه ، وعمه طبيب ، وهو بدوره قد ذهب ليدرس الطب فى جامعة ادنبره ، وعندما حضر اجراء عملية جراحية لصبى صغير بدون تخدير (اذ لم يكن التخدير قد عرف بصورته التى نعرفها اليوم) وسمع صراخه وشاهد آلامه ، اصابه الغثيان وهرب من حجرة العمليات ، فهجر الطب الى غير رجعة ، وذهب ليدرس اللاهوت فى جامعة كامبردج الشهيرة ، ليصبح قسيساً ،

مات رجل.. وعاشت نظرية!

اذ انه كان « لايشك لحظة واحدة فى حقيقة كل كلمة من كلمات الانجيل » ـ على حد تعبيره ، لكن المنهج اللاهوتى لم يلق فى نفسه هوى ، واصابه بالضجر ، فهجره ، وهام على وجهه فى رحاب الجامعة دون هدف واضح ، وشغل وقته بالصيد ولعب الورق والتعرف على زملائه واساتذته ، واعجب بالعالم النباتى الموقر البروفيسور جون هنسلو ، وبالعالم الجيولوجى البروفيسور آدم سيدويك ، وبدا يميل اليهما ، اذ وجد فيهما وفى العلوم الطبيعية ضالته المنشودة ، ومن ثم فقد تتلمذ عليهما ، ووجدا فيه بدورهما حماسا هائلا ، وطاقة جبارة للاطلاع والتحصيل والفكر المنظم ، خاصة وان داروين فى صباه كان يميل الى جمع الصخور والحشرات والاصداف والطيور ، ونمت هذه الهواية وترعرعت ، وصقلها بالمنهج العلمى الذى تلقاه ، وأخيرا حصل على درجته الجامعية .

ولم يتوقف طموح الشاب عند هذا الحد ، بل سيطرت عليه رغبة شديدة لجمع اكبر عدد ممكن من الملاحظات والحقائق عن الكائنات الحية التى تعيش فى بيئات مختلفة ، وكان لقراءاته النهمة فى العلوم الطبيعية أكبر الأثر فى تشكيل انماط فكره نحو هدف محدد ، ولقد جاءته فرصة العمر عندما سمع عن قيام سفينة الأبحاث «بيجل» برحلة علمية الى امريكا الجنوبية وما حولها من جزر ، وأبدى رغبته لبعض اساتذته فى الجامعة ليستقل هذه السفينة ، فزكوه بجدارة ، ولكن بدون اجر يمكن ان يحصل عليه من الجامعة ، ووافق على ذلك ، وفى عام ١٨٣١ ابحرت السفينة فى رحلة قطعت فيها ٦٥ الف كيلومتر ، واستغرقت خمس سنوات ، وكانت هذه الرحلة « أهم حدث فى حياتى ، لأنها قررت مصيرى » ـ على حد تعبيره .

وطوال السنوات الخمس استغل وقته اكفأ استغلال فى القراءة وجمع العينات ، وتدوين الملاحظات ، وتسجيل كل كبيرة وصغيرة عن البيئة والمناخ وطبيعة الأرض والصخور ، وعاد بحصيلة علمية هائلة لم يحظ بها أى عالم آخر ، ولقد كانت الحصيلة اكبر من ان يقوم بها انسان واحد ، وهو لم يدع انه يعرف كل شىء ، ومن أجل هذا فقط احتفظ بما يعرفه ليدرسه دراسة الباحث المتأمل الواثق ، ومالا يعرفه ، قام بتوزيعه على العلماء المتخصصين ، فأرسل الكائنات الحفرية مثلا الى د . ريتشارد اوين ، والطيور الى د . جون جولد ، والنباتات الى البروفيسور جون هنسلو ، والحشرات والعناكب والمحاوريات .. الخ الى آخرين ، وكل هذا بهدف المقارنة والتشريح والتصنيف واكتشاف العلاقات بين الكائنات الحية والمنقرضة ، سواء من هياكلها أو انسجتها واعضائها .. الخ ، وبالاختصار ، فان البحث فى أصل الأنواع استلزم فرقة كاملة من العلماء المتخصصين ، ليصبوا بنتائجهم وآرائهم فى منزل داروين الذى اتخذه بمثابة سكنه ومعمله ومكتبته وتجاربه ، وعاش فيه طوال عمره ، دون ان يلهيه منصب جامعى عن رسالته ، لأنه كرس كل عمره للبحوث والتجارب والتدوين المنظم فى اكداس من الورق ، نتيجة لخلق منظم ، وفكر منظم ، وليس فى هذا ما يضير ، أو يستلزم عداوة أو هجوما على الرجل من أحد .

وكان من نتيجة هذا الجهد الجبار ان ظهر كتاب أصل الأنواع ، الذى قضى داروين فى تأليفه ٢٣ عاما طوالا ، بخلاف السنوات الخمس التى أمضاها بحثا فى امريكا الجنوبية وما حولها من جزر معزولة .. وهذا ينبئنا بالقيمة الحقيقية للرجل ، ولقد كان يفخر دائما بأنه قد علم نفسه بنفسه ، ليس طمعا فى الحصول على شهادات أعلى ، أو مناصب ارقى ، بل بحثا عن الحقيقة فى أصول الخلق ، وهو هنا يشبه عملاق العرب عباس العقاد ، مع الفرق طبعا بين رسالة هذا وذاك .

عوامل شكلت حياته وافكاره

ولقد سئل داروين ـ بعد ان ذاع صيته ، وانتشرت نظريته ـ عن سر عزلته ونجاحه ، فأجاب : ان الذى حبب له العزلة ، هى السنوات الخمس التى قضاها فى السفينة أو على الجزر المعزولة ، رغم انه فى صباه وشبابه المبكر كان يحب الانطلاق والصيد ولعب الورق والشراب ، ثم ان النهم الى القراءة والاطلاع يستوجب العزلة ، ومن اجل هذا انتقل الى منزل ريفى بمقاطعة كنت مع شريكة حياته التى تزوجها بعد عودته من رحلته بثلاث سنوات ، ورزق منها بعشر من البنين والبنات ، مات منهم ثلاثة ، اكبرهم ماري التى توفيت عن عشر سنوات ، وكانت احبهم وأقربهم الى عقله ووجدانه .. وعندما سئل عن الزواج والأولاد قال « ان الأطفال أكبر سعادة فى حياة الانسان ، لكنهم مع ذلك قد يجلبون التعاسة عندما يموتون » .

ورغم وفاء زوجته ، ووقوفها بجواره (وهى ابنة خاله) ، رغم ذلك فقد أشار « من المستحسن فى رجل العلم الا يكون لديه أولاد أو حتى زوجة ، فلا شىء فى العالم يمكن ان يكون بديلا عن العلم ، لأن العلم يتطلب مجهودا وتفرغا » .. ومع كل هذا ، فان داروين ـ بلاشك ـ قد حقق الكثير ، واضاف للعلم ثروة هائلة ، وهز الأفكار هزة كبيرة لا يزال اثرها قائما حتى اليوم ، وهو يرجع ذلك لأسباب ، أولها حبه الشديد للعلم ، وثانيها صبره عليه ، وثالثها شىء من القدرة على الملاحظة والادراك والكشف ، ورابعها الفطرة السليمة للحكم على الأشياء حكما صائبا ، وأخرها معرفة قيمة الوقت فى حياة الانسان !

وأيا كانت حياة الرجل ، فلقد أصبح الآن فى ذمة التاريخ ، لكن نظريته لازالت فى ذمة العلماء ، وهم أولى بها من الأدعياء ، اذ نراهم يقولون : ان العلماء انفسهم مختلفون فيما بينهم على النظرية ، وهذا صحيح من حيث المبدأ ، وليس ذلك فى الجوهر ، فالرجل قد ناقش التطور ، والتطور لاخلاف عليه ، لكن الخلاف قد تناول بعض بنود نظرية داروين ، وفرق كبير بين هذا وذاك ، وهو فسرها بما يتلاءم مع امكاناته هو ، وامكانات عصره المتواضع نسبيا ، لكن آلاف العلماء الذين جاءوا من بعده ، قد نظروا الى الخلق نظرة أعمق وأوسع ، مستعينين على ذلك بما وضعه التقدم العلمى المذهل بين ايديهم من وسائل علمية متقنة ، وبها صقلوا نظرية التطور بنظريات أكثر تطورا ، فلا جمود فى العلم على رأى واحد ، بل يتناول اللاحقون ما قدمه السابقون بالتعديل والصقل والاضافة ، لتصبح النظريات والحقائق أكثر تألقا فى العقول ، وأكفأ سبيلا فى فهم اسرار الكون والحياة ، ومن هنا يكتسب العلم اصالته ، والأصالة تنعكس على تقدم مذهل نراه واضحا فى كل آن وحين .

وفى هذا الكفاية لقوم يدركون ويفقهون ، ولنا مع هذا الموضوع الكبير عودة ، علنا نوضح فكرة الخلق ظاهرا وباطنا ، ففيها زاد جميل للعقول الواعية ، ولا شأن لنا باللاهية .

د . عبد المحسن صالح الاسكندرية

حـكاية رجـل لاتعرفونه .. !

بقلم : أم أكـثم

● وجه عنيد كالريح

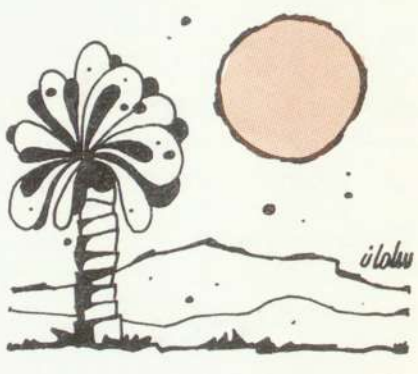
جاء شتاء .. ورحل شتاء
جاء صيف .. ورحل صيف
طرحت أشجار النخيل .. وعقمت أشجار النخيل .
زارتنا شموس .. وظللتنا أقمار .
و .. وجهك العنيد كالريح أبداً يطل علي في وحدتي .
اتذكرك .. من دون كل الوجوه .
الآن .. والبحر مرصع بالبيخوت الباذخة .
اتذكرك ..
وأهازيج البحر تنبعث من جهاز التسجيل جواري ولصداها شرخ أشبه ما يكون بانثلام جرة المـــاء اليتيمة .
اتذكرك .. الآن
يا وجـــع البحـــر ...
يـــا وجـــعي ..
كنا نقفز ونتصايح كدجاجـات مذعورة ونحن نعدو تجاه الشاطىء .. واقدامنا الحافية تغوص في أوحال الأزقة الضيقة وروث البهائم .
رائحة الخبز تتسلل من كوى البيوت الفينية .. صياح الديكة .. طنين الذباب .. وثغاء الأغنام
الهواء حار جاف .. تندلع الشمس على ظهورنـــا .
و .. اجسادنا الصغيرة تتفصد ملحـــاً .
وقفنا على صخور الشاطىء الحادقة مع الجموع التى ترقب اشرعة المراكب الآيبة بعد غيبة طويلة .. تتطاول أعناق الرجال والنساء .. تسري في الجو همهمات .. تعلو .. تستحيل إلى أغاني البحر الرحيبه .. وانت .. بوجهك العنيد كالريح .. وعينيك المـورقتين بالرجاء تنتظر شامخاً كالنسر فوق صخرة .. ولون زبد البحر يظلل هامتك .. اتذكر حكاياتك .. الأسطورة .. مع البحر التى ترويها لي جدتي كل مساء ؟ .
رست المراكب .. وأهازيج البحر .. زغردة النساء .. وتهليل الصغار .. والأجساد السمراء تتعانق .. وانت تدفع بمنكبيك الجموع تبحث عن ابنك .. عن ثمرة حقلك الوحيدة .
وتلقاك صدر «النواخذة» الأسمر .. احتضنك بشدة .. جفلت منه .. من حرارة لقائه .. غرست خوفك في عينيه .. وارتد إليك حزنك الشائك دموعاً حارقة لا تروي فجيعتك .

● ما أوجع موت النسور

اعتكفت كناســـك في بيتـــك الطيني الصغير .. وأمامك القوارب منثورة على الشاطىء كأصداف البحر الملونة .. ورائحة البحر تنبعث من حولك أيضاً اتجهت تذكرك بمن توغلت به مراكب الصيد بعيداً .. بعيداً .
زادك حبات تمر .. دورق ماء .. وجرح استعصى على الزمن .
افتقدتك .. بقدر ما احببت حكاياتك عن الغوص والجن .. عرائس البحر .. والشياطين .. والجزر المسحورة .
قال لنا الكبار إنك أصبت بمس .. وحذرونا من الاقتراب منك .. لكني مع شروق كل يوم جديداً آتي إليك .. أزودك بالماء وحبات التمر .. وانت صامت .
وبدأت تحوم ذاهلا في الأزقة .. وتهرول الى الشاطىء لتجلس على صخوره وجوارك عكاز .. عكاز أيها الشامخ كالنسر .. وتعود إلى دارك مع رحيل الشمس .
جاء صيف .. ورحل صيف .. طرحت أشجـار النخيل .. وعقمت أشجار النخيل .. واهمل الناس أمرك .. وبدا بعض الصغار منا يجرون وراءك . وهم يصيحون ويصفقون « جاسم المجنون .. جاسم المجنون » أحياناً كثيرة كنت تقابلهم بالصمت الذاهل .. وأحياناً أخرى كنت ترفع عكازك في وجوههم وانت تهذي بكلمات غير مفهومة .



حتى جاء يوم ذهبت فيه إلى « النوخذة » وأخبرته انك ستجمع مالا كثيراً .. وستشتري أخشاباً قوية لتصنع منها مركباً وتذهب به الى الجزيرة المسحورة لتعود بوحيدك .
زاد يقين الناس بجنونك .. ورفضت انا بطفولتي ذاك اليقين .. وبدا الصغار لعبتهم معك .. قاموا بتمزيق أوراق بيضاء على شكل أوراق نقدية .. مسنى الحزن والخوف عليك .. زجرتني يومها رفيقتي « لماذا تخافين ؟ إننا سنعطيه هذه الأوراق فان قبلها فهذا يثبت جنونه وعلينا ان نتحاشاه ، وإن لم يقبلها سيثبت لنا انه ليس مجنوناً وعلينا ان نكف عن ازعاجه » .
وانطلق الصغار إليك وانت جالس على الصخور وأخبروك بصوت واحد انهم أحضروا إليك جزءاً من المال الذى تحتاجه .. نهضت فرحاً .. ورفعت ثوبك .. وقلت بصوت واهن متعب : « إذن ضعوه في ثوبي » وفعلوا كما أردت .. وقبلتنا جميعاً بحنان .. وعدت إلى صخرتك .. بعد أن ربطت ثوبك حول وسطك .. و .. تدحرجت الأيام .. والصغار من رفاقي يمارسون لعبتهم حتى بدا ثوبك أمامك كبرميل ضخم .
وفي إحدى الصباحات الشاحبة .. وقرص الشمس أكثر شحوباً خضت في البحر كعادتك .. وعاد الصغار الى صراخهم « جاسم المجنون .. جاسم المجنون » وانت تواصل شق طريقك في البحر .. حتى ابتعدت كثيراً عن انظارنا .. انتابنا الهلع .. وصرخنا نطلب المساعدة .
وعندما جاء الصيادون لنجدتك كنت قد توغلت في العمق .. ولم يبق منك إلا أوراق بيضاء طافية بدت كأجنحة الطيور المهاجرة .



محمود درويش ومعين بسيسو
في قصيدة مشتركة :

من وسط الحصار : رسالة إلى جندي إسرائيلي

« بيروت فى بيروت
واقفـــة
وعصفور على المتراس
واقف
بيروت فى بيروت
واقفـــة
وشباك على الانقاض
واقف
بيروت انثى ....
ترضع من اصابعهـــا
العواصف »
نكتب لكْ
من قبل ان تشعلنا قذيفة أو تشعلك
رسالة المحاصر الأخير للمحـــاصر الأخير
نكتب من شظية ارسلتها ..
لتحملك
من عتمة الجيتو الى اجسادنا ..
نكتب لك
لنســـألك
الى متى تحارب الجزيرةُ البحرا ؟
الى متى تستخرج التفاح من ضلوعنا
والياسمين من عيوننا ؟
الى متى توسّعُ القبرا
وتسكن القبرا ؟
نكتب لك
من قبل ان تشعلنا قذيفة أو تشعلك
نكتب من بيروت ، من قصيدة
الحصـــار
مطلعها ،
لنسألك :
من الذى يحاصر الاخرَ ؟
من يستوطن الحديدْ
ام الذى يعيش فى النشيد ؟؟
نكتب لكْ
من قبل ان تشعلنا قذيفة أو تشعلكْ
يا أيها المسربل السكران بالدروع
يا أيها المصفَّح المدرع المجنزرُ السجينُ والسجانْ
هل أنت فى أمان ؟

• •

الآنَ ...
وأنت فى الدبابة الزنزانةْ
وأنت خلف غابة القضبان
هل أنت فى أمانْ ؟

• •

تسأل عن « إستير »
هل تواصل السباحةْ
فى بحر عسقلان ؟
هل تكسرُ الموجة مثلما تكسّرُ الرمانْ
وتنجب الاطفال فى أمانْ

• •

هدَمْتَ كما هدمتْ
قتلتَ من قتلتْ
رأيتَ ما رأيتْ
فجّرت وانفجرتْ
كسرت وانكسرت :
هل أنت فى أمانْ ؟

• •

كيف ترانا الآنَ فى لبنان :
كيساً من الرمل
أم كبشاً من الدخان ؟

• •

يا أيها التائه فى خرافة المكان والزمانْ

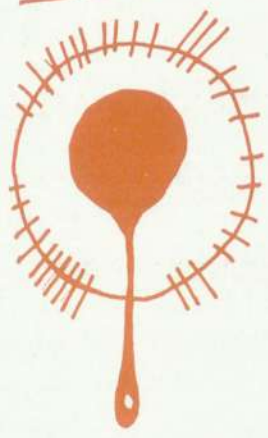
يا ايها التائه فى خرائط النسيانْ
يا ابن القرابين ويا ابن النار والسكينْ
ماذا تعلّمتَ من الذكرى
ومن رماد لحمك المطحونِ فى « أوشفيتس »
يا من يجر خلفَه الطاحونْ ؟
وهل أخذت من سقوطِ « اورشليمْ »
وسبْيك القديمْ
وعجلك القديمْ
وعهدك القديمْ
غير حصى المقلاع من داودْ
تصكه اسلحةً وأنبياءْ
وتطرق اللحمَ على السندانْ
تطرقه نيشـــانْ
يا ايها الجلادُ والقربانْ
هل أنت فى أمانْ ؟





• •

عائشة فى العاشرةْ
سريرها إكياس رمل
و « سارة » فى العاشرةْ
شباكها مراة أمنا
ووجه أمنا يُطِلّْ
وأنت من دبابة تُطِلّْ
فلا ترى الا دماءَنا
على يديك شمعدانْ
هل أنت فى امانْ ؟؟



• •

حصارنا طويلْ
البحر من ورائنا
وأنت فى دمائنا
حصارنا طويلْ
أجسادنا خنادقْ
ودمنا حرائقْ
ومن فَمِ البنادقْ
ترجّل الخالقْ
وألّف الجليلْ
حصارنا طويلْ
سنخبزُ الحجَرْ
ونعجنُ القمَرْ
ونُكمِلُ السفَرْ
فى نهرنا الجميلْ
حصارنا طويلْ



الاسم فى الخاتم
والله فى آدَمْ
سيولد العالمْ
من جرحنا ـ القنديلْ
حصارنا طويلْ

• •

كيف حصاد اليومْ ؟
هل ارتويت من دوىّ الدم ؟
هل قتلتَ واكتفيت
ام قتلت واكتشفت
فلم يزل عندك ما يكفى من البنزين والقنابلْ
كي تحرقَ السماءَ أو حقلا من الامواج والسنابلْ
وباقة من الجداول . ؟
يا أيها الوجهُ الذى
تخافه عرائسُ الاطفالْ
يا أيها الوجه الذى بلا ظِلالْ
يا أيها الوجه الذى أصبح وجه القاتل الجوّالْ
يا أيها القتيل فى قاتلْ
طويلة هى السلاسلْ
من بابل لبابلْ
من متى تكسّر المرايا
وتحمل الجنود والسبايَا
من بابل لبابلْ
الى متى تقاتلْ
الى متى ترشّ فى عيون العالم الدخانْ
الى متى تشعر بالامانْ ؟

• •

يا أيها الوجه السداسيّ
يا أيها الصوت النحاسيّ
يا ايها الصارخ فى الشوارع
المبعثرة
تبحث عن تيه لنا

محمود درويش ومعين بسيسو في قصيدة مشتركة :

ومقبرةْ
وشارع وحفرة فى الهواء
يا أيها المجنزر المصكوك فى المجنزرةْ
ترى وجدت المقبرةْ ؟
وهل تراك تعترفْ
قبل فوات الوقت تعترفْ
بأن بيتنا هناكْ ..
وبحرنا هناكْ
وبرتقال الساحل المزهر فى « دليلةْ »
هنـــاكْ
وموسم الطفولةْ
هنـــاكْ
تاريخنا مطرْ
تلويحنا حجرْ
ولم نزل هناكْ
هنـــاكْ
هنـــاكْ
جذورنا تراكْ
حذار أن تعلّم الاطفالْ
ان يتبعوا خطاكْ
حذار من طفولة البركانْ
حذار ان تشعر بالامانْ !

● ●

يا ساكن الدبابةْ
هل يستطيع المرء ان يبول ، طول العمر ، فى دبابةْ ؟
هل يستطيع المرء ان يقرأ أن يكتب فى الدبابةْ ؟
هل يستطيع المرء أن يطيرّ الحمام فى دبابةْ ؟
ان يغرس الأشجارَ فى الدبابةْ ؟
يا قادما من رحم الدبابةْ
يا عائدا لرحم الدبابةْ
الى متى تظل فى مخالب الدبابةْ
الى متى تظل فى أمانْ ؟

● ●

ماذا كتبت اليوم فى الرسالة الجديدةْ
لـ « إستير » البعيدة ؟
هل قلت : إني عائد قريباً ؟
الحرب سوف تنتهى قريباً
لم يبق الا خندق من اللهبْ
ومدفع ، وشارع ، وحفنة من المحاصرينْ
فوق كومة من الحطبْ
وتنتهى الحربْ التي تنجب حرباً تاليةْ
وهكذا ، وهكذا سوف تدور الساقيةْ
وتغسل اليدينْ ،
وكيف تغسل اليدينْ ؟
وقطعة الصابون رأس طفلْ !
والماء رمل الرملْ !
فكيف بعد الانْ
تسير فى أمانْ .. ؟

● ●

يا أيها الوجه السداسيّ
الذى يستوطن الوطنْ
الى متى تحارب الزمنْ ؟
الى متى تظل جثتى تذكارْ
تدق مثل ساعة الجدارْ
الى متى تظل خائفاً من كل موجة تلقى على الرمالْ
منديلَها ؟
الى متى تظل خائفاً من كل وردة تلقي على الجبالْ
قنديلَها ؟
الى متى تظل خائفاً من قدم الغزالْ
الى متى تظل خائفاً من برعم الزلزالْ ؟
الى متى تظل فى انتظارك
وفى انتظار لحظة انفجارنا
فى لحظة انفجارك
الى متى يظل هذا الماء موتا بيننا
والخبز موتاً بيننا
الى متى نموت ؟
الى متى نموت ؟
كاننا وجهانْ
لجثة واحدة ، وبيننا الطوفانْ !
الى متى تظل حاملا على اكتافك
التابوتْ ؟
يا صاحب التابوتْ
هل أنت فى أمانْ ؟
هل أنت فى أمانْ ؟

جزء خاص:
١١ عاماً على استقلال دولة قطر



مسيرة الاستقلال في الداخل والخارج

● ● منذ استقلال دولة قطر فى ٣ سبتمبر عام ١٩٧١ ، وهى تمضى فى مسيرتها التاريخية من أجل توطيد صرح الدولة الحديثة .. هذا الصرح الذى تقوم دعائمه على الجهد والعمل ، ويستند الى سياسة واعية فى الداخل تحقق التنمية الشاملة والاستقرار الاقتصادى ، وقواعد ثابتة فى السياسة الخارجية ، تستمد جذورها من الحرص المستمر على التعاون والتضامن مع الدول الخليجية والعربية والاسلامية ، ومناصرة كافة القضايا العادلة فى المجتمع الدولى ..

وقد استطاعت هذه السياسة الحكيمة أن تحقق لقطر خلال ١١ سنة من الاستقلال مكانة مرموقة فى الأسرة العربية والأسرة الدولية ، فى نفس الوقت الذى اتجهت فيه دولة قطر إلى بذل جهودها لتحقيق حركة انمائية شاملة من أجل اللحاق بركب عالمنا الحاضر وارتياد آفاق التقدم الانسانى المعاصر ..

إن قطر تخطو فى ظل الاستقلال عاماً بعد عام نحو التقدم والرخاء وأداء رسالتها العربية والاسلامية والانسانية على أفضل الأسس والمبادىء ، تحت قيادة أميرها المفدى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني وولي عهده الأمين سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ● ●

١١ عاماً على استقلال دولة قطر

من كلمات القائد في ظل الاستقلال

● لقد احتفلنا من قبل بتخريج خمس دفعات من جامعة قطر ، واليوم نحتفل بتخريج الدفعة السادسة التى يبلغ بها مجموع ما خرجته الجامعة من ابنائنا حتى الآن ما يقرب من الفى خريج وخريجة فى مختلف الدراسات والتخصصات العلمية ، وهو عدد يمثل انجازاً جديراً بالتقدير ، ولا سيما أن عمر الجامعة لا يزيد على تسع سنوات .

(٥ يونيو ١٩٨٢)

● منذ أن حصلنا على استقلالنا وفزنا بسيادتنا الكاملة قبل عشر سنوات ، لم نتوان عن أن نرسى لكل من سياستنا الوطنية ، والقومية العربية والاسلامية ، والانسانية ، أسساً ثابتة ، ولقد تمثل نهجنا فى أن نستمد جوهر هذه الأسس من تعاليم ديننا الاسلامى السامى بحيث نحتفظ بذاتيتنا الاسلامية الأصيلة ، ونستنبط روحها من تقاليدنا العربية النبيلة ، بحيث نصون شخصيتنا العربية العريقة ، وفى ذات الوقت ، حرصنا على ضرورة الاستجابة القويمة لمتطلبات التحديث فى عالمنا الراهن للحاق بركب تقدمه العلمى والصناعى .

(٢ نوفمبر ١٩٨١)

● من الحقائق الثابتة أن الاسرة الدولية كلها أصبحت قوية الايمان بأن إقامة السلام الشامل العادل فى الشرق الأوسط ، يرتهن بحل القضية الفلسطينية حلا شاملا عادلا ، لأنها تشكل جوهر النزاع فى المنطقة التى يهدد استمرار اضطراب حبل السلم والأمن فيها السلم والأمن الدوليين .

(٢٩ نوفمبر ١٩٨٠)

● لما كان من الحقائق الثابتة أن القوة الاقتصادية هى أقوى قواعد التقدم والازدهار وأكثرها قدرة على تحقيق الأمن والاستقرار الضروريين لحماية استقلال الدول وسيادتها وصون حقوقها وكرامتها ، لذلك نادينا ومازلنا ننادى بأن أمثل مدخل إلى تحقيق تلك الأهداف ، هو بناء قوتنا الاقتصادية الذاتية المشتركة بافضل الطرق وهو طريق التدرج المرحلى المتانى نحو انشاء نواة لاتحاد اقتصادى بين دولنا العربية الخليجية ، واننا لنحمد الله على أن هذه الدعوة هى الآن دعوة استقر اجماع كل هذه الدول على تاييدها .

(١٥ نوفمبر ١٩٨٠)

● لقد باءت بالفشل كل مناشدات قادة العالم ومحاولات حكوماته ، خارج الأمم المتحدة ، لحمل اسرائيل على العدول عن اصرارها على استمرار عدوانها على الحق الفلسطينى ، الذى لا يمكن قيام سلام فى الشرق الأوسط الا برده لأصحابه .

(٢٩ نوفمبر ١٩٧٩)

● إن قدوم القرن الخامس عشر الهجرى يقف بنا نحن المسلمين على مفترق الطرق ، ويطالبنا أن نقف وقفة نراجع فيها أنفسنا ونحدد بها ما يجب علينا نحو أمتنا ونحو العالم من حولنا .

(٢٥ نوفمبر ١٩٧٩)

● السياسة الداخلية لدولتنا تقوم على أسس علمية ، وتستند إلى قيم وطنية نستلهمها فيما نحن بسبيله من العمل للحاق بركب التقدم ، ومتابعة رحلة النمو من خلال الجهود التى نبذلها لاستثمار موارد أرضنا الطيبة على أحسن نحو ، وتنويع مصادر دخلنا ، وانماء امكاناتنا الصناعية وتوسيع رقعتنا الزراعية بكل القدر الذى نستطيع .

(٢ نوفمبر ١٩٧٨)

● أما عن الثروة البشرية ، فتنميتها تستهدف زيادة قدرة المواطن على الانتاج المثمر فى ميدان الفكر والعمل . وتحقيق هذا الهدف يتطلب فى آن واحد مواصلة رفع مستوى التحصيل العلمى والعمل للمواطن وتوفير الخدمات العامة والرعاية الاجتماعية الملائمة له . ولقد حققنا فى هذه المجالات جميعها انجازات كبيرة خطت خطوات واسعة إلى الأمام .

(١٦ ديسمبر ١٩٧٥)

● إن المرحلة التى نعيشها الآن مرحلة تاريخية مجيدة ، لانها مرحلة بناء صرح دولتنا العصرية وتامين موفور الهناء لشعبنا الطموح ، ولا يكتب الفلاح لهذه المرحلة فى حياة الأمم الا اذا ارتكزت على جهود خلاقة لعوامل التقدم منشئة لمقومات الارتقاء والرخاء .

(١٨ نوفمبر ١٩٧٤)

● لقد أشرق على بلدنا الغالى هذا اليوم .. عهد جديد نحرص بتاييد الله وتوفيقه على أن نجعله عهد يمن وازدهار وعدالة واستقرار .

(٢٢ فبراير ١٩٧٢)

● تنفيذاً لقرار اعلان استقلال بلدنا ، قررنا إنهاء العلاقات التعاقدية الخاصة وجميع الاتفاقيات والالتزامات والتنظيمات المرتبة عليها المبرمة مع الحكومة البريطانية . وبذلك تصبح دولة قطر دولة مستقلة استقلالا تاماً وذات سيادة كاملة . تمارس كل مسئولياتها الدولية بنفسها ، وتتولى وحدها سلطانها الكامل فى الخارج والداخل على السواء ، وسنبدأ فوراً باتخاذ الاجراءات اللازمة لانضمام دولتنا العربية الفتية إلى جامعة الدول العربية وإلى هيئة الأمم المتحدة .

(٣ سبتمبر ١٩٧١)



حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر

١١ عاماً على استقلال دولة قطر

الشباب صانع حضارة الغد

من أجل مشاركة الشباب فى صنع حضارة الغد المشرق ، حرصت دولة قطر فى انطلاقتها الحضارية على بناء الشباب واعداده ليتولى مسئولياته فى مختلف مجالات الحياة بكل ما اكتسب من دراسة وخبرة ووعى وخلق قويم ينبع من الايمان بمبادىء ديننا الحنيف وتعاليمه السامية وقيمه النبيلة .

وأعطت الدولة الثقة للشباب فى أن يكرسوا ما كسبوه من معارف علمية وما ظفروا به من قدرات فنية للقيام بواجباتهم المقدسة نحو وطنهم والمشاركة بكل امكاناتهم فى تحقيق ما نصبوا إليه من نهضة شاملة .

وفى ظل هذه السياسة الحكيمة كان لابد أن تتوحد طاقات الشباب فى مسيرة هادفة، ولذلك تم انشاء المجلس الأعلى لرعاية الشباب حتى يقوم بدوره فى إرساء أسس التخطيط الضرورية لمتابعة رعاية الشباب فى مختلف مراحل النمو ، وحتى يضيء لهم على كل ما ينهض بالمستوى الاقتصادي والفكري الذى يؤدى الى تنمية وجدانهم الوطني والقومي ، وترسيخ ايمانهم ، وتثبيت اعتدادهم بعقيدتهم ..

وقد عبر سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ولي العهد ووزير الدفاع ورئيس المجلس الأعلى لرعاية الشباب عن هذه الأهداف بقوله : « المرحلة التى نعيشها هي مرحلة بناء الدولة العصرية ، وتامين الهناء والارتقاء للشعب الطموح .. وانه ليس من سبيل لادراك هذا الهدف إلا برعاية الشباب رعاية توفر له أفضل تكوين روحى وعقلي وبدني ، باعتباره محط الآمال فى تقدم الوطن واستقراره ، ومركز الأماني فى اضطراد الرخاء والازدهار » .

ومن هذا المنطلق خطا المجلس الأعلى لرعاية الشباب خطوات واسعة نحو تحقيق أهدافه ، فنظم الأنشطة الخاصة برعاية الشباب التى تقوم بها الاجهزة الحكومية والأهلية وذلك بعد اصدار اللائحة الداخلية ، كما عمل على تدعيم وتوجيه هذه الأجهزة والتنسيق بينها من أجل تكوين المواطن الصالح وإرشاده الى ما يرفع مستواه المادي والمعنوي وما ينمي لديه الروح الوطنية والقومية والعقيدة الدينية ..

واهتم المجلس الأعلى لرعاية الشباب – ايضاً – باعداد لائحة موحدة للأندية الرياضية والثقافية والاجتماعية لتحقيق الأهداف التربوية من انشائها .. واهتم بالبحوث والدراسات العملية بالتعاون مع الهيئات المختلفة فى الدولة ..

ومن كل ذلك ندرك مدى التطور الكبير الذى حدث في منشآت رعاية الشباب منذ قيام المجلس حتى اليوم ووفقاً لسياسته وأهدافه .

ومن خلال تتبعنا لسياسة المجلس الأعلى لرعاية الشباب والمهمات التى تقع على عاتقه ، يتضح لنا عدة حقائق من بينها :

● عمل المجلس على تشغيل المنشآت والمهمات القائمة حالياً باقصى طاقاتها ، وذلك عن طريق تنظيم وتنسيق الاستفادة مما هو قائم فى وقت انشاء المجلس ، بحيث تقوم بخدمة كل القطاعات بصرف النظر عن تبعيتها ..

● قام المجلس بالتعاون مع الأجهزة الحكومية المهتمة برعاية الشباب باعداد الملاعب الرياضية موزعة على جميع مناطق الدولة .

● بدأ المجلس فى تنفيذ صالة مغلقة وفقاً لاحتياجات الدولة ، كما تقوم أجهزته بدراسة انشاء حمام للسباحة وذلك استكمالا لمنشآت مدينة خليفة الرياضية .

● عمل على توفير مصادر التمويل السنوية المناسبة لتحقيق أهداف خطة المجلس ، وذلك بتضمنها ميزانية المجلس لرعاية الشباب وفى ميزانيات الهيئات الحكومية والأهلية التى تعمل فى مجالات رعاية الشباب .

● تشجيع الهيئات والأجهزة العاملة فى مجالات رعاية الشباب على تنظيم الدراسات لتدريب وصقل القيادات فى المجالات المتنوعة وارسال بعض الشباب القطرى للدراسة واكتساب الخبرة فى الخارج .

● تشجيع النوادى التى تهدف إلى مزاولة أى نشاط رياضى واجتماعى وتقديم المعونة والدعم الفنى والمادى لها لفتح مجالات جديدة لأنشطة الشباب .

● دعم العلاقات والروابط بين شباب دولة قطر والشباب العربى خاصة والعالمى عامة عن طريق الاشتراك فى المؤتمرات والمهرجانات الشبابية والرياضية والاتحادات الدولية .

● وذلك بخلاف الاهتمام بتكوين اتحادات اندية العلوم فى الدولة لتحقيق الأهداف التربوية التى تنمى قدرات الشباب وطاقاتهم الخلاقة المبدعة .

وهكذا نرى مدى الجهد الكبير الذى يبذله المجلس الأعلى لرعاية الشباب من أجل أن يقوم برسالته النبيلة التى تستهدف تنمية حب العلم والمعرفة بين الشباب ، ونشر الوعى الرياضى بانشاء النوادى الرياضية واللجنة الأوليمبية وتنظيم الأنشطة الخاصة بالشباب ورعايتهم .

ويساهم فى تنمية هذا الاهتمام وجود مدينة خليفة الرياضية التى تضم استاداً يسع أربعين ألف متفرج ، وأقيمت في عام ١٩٨١م الدورة الادارية الثالثة التى شارك فيها خبراء من التنظيم الاداري للأندية الرياضية والثقافية ، وافتتح أول معرض لكتاب الرياضة والشباب ، وقدمت المكافآت المالية للفرق الفائزة حتى ترتفع بمستواها، وحققت قطر نصراً عالمياً عندما فازت فى عام ١٩٨٢ بالمركز الثاني فى تصفيات كأس العالم للشباب التى أقيمت فى استراليا ، وكل هذا وغيره يجعلنا ندرك مدى الاهتمام البالغ الذى تعطيه دولة قطر لشبابها .



سـمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ولي العهد ووزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة

١١ عاماً على استقلال دولة قطر

مستقبل التعليم

في البداية لابد أن نوضح أن الأهداف العامة للتربية والتعليم فى دولة قطر تتمثل في الاستفادة القصوى من الشباب القطرى مع المحافظة على الشخصية العربية الاسلامية وتحقيق آمال المجتمع فى أن يعيش حياة عصرية ، وبناء الشخصية المتكاملة الواعية للانسان القطرى وتحقيق التماسك الاجتماعى والاهتمام بالعنصر البشرى والانفتاح على الحضارة المعاصرة بانجازاتها العلمية والتكنولوجية وتوثيق العلاقات التربوية والثقافية بين قطر والدول العربية والاسلامية والاجنبية وتشجيع نشر الثقافة والتعاون فى دفع ركب الحضارة .

وترتكز السياسة التعليمية لدولة قطر على أن الانسان القطرى هو أهم ثروات البلاد وأن التعليم حق لكل مواطن راغب فيه وقادم عليه ، كما أنه دعامة اساسية من دعائم المجتمع تكفله الدولة وترعاه باعتبار أن الثروة البشرية هى أساس التنمية فى البلاد، لذلك فان الاهتمام بتنميتها معلم رئيسي من معالم السياسة التربوية والتعليمية للبلاد ، ومسيرة التربية والتعليم فى دولة قطر هى جزء أساسي فى مسيرة الحضارة التى تخطوها دولة قطر الفتية كما رسمها امير البلاد المفدى وأكدها الدستور، والتى ترتكز على أن الانسان القطرى هو أغلى الثروات لذلك فان وزارة التربية والتعليم تعتبر نفسها مسئولة عن اعداد هذا الانسان تربوياً وثقافياً وروحياً ، ولايقتصر هذا الدور على المؤسسات التعليمية فى الداخل فقط ولكنها توفر سنوياً المنح الدراسية فى التخصصات التى تحتاجها البلاد وتقوم بالاشراف على البعثات العلمية فى الداخل والخارج .

الأهداف التعليمية

وتعتمد وزارة التربية والتعليم فى خططها السنوية على عنصرين أولهما: مواجهة الاطراد الكمى السنوى فى التعليم وتدبير ما يحتاجه التوسع من حيث الامكنه



بقلم
الشيخ محمد بن حمد آل ثاني
وزير التربية والتعليم

والابنية المدرسية الجديدة وتعيين العدد الكافى من المدرسين والمدرسات وتوفير الكتب والقرطاسية والأدوات اللازمة لسير العملية التربوية على أكمل وجه واعتماد الميزانية الكافية لذلك .

وثانيهما : تحسين العملية التعليمية من حيث تطوير المناهج والكتب وتدريب المعلمين والتوسع فى استعمال الوسائل التعليمية وادخال النظم الحديثة التى تساعد الطلاب على حسن الاستيعاب وتساعد المدرس على حسن القيام بواجبه الى جانب الانشطة المدرسية المساعدة والتى يسهم فيها الطلاب بجهودهم .

خطة العام الجديد

وتتضمن خطط وزارة التربية والتعليم خلال العام الدراسى القادم ٤٠٢ / ١٤٠٣هـ افتتاح ١٩ مدرسة جديدة ثانوية واعدادية وابتدائية بمختلف المناطق وتعيين ٤٠٠ مدرس ومدرسة والاستفادة من استخدام التلفزيون التربوى والوسائل التعليمية وتكثيف الدورات التدريبية للمعلمين والمعلمات أثناء الخدمة والتوسع فى استعمال وسائل النشاط المختلفة من رياضية وثقافية والاهتمام بالنواحى الخلقية والبدنية بين الطلاب وزيادة عدد المكتبات المدرسية وتحسين خدماتها وتزويدها بالمراجع والكتب المختلفة ، والاهتمام بصحة الطلاب وتزويد ادارة الصحة المدرسية بالكفاءات البشرية والمعدات والأدوات اللازمة لرعاية الطلاب ومتابعة علاج ما قد يعوقهم عن التحصيل الامثل . ومن ناحية اخرى تقوم الوزارة بالبحوث التربوية ومواصلة تطوير المناهج والكتب الدراسية وطرق التدريس بحيث تكون عملية التطوير منسجمة مع طبيعة البيئة المحلية ومحققة لمتطلبات المجتمع القطرى العقائدية والاخلاقية والقومية والفكرية .



الطلبة أثناء اقبالهم على الاطلاع داخل المكتبات المدرسية

في قطر



احتفالات يوم العلم

تطوير المناهج

وقد تم هذا العام تشكيل ست لجان لتطوير المناهج حيث تتم عمليات التطوير بناء على نتائج الابحاث والدراسات الميدانية التى تجرى بصفة مستمرة . ومن أهم المواد التى جرى ويجرى تطويرها لتتناسب مع المتطلبات العلمية والثقافية المعاصرة مواد العلوم العامة والمواد الاجتماعية واللغة العربية والرياضيات الحديثة والاقتصاد المنزلى للبنات والعلوم الشرعية واللغة الانجليزية .

وقد روعى فى مناهج هذه المواد تحقيق التكامل الذاتى بينها تأكيداً للتدرج الموضوعى فى المعلومات ومنعاً للتكرار فى المواد المختلفة ومن المتوقع الانتهاء من كتب المواد الاجتماعية للمرحلة الاعدادية وكتب العلوم العامة للمرحلة الثانوية للعام الدراسى ٤٠٢ / ١٤٠٣هـ،كما تم الانتهاء من مناهج المواد الاجتماعية الثانوية وتم اعتمادها وبوشر تاليف الكتب الخاصة بها وكذلك مناهج اللغة العربية للمرحلة الابتدائية .

تطوير التعليم الفنى

وتسعى الوزارة جاهدة لتطوير التعليم الصناعى ودعمه وقد اعدت خطة متكاملة للنهوض بهـــذا النوع من التعليم كما وكيفاً .. وقـــد استقدمت الوزارة عدداً من الخبراء والمختصين فى تطوير التعليم الفنى من الدول العربية ومن منظمة اليونسكو كما اصبح تطوير التعليم التجارى ايضاً أمراً لازماً،وقد اخذت نفس الجهود التى بذلت فى التعليم الصناعى مجراها فى التعليم التجارى الذى نأمل فى أن نستمر فى تأدية رسالته من حيث اعداد الكوادر المتوسطة وأن يتم البناء الجديد لجامعة قطر وتعزيزها بانشاء كلية للتجارة والادارة بحيث تستوفى حاجة البلاد من التخصصات الجامعية .

تعليم الكبار

والى جانب التعليم النظامى النهارى تبذل الوزارة جهداً كبيراً فى مجال محو أمية الرجال والنساء الذين فاتهم سن التعليم بافتتاح الفصول المسائية ليتسنى لهم اســتكمال دراستهم حتى فى المرحلة الجامعية .. ولا تتوقف جهود الوزارة عند هذا الحد بل انها تحاول جاهدة تحسين الاداء الوظيفى للموظفين العـــاملين بالدولة فى كل من معهد الادارة ومعهـــد اللغات المسائيين .

التدريب المهنى

على أن الاهتمام بمحو الأمية ليس هو الجهد الوحيد المبذول فى سبيل تعليم كل من فاته القطار فهناك جهود اخرى فى نفس الاتجاه ، تهدف الى التركيز على التدريب المهنى ، ليشمل كل من لم يتمكن من الانخراط فى سلك التعليم النظامى العادى لسبب أو لآخر ، بحيث يكتسب هؤلاء عن طريق ذلك التدريب ، مهنة او حرفة يجيدونها ويحققون ذواتهم من خلالها فيستطيعون آنئذ أن يكونوا مواطنين عاملين واعضاء منتجين فى مجتمعهم ، وتعمل الوزارة على افساح فرصة الاختيار فى هذا الصدد فيتم تدريب الراغبين على حرف متعددة تلائم مختلف الميول والاتجاهات مثل: الحدادة والنجارة والطباعة والاعمال الكهربائية واشغال الراديو والتلفزيون وما اليها من أعمال فنية تلبى حاجة المجتمع الذى يستورد معظم العمالة فى هذا المجال من ناحية ، وتوفر للفرد عملا كريما وحرفة مكتسبة من ناحية أخرى .

الدعم الجاد

ولايفوتنا فى الختام أن نذكر شاكرين الدعم الجاد المخلص لهذه الأهداف التى نسعى الى تحقيقها من جانب حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير البلاد المفدى وولى عهده الأمين الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى وتوجيهاتهما السديدة المستمرة للسير بالعملية التعليمية نحو الأهداف المرسومة لبناء دولة عصرية وبذل كل الطاقات من تخطيط ومتابعة حتى تضمن نجاح خططنا والوصول الى اهدافنا سواء على مدى المستقبل القريب أو المستقبل البعيد لصالح أجيالنا الحاضرة وأجيالنا القادمة .

محمـــد بن حمـــد آل ثانى

١١ عاماً على استقلال دولة قطر

المجالات الحيوية



بقلم
الشيخ أحمد بن سيف آل ثاني
وزير الدولة للشئون الخارجية



سمو أمير البلاد المفدى اثناء مشاركته فى المؤتمر الاسلامى الذى عقد فى المملكة العربية السعودية

استطاعت دولة قطر خلال سنوات معدودة ان تبني لها مكانا مرموقا بين أمم الأرض وذلك من خلال سعيها الدؤوب وعملها الجاد فى سبيل اللحاق بركب التقدم والتطور فى جميع الأصعدة وعلى كافة المستويات ، ويهمنى هنا أن أتناول مجالا من مجالات العمل فى دولة قطر الا وهو سياسة قطر بالدول المحيطة بها وبكل دول العالم .

لعل من المعلوم أن لكل دولة خطوطاً عريضة تسير عليها ولها مجالاتها الحيوية التى تتحرك فيها وأستطيع أن أحدد مجالات السياسة القطرية بما يلى :

أولا : المحيط الاقليمي : من بديهيات القول ان دولة قطر جزء من الخليج العربى تربطها بدوله علاقات مصيرية بذلت قطر وما زالت تبذل فى سبيل تمتينها وتنميتها كل ما تملك من جهد يحدوها الى ذلك أمل مشترك هو النهوض بهذه المنطقة ثم الابتعاد بها عن الصراعات الدولية وتجنيبها محاولات الاستقطاب العالمية .

ولعل من المساهمات الفعلية والفعالة التى قامت بها دولة قطر هو جهدها الكبير الذى بذلته وبكل المسؤولية مع بقية شقيقاتها دول الخليج العربية فى سبيل اقامة مجلس التعاون لدول الخليج العربية كمنظمة سياسية تضم جهود دول المنطقة ومساهمتها المستمرة فى سبيل انجاح كل مساعيه الطيبة .

ولقد أكد سمو أمير البلاد الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني هذه الحقيقة بالقول السديد « ان لدول الخليج قضية واحدة مشتركة هى قضية التقدم والاستقرار والأمن والاستقلال وان الجهد الجماعى المتضامن هو أفضل وسيلة لتناول هذه القضية بما يحقق الخير الذى تنشده دول المنطقة » .

من هنا كانت مشاركة دولة قطر وعلى مختلف المستويات وفى كل اللقاءات التى تحقق للخليج سيادته وأمنه واستقلاله وتجسد وحدته ، ولقد أصبح مجلس التعاون لدول الخليج العربية خلال سنة وبعض السنة رمزاً للتكامل فى مختلف الميادين ، كما أصبح منبراً من منابر الكلمة الواحدة الداعية الى استقرار المنطقة وازدهارها ورفعة شعبها بمناى عن الاحلاف والمحاور وليكون كذلك نواة لتضامن عربي أوسع فى محيط جامعة الدول العربية .

ثانياً : المحيط العربى : إن دولة قطر جزء من الأمة العربية المجيدة وعلى هذا نص نظامها الأساسي على أنها عضو فعال فى جامعة الدول العربية وتبذل كل ماتستطيع فى سبيل رفعة امتها واستقرارها وتساهم مع شقيقاتها العربيات فى بناء مجد الوطن العربى من خلال اللقاءات والاجتماعات والمشاركة فى المحافل الدولية والمنظمات المختلفة .

ولقد لخص سمو الأمير هذه السياسة حين قال : « ان اوجب واجباتنا هو ان نبذل جهدنا من اجل تدعيم أواصر تضامننا وتوحيد مواقفنا القومية فى المجال الدولى لمواجهة التحديات التى تتعرض لها الأمة العربية » .

في سياسة قطر الخارجية



كان لدوله قطر مساهمة واسعة ومؤثرة فى كل اجتماعات مجلس التعاون الخليجي

ودولة قطر تؤمن بان التضامن العربى هو امضى الاسلحة التى يمكن للعرب استخدامها وتوظيفها لخدمة قضاياهم المصيرية وعلى رأس تلك القضايا قضية فلسطين التى تعتبرها دولة قطر القضية الاساسية التى يجب على كل العرب ان يبذلوا فى سبيلها كل ما يستطيعون من تضحيات انقاذاً لأرض مغتصبة وشعب طرد من أرضه وحرم ابسط وسائل العيش .

وترى ان يقف العرب بكل امكانياتهم خلف منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني سعياً وراء عودة هذا الشعب لوطنه واقامة دولته المستقلة على ترابه الوطنى .

ثالثاً : المحيط الاسلامي : ان دولة قطر جزء من عالم اسلامي مترامى الاطراف وهى تعمل جاهدة على تنمية علاقاتها الطيبة بكافة الدول الاسلامية وتبذل فى سبيل ذلك النفس والنفيس ايماناً منها بقدسية هذا الدين الذى بعث الله به نبيه محمد صلى الله عليه وسلم هادياً ومبشراً ونذيراً ، وكما لا يخفى فان العالم الاسلامى اليوم يشكل قوة سياسية عظيمة لها تأثيرها الواضح والملموس فى مجريات احداث العالم ، ودولة قطر تساهم مع بقية دول العالم الاسلامى من خلال منظمة المؤتمر الاسلامى التى هى عضو فعال فيها فى سبيل تجنيب العالم ويلات الحروب ومشاكلها وتسعى سعياً حثيثاً لاشاعة الأمن والسلام ، كما يحث على ذلك الدين الاسلامى العظيم .

رابعاً : المحيط الدولى : ان دولة قطر عضو فى المنظمة الدولية الا وهى الامم المتحدة والتى ترى فيها دولة قطر المجال الحيوى الذى من خلاله تستطيع كافة الدول طرح جميع قضاياها ومشاكلها على ان يتم التوصل لحلول سلمية لها ترضي كافة الاطراف وتجنب العالم الدمار وتبعد عنه شبح الحرب .

ولقد ساهمت دولة قطر ومازالت تساهم فى انجاح هذا الدور العظيم للامم المتحدة وتعمل جاهدة مع جميع الدول المحبة للسلام على ان تكون قرارات هذه المنظمة هى النافذة التى يشرق منها العدل على الأرض آملة ان تحترم كل الدول هذه القرارات وتعمل على تطبيقها لانها السبيل الوحيد لسلام العالم .

وهناك مجال آخر تساهم فيه دولة قطر وتعمل من خلاله وهو حركة عدم الانحياز حيث انها احدى الدول المنضمة لهذه المجموعة قناعة منها بان عدم الانحياز لأى من المعسكرين أو أى تكتل دولى آخر هو السبيل الامثل لحرية الحركة واتخاذ القرار المناسب .

ولا يسعنى فى نهاية هذه العجالة الا ان اتمنى ان نستطيع فى هذه الدولة الفتية ان نقدم كل الممكن فى سبيل تحقيق ذاتنا من خلال كل المجالات التى تحدثت عنها وان نحقق ما نصبوا اليه من آمال كبيرة فى الامن والاستقرار والتقدم لنا ولكافة دول وشعوب العالم .

أحمد بن سيف آل ثاني

١١ عاماً على استقلال دولة قطر

العمل الاجتماعي



بقلم
علي بن أحمد الأنصاري
وزير العمل والشئون الاجتماعية

في عالمنا المعاصر يكتشف الانسان كل يوم أن انماط حياته تتحداها خبرات جديدة ، فايقاع الحياة يتغير بسرعة وخاصة فى المجالات الاقتصادية والفكرية ، وهذا يعنى بالضرورة اهمية توفر اكبر قدر من التوافق الاجتماعى بين الفرد والمجتمع حتى تكون هناك ضمانات لسلامة وتطور البنية الاجتماعية وتحقيق ما يلزمها من طموحات وقيم وقوانين مميزة ونظرة متطورة إلى الحياة تتمشى مع الواقع الملىء بالتحديات العديدة التى تقابلنا اثناء رحلتنا إلى التحديث المرتبط بجذورنا الضاربة فى الاعماق ..

ومن هذا المنطلق وجدنا اهتمام دولة قطر ببناء الانسان ورعايته اجتماعياً ، لادراكها بان قيمة الفرد وعمله وتاهيله التاهيل الصحيح هو الذى يبنى قوة الوطن وهيبته ومكانته ..

وقد راينا طوال سنوات الاستقلال المجيدة ، كيف حققت دولتنا التنمية الشاملة ، على نحو يؤمن لها افضل صور الحياة العصرية المتطورة المتمسكة بمبادىء ديننا الحنيف وتراثنا العريق ..

ولان العمل الاجتماعى يسير فى تلازم مستمر مع التنمية الاقتصادية فى البلاد ، فقد اصبحت مشروعات الرعاية الاجتماعية تحظى بالعناية والاهتمام الذى يوفر افضل السبل واحدثها حتى لا يصبح العمل الاجتماعى محصوراً فى اطار المفهوم التقليدى الذى يتوقف عند مجرد الرعاية وتقديم الخدمات ، وحتى يرتكز هذا العمل فى انطلاقته على توفير الامكانات والوسائل التى تؤدى إلى انطلاقة الطاقة البشرية والقدرات المادية إلى اقصى قدر ممكن ، وفى ظل رؤية واضحة للاهداف التى تحقق المستقبل المنشود ..

فى ظل القيادة الواعية

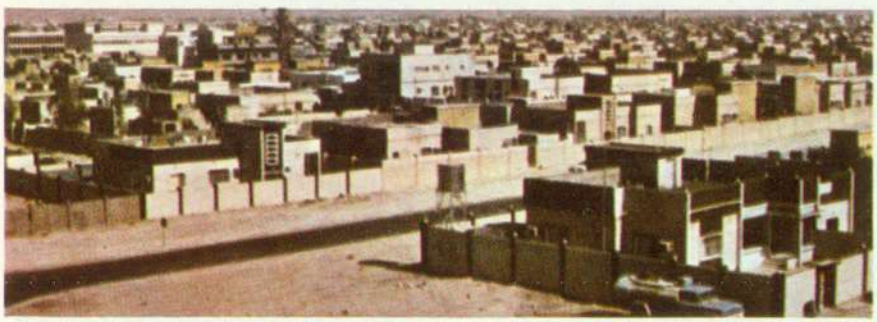
ومن هذا المنطلق البناء اخذت وزارة العمل والشئون الاجتماعية على عاتقها ضرورة توفير شتى الخدمات للمجتمع القطرى والارتفاع بمستوياته على ضوء السياسة العامة للدولة واهدافها ، ووضعت سياستها التنفيذية على أسس خاضعة للتخطيط العلمى والمتابعة الدقيقة والتقييم المتواصل لكل ما تنجزه من اعمال ـ خاصة ـ فى نطاق مسئوليتها المباشرة فى مجالات العمل والاستخدام والرعاية الاجتماعية والتعاونيات .

واستطاعت فى هذه المجالات وغيرها أن تحقق انجازات بالغة الاهمية ، فى ظل القيادة الحكيمة الواعية والرعاية الكريمة لسمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني وولى عهده الامين سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني .

ففى مجال العمل والاستخدام ، سعت الوزارة إلى تحقيق تكافؤ الفرص للمواطنين فى القطاعات المختلفة وتمكينهم من ممارسة العمل فى ظل القوانين التى تكفل لهم العدالة الاجتماعية وتعمل على تحسين مستويات المعيشة لهم وتحافظ على حقوقهم ، وفتحت مجالات عمل جديدة امام المواطنين ..

وفى هذا المجال عملت الوزارة على تطوير وتنمية قسم التفتيش والعلاقات الصناعية حتى يحقق مسئولياته بنجاح ، ويوطد العلاقة بين العمال واصحاب الاعمال ، ويراقب سلامة تطبيق احكام قانون العمل وتدابير اجراءات السلامة حفاظاً على صحة العمال وحمايتهم من اخطار المهنة وامراضها واصابات العمل ..

وعملت ـ كذلك ـ على تطوير قسم الاستخدام، فاصبح يتعاون مع الاقسام المختلفة فى الوزارة ومع اجهزة الوزارات الاخرى والجهات المعنية فى وزارة الداخلية ، من اجل توفير الفرص للمتعطلين او الراغبين فى الحصول على فرص عمل افضل ، وتلبية احتياجات الشركات والمؤسسات من القوى العاملة اللازمة لها ، وتنظيم احضار العاملين من خارج البلاد ، واصدار بطاقات العمل ، وتنظيم السجلات الخاصة بالعمالة وطلبات العمل والعمال ..



المساكن الشعبية التى توفر بالمجان للمواطنين

في ظل التنمية الشاملة



داخل احدى الجمعيات التعاونية الاستهلاكية

وكل ذلك ـ فى نفس الوقت ـ الذى انتهت فيه الوزارة من اعداد مشروع بقانون العمل الجديد الذى ينبثق من واقع تطورات التنمية التى حدثت فى البلاد ، والذى سيحل مكان قانون العمل رقم (٣) لعام ١٩٦٣ وتعديلاته ..

الرعاية الاجتماعية

اما فى مجال الشئون الاجتماعية ، فقد عملت الوزارة على تنظيم قسم الضمان الاجتماعى من اجل تحقيق الاصلاح الاجتماعى الشامل ورعاية النشء وحمايته وسعت الى تدعيم جهازه الوظيفى الذى يقوم بالاشراف على الخدمة الهامة التى تقدمها الدولة لرعاية الفئات ذات الأوضاع الخاصة كالمعوقين والعاجزين عن العمل والأيتام والأرامل والمطلقات .. وقد بلغت قيمة المساعدات فى هذا المجال خلال عام ١٩٨١ اكثر من ٦٣ مليون ريال قطرى ، دفعت الى ٦٢٢٠ حالة .. كما تم افتتاح مكاتب فرعية لقسم الضمان الاجتماعى فى المناطق البعيدة مثل الخور والشمال ، وذلك لتقديم الخدمات للمواطنين على اكمل وجه فى اماكن اقامتهم الدائمة ..

وتتدعم هذه الرعاية بعدة مشروعات اخرى مثل انشاء الجمعية القطرية لرعاية المعوقين ، وانشاء مراكز للتاهيل الاجتماعى فى مدن الدوحة والخور والشمال من اجل تاهيل الفتاة القطرية التى لم تنل حظها من التعليم ، حتى تساهم فى تطوير مجتمعها وتعتمد على نفسها من خلال تعلمها للمهن والحرف اليدوية التى تناسبها والتى تتدرب عليها خلال سنتين وتمنح اثناء تدريبها مكافاة شهرية قيمتها ٤٥٠ ريالا قطريا ..

الحركة التعاونية والمساكن الشعبية

ومن واقع سياسة الدولة وتوجيهاتها بضرورة تنمية الحركة التعاونية وتشجيعها وتقديم كافة العون لها ، اعطت الوزارة كل عنايتها فى سبيل تامين كل مقومات النجاح للجمعيات التعاونية ، التى لمس الجميع نتائجها الطيبة فى الجمعيات التعاونية العاملة بمدينة خليفة والمنتزه والشحانية وغيرها ، والوزارة الآن فى سبيلها لانشاء مخازن مركزية لخدمات كافة الجمعيات التعاونية حتى تسهل من عملها فى خدمة المواطنين ..

كما أن الوزارة قامت فى السنوات الاخيرة بتدعيم جهازها الوظيفى فى مجال الاسكان الشعبى ، وتعاونت مع وزارة الاشغال العامة فى توفير المساكن المجانية للعجزة والمساكن الشعبية لذوى الدخل المحدود ، بحيث تتناسب مع عدد افراد اسرة المنتفع وعاداتها الاجتماعية ، وقد بلغ عدد المساكن التى وزعتها الوزارة لذوى الدخل المحدود ٤٧٥٤ مسكنا حتى نهاية عام ١٩٨١ ، وهذا بخلاف ١٧٠٢ مسكنا مجانيا تم توزيعها على المواطنين العجزة ، اضافة الى ما تقوم به الدولة من خلال وزارة العمل لبناء مجمعات سكنية خارج الدوحة تشبه المدن الصغيرة الحديثة وذلك لسكنى اهالى القرى القديمة ..

مسئولية الرسالة

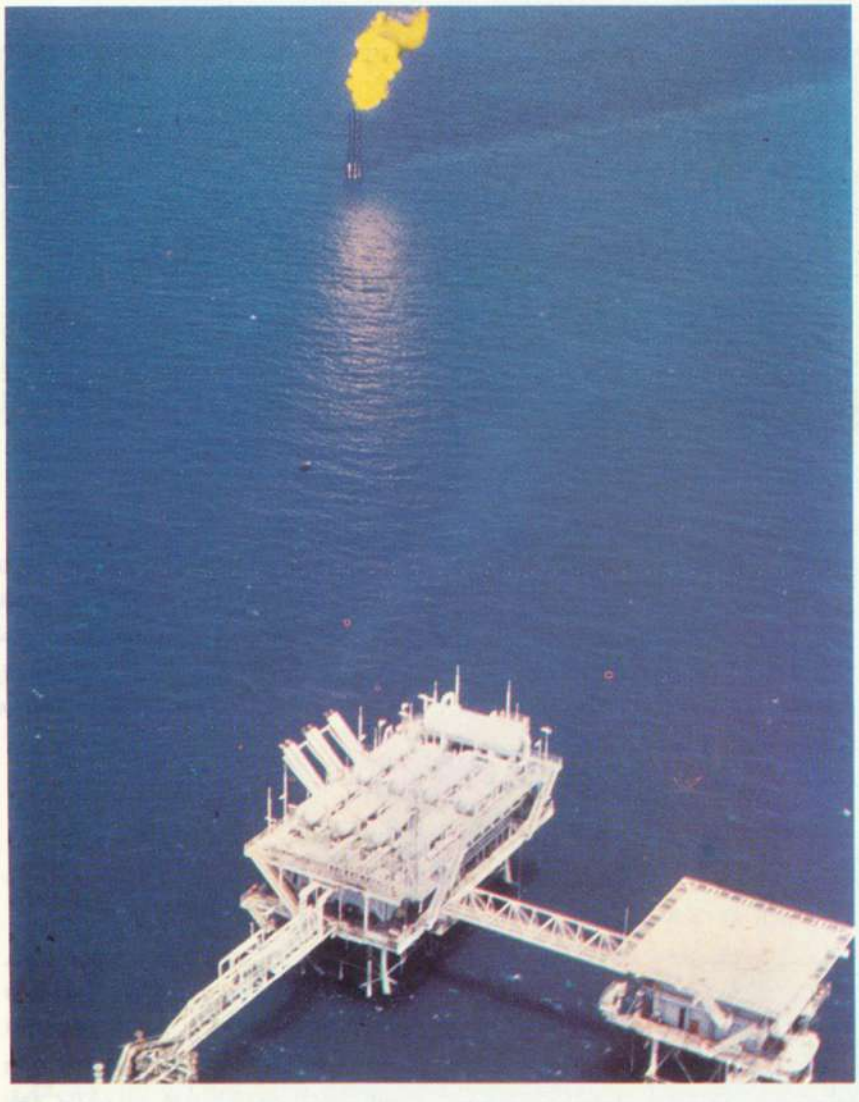
وإذا كانت وزارة العمل والشئون الاجتماعية تبذل كل جهودها من اجل الوصول الى الاهداف المرسومة فى مجالات العمل ورعاية وتطبيق القوانين والتاهيل الاجتماعى وتوفير المسكن والجمعيات التعاونية ، فانها تحرص على اهدافها الأخرى ذات الاهمية الخاصة مثل دراسة البيئة ومعرفة احتياجاتها ومواردها الاجتماعية ، وايقاظ الوعى والتوجيه والارشاد ، وخلق القيادات المحلية ، والنهوض بالصناعات الريفية ، والعمل على ادخال الصناعات الجديدة ، وغير ذلك من المسئوليات التى تباشرها نحو الأفراد والهيئات ..

وهذا الجهد ، مضافا اليه المشاركة فى النشاطات والحلقات الدراسية والمؤتمرات والمنظمات العربية والدولية التى تعقد فى أى مجال من مجالات العمل والشئون الاجتماعية ، ما هو إلا ترجمة صادقة للرسالة السامية التى تقع على عاتقنا ، والتى تتطلب الحركة الدائمة المتجددة ، والجهاد والطموح المتواصل الذى يؤدى الى تطوير البرامج وتحسين الأنشطة وتوسيع الآفاق وخدمة الوطن وابنائه .

علي بن أحمد الانصارى

١١ عاماً على استقلال دولة قطر

تنمية الثروة من أجل



البترول الذى يحظى باهمية خاصة فى مجال بناء الاقتصاد السليم

بعد تأمين السيطرة الوطنية على الثروتين الطبيعيتين : النفط والغاز ، كان لابد أن تنطلق البلاد نحو دعم اقتصادها لاستكمال مقومات نهضتها الشاملة .

فمنذ أن أصدر سمو أمير البلاد المفدى قراره التاريخى الذى يقضى بالسيطرة الوطنية الكاملة على ثروات البلاد الطبيعية وعلى رأسها البترول والغاز الطبيعى ، حظى قطاع البترول باهمية خاصة فى مجال بناء الاقتصاد السليم الذى يعتمد على أنجع الوسائل من المصادر البشرية والموارد الطبيعية التى نملكها .

وقد استهدفت السياسة النفطية فى دولة قطر فى السنوات الاخيرة الحفاظ على معدل الانتاج الخام ، وانشاء الشركات الوطنية ومشروعات المنتجات البترولية التى تعمل على رفع مستوى معيشة المواطنين والانطلاق السريع بمناهج التنمية الشاملة لتواكب ركب التقدم العالمى فى مجال التصنيع .

وتقوم سياسة دولة قطر النفطية داخل منظمة الاقطار المصدرة للبترول (أوبيك) ومنظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول (أوابيك) بدور بارز فى تعزيز التعاون الايجابى وذلك لمصلحة شعوب الدول المصدرة وشعوب الدول النامية ومن أجل استقرار الاقتصاد العالمى

وانطلاقاً من الجهود المبذولة لتنمية الثروة الطبيعية وتوظيفها على أحسن وجه فى مجالات التنمية الشاملة ، كانت ميزانية دولة قطر هذا العام تمثل تعبيراً حقيقياً عن التطور والنمو فى اقتصاد البلاد وارتفاع مستوى المعيشة والدخل واتساع نطاق الوظائف العامة والعاملة المنتجة وتنفيذ العديد من المشروعات الصناعية والعمرانية ومشروعات المرافق العامة والخدمات الاجتماعية .

وقد بذلت الجهود من أجل أن تأتى تقديرات هذا العام متفقة مع البرامج والاستراتيجيات المعلنة من قبل ، وأن تكون خطة طموحة واقعية فى نفس الوقت بحيث يمكن تحقيق التنفيذ بالقدر المطلوب فى الوقت المحدد خلال فترة الميزانية .

وقد ركزت موازنة الدولة فى هذا العام على ضرورة استكمال المشروعات التى

التطور والنمو في اقتصاد البلاد



سعادة الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثاني وزير المالية والبترول

بدىء فى تنفيذها وتلك التى قاربت على الانتهاء حتى تحقق فائدتها وتعود على المجتمع بالخير والرفاهية ، كما أعطت اهمية خاصة للبدء فى تنفيذ العديد من المشروعات الجديدة التى تكفل الزيادة فى الانتاج الزراعى والصناعى ورفع مستوى الخدمات فى مجالات التعليم والاسكان والنقل والمواصلات والطاقة والخدمات الهيكلية الاخرى ، وذلك بالاضافة إلى رفع كفاءة التشغيل وتحقيق التوظيف الاقتصادى المناسب للموارد الذاتية فى البلاد .

ومن خلال بيان سعادة الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثاني وزير المالية والبترول ، استطاعت الأرقام الواردة بالموازنة الجديدة أن تعكس خطة الدولة فى استمرار دعم قدراتها الذاتية فى مجالات الانتاج والخدمات ، حيث بلغت بصفة خاصة اهمية الاعتمادات المدرجة لتنفيذ المشروعات الرئيسية والتى بلغت فى مجموعها ٧ر٧٨٠ مليون ريال قطرى ، يضاف إليها ما تم تخصيصه لتمويل احتياجات الصناعات الوطنية والقروض العقارية والمساهمات فى المؤسسات المحلية والأجنبية والتى بلغت فى مجموعها ٥٨٣ مليون ريال ، وبذلك يصل مجموع مخصصات موازنة المشروعات الرئيسية للدولة ٨ر٣٦٣ مليون ريال قطرى مما يدل على الرغبة الأكيدة ، المتطلعة دائما الى توجيه الموارد والامكانيات المتاحة نحو افضل استثمار اقتصادى واجتماعى ..

وتغطى هذه الميزانية كافة انشطة وقطاعات الدولة الاقتصادية والاجتماعية فى مجالات الصناعة والزراعة ، والاسكان والمبانى العامة ، ومشروعات الخدمات الاجتماعية ، والتعليم والصحة العامة ، والكهرباء والماء والمجارى ، والنقل والمواصلات والطرق ، وكافة النشاطات الأخرى ، مع التوفيق وايجاد نوع من التوازن بين متطلبات الحاضر ومستقبل الأجيال القادمة ، بحيث تتنوع المشروعات المنفذة بين ما هو خاص بتنفيذ الدورة الاقتصادية وتلبية الاحتياجات العاجلة للنهوض بالمجتمع القطرى وتلك الخاصة باستكمال البنية الأساسية وتنويع مصادر الدخل القومى التى تعتبر ذات أولوية قصوى .

١١ عاماً على استقلال دولة قطر

مسيرة الإعلام القطري

أصبح للاعلام فى عصرنا الحديث أثره الكبير فى تكوين الرأي العام حول حدث هام أو موقف من المواقف السياسية والاجتماعية ، وذلك بالاضافة إلى دوره الهام فى التوعية وبناء المجتمع ..

ويرى خبراء الاعلام أن الأمة فى الماضى كانت تجتمع بكامل هيئتها فى الساحات أو الميادين العامة لتطلع على أهم الأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية ، كما كان الشأن فى روما واثينا او مكة والمدينة ، أما الجماهير فى يومنا هذا فقد أصبحت قادرة على أن تجتمع كل يوم مع اعمدة الصحف وأجهزة الراديو والتليفزيون وأصبحت تشاهد السينما والمسرح وتقرأ الكتب والمطبوعات التى تستطيع عن طريقها أن تكون رأيها وثقافتها الانسانية .

وهكذا نرى أهمية الاعلام ودوره فى إبراز التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير وروحها وميولها ، واتجاهاتها فى نفس الوقت .

ومن هذا المفهوم العلمي لمعنى الاعلام فى عصرنا الحديث ، انطلق الاعلام القطري طوال السنوات الماضية يتابع رسالته الوطنية ، ويقوم بدوره البناء من خلال قنوات واعية ، مستهدفاً ابراز المنجزات التى تحققت فى سنوات الاستقلال ، شارحاً لأهداف الخطة الطموحة التى تقيم على هذه الأرض حضارة انسانية عظيمة ، تستمد مقوماتها من القيم والمباديء الاسلامية ، وتدعم مسيرتها بكل ما نملك من قيم وتراث ..

وإذا كان الاعلام القطرى قد تابع بصورة مشرفة خطوات المسيرة التاريخية فى البلاد ، فقد اتجه في نفس الوقت بكل ما يملك من قوة إلى الالتحام مع كافة القضايا المصيرية فى الوطن العربي والعالم الاسلامي ، وناصر كل القضايا العادلة فى العالم ، وحدد خطواته فى عدة أهداف نبيلة :

● تعميق الاحساس بالروابط المشتركة بين شعوب دول مجلس التعاون الخليجي ووحدة مصيرها ، واتجاه الجهد الاعلامي فى دولة قطر نحو تاكيد ترابط وتكامل وسائل الاعلام الخليجي عن طريق التعاون



عيسى غانم الكواري
وزير الاعلام



محمد عبد الرحمن الخليفى
وكيل وزارة الاعلام

والتنسيق وتبادل الخبرات المشتركة وابراز الأنشطة السياسية والثقافية والاقتصادية

● تدعيم القضايا العربية والاسلامية ومناصرتها فى كل المحافل الاقليمية والعربية والدولية ، وفى مقدمة هذه القضايا قضية فلسطين التى تابع الاعلام القطرى تطوراتها بكل دقة ووضع كافة امكانياته من أجل بلورة سياسة إعلامية عربية موحدة تتصدى لادعاءات الاعلام الصهيوني بصورة حضارية شاملة ، وهذا بالاضافة إلى سعيه المستمر لتحقيق التنسيق الاعلامي بين كل الدول العربية بعقد الاتفاقيات الرامية الى توحيد الجهود الاعلامية وتوطيد الصلة الفكرية بين كل ابناء الوطن العربي الكبير ..

● القيام بدور بناء فى شرح كافة القضايا العادلة فى العالم وفى مقدمتها قضايا التحرر فى أفريقيا ..

● الحضور الايجابي البناء فى كافة الاتحادات والاجتماعات والمؤتمرات والندوات الاعلامية

والواقع أن دعم الدولة ورعايتها المستمرة لمسيرة الاعلام القطري ، كان له الأثر البالغ فى تطوير أجهزته ومؤسساته وأداء رسالته الاعلامية بصورة مشرفة ..

فالاذاعة مثلا ، تميزت برامجها بكثافة المواد الاعلامية والأخبار والبرامج الثقافية ، ووصل ارسالها فى عام ١٩٨١ إلى أربعين ساعة يومياً باللغات العربية والانجليزية والأوردية ، وغطت دول الوطن العربي وآسيا وأوربا ، وقد بلغ عدد الاستوديوهات فى إذاعة قطر ١٤ استوديو كاملة التجهيز ، علاوة على استوديو اوتوماتيكي لبث الموسيقى الغربية ، ويحتوى المبنى الجديد للاذاعة على ثمانية استوديوهات مجهزة بأحدث المعدات والنظم الفنية ، كما يتم على مستوى البرامج التنسيق مع الاذاعات العربية فى نطاق التبادل الاذاعي للبرامج والمواد الاعلامية ، كما أن للاذاعة مراسلين فى معظم عواصم العالم ..

وما نراه من تطور فى الاذاعة ، نراه ايضاً فى التليفزيون الذى أصبح مزوداً بأحدث الأجهزة

ويوجد بالتليفزيون القطري حالياً خمس استوديوهات مجهزة بأحدث المعدات ، ولعل أضخم هذه الاستوديوهات استوديو الانتاج الكبير البالغ مساحته ٦٠٠ مترمربع والمخصص للانتاج البرامجي المحلي والتجاري .. ويبلغ معدل ساعات البث الاخباري والبرامجي فى التليفزيون القطري على القناتين (١١،٩) حالياً ١١ ساعة يومياً ، أي ٧٥ ساعة أسبوعياً ، تمثل فيها البرامج المحلية نسبة ٤٥ فى المائة .. أما ساعات البث التليفزيوني على البرنامج الثاني للقناة (٣٧) فتبلغ ٥

في ظل الاستقلال





لقطتان .. الأولى للمسرح القطرى الحديث الذى زود بأحدث الأجهزة والمعدات .. واللقطة الثانية لأحد الاستوديوهات الجديدة فى الاذاعة

ساعات يومياً ، وبذلك يصبح البث الاجمالي للتليفزيون ١٦ ساعة يومياً ، و١١٢ ساعة أسبوعياً تتميز بالتنوع والشمول ..

ويدعم جهازي الاذاعة والتليفزيون مركز التدريب الاذاعي ، الذى يعمل على تكوين جيل من الفنيين على مستوى دولة قطر والدول الخليجية بشكل عام ، للعمل بنشاط فى مجال الاذاعة والتليفزيون والمساهمة فى نهضة البلاد وتطورها عبر موجات الارسال الصوتية ..

وإذا كانت ادارة المطبوعات والنشر - باعتبارها أحد الروافد الهامة لوزارة الاعلام القطرية - تقوم بدور كبير على المستوى الداخلي والخارجي للتعريف بأنشطة الدولة وانجازاتها عن طريق الدراسات والبحوث واصدار الكتب والنشرات وتوفير الصور والمعلومات التى تخدم رسالتها ، فان الصحافة القطرية تؤدى رسالتها فى مختلف تخصصاتها مما يعكس الواقع الحضارى الذى تعيشه البلاد ..

وقد تم انشاء وكالة الانباء القطرية فى مايو عام ١٩٧٥ لتقوم بمهمة الحصول على الأنباء الصادقة من مختلف المصادر الخارجية والداخلية وتحليلها واعداد التعليقات والدراسات ، وقد أصبح لهذه الوكالة مراسلون فى معظم الدول العربية وبعض العواصم الأوربية والآسيوية الهامة .. وتعتبر وكالة الأنباء القطرية الآن أول وكالة انباء عربية وخامس وكالة على المستوى العالمى تبث أخبارها العربية والانجليزية عن طريق الأقمار الصناعية ..

وإلى جوار كل ذلك نجد أن ادارة الثقافة والفنون تضطلع بمهمة الحفاظ على تراث قطر الشعبى ورعاية الحركة الفكرية والأدبية والفنية والمسرحية فى البلاد ، مع الاهتمام بالفنون التشكيلية .. وفى السنوات الأخيرة شهدنا ميلاد الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية ، والاشتراك فى الأسبوع الثقافى الخليجى الذى اقيم فى باريس ، واحياء المشغولات اليدوية الشعبية ، واقامة مسرح جديد يسع ٥٥٠ شخصاً بنى على أحدث التصاميم وزود بأحدث الأجهزة والمعدات ، واقامة المعارض العديدة للفنانين التشكيليين القطريين ، ورعاية المواهب الشابة عن طريق المرسم الحر ..

كما أن ادارة السياحة والآثار تقوم بدورها فى مجال تنشيط هذا القطاع الهام ورفع مستواه ، مستعينة فى ذلك بخبراء من الاتحاد العربى للسياحة لاقامة عدة مشروعات تتناسب مع طبيعة البلاد .. كما أن قسم الآثار التابع للادارة يعمل جاهداً لاجراء المزيد من عمليات الكشف والتنقيب والحفاظ على الآثار بالتعاون مع بعض البعثات الأجنبية .. وقد أنشىء متحف قطر الوطنى ليكون سجلا حافظاً للتراث القطرى

وفى مجال رعاية الفنون انشات دولة قطر معهد الموسيقى التابع لوزارة الاعلام لتبنى البراعم الواعدة فى مجال العزف على الآلات الموسيقية والتلحين.

ومن كل ذلك وغيره ندرك مدى الدور الكبير الذى حققه الاعلام القطرى أثناء المسيرة التاريخية التى يقود خطواتها المباركة سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني وولى عهده الأمين سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى .

١١ عاماً على استقلال دولة قطر

عندما تتكلم الأرقام

● اتجهت سياسة الدولة النفطية إلى تبنى أسلوب متوازن بين مستوى الانتاج وترشيد الاستهلاك ، والحفاظ على معدل سنوى للانتاج بلغ حوالى ١٧٣ مليون برميل من الزيت الخام سنوياً من الحقول البرية والبحرية ، وذلك بمعدل انتاج يومى مقداره حوالى نصف مليون برميل حسب احصاءات عام ١٩٨٠ .

● وصل انتاج مجمع الحديد والصلب فى منطقة أم سعيد خلال عام ١٩٨٠ إلى ٤٥٠ ألف طن من القضبان الحديدية بالمقارنة إلى ١٣٣ ألف طن فى بداية انتاجه ، ويعتبر هذا المجمع أول مصنع متكامل فى النواحى التكنولوجية فى منطقة الشرق الأوسط والخليج العربى .

● أقرت الخطة الصناعية انشاء مصفاة ثالثة لتكرير البترول بطاقة انتاجية تبلغ ٥٠ ألف برميل يومياً ، مع العلم أن المصفاة الأولى طاقتها الانتاجية ٦ آلاف برميل يوميا ، والمصفاة الثانية تعمل بطاقة انتاجية تصل إلى عشرة آلاف برميل يومياً .

● أصبحت طاقة انتاج مصنع الأسمنت فى عام ١٩٧٩ حوالى ٣٣٠ الف طن سنويا

● حققت صناعة الأسمدة الكيماوية أرقاماً قياسية فى الانتاج ، حيث وصل الانتاج عام ١٩٨٠ إلى ٥٨ الف طن من الأمونيا يومياً و ٦٢٨ الف طن من اليوريا يومياً .

● يعتبر مصنع البتروكيماويات هو أكبر مجمع من نوعه فى الوطن العربى ، وتبلغ طاقته الانتاجية السنوية ٤٥٠ الف طن من الاثيلين و ٣٠٠ الف طن من البولى ايثلين المنخفض الكثافة و ٤٦ الف طن من مادة الكبريت .

● من أحدث المشروعات الصناعية فى دولة قطر مصنع سوائل الغاز الطبيعى الذى تبلغ الطاقة التصميمية اليومية لوحدتيه ٢٣٧٠ طن بروبان و ١٧٥٠ طن بيوتان و ١٧٥٠ طن جازولين طبيعى و ٢٤٩٥ طن من الغاز الغنى بالايثان .

● ارتفع عدد المزارع الاهلية من ٤١١ مزرعة فى عام ١٩٧١ إلى حوالى ٧٠٠ مزرعة فى العام الحالى ، وزادت مساحة أراضى المزارع المحصولية فاصبحت ٣٢ الف دونم فى عام ١٩٨١ .

● ارتفع حجم انتاج الخضروات فى قطر خلال العام الماضى إلى ١٨ ألف طن ، ووصل انتاج اللحوم والدواجن إلى أكثر من ٢٠٠٠ طن ، ووصل انتاج البيض إلى ٦ ملايين بيضة ووصل انتاج الأسماك إلى ١٨٠٠ طن تغطى حوالى ٩٠ فى المائة من الاستهلاك السنوى .

● وصل عدد طلاب جامعة قطر خلال العام الدراسى (١٩٨١ ـ ١٩٨٢) إلى ٣٤٠٠ طالب وطالبة ، ومن المتوقع أن يرتفع الرقم فى العام المقبل إلى ٤ آلاف طالب وطالبة .

● اهتمت الدولة بتأمين الطاقة الكهربائية اللازمة لاحتياجات المواطنين والصناعات المختلفة ، فارتفعت إلى ٢٧٥٦ ميجاواط / ساعة ، وانشئت وحدات تقطير مياه جديدة ليصبح إجمالى انتاج المياه يومياً ١٢٫٥٠ مليون جالون .

● تم استكمال أول سنترال هاتفى الكترونى يضم ٣٠ ألف خط ، وتجرى الاختبارات على البدالة الالكترونية الثانية لمنطقة الدوحة المركزية بسعة ٣٤ ألف خط .

● من أجل تسهيل الاتصالات الفضائية هناك مشروع لانشاء المحطة الأرضية الثانية للاتصالات الفضائية ، وقد بدأ العمل فيها ، وستعمل مع مجموعة الاقمار الصناعية التابعة للمؤسسة العالمية للاتصالات الفضائية شرق منطقة المحيط الأطلنطى .

● انتشرت المكاتب البريدية فى كل انحاء البلاد حتى اصبح عددها ٢٠ مكتب اضافة إلى مكتب مطار الدوحة الدولى ، وتعزز هذه المكاتب شبكة من صناديق البريد بلغ عددها ١٢ ألف صندوق .

● يتبنى مستشفى حمد العام خطة مستقبلية لايجاد جهاز طبى شامل يمكن العاملين فيه من توفير العناية للمريض فى مكان الحادث ، ويضم هذا المستشفى الطبى المتقدم وحدات علاجية متخصصة للرعاية الطبية والجراحية الدقيقة لأمراض القلب وطب العيون والعظام وامراض الأطفال ، وأهم أقسامه العلاجية : قسم الأمراض الباطنية ، وقسم الجراحة ، وقسم الأطفال ، وقسم الأشعة ، وقسم العيادات الخارجية ، وقسم الطوارىء والحوادث .

فى الأعداد القادمة

- المسجد ودوره الحضارى فى دولة قطر : د . حسن عيسى عبد الظاهر .
- متحف قطر الوطنى عام ٢٠٠٠ : درويش مصطفى الفار .
- نهاية العصر الذهبى للغوص : أحمد العنانى .
- الجمهور والفن التشكيلى القطرى : محمد علي عبد الله .
- دراسة نقدية لكتاب الأدب القطرى الحديث : حسني شحاده .
- المرأة القطرية فى وسائل الاعلام : نعيمة المطاوعة .



بقلم : الدكتور محمد البهي

"الفقراء"

يقول الله تعالى فى سورة فاطر : « يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد » .. فيصف الله نفسه بانه الغنى : فى وجوده .. وفى بقائه عن كل موجود عداه .. وانه الذى يحمد ويثنى عليه ، لأن جميع ما سواه مرتبط فى وجوده وفى بقائه ، به سبحانه وتعالى . واذا كان الله له الكمال المطلق فى كل ما يتصف به فوصفه بالغنى الآن يقصد به : الغنى المطلق ، أو الغنى الكامل .

فاذا اخبرت هذه الآية ، فى جملتها الأولى : بأن الناس هم أصحاب الحاجة إلى الله : فى وجودهم وفى بقائهم وفى أرزاقهم . وحاجتهم إلى الله حاجة ماسة وضرورية . لأن ذلك هو المقابل لغنى الله المطلق .

وعلى هذا النحو قوله تعالى : « ومن يبخل (اى بالانفاق على غيره ابتغاء وجه الله) فانما يبخل عن نفسه ، والله الغنى ، وانتم الفقراء » .. ففقر الناس فى الأرزاق هو حاجتهم الشديدة فيها الى الله . وغنى الله عن كل ما سواه : هو بعده المطلق عن الحاجة .

والفقراء اذن هم أصحاب الحاجة الشديدة والماسة الى غيرهم : فى وجودهم وفى ارزاقهم ، والى الله ، والى من سواه من أصحاب الثراء ، ان كان فقرهم فقر مال .

والفقر هو الحاجة الشديدة او الماسة التى تلحق بالانسان . والانسان اذا سائل . وقوله تعالى : « واما السائل فلا تنهر » .. يريد بالسائل : الفقير أو صاحب الحاجة الشديدة . وما يطلبه القرآن هنا ليس هو اعطاء السائل .. وانما عدم نهره ورده بغلظة : « فلا تنهر » .. وقد لا يسأل الفقير متعففا . ولكن يعرف فقره ، وتعرف حاجته الشديدة : فى وجهه .. وفى ملبسه . وقد وصف القرآن هذا النوع من الفقراء فى قول الله تعالى : « للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله (اى الذين ضاق وقتهم بسبب الدعوة الى دين الله) لا يستطيعون ضربا فى الأرض (اى ومن اجل انشغالهم بالدعوة لا يتمكنون من السعى فى الارض تجارة .. او زراعة .. من اجل الرزق) يحسبهم الجاهل : اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم (بتحول ابدانهم وشحوب وجوههم .. واهمال ملابسهم) لا يسالون الناس : إلحافا (اى لا يلاحقونهم بالسؤال اينما ساروا .. واينما كانوا) ... »

وجاء مفهوم الفقر فى القرآن بهذا المعنى فى قول الله تعالى : « الشيطان يعدكم الفقر (اى يخيل للذين ينفقون من اموالهم فى سبيل الله : انهم سيصبحون بسبب إنفاقهم : من ذوى الحاجة الشديدة . ولا يمكن لأحد التأثر بخداع الشيطان الا اذا خيل للمنافقين : انهم سيفقدون جميع ما يملكون ـ وليس بعضه ـ وان ايديهم ستلصق بالتراب ، ان هم انفقوا) ويأمركم بالفحشاء (وفى الوقت نفسه : يوجههم الى إنفاق اموالهم فى صنوف السوء والفحشاء) ، والله يعدكم مغفرة منه ، وفضلا (اى بينما الله يعدكم امرين ، على النقيض مما وعدكم به الشيطان : يعدكم بالعفو عن ذنوبكم الماضية وبالأخص عن البخل .. كما يعدكم بنمو اموالكم وزيادتها ، ان انفقتم فى سبيل الله) والله واسع عليم (واسع فى القدرة والفضل .. وعليم بمستقبل اموركم ، ومستقبل الوجود كله) ... »

وهكذا : الفقير من لا ملك له .. ولا كسب له : لعجز .. أو لشيخوخة. والفقير يعطى من الصدقات ـ وهى الزكاة ـ ما يسد حاجته ، تطبيقا لمبدأ التكافل .. وتخفيفا عن حقده على من يملكون المال .. أو الصحة والقدرة على العمل .

وهكذا بالزكاة يدعو الاسلام الى الترابط على أساس انسانى .. وليس على أساس المبادلات فى المنافع ، والمتع المادية ، والمصالح الشخصية .

بنديتو كروتشه

ناقد عالمي يجهله العرب!

بقلم الدكتور: الطاهر أحمد مكي

مع نهضة العالم العربى الحديثة إنهارت الأسوار العالية التى تحجبه عما حوله من العالم ، فعرف ما عند الآخرين واهتضمه ، وتمثله ، وطوعه فى ضوء تراثه ، ليجىء نتاجاً عربياً ، وإن حمل طابع الحداثة وأريجها ، وفى رحلته الى هذا الجديد عرف الكثيرين من علماء الغرب وادبائه ونقاده ، وكانوا فى جلهم إما إنجليزاً أو فرنسيين ، بحكم أن انجلترا وفرنسا كانتا من أقوى دول الغرب ، وأوثقها صلة بمنطقة الشرق الأوسط بخاصة ، والعالم الاسلامى بعامة . واصبح مألوفاً فى جامعاتنا أن تتردد بين قاعات الدرس فى الكليات الانسانية ، وفى صفحات الكتب أسماء : سنت بيف ، وبرونتيير ، ودينان ، وتين ، وهازلت ، وكولردج ، وماثيو أرنولد ، وآخرون كثيرون من كبار النقاد والأدباء والفنانين ، الى جانب أسماء المانية قليلة ، كان حظها من الفلسفة والتنظير والأصالة كبيراً ، مثل : هيجل ، ونيتشه، وشوبنهاور وغيرهم .

وقد توقفت معرفتنا بالحضارة الاوربية عند هذه الدول ، والقليل الذى عرفناه عن اداب بقيتها ، جاءنا عنها ايضاً مترجماً الى لغاتها ، رغم أن بعضها ضارب فى العراقة ، وله اسهام مجيد فى تطور الانسانية ، والارتقاء بالأدب والفن ، وبعضها الآخر متواضع الحظ فى عالمنا المعاصر ، ولكن وراءه تاريخاً ثرياً ، وماضياً رائعاً . فنحن لا نعرف ـ مثلا ـ شيئاً عن الأدب اليونانى المعاصر ، لأن اضافة اليونان الحديثة محدودة وشاحبة وموقفنا من الأدب الايطالى ليس بافضل كثيراً ، مع أن للايطاليين جهداً لاباس به ، وبخاصة فى مجال النقد ، وفى فلسفة الجريمة والعقوبة ، وانها اقرب الينا جغرافياً من اى بلد اوربى آخر .

ومرد ذلك فيما أرى أن ايطاليا كانت موزعة الى دويلات متناحرة فى مطلع القرن التاسع عشر ، فلما استكملت وحدتها بدأ الصراع بين القوى الكبرى فى أوربا على استعمار بقية العالم غير الأوربى ، فحاصرتها إنجلترا وفرنسا ثقافة ونفوذاً ، وعزلا الشعوب التى تخضع لهما عن أى تأثير ثقافى اجنبى غير ثقافتهما ، كل واحدة فى البلد الذى تستعمره ، وحين بدأت ايطاليا تستعمر ليبيا قبيل الحرب العالمية الأولى جاءت اليها بروح الاستعلاء الفاشى ، فلم تر فى اهلها خيراً ولم تقدر انها ستخرج منها يوماً ، فدفعت بهم الى الصحراء ليأكلهم الجفاف والجوع والفقر ، وحين أتت الحرب العالمية الثانية على أوهام الفاشية ، وخرجوا مدحورين من ليبيا لم يتركوا وراءهم اثراً ثقافياً واحد يبقى لهم ويذكر .

وهكذا حرمنا من معرفة الاسهام الايطالى المعاصر فى عالم الفن والابداع ، بسبب الايطاليين انفسهم ، وبسبب خصومهم ، ولو أن اديبهم الكبير البرتو مورافيا ، ولايزال يبدع ويثرى الأدب بقصصه ورواياته ورحلاته على مستوى عالمى ، اصبح معروفاً للقارىء العربى المثقف . لكن .. كم من المثقفين عندنا يعرفون بنديتو كروتشه ، ولا تفتح كتاباً فى النقد الأدبى الحديث ، فى اية لغة غير عربية ، إلا وقعت عليه يعرض فكرته أو يقول رأيه ، أو يناقش غيره ، وله آراء جليلة ومتميزة وأصيلة فى النقد والفلسفة والفن ؟!

الزلزال

ولد بنديتو كروتشه فى قرية تقع فى وسط شمالى ايطاليا ، فى منطقة جبال الالب الشهيرة عام ١٨٦٦ ، ونشا منذ طفولته يحب القراءة ، والروايات بخاصة وحين بلغ التاسعة من عمره كان قد قرا امهات الآثار الادبية الايطالية ، وبتاثير من امه احب الفنون والآثار القديمة منذ صغره ، إذ تعودت امه ان تصحبه معها الى كنائس نابولى ، وان يقفا سويا امام روائع اللوحات الفنية .

وفى الثامنة عشرة من عمره فقد ابويه واخته الوحيدة فى زلزال ، وظل هو نفسه تحت الانقاض ساعات طويلة ، وتعرض فى مراهقته لكثير من الهزات النفسية ، وفكر فى الانتحار غير مرة ، ثم وجد فى الكتب العزاء والسلوى فهرب اليها ، ووهبها كل وقته ، وامضى فترة قصيرة من حياته فى روما ، وعاد بعدها الى نابولى وفيها امضى كل حياته ، وارتبط تاريخه بها ، وكتب بين جنباتها معظم قصصه ، وارخ لها سياسة واحداثا ومسرحا وادبا ، ودخل ميدان السياسة ، وانتخب عضوا فى مجلس الشيوخ ، وعين وزيرا للمعارف وكان له فى السياسة مواقف قوية ، وترك آثارا واضحة فى فكر امته وثقافتها .

الثقافة الايطالية

إجمالا يمكن القول ان كروتشه رفع الثقافة الايطالية كلها إلى أعلى مستوى اوربي ، وادخل فيها بجهد ثقافي لا يكل ولا يمل كل خمائر الثقافة العالمية ، الاكثر حيوية وفعالية منها ، ولم يقف بجهده عند الالتقاط فحسب ، وإنما كان ينتقى ، ويخضع ما يختاره لدراسة نقدية واعية ، وتقييم فني دقيق ، وادى لوطنه رسالة عظمى لا فى مجال السمو بالثقافة فحسب ، وإنما فى مجال الحياة المدنية والاخلاقية ايضا .

انفق كروتشه اعوامه الاولى فى دراسات عميقة متنوعة ، فى نطاق المذهب الوضعى ، وادرك مبكرا احتضار هذه الفلسفة ، فانتقل من دراسة خصائصه الى دراسة المناهج التى تحكمه ، وادرك فى الحال عدم كفاية الفلسفة المعاصرة ، ومسلحا بكفاءة عالية فى الكتابة ، وقدرة متمكنة من الاسلوب الرفيع ، قاد منتصرا حركة عاصفة متمردة ضد العقائد البالية وكل اشكال الثقافة الوضعية ، وتحت راية هذا الفكر الجديد ارتد الى الماضى ، وارتبط مع اشد الاساليب الرومانسية عمقا ، واعمق التقاليد الثقافية الايطالية العظيمة .

دراسة غريبة وجريئة

بدا كروتشه انتاجه الفلسفى والنقدى عام ١٨٩٣ ، بدراسة موجزة ، تحمل عنوان : «رد التاريخ الى مفهوم عام للفن» وانتهى فيها الى ربط قضية التاريخ بقضية الفن ، وكان ذلك كشفا فجائيا ، واثارت دراسته عناية النقاد على غرابتها وجراتها . وفى العام التالى توسع فيها ، إثر مناقشة قامت بينه وبين عالم لغوى ، فكان كتابه عن «النقد الادبى» . وبعده انصرف الى دراسة فلسفة التاريخ ، وكتب فيها سلسلة من الابحاث على امتداد خمس سنوات كاملة ، بين عامى ١٨٩٥ و ١٩٠٠ ، ولما فرغ منها شعر ان آراءه فى فلسفة الفن اغتنت ، وانتظمت من تلقاء نفسها فى مذهب ، فحملها كتابه «فلسفة الفن» ، وانطوى على مذهب فلسفى كامل ، ومصدرا لمشاكل فلسفية جديدة ، قرر ان يمضى معها الى النهاية شارحا ، ومفصلا ، وضاربا الامثال ، وذلك عن طريق إصدار مجلة فلسفية تحمل فكره الى القراء من مواطنيه وفى العالم ، الى جانب سلسلة من المؤلفات النظرية والتاريخية ، تبسط جوانب هذه الفلسفة على نحو ادنى الى الكمال والبساطة والوضوح .

يقاوم الفاشية

وفى ٢٠ يناير من عام ١٩٠٣ م اصدر العدد الأول من مجلته «النقد» ، وسرعان ما فرضت نفسها على الفكر الأوربى اجمع وكان حظها من التاثير ابلغ من مؤلفات صاحبها نفسه ، واتخذ منها سلاحا يكافح به ضد النقد التاريخى الخالص والاتجاه الوضعى ، ويبشر عن طريقها بنظريته فى الجمال كما عبر عنها فى مؤلفاته ، وبلغت من النفوذ قدرا تجاوز الادب الى السياسة والفلسفة ، الى ان توقفت عن الصدور عام ١٩٤٦ م ، ولكن روحها واتجاهها واصل سيره عبر مجلة اخرى حملت اسم «كراسات فى النقد» .

والى جانب المجلة واصل نشاطه الثقافى مؤلفا ، فكتب مجموعة من الابحاث الادبية والتاريخية القيمة ، تمثل مجتمعة دراسة منهجية عميقة لجوانب الحياة الفكرية فى ايطاليا ، فاصدر سلسلة «اعلام الفلسفة الحديثة» و «ادباء ايطاليا» و «مكتبة الحضارة الحديثة» ، بالاشتراك مع صديقه جنتيلى (١٨٧٥ - ١٩٤٤) ، الذى زامله فى تحرير مجلة النقد ايضا ، ولو ان السبل تفرقت بهما فيما بعد ، ومضيا كل فى طريق ، فقد آثر جنتيلى ان ينضم الى الفاشية ، وامسك كروتشه بنفسه عن السقوط .

وفى عام ١٩٢٢ استولى الفاشيون الايطاليون على مقاليد الحكم ، وجثموا على انفاس الشعب الايطالى حتى هزيمتهم فى الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٣ ، وخلال ايامهم تاكدت شهرة كروتشه الواسعة ، وطوقه مواطنوه والعالم كله بالاجلال والتقدير ، لانه قاوم طغيان الفاشية بقوة وإصرار وصلابة ، واتخذ منها على الدوام موقفا ناقدا ومعارضا ، واقام فى وطنه لم يبرحه ابدا ، رغم تعرضه لكل الوان الاذى ، ورغم كل الدعوات التى وجهت اليه من الخارج ، فظل المثل الهادى ، والفكرة الموحية ، لمثقفى إيطاليا وشبابها ، فى كل ساعات العسرة والضيق . وبعد ان تحررت ايطاليا من الفاشية والالمان شارك بايجابية ونشاط فى الحياة العامة ، وبقى دائما ، فى استقامته وتلاحمه وتماسكه ، استاذا قدوة ، ولم يتخل عن رسالته كاتبا ابدا ، رغم امتداد عمره ، ووهن قوته حتى آخر يوم من حياته وتوفى عام ١٩٥٢ .

كان ناقد إيطاليا الكبير صاحب اسلوب سهل ممتنع ، عذب وجميل ، لا فى الفلسفة وحدها ، وإنما فى التاريخ والنقد ايضا وتميز بالثقافة العريضة الواسعة ، وجمع فى حواره بين اللطف والرقة والصلابة ، على نحو لا يتاتى إلا لقلة نادرة ، وجدد المفاهيم المتصلة بالفن واللغة والنقد الادبى وتدوين التاريخ ، واصبحت ابحاثه جوهرية لفهم الثقافة الايطالية الجديدة ، وقواعدها الجمالية ، وناضل بقوة ضد نظريات المذهب الوضعى التى تحصر

بنديتو كروتشه

ناقد عالمي يجهله العرب !

الفن فى الواقع المحسوس فقط ، او تعرضه ثمرة الجنون والشذوذ ، او تجعل منه وسيلة لتلقين الحقائق ، او الدعوة لموضوعات ذات طابع اجتماعى .

الفكر والحقيقة

وانتهى كروتشه الى ان الفكر والحقيقة شيء واحد ، وان المعرفة ليست علاقة بين الفكر وموضوع مستقل عنه ، وإنما هى الفكر نفسه فى إدراكه لذاته . والفكر له صورتان ، او لونان من النشاط : نظرى يتجه الى المعرفة ، وتطبيقى غايته الارادة او هما بتعبير آخر العلم والعمل ، ولا يعنى بالارادة هنا معناها الفلسفى من انها أساس الكون ، ومبدأ الاشياء والواقع ، ولا معناها المجازى حين يراد بها كل فعل يقوم به الفكر البشرى ، وإنما باعتبارها نشاطا للفكر يختلف عن التامل النظرى للاشياء ، وينتج اعمالا لا معارف ، ويكون العمل عملا حقا بقدر ما يكون ارادياً ، وإلا فهو حركة مجردة ، وواقعة مادية ، وإرادة العمل تتضمن بداهة إرادة العصيان .

والمعرفة لها صورتان : حدس وليد المخيلة ، وبه تدرك الصور الجزئية الفردية وهذا هو الفن ، وفكر يجيء عن طريق الذهن ، وبه تدرك العلاقات الكلية ، وهذا هو المنطق ، فهى إما مبدعة صور ، او منتجة تصورات .

والتطبيق ، او العمل ، له صورتان : اقتصادية تهدف الى تحقيق طموحات فردية ، غايتها النفع ، واخلاقية تستهدف غايات كلية تتجه نحو الخير .

ومن ثم يتالف من العلم والعمل ، بصورتيهما ، مفهومات اربعة تستنفد الحقيقة : الجمال والحق والمنفعة والخير . ويطلق على هذه الجوانب الاربعة من الحقيقة ، او الفكر ، اسم اللحظات الاربع ، وهذه اللحظات ليست منفصلة فيما بينها ، وكل واحدة منها تمثل الحقيقة الواقعة كاملة ، ففى اللحظة الاولى تتمثل الحقيقة بكاملها جمالا ، وفى الثانية حقا ، وفى الثالثة منفعة ، وفى الرابعة خيراً .

والنشاط الفنى اول خطوات الفكر ، وهو الصورة المبكرة له ، وهو حدس خالص ، والحدس هو الادراك المباشر لحقيقة فردية جزئية خاليا من اى عنصر منطقى ، والمعرفة الفنية ، او الحدسية إن شئت ، تسبق المعرفة المنطقية ، وهذه تقوم على تلك ، ولكن الاولى لا تقوم على غيرها ، لانها فجر كل معرفة . وفى دراسته عن «الحدس المحض والطابع الغنائى للفن» ، ونشرها عام ١٩٠٨ ، استعاض عن مصطلح «الحدس المحض» ، بمصطلح جديد هو «الحدس الغنائى» ، وبذلك حل مشكلة العلاقة بين النشاط الاجتماعى ومحتواه .

واوضح كروتشه ان الفن تعبير عن شعور ، او هو التكافؤ الكامل بين العاطفة التى يحسها الفنان وبين الصورة التى يعبر بها عن هذه العاطفة ، اى بين الحدس والتعبير ، ولذلك لا يمكن تصنيف الفنون والاجناس الادبية بصورة نهائية ، لان الحدس شيء فردى ، وجديد دائما ولا نهاية لعدده ، وليس للتصنيفات التى يضعها النقاد للفنون ، وفى داخل الفن نفسه ، قيمة ثابتة ، ومثلها القوانين التى يضعها النقاد الذين يلتزمون مذهبا بعينه تجريبياً او نفعياً ، عقلياً او صناعياً ، اجتماعياً او نفسياً ، حقياً او اخلاقياً بوجه خاص ، ويرون قيمة الاثر فى التزامه القواعد ، او إحداثه اللذة ، او توليده الحقيقة ، وما الى ذلك . وهم يرون ـ مثلا ـ ان الاثر الفنى الذى يخرج على قواعد الاخلاق قبيح ، مهما كان فى ابداعه جميلا

الناقد فنان أيضاً

ويرى كروتشه ان الفنان مبدع لا اكثر ، اى انسان يحب ويعبر ، ومن حيث هو كذلك ليس عالماً ولا فيلسوفاً ولا اخلاقياً . وبداهة يمكن ان نصفه كانسان بالاخلاق وعدمها ، اما من حيث هو فنان خلاق فلا نستطيع ان نطالبه باكثر من التكافؤ التام بين ما يبدع وبين ما يشعر به . وعلى الناقد ان يقف امام مبدعات الفن موقف المتامل لا موقف القاضى او الناصح ، فهو فنان اخر يحس ما احسه الفنان الاول ، ويعيش حدسه مرة ثانية ، والاختلاف بينهما ان الناقد يعيش واعياً ما عاشه الفنان غير واع .

وإذا كانت فلسفة الفن هى علم الحدس الخالص ، فان المنطق علم المفهوم المحض ، والحدس لا يقوم على المفهوم ، لانه اول صور المعرفة ، وعلى العكس يقوم المفهوم على الحدس ، لان الحدس موضوع المعرفة العقلية ، ومجالها معرفة العلاقات القائمة بين الاشياء ، وهذه الاشياء هى الحدوس ، وبدونها لا يمكن وجود المفهوم ، وهو عند كروتشه يختلف عنه عند ارسطو ، فالاول يراه الفكر نفسه وقد بلغ مرحلة التعميم ، ويراه الثانى مفهوماً مجرداً لا يزيد على انه التعميم نفسه .

المعرفة تساوي الارادة

وفيما يتصل بالجانب التطبيقي للحدس وهو العمل ، يرى كروتشة انه بدون معرفة لاتكون هناك إرادة ، وبوسعنا ان نعقل معرفة مستقلة عن الارادة ، اما الارادة المستقلة عن المعرفة فلا تعقل ، لان الارادة الحقة لها عينان ، واما الارادة العمياء فليست إرادة . وانى لنا ان نريد إذا لم تكن امامنا حدوس تاريخية ، اي إدراك للاشياء، وحدوس محضة ، اي تخيل للممكنات ، وروابط منطقية بين هذه الاشياء توضح طبيعتها . واني لنا الارادة الحقة إذا كنا لا نعرف العالم الذى يحيط بنا ، واسلوب تحويل الاشياء بالتاثير فيها ؟ .

فالنشاط العملي ، او الارادي ، لا يستقل عن المعرفة ، ويجيء فى صورتين تتضمن ثانيهما الاولى : النشاط النفعي ، او الاقتصادي المحض ، والنشاط الاخلاقي ، ويهدف إلى غايات فردية ، وهو « جمال » الحياة العملية ، ويهدف إلى غايات فردية ، وهو « جمال » الحياة العملية ، ويهدف الثاني إلى غايات كلية ، وهو منطقها ،

وهذه اللحظات الأربع : الجمال والحق والمنفعة والخير ، يرتبط بعضها ببعض ارتباطاً دائرياً ، فاللحظة الأولى شرط فى الثانية ، وتتوقف على الرابعة ، والثالثة تتوقف على الثانية وشرط فى الرابعة ، وهكذا تدور الحياة : حدس ، فمنطق ، فاقتصاد ، فاخلاق .

الذوق والعبقرية

وفى ضوء هذه الأسس مضى كروتشه يوضح بالتدريج مفاهيم الذوق والعبقرية ، ووظيفة النقد ، وتاريخ الأدب ، والنشاط الجمالي ، والمضمون والصورة ، وحدد طبيعة اللغة ، وانها بالدقة ثمرة النشاط الجمالي فى لحظة الخلق الخالدة ، وميز التعبير الشعري بمعناه الدقيق عن بقية انواع التعبير الأخرى ، كالارتجال والخطابة ، وكلاهما ينتمي إلى الجانب التطبيقى ، وهو وليد النشاط الفكري الخالص ، وفيه يتدنى الخيال ليصبح كلمة او رمزا على فكرة فحسب .

وهو يرى أن الاعمال الادبية ، وتمثل الجانب الأعظم من ثقافة شعب ما ، شكل من الحضارة ، وتعبير عن ذوق الشعب ، ونموذج يومىء إلى روحه ومدنيته الخاصة ، وفيها لا يجب ان نبحث عن عبقرية المبدع المتفردة ، وإنما عن انتشار حضارة الحرف ، كاي جانب آخر من جوانب الحضارة ، فلسفية او سياسية او اقتصادية او غيرها ، ومثل هذه الاعمال نادراً ما تكون خلقاً عبقرياً خالصاً ، وكثيراً ما تعكس رؤى العبقرى ، وقد تمثل رغائب شعبه ، وتعكس فى الوقت نفسه حاجاته المشتركة ، ادبية وثقافية . والجانب الأكبر من الروايات والقصائد ، والمسرحيات بانواعها المختلفة ، ومثلها فى ذلك المعمار والموسيقى والرسم وغيرها ، اعمال حضارية ، تمثل الشعب بدقة فى لهوه وطربه وثقافته ، وليست مناط موازنة ، او منافسة ، بينها وبين صاحب الأصالة الشعرية الحقة .

ومثل هذا التمييز يساعدنا كثيراً على فهم تاريخ الحضارة الادبية ، وعلى تكوين راينا ناقدين .

التاريخ والشاعر

كذلك عرض بطريقة بالغة الوضوح والروعة لقضية العلاقة بين الاخلاق والشعر ، ويرى ان الشعر بمعناه الدقيق لا يخلق حقيقة ولا خلقا ، ومع ذلك فهو يتغذى بكل ماتنطوى عليه نفوسنا ، وما تملكه شخصيتنا من ثراء ، وهي اخلاقية فى الجانب الأكبر منها . فليس من مهمة الشعر ان يخطب او يعظ او يستهدف اقناعات خلقية ، ولكن روح الشاعر لا يمكن ان تدير ظهرها لتجربة الروح الانساني الواسعة ، ولا يمكنها ان تستهدي غير النقاء ، اي الأخلاق ، وتزداد فتنة الشعر وروعته بقدر ما تكون شخصية الشاعر اشد تحليقا واكثر سموا .

وفيما يتصل بالعلاقة بين التاريخ والشاعر حدد مفهومه من التاريخ ، وانه يعنى به الوقائع والمثل العليا للمجتمع ، سياسية او دينية فى عصر من العصور ، وانتهى إلى ان الخلق الشعري لشاعر ينتمي إلى هذا العصر حدث لا يصدر عن التاريخ ، ولا يحدد هذا مساره ، وكل خلق شعري كامل فى نفسه ، ومستقل عن اي شيء آخر ، ولكن المادة والفحوى ، فكرياً وإنسانياً ، يتوقفان على ما يتغذى به الشاعر ، ويثريان باتساع فكره ، وعميق صلته بالتاريخ ، وما يحمل فى اعماقه من اغذية خفية ، وخمائر فعالة ، ومن ثم فهي تعكس خفق الحقبة التاريخية التى عاشها الشاعر ، او الفنان .

فالتاريخ لا يحدد العمل الشعري ، ولا يشكله ، ولكنه يصنع الظروف التى تطوقه، وليس ممكناً ان نتعمق فيه ، وان نفهمه جيداً ، دون ان ندرك واعين الظروف الأخلاقية والتاريخية التى ولد فيها ، ولونته ، دون ان تصبح له قيداً او تحد من حريته .

أشكال خاصة

واخيراً يتحدث عن الراي القائل بان هناك اشكالا فنية خاصة ، وان كل شكل منها له مفهومه وحدوده وقوانينه الخاصة ، وكيف تجسدت هذه الفكرة فى مذهبين ، يعرف احدهما باسم نظرية الاجناس الادبية ، وتقسم الادب إلى غنائي ومسرحي وملحمي ، وروائي وقصصى ، وإلى ملهاة وغيرها . ويعرف الثاني باسم نظرية الفنون ، وتقسمها إلى شعر وتصوير ونحت وعمارة وموسيقى وتمثيل وغيرها . وفى بعض الاحيان يعدون النظرية الأولى جزءاً من الثانية، وهي تقسيمات تعود إلى الحضارة اليونانية ، ولا تزال شائعة فى ايامنا هذه ، وكثيرون من الكتاب يؤلفون فى فن الماساة ، وفن الملهاة ، وفن الفكاهة وغيرها ، إلا ان ضررهم محدود لأن الناس قلما يصغون إليهم ، فهم يكتبون لانفسهم تسلية ، او ليحتلوا مركزاً علمياً ، ولكن الأدهى ان النقاد انفسهم يحكمون على الآثار الفنية بالنسبة إلى الجنس او الفن الذى تنتسب إليه فى رايهم ، وهم فى هذه الحال لا يبرزون جمال الأثر او قبحه ، وإنما يبحثون عن التزامه القواعد او الخروج عليها ، وشاع هذا الاتجاه ، حتى اصبح تاريخ الأدب والفن تاريخاً للاجناس الادبية والفنية ، وادى هذا الى تجزئة اعمال الفنان الواحد ، وهي تكون وحدة فى الواقع مهما تكن الصورة التى جاءت فيها ، غنائية او قصصية او مسرحية ، ومن ثم يمكن ـ مثلا ـ ان نعد شاعراً مثل اريوست الايطالي (١٤٧٤ ـ ١٥٥٣) بين رجال النهضة الذين تعهدوا الشعر اللاتيني تارة ، وبين الغنائيين الذين كتبوا بالعامية تارة اخرى ، وحتى بين كتاب الملاحم ، او الهجائين ، إلى آخر ماهنالك من اجناس ادبية ، يمكن ان نجد له مكاناً .

الفن المجرد

مامن احد يجهل ان التاريخ الأدبي مملوء بالحالات التى يخرج فيها الفنان العبقري على الاجناس الأدبية والفنية المقررة ، فيحمل عليه النقاد ، ولكن حملتهم لا تطفىء إعجاب الناس به ، ولا تحد من ذيوعه ، ومن الزمن يجد النقد نفسه فى حاجة إلى ان يتساهل بازائه ، فيوسع

بنديتو كروتشة

ناقد عالمي يجهله العرب!

نطاق الجنس الادبي ليشمله ، او يقبله جنساً جديداً ، وهكذا تستمر عملية تحطيم القيود ، وقلب القواعد ، مع كل اثر عبقري جديد . ولكن من الحق ايضا ان هذه الشبكة من التصنيفات ذات فائدة ، لا تتصل بالابداع ، فهو عفوي وتلقائي ، ولا بالحكم عليه ، فهذا امر فلسفي ، وإنما من قبيل الحصر والاحصاء لآثار لا تنتهي ، وذلك شيء يفيد الذاكرة ، ويعينها على الانتباه ، وهو امر محمود ولا غبار عليه ، مادمنا لا نجعله مبدا فلسفيا ، ولا مقياسا للحكم على الفن .

غير ان هذه الاصناف والاجناس تسهل المعرفة ، وتيسر التربية الفنية ، لانها في مجال المعرفة اشبه بقائمة تذكر فيها اهم الابداعات الفنية ، وهي في التربية مجموعة من النصائح الضرورية اوحت بها الخبرة العملية الفنية ، والمهم الا نخلط بين القوائم والواقع ، او بين الاحداث والاوامر الظنية وبين القواعد الصارمة ، وهو خلط نقع فيه بسهولة ، ولكن نستطيع ويجب ان نقاومه .

إن كتب الادب والبلاغة والنحو والعروض والموسيقى والتصوير وغيرها ، إنما هي اولا قوائم بالاعمال الفنية ، ومجموعات من النصائح ، وتتجلى فيها ، ثانيا ، ميول إلى تعبيرات فنية خالصة وفي هذه الحالة يجب ان نعدها من « الفن المجرد » الذي لا يزال في مرحلة التاهب والتحضير ، ونجد فيها ، اخيراً ، محاولات لفهم موضوعها فلسفياً ، ولكن يفسدها خطا التقسيم إلى اجناس وفنون على نحو ما انتقدنا ، ومع ذلك فهي تناقضات تمهد السبيل امام النظرية الصادقة في فردية الفن .

أدب ايطاليا الجديدة

عبر هذا الطريق غذى كروتشه النقد وذكاء القاريء ، لكي يذهب هذا بمتعته إلى ماهو ابعد من مجرد قراءة الاعمال العظيمة واحكم مناهج النقد والتذوق بقوة ، وطور الثقافة الايطالية في شتى جوانبها ، وانطلاقا من مبدا ان الفلسفة منهج التاريخ اي انها تعيش فقط في وحدة مع مشكلات الحياة المحددة ، قام بجهد نقدي عظيم وفعال ، وكتب العديد من المقالات عن اكبر الكتاب الايطاليين والاجانب .

وبين اعماله النقدية فان كتابه عن « ادب ايطاليا الجديدة » ، وجاء في ستة مجلدات ، يجيء في القمة إحكاما وشمولا ، والفه بين عامي ١٩١٣ و ١٩١٤ ، ويدرس الادب الايطالي بعد الوحدة القومية ، اي بين عامي ١٨٦٠ ، ١٩١٠ تقريبا ، ويعتبر حتى اليوم اثري واعمق ما كتب عن هذه الفترة . ودرس إلى جانبه ، في ابحاث عميقة مركزة ، كبار الكتاب والادباء من إيطاليين واجانب ، امثال : اريوست ، وشكسبير ، وكورناي ، ودانتي من بينهم بخاصة . ويتجلى فيها كلها عمق الناقد واصالته ، وطبق فيها منهجا خاصا اختطه لنفسه . وإلى جانب هذا كتب عن الشعر العامي والمثقف ، والقديم والحديث ، وادب ايطاليا في القرن السادس عشر الميلادي وفي عصر النهضة وغيرها .

استاذية ماهرة

وإلى جانب دراساته المتصلة بالادب والفن ، اقبل على دراسة التاريخ ، وما يتصل بتاريخ اللغة بخاصة ، والاقتصاد والتشريع ، وتاثير النظم الاجتماعية والسياسية في الحياة ، وياتي تاريخه لمملكة نابولي في قمة اعماله في هذا المجال ومن خلال هذه الثقافات الواسعة المتنوعة، انتهى إلى مفهوم خاص به عن الحياة ، والصحة والعزيمة والواجب ، والايمان بتطور التاريخ ، وبالفن اداة لاشاعة التناسق والجمال .

ولا يستطيع المتحدث عنه ان يمر بلغته في الكتابة ، واسلوبه في التعبير مروراً عابراً ، إذ انه في هذا المجال يجيء حداً فاصلا في تاريخ اللغة الايطالية الحديثة ، فلغته منتقاة دون إغراب ، وجزلة دون تقعر ، ونموذج للرقة دون تهافت ، وتعادل في استاذية ماهرة بين الحفاظ على جوهر اللغة قواعد وتراكيب ودلالات وبين اختيار ماهو موسيقى من الفاظها ، وتلتقطه اذن السامع وعين القاريء في سهولة و بعدها تاخذ طريقها إلى الذاكرة في يسر وسهولة .

تلك هي الخطوط العامة للافكار النقدية لهذا العالم الناقد ، وبسطها يحتاج إلى جهد ، لان الرجل ، انطلاقا من وحدة الفن ، يمزج بين قضايا كثيرة ، وجانب لا باس به من آرائه يلتقى فيه مع كبار نقادنا القدامى، امثال الجرجيان : عبد القاهر وعلي ، وابن الاثير ، وحازم القرطاجنى من بينهم بخاصة ، وقد اعود يوما إلى هذه الالوان من الموافقات .

د. الطاهر احمد مكي

صحائف تمنع الغضب

قال المعتمر بن سليمان :

كان رجل من الأتقياء يغضب ويشتد غضبه ، فكتب ثلاث صحائف . ثم اعطى كل صحيفة رجلا .

قال للأول : إذا اشتد غضبى فقم إلى بهذه الصحيفة وناولنيها .

وقال للثانى : اذا سكن بعض غضبى فناولنيها .

وقال للثالث : اذا ذهب غضبى فناولنيها .

وكان قد كتب في الأولى :

ـ أقصر مما أنت فيه ، انك لست إلها . إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضاً .

وفي الثانية :

ـ إرحم من في الأرض يرحمك من في السماء .

وفي الثالثة :

ـ أحمل عباد الله على كتاب الله ، فانه لا يصلحهم إلا ذاك .

الموجة الجديدة في السينما

بقلم: محمد فتحي

ظلت هوليود ـ مهد السينما ـ زهاء نصف قرن تتحكم فى أذواق الناس ؛ لا فى الولايات المتحدة وحدها ، بل وفى كثير من بلدان القارات الخمس . ثم آن لدولتها أن تدول ، فخوت عروشها ، وخيم الصمت والسكون على استوديوهاتها ، وكانت تضج بالحركة وتصاعد فى سمائها أعذب الألحان ، وتموج بأعلا درجات الحسن إناثاً وذكوراً ونتاجاً عبقرياً فى شتى طرز المعيشة من عمارة وزخرفة ورسوم ومشرب وملبس .

لم يغلق مصنع الأحلام أبوابه ، وإنما تضاءل وضمر حجمه ونازعه السلطان مراكز أخرى متعددة ، فى أميركا ذاتها وفى أوربا وافريقيا أيضاً ، ما كان أحد فى الثلاثينات يتصور أن ترث هوليود «هونج كونج» و «اليابان» و «الهند» !

انتقل انتاج الفيلم من أيدى الشركات العتيدة ذات الاسم الرنان ، متروجولدوين ماير ، يونيفرسال ، بارامونت وفوكس .. الى أيدى فرق عديدة من المنتجين المستقلين الذين انبثوا هنا وهناك ينتجون إنتاجاً فردياً أو انتاجاً مشتركاً بين بلدين أو أكثر لم تعد تقيد نشاطهم الاستديوهات الثابتة فقد يسرت لهم التكنولوجيا العصرية (١) تجهيزات وأدوات دقيقة صغيرة الاحجام تنقل من مكان لمكان دون عسر أو مشقة . كذلك يسر لهم التعاون الاقتصادى بين أطراف الانتاج المشترك أمر رأس المال المطلوب .

هذا التحول الدرامى السريع فى صناعة السينما حدث نتيجة عاملين : الأول هو ظهور التلفزيون وغزوه كأداة جديدة أسرت الباب الناس واقعدتهم فى البيوت أسرى شاشتها الساحرة مما أدى الى انغلاق الأف الدور السينمائية بشكل ملحوظ فى أميركا واوربا ومن ثم اهتز صرح الصناعة المنيف . أما العامل الثانى فهو الظهور التدريجى لجمهور جديد من عشاق السينما يختلف عن جمهور الثلاثينات والأربعينات وحتى الستينات ، ويتميز بفتوته وريعان شبابه . إذ قل أن تجد فيه من تزيد سنه على الثلاثين . أبناء العشرات من السنين أعز نفراً من أبناء وبنات العشرين . كما انه متميز أيضاً فى درجة تعلمه ودرجة تخيره . هذا الجمهور الفذ ، بمزاجه واحتياجاته هو الذى خلق ما أسمى بالموجة الجديدة فى السينما .

يتضارب الرأى فى هذه الظاهرة أو فى هذه الموجة الجديدة فى السينما . يراها البعض فاتحة عصر ذهبى للسينما . والبعض الآخر يرى فيما تنطوى عليه من إباحة للجنس ومظاهر النزاع والعراك والشد والجذب ... واللامبالاة ـ انحداراً نحو هاوية التحلل ، ربما كانت الحقيقة غير ذلك . فالذى لا مراء فيه أن الأفلام الجديدة لا تعنى كسالفاتها بالمظاهر الخلابة ، والقصور وأهل القصور ، والكواكب ذات الأسماء البراقة الرنانة .. إنما عالمها الذى تصوره هو عالم الأزقة والحوارى والشوارع الخلفية .. والناس «اللي تحت» والناس «اللي فوق السطوح» .. والحانات الصاخبة .. وكهوف السر من مخدرات وغير مخدرات .. ثم ان أبطالها وبطلاتها نكرات .. لا وجود للسابحات الفاتنات عاليات الصدور أو لمارلين مونرو أو معبودى الجماهير من أمثال رودلف فالنتينو أو كلارك جيبل .. وإنما الأبطال والبطلات ذوو وجوه عادية ، كالحة فى أغلب الأحيان ، تعيش فى أطر غريبة غير مألوفة .

هذه الأجواء التى تصورها الأفلام

الموجة الجديدة في السينما

الجديدة تعكس وجهة نظر كاتبيها ومخرجيها الشبان . الكلمة فيها كلمتهم وليست كما كانت فى الماضى كلمة المنتجين الكبار أصحاب رأس المال . وطابعها شخصى بحت فهى تناقش فى جرأة ـ تتجاوز أحيانا كل الحدود ـ قيم المجتمع وممارساته السلوكية وتقاليده ، وتمثل بصفة عامة الرأى الرافض فى المجتمع . لا تعد الأفلام تصويراً لواقع قائم بقدر ما هى تلمس لفلسفة جديدة وأسلوب جديد من العيش ، أسلوب أفضل من هذا الواقع المرفوض .

العدو هو المجتمع !

انفتح باب الانتاج السينمائى على مصراعيه وانشرخ صرح الاحتكار فى جميع أشكاله .. احتكار الاستوديوهات واحتكار الكواكب واحتكار ملكية دور العرض (٢) . وتشكلت أمام أنظار المواطن العالمى الموضوعات ، وتعددت الفلسفات ، وتباينت الأساليب والنماذج البشرية نتيجة تعدد مراكز الانتاج المشترك . ولانهيار نظام الكواكب وانتقاء الوجه الوضاء الذى ألفته السينما فى عهد مصنع الأحلام أتيح لأفراد الجمهور العالمى أن يتعرفوا على ذاتهم فى أبطال الفيلم وبطلاته من أصحاب الوجوه المتواضعة أمثالهم . وليس أبطال الأفلام متواضعى الوجوه فحسب . بل إن دور البطولة مختلف كذلك . فهو فى هذه الموجة الجديدة يقاس بمقياس آخر . لا مقياس القدرة على الظفر والنصر . وإنما القدرة على البقاء .. أن تظل حياً ترزق .. فى وجه مجتمع متحجر القلب ، شديد البأس لا يعرف الرحمة والتعاطف وهما قوام الانسانية والعدالة . البطل اليوم يناقش ويسائل ويتظاهر ويتمرد ، وكما قال أحد الكتاب الأميركيين (٣) : يدخل السجن ولا يدخل الجيش ليذبح الآمنين فى وطنهم ! (مشيراً الى حرب فيتنام) .

كان دور البطولة فيما مضى هو حماية المجتمع من أعدائه . أما اليوم فالعدو هو المجتمع !

وجه السينما الجديد وجه آخر من وجوه التجريب الانسانى المتلمس لحياة أفضل . ونحسب الانسان فى هذه الكرة الأرضية المتارجحة وقد رفض عدالة الأرض راح يتطلع الى عدالة السماء .. الى طرائق أخرى وعوالم أخرى . وأداته الاتصالية فى ذلك هما . التلفزيون الموحد والمعمل السينمائى العالمى .

آفاق الفيلم السينمائى

نمو الفيلم مطرد :

مايزال الفيلم السينمائى محتفظاً بمكانته ودوره كأداة للترويح عن الناس على النطاق العالمى . صحيح أن السينما فقدت مكانتها فى بلدين كبيرين لهما تاريخ عريق فى صناعة السينما وفى تطوير الفن السينمائى وهما الولايات المتحدة وكندا . وسبب ذلك ، كما هو معروف ، راجع الى دخول التلفزيون وانتشاره وغلبته الأمر الذى أدى الى ضمور الانتاج فى هذين البلدين بالاضافة الى اغلاق العديد من دور العرض (٤) . غير أنه باستثناء هذين البلدين يطرد نمو السينما سواء فى الانتاج أو فى انشاء دور العرض اطراداً ملحوظاً ، كما نشهد تزايداً فى عدد الدول الجديدة التى تدخل فى مضمار الانتاج .

مراكز جديدة للانتاج :

لقد ظلت الولايات المتحدة الأميركية منذ مطالع هذا القرن متسيدة صناعة السينما أجهزة وانتاج أفلام وتسويقا . ولكنها من الخمسينات وللسبب الذى أشرنا اليه تخلت عن هذه المكانة ؛ وسرعان ما قفزت الى الصدارة بلدان لم تكن هنا أو هناك ـ نعنى فى هذا المجال ـ هونج كونج واليابان (٥) . كذلك نجد الاتحاد السوفيتى وعدداً غير قليل من الدول النامية مثل المكسيك والبرازيل والأرجنتين كما ظهرت فى بعض بلدان الكتلة الشرقية مثل هنغاريا وبولندة ويوجوسلافيا نماذج فيلمية مميزة جمعت بين الفلسفة وجمال التقنية جمعاً موفقاً . أما مصر والهند ولكليهما مكانة عريقة فى الصناعة فقد تأرجح فيهما الانتاج بين القلة والكثرة وان اصطبغ بصفة اصطلاحية تقربه لقيم التجارة لا لقيم الخلق والابداع . كذلك تأرجح انتاج الفيلم فى أوربا الغربية بين النمو والانكماش (٦) .

التوسع فى العروض السينمائية لا يقتصر على انشاء الدور الثابتة المقاعد التى تضاعفت منذ الستينات أكثر من



فالنتينـــو
جذب الجمهور فى فتـــرة مبكرة !

ضعف (قدر عددها إذذاك بمائة ألف دار) .

بل إن الوحدات المتنقلة وخاصة فى افريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية زادت من جماهير السينما زيادة ضخمة بحيث يمكن القول استناداً الى آخر الاحصائيات بأن الجمهور الأسبوعى للسينما فى الوقت الحاضر يبلغ نحو ٤٠٠ مليون أى ما يزيد على ثمن سكان المعمورة .

أفلام المعرفة

النمو فى الانتاج السينمائى لا ينصب على الفيلم الروائى وحده . فالأفلام التعليمية والتسجيلية ، وهما جانبا أفلام المعرفة ، تنتشر أيضاً فى أنحاء العالم انتشاراً كبيراً وتنتجها بطبيعة الحال هيئات غير تجارية مثل الوكالات الحكومية المختصة فى شتى الشئون كالصحة والتعليم والزراعة والثقافة وما اليها . كما تتولى انتاجها المؤسسات التجارية والصناعية كشركات النفط والمحتكرة لغيره من المواد الخام والمؤسسات الخيرية ومؤسسات الخطوط الجوية وغيرها وينبغى ألا نستهين بهذه الأفلام غير الروائية فبعضها يبلغ من حيث الجودة والاخراج درجة عالية تضعه فى قمة الفن السينمائى المرموق . وواضح أن الفيلم أصبح وسيلة معتمدة من وسائل التعليم وجزءاً أساسياً من المنهج الدراسى .

التقدم التقنى فى الانتاج والعرض

التقدم التقنى فى صناعة الفيلم لا



مارلين مونرو
كانت اســـطورة في السينما !



كلارك جيبل
ظل متوجـاً لسنوات على عرش السينما !

يتوقف . بل انها فى الخمسينات تمخضت عن تطورات جسام لعل الباعث على ولادتها هو ذلك التحدى السافر الذى واجهته عند دخول التلفزيون وغزوه . ففى مجال الانتاج تناول التطوير تصميم الكاميرا فنتجت كاميرات ٧٠ مم التى تصور افلاماً للشاشات العريضة التى تخيل للمشاهد أنه جزء داخل فى البيئة التى يعرضها الفيلم . ومن ناحية اخرى طورت للهواة وممارسى التجريب كاميرا ٨ مم جامعة بين الصورة والصوت .

وظهرت السينما سكوب والسينراما والفستافيزيون وغيرها من اشكال الشاشات ، وعشرات التقنيات المتعلقة بالعدسات وبالقنوات الصوتية ونظم الصوت ونظم اللون مما جعل السينما اداة بهيجة خلابة تجذب ولا تنهزم امام التلفزيون الغازى .

وفى جانب العرض سار التطور فى خط متواز مع الانتاج . اتسعت الشاشات فطالت وعرضت ، وللهواة والباحثين رخصت اجهزة عرض الثمانية مليمترات .

كذلك حدث تطور هام بالنسبة للمناطق الاستوائية وشبه الاستوائية فانتجت اجهزة عرض ببطاريات تعتمد لشحن طاقتها على الشمس حيث تتعذر الكهرباء .

مجالات سينمائية مستحدثة

ادخل وتفرج ! :

من الانماط السينمائية المستحدثة التى جددت الشوق السينمائى وصبت فى جمهوره روافد جديدة ظهور بدعة استلهمها اصحابها من اعتماد الناس على السيارة وارتباطهم بها ارتباطا جوهريا فانشاوا فى الساحات الكبيرة اماكن لدخول السيارات يدعى أصحابها للدخول والتفرج (ادخل وتفرج !) فيجلس اصحاب السيارات هم وذووهم فى سياراتهم ويشاهدون الفيلم المعروض على الشاشة الكبيرة ولاباس من تناول المثلجات أو المدفئات وهم يستمتعون بالمشاهدة . وفى الولايات المتحدة بوجه خاص تجد هذه الساحات السينمائية الجديدة رواجاً واقبالا معوضة على الصناعة بعض ما خسرته من جمهورها للتلفزيون . وهى تنشر فى الضواحى التى يؤمها الناس للنزهة والترويح والتماس الهواء الرطيب وعطر الخضرة الفواح . كذلك تجدها فى بعض الأندية ذات الأراضى الفسيحة وفى مراكز التسويق الضخمة التى تقب فى أطراف المدن ، وعلى طول الطرق السريعة تخفيفاً عن المسافر وترويحاً له فى سفره الطويل وتجنيباً له من عناء التسويق فى المدن مع عسر إيجاد أماكن لانتظار السيارات .

السينما والتلفزيون

ومن التطورات الأخرى التى تنبىء عن اتجاه مستقبلى هو أن مجمعات من دور السينما كانت ترتبط بدائرة مغلقة للتلفزيون بحيث يشاهد المتفرج الفيلم السينمائى مضافاً اليه ، الأخبار والأحداث التى تذاع على نفس شاشة السينما فى تليفزيون الدائرة المغلقة حتى ترتبط مئات الدور السينمائية فى البلد الواحد بمحطة تليفزيون واحدة ومن ثم يتم الدمج بين الشقيقتين السينما والاذاعة المرئية .

بعث جديد للسينما

الحقيقة أن هذا المنحى يتحقق بالفعل فى مجال تكنولوجيا الفضاء ، فكاميرات التليفزيون الضيقة ذات الزاوية الواسعة يتزايد استخدامها فى التوابع الاتصالية والأرصادية والفلكية والعسكرية كما تستخدم فى مركبات ارتياد الفضاء . ويسود الاعتقاد بان عرض الأفلام المبثوثة مباشراً من الفضاء الخارجى والكواكب الى الأرض ، على الشاشات الفضية سيكون بمثابة بعث جديد للسينما . ولاشك فى أن مثل هذا الكشف المنشأ عن الكون وكواكبه تجربة يفضل الانسان ان يراها فوق الشاشة الكبيرة مع تجمعات كبيرة من بنى جنسه من أهل الأرض لا أن يشهدها بمفرده ، فى بيته ، عن طريق شاشة التليفزيون الصغيرة .

محمد فتحى

هوامش

(١) ذكرت مجلة النيوزويك الاميركية بعددها الصادر فى ٧ ديسمبر ١٩٧٠ ان فؤاد سعيد المهاجر العربى احدث ثورة فى صناعة السينما باختراعه الاستديو المتنقل المعروف باسم مارك ٤ (سينى موبيل) وهو استديو متحرك طوله ٣٥ قدما يحوى غرفا وحمامات للممثلين ويسع خمسين شخصا عدا الاجهزة الخفيفة الوزن ـ وهو فى شكل اوتوبيس كبير .

(٢) حكمت المحكمة العليا فى مهد السينما واقوى حصونها بعدم مشروعية ملكية الشركات المنتجة لدور العرض .

(٣) الروائى كين كيزى فى رواية «امة عظيمة فى وقت ما» والتى اخرجت فى السينما اخيراً .

(٤) تذكر الاحصاءات ان انتاج الأفلام فى الولايات المتحدة الاميركية هبط من ٣٥٠ فيلما الى ٢١١ عام ١٩٦٠ كما هبط عدد دور العرض من ١٧ الف دار عام ١٩٥٣ الى ١٢٣٠٠ عام ١٩٦٠ . وفى كندا اغلقت ٤٥٠ دار ما بين ١٩٥٧ ـ ١٩٦٠ .

(٥) دخلت هونج كونج مجال الانتاج السينمائى على نطاق واسع منذ الستينات واصبحت منافسة خطيرة للهند واليابان فى منطقة جنوب شرقى اسيا . ولكن افلامها مثل سلعها الاستهلاكية ذات طابع تجارى صرف فهى تختص مثلا بافلام المغامرات والكاراتيه وما اليها مما يقلل من قيمتها الثقافية الانسانية .

(٦) كان عدد الدول التى تنتج فى الستينات اكثر من ٢٠ فيلما سنويا لا تزيد عن ٢٦ دولة اثنتان فى اميركا الشمالية وهما الولايات المتحدة وكندا ـ ١٢ فى اوربا ـ ٨ فى اسيا ـ اثنتان فى اميركا الجنوبية ـ واحدة فى افريقيا وهى مصر ـ عن كتاب المواصلات العالمية لليونسكو .

من كتاب حكمة الشرق

ترتيب وتصنيف الكاتبة الألمانية : كريستيان دينر

ترجمة : الدكتور صالح الشماع

● الآراء كالمسامير ، كلما طرقها المرء اكثر زادها عمقا .
« حكمة صينية »

● المزاج غالباً ما يكون الكوة التى يصدر منها شعاع الحقيقة .
« حكمة يابانية »

● الحب هو القوة التى تخلق جميع الكائنات الحية .
« حكمة صينية »

● لا يضل المرء ابداً بسهولة إلا عندما يتصور انه يعرف الحقيقة
« حكمة صينية »

● من يجاملنى هو عدوى ، ومن يلومنى هو معلمى .
« حكمة صينية »

● الابتسامة التى تطلقها ترجع اليك من جديد .
« حكمة هندية »

● إعمل لا لتربح ، وابدع لا لتملك .
« لاوتسه »

● الكلام الغامض كالمراة المعتمة .
« حكمة صينية »

● لا يغضب إلا الجاهل ، العاقل يتفهم .
« حكمة هندية »

● الذى ينظر الى نفسه ، لا يتعالى على الناس .
« لاوتسه »

● خير الأبواب الموصدة ، ذلك الذى يسعنا تركه مفتوحاً .
« حكمة صينية »

من هو الاكمه ؟
الذى لا يمكنه ان يرى عالما آخر
ومن هو الابكم ؟
الذى لا يستطيع ان يقول قولا جميلا فى الوقت المناسب .
ومن هو المعدم ؟
الذى يطمع بكل صعب ونفيس .
ومن هو الغنى ؟
المطمئن القلب .
« حكمة هندية »

● قبل ان تعمل على تحسين اوضاع العالم ، سر فى منزلك نفسه ثلاث مرات .
« حكمة صينية »

● قد نتجرع الشاى البارد والرز ، اما الكلمات الباردة فلا يمكن ان تقف على قدميها .
« حكمة صينية »

● قل ما تريد ان تقوله ، صباحاً .
« حكمة يابانية »

● لئن حملت غصناً اخضر فى قلبى ، فلسوف يكون على الغصن طائر غريد .
« حكمة صينية »

● العرف والعادة يقضيان ان تكون اجتماعياً ، اما ان تعرف الناس فهذا يجعلك حكيماً .
« كونفو شيوس »

● كما لا يقف الماء على الجبل ، لا يستقر الثار فى القلب الكبير .
« حكمة صينية »

● لا تشعل ناراً ، لن تستطيع اخمادها إذا اردت .
« حكمة صينية »

● لا يكون اكثر بعداً عن الحقيقة كالذى يدعي العلم بكل الاجابات .
« تشوانغ تسو »

● كما لا يدوم السلم والراحة ابداً لا يكون الشقاء والنكبات نهاية كل شيء ، فاذا صفى لهيب الرمضاء كل ما هو اخضر العود نبت العشب فى الصيف ثانية .
« حكمة منغولية »

● يبحث العاقل عما فى نفسه هو ، اما الاحمق فيبحث عما هو خارج نفسه (بعيداً عن قدرته) .
« كونفو شيوس »

● لا يكفى ان يؤتى الى النهر رغبة فى الحصول على سمك ، على المرء ان يجلب شبكة معه .
« حكمة صينية »

● اشعل مصباح الحب بحياتك .
« طاغور »

● من كان الله غايته ، وسعه ان يعيش فى العالم ، لا ان يعيش العالم فيه .
« راما كرشنا »

● لا يسع المرء ان يصل الى كثير ، إن لم يبدأ من البداية تماما .
« كرشنا مرتي »

● اثمن خصائص المراة ، قلب دافىء .
« حكمة صينية »



● الخيانة (عدم الاخلاص) علامة ضعف .

« مهاتما غاندى »

● من لا يرتقى الجبال العالية ، لا يعرف السهول .

« حكمة صينية »

● ان تنقذ حياة انسان اكثر قيمة من ان تبنى عمارة بسبعة طوابق .

« حكمة صينية »

● إذا احب المرء وجد حتى الماء عذباً .

« حكمة صينية »

● اجعل صداقتك لما عند الغير من طيبة ، لا لما عندهم من ممتلكات .

« حكمة صينية »

● للذهب سعر معين ، وليس للكتب سعر ، إلا ان الكتب اثمن من الذهب .

« حكمة صينية »

● كما لا يمكن الانسان ان يقضى الف يوم بصورة متصلة مرفها مرتاحاً ، كذلك لا يكون للزهر الرونق الطرى مئة يوم متصلة .

« تسنغ كوانغ »

● السمكة التى لا تريد اصطيادها هى سمكة كبيرة دائما .

« حكمة صينية »

● من يضحك بدل ان يثير صخباً هو الاقوى دائما .

« حكمة يابانية »

● طيبة الكلمات تعبر عن الثقة ، وطيبة الافكار تدل على ما لها من عمق ، وطيبة الهدايا تظهر الحب .

« لاوتسه »

● للانسان ثلاثة طرق يكون فيها ماهراً حسن التصرف : طريق التبصر والفكر وهذا هو الانبل ، وطريق التقليد وهذا هو الاسهل ، وطريق التجربة وهذا هو الاكثر مرارة .

« كونفو شيوس»

● لا يسع المرء ان يرى اخطاءه إلا بعيون الغير .

« حكمة صينية »

● حتى وإن كان لك عشرة آلاف حقل فحسبك صحن رز فى اليوم ، وإن احتوت دارك على الف غرفة حسبك من المكان ثمانى اقدام لتنام .

« حكمة صينية »

● إذا عملت رعانى الله ، وإذا غنيت احبنى الله .

« طاغور »

● إذا انتظرت بصبر حصلت على اجمل طقس .

« حكمة يابانية »

● إذا حدث امر وانقضى فلا تتحدث عنه ، فالماء إذا انكب صعب جمعه من جديد .

« حكمة صينية »

● (يا إلهي) قدنى من الوهم الى الواقع ، ومن الظلمة الى النور ، ومن الموت الى الخلود .

« الاوبانيشاد »

● من لم تكن له رغبات وصل الى سكينة داخلية .

« لاوتسه »

● إن اردت الحق فاعمل على تجديد نفسك كل يوم .

« كونفو شيوس »

● رغباتنا هى كصغار الأطفال ، كلما تساهلنا معها اكثر زادت طلباتها منا .

« حكمة صينية »

● حيثما ذهبت ، فكن مع قلبك كله .

« كونفو تسه »

● تمام العمل ان يكون لنا الدافع الذى يبعثنا على الوصول الى الغاية لا الى مجرد الوصول .

« مهاتما غاندى »

● فى الحب تهمل وتنسى جميع مفارقات الحياة ، إذ فى الحب وحده فقط لا تكون الوحدانية والثنائية فى نزاع .

« طاغور »

● نمت وحلمت ان الحياة هى السعادة .

● استيقظت ووجدت ان الحياة هى الواجب .

● تعاملت وجربت ان الواجب هو السعادة .

« طاغور »

● خير لك ان تشعل شمعة من ان تشكو الظلام .

« حكمة صينية »

● لا تهم نفسك بما مضى ، وتوجه بذاتك لما سيكون وياتى .

« تسنغ كوانغ »

● اطلب الكثير من نفسك ذاتها وتوقع القليل من الآخرين ، تبعد عنك كثيراً من الهموم .

« كونفو شيوس »

● من تعرف على الغير كان متعلما
ومن تعرف على نفسه ذاتها كان حكيما .
ومن انتصر على الغير كانت له عضلات قوية .
ومن انتصر على ذاته كان قوياً .
ومن كان مطمئناً فهو الغني .
ومن لم يضع طريقه الوسط دام .

« لاوتسه »

● كما لا يمتلىء البحر بالالف والآلاف من مياه الانهار الجارية فيه لا يطمئن قلب الانسان مهما حول من حجارة الى ذهب .

« حكمة صينية »

● لما كان الماء الاجاج هو قنية العالم ، فمهما عب الانسان من الماء لا يطفىء ظماه .

« كاداتكو بيليك »

● ان تتطاير الهموم والوساوس فوق بشرتك ، هذا امر لا تستطيع له تغييراً ، لكن فى إمكانك ان تمنعها إذا ارادت ان تبنى اعشاشها فى شعرك .

« حكمة صينية »



صورة نادرة للدكتور محمود فوزى فى شبابه .. عندما كان مندوبا لمصر فى هيئة الامم المتحدة

محمود فوزي

آخر جيل الدبلوماسيين العظام

● روى شهادته في ثلاثة كتب ورحل قبل أخطر جزء فيها .. !!

بقلم : محمود مراد

كان الانسان العادى جداً « الانسان كائناً من كان » هو هدف الرجل الرقيق ، المهذب ، دمث الخلق ، الصامت ابداً ، المثقف فى غير استعلاء .. الدبلوماسى صاحب السمعة الدولية : الدكتور محمود فوزى .. الذى خرج الى الحياة نهار التاسع عشر من سبتمبر سنة ١٩٠٠ وقطع مشواراً خصباً ثرياً حتى خرج من الحياة فى الثانى عشر من يونيو ١٩٨١ ، بعد مصارعة المرض على مدى جولات استمرت بضعة أعوام ! !

كان مؤمناً بالله .. بالميلاد والنهاية .. لكنه كان يود لو استمر سنوات اخرى يفرغ فيها كل ما لديه .. تسجيلا حيا لكفاح أمة .. تجربة للشباب صاحب الغد كله .. شهادة صدق للتاريخ ! !

فى ذلك النهار .. فى السنة « الصفر » الفاصلة بين قرن مضى وقرن يجيء ، كان مولده ليصبح الابن الثانى لفقيه قرية « شبرا بخوم » مركز قويسنا بمحافظة المنوفية .. الشيخ دسوقى جوهرى .. الذى تخرج من مدرستى القضاء ودار العلوم وصار حجة اهل القرية واحد حكمائها العاقلين .. ولقد كان الاب يريد ابنه « محمودا » وقالت الام .. بل « فوزى » .. وتم التوفيق بين الرأيين بجمعهما سوياً ليصبح اسم الوليد « محمود فوزى » .. ولتلد الام من بعده طفلا اخر . لكنه هو « الأوسط » كان من دون الاشقاء والاقرباء ميالا دائما الى الهدوء ومجالسة الكبار .. يعكف على المذاكرة ويجتاز مراحل التعليم بتفوق ، وعندما وصل الى التوجيهية فى نهاية الثانوى ساله الاب ماذا تريد أن تكون يا محمود ؟ فرد بهدوء وثبات .. « أن أكون محامياً » !!

● ●

كان برغم هدوئه وميله الى العزلة ، أكثر

● ليس من مهمة وزراء الخارجية أن يخطبوا ويلقوا الكلمات ● ● هات القوة وتفاوض

هات القوة وتكلم ● ● ● نحن لا صفة لنا إلا أننا خدام الشعب ، وإذا انتفى عنا ذلك

فلا صفة لنـــا ● ● ● ●نحاور من غير أن نساوم ، ونتمسك بالأساس ونترك للمرونة دوراً فى الأسلوب « محمود فوزى »

الفتيان استشعاراً بالواقع الذى يعيشه وأولى دوائر هذا الواقع هو مجتمع محافظته المنوفية حيث الكثافة السكانية عالية ـ نسبياً ـ حيث الثراء الواسع متمثلا فى بضع عائلات تمتلك كل منها الاف الأفدنة لكن بجوارها آلاف العائلات لا تمتلك كل منها سوى بضع افدنة !! .. من هنا اتجه الناس الى تعليم ابنائهم .. وحرص الآباء على الاستذكار ـــ غير ان النسبة العظمى حائرة يطحنها الفكر بين ما هو كائن وما ينبغى ان يكون !! وهذه الأغلبية تتشكل من صغار المزارعين والحرفيين والمهنيين .. من عمال التراحيل .. من الانسان العادى . الانسان « كائناً من كان » الذى يحتاج إلى من يدافع عن حقوقه . ولذلك فعندما تولى لأول مرة مسئولية قيادةالعمل التنفيذى واصبح رئيساً للوزراء فى ٢١ اكتوبر ١٩٧٠ كان أول وعد قدمه للشعب هو : حل مشكلات عمال التراحيل !! وردا على دهشة البعض لهـــذه الأولوية التى يطرحهـــا الرجـل « السياسى الدبلوماسى » الذى يتعامل مع الطبقة العليا واصحاب الياقات البيضاء قال فى بيانه أمام مجلس الأمة لممثلى الشعب فى ١٧ ديسمبر ١٩٧٠ : « ربمـــا يدهش البعض اذ يسمعوننى بادئاً حديثى اليوم اليكم بمشكلة فى كلمتين « عمـــال التراحيل » !! وقد نسمع قائلا يقول : عمال التراحيل !! .. وماذا عن السياسة الزراعية ، والصناعية والمالية والدفاعية ، والخارجية؟ وردى أن لهذه الأمور مكانتها الكبيرة فى تفكيرنا ، وفى برامجنا ولكنى اردد : بل عمال التراحيل ! .. بل الرحمة والعدل .. ويا للألم والشعور بالخجل حينما يقال : عمال التراحيل أم قطعان التراحيل !! اننا لا نريدهم مجرد فضلات عمالة .. انما نريدهم تحركاً طيباً وامتداداً محترماً للعمالة » ..

ولذلك .. اختار أن يكون محامياً ، لكنه بعد التخرج من الحقوق جاءته فرصة سانحة للعمل فى « السلك الادارى » بوزارة الخارجية حيث عمل فى قنصلية مصر بروما وكان هذا مناسبة لاستكمال دراساته العليا بجامعة روما حتى حصل على الدكتوراة فى القانون سنة ١٩٢٤ ليعود بعدها إلى القاهرة ليعمل فى النيابة العامة كمعاون ، ثم مساعد نيابة يتولى التحقيق ويدافع عن المجتمع .. وكان من الممكن ان يستمر لكن آفاقه امتدت ليشارك فى الدفاع عن المجتمع المصرى ضد العدو مجسداً فى « الاحتلال والنفوذ والسيطرة » باعتبار أن النصر فى هذه المعركة الكبرى هو طريق إلى حل مشكلات الدخل .. وبالفعل انتقل من النيابة إلى السلك الدبلوماسى سنة ١٩٢٦ ، سكرتيراً للقنصلية المصرية فى نيويورك ثم فى نيو اورليانز ثم نائباً للقنصل المصرى فى نيويورك ثم قنصلا فى اليابان التى سافر اليها فى اغسطس ١٩٣٠ ..

وهنا نتوقف

أن رحلة العمل السابقة كانت تجربة واستيعاباً وتثقيفاً .. لكنها فى اليابان كانت اشمل واوسع الى حد ان بقيت آثارها معه حتى النفس الأخير !!

لقد انبهر بما وصلت إليه اليابان .. غير انه تجاوز صدمة الانبهار الى عمق التجربة .. أن هناك سمات مشتركة بين مصر واليابان كلاهما من بلاد الشرق المرتبطة بالروحانيات .. كلاهما بدأت نهضتها الحديثة فى القرن التاسع عشر .. لكن اليابان تفوقت ومع أن هناك أسباباً عديدة لذلك .. الا أن اليابان سلكت دروباً أصعب لكنها أقصر .. ومنها نظم التعليم .. ومنها معرفة الامكانيات والقدرة والانطلاق من أرض الواقع الحقيقى الى آفاق المستقبل .. ومع كل مادرسه الرجل خلال عمله هناك فلقد تعلم هوايتين ظلتا معه الى النهاية .. أولهما الرسم بالرمال الملونة الذى تعلمه واجاده .. وثانيهما : المصارعة التى مارسها ووصل فيها الى درجـة « الحزام البنى » .. واذا كان الرسم بهذا الأسلوب قد اتفق تماماً مع طبيعته المثابرة الدءوب .. المتأملة فى صمت ، فان المصارعة هى الأخرى قد اتفقت مع آرائه واضفت اليها فهى ليست حركات عضلية وانما ـ على حد التعبير ـ « فن البحث عن نقطة الضعف فى الخصم » .. هى اذن .. ليست فن استخدام « العضلة » وانما « العقل » .. وبه يستطيع « الضعيف العاقل » أن ينتزع حقه من القوى .. وبتعبير سياسى : هى فن مواجهة الدول الصغرى للدول الكبرى !!

والفن هو « الفعل » وليس الكلام .. وتلك كانت قناعته التى كررها دائماً .. قالها فى مطار جنيف عند ما التف حوله الصحفيون فى ابريل ١٩٥٨ وكان وزيراً للخارجيـة : « قليل من الكلام ، ومزيد من العمل .. » وقالها ذات الشهر يوم ٢٩ بمطار موسكو : « انه ليس من مهمة وزراء الخارجيـــة أن يخطبوا ويلقوا الكلمات » وقالها غداة تاليفه الوزارة فى اكتوبر ١٩٧٠ « سوف نكون ضنينين بالوعود الا ما ننوى فعـــلا ونستطيع أن نفى به » وقال عن اللغات التى يجيدها حديثاً وكتابة وقراءة على مستوى رفيع .. « اننى ايضاً تعلمت كيف اصمت بها !! ..

لقد كان الصمت اثيراً لدى الرجل !! كان يقضى ساعات طويلة صامتاً بغير كلام ، وكانت قرينته السيدة حسن شاه اسماعيل ـ التى توفيت فى ٢٧ مارس ١٩٦٨ ـ تعرف عنه هذا وتتفهمه منذ أن تزوجا سنة ١٩٣٧ .. كانت تجلس بجانبه ساعات طويلة بدون أن تنطق ـ او ينطق ـ بكلمة .. وكان أصدقاؤه المقربون ايضاً يعرفون هذا .. كان يصمت وخلال الصمت يفكر ، ويتحدث مع نفسه ويكاد يتحاور مع من معه .. وكان يمشى لساعات فى حديقة بيته الصغير

محمود فوزي

آخر جيل الدبلوماسيين العظام

المختفى وسط الأشجار على حافة ترعة المنصورية يتامل البرتقال والموز والبيكان « الجوز المصرى » ، والمانجو والمشمش ، يتنفس شذى زهور التوليب التى زرعها بيديه .. يسمع شدو الطيور التى يقول عنها : أن غناء الطيور يذكرنى دائما بالأديب الصافى ، فالأديب الحق كالطائر الذى ينطلق مغرداً فى ابداع دون أن ينتظر تصفيق المستمعين !! .

الأبداع اذن ينبغى أن ينطلق بغير حدود .. بغير أن يضع عينيه على « غرض ما » يتوسل منه جائزة !! فان فعل فلسوف ينال الجائزة !! لكن .. هل هذا فى الأدب فقط ؟؟

كتب « الرجل » فى أوتوجراف فتاة انجليزية هرعت اليه محيية معجبة عقب القاء خطابه امام مجلس الأمن خلال مناقشاته الحامية عن حرب السويس ١٩٥٦ : « ان الحق الذى دافعت عنه .. جعلنى أكثر من مندوبكم خفة واسرع حركة » .. انه هنا يستخدم تعبير « الحركة والخفة » التى تذكرنا مباشرة بما تعلمه من المصارعة وفنون فلسفتها .. ومن نفس المنطلق كان ـ مثل قليل غيره من وزراء خارجية العالم البارزين ـ لا يعتمد فقط على تقارير السفراء ـ مع كل ثقة وتقدير لهم ـ انما يؤمن بضرورة الحركة والانتقال الى بؤر الأحداث ذاتها .. ايضاً كان مرتكزاً الى « الحق » يبحث عن نقط الضعف فى الخصم ليحاوره ، وينتزع منه الحق مركزاً على نقاط الحساسية واضعاً بحكم تجاربه وخبراته وثقافته نصوصاً اضافية فى دستور العمل الدبلوماسى السياسى . وعلى سبيل المثال ، فانه خلال المباحثات المكثفة التى أجرتها الأمم المتحدة ، بهدف حل مشكلة الشرق الأوسط واحداث لبنان وقتها .. وكانت باشراف داج همر شولد السكرتير العام فى اغسطس ١٩٥٨ .. أجرى « الأهرام » اتصالا تليفونيا مع وزير الخارجية المصرى بنيويورك وساله : ما هى العقبات الآن ؟

فقال الرجل : « الكرامة .. لا يريد أحد أن



الدكتور محمود فوزى عندما بلغ الرابعة والسبعين وقرر أن ينهى عمله الرسمى فى المجال الدبلوماسى الذى اعطاه كل حياته .

يبدو أمام العالم انه كان على خطا وبذلك يظهر أن الآخرين كانوا على صواب ، كذلك لا يريد احد أن يبدو أمام العالم وكانه خسر المعركة فذلك يجعل الآخرين كما لو كانوا قد ربحوا المعركة !! » .

سؤال : كيف يمكن أن نواجه هذه المشكلة ؟

جواب : « نحاور من غير أن نساوم .. نتمسك بالأساس ونحاول أن نترك للمرونة دوراً فى الأسلوب .

هل أتضح اسلوب الرجل ؟

ان الحق هو الأساس الذى يتحتم التمسك به ولكن « المرونة » .. فقط فى اسلوب المعالجة ! ومن هذه المرونة تجيء المساومة لكنها ليست انتهازية كما يتبادر إلى الذهن عند سماع الكلمة .. ويؤكد الرجل هذا فى كلمته امام الأمم المتحدة بتاريخ ٢٢ يونيو سنة ١٩٦٧ ـ بقوله « لنكن رجالا يتسمون بالروح الرياضية حقا ، ولنحترم بشرف قواعد اللعبة مثلما ينبغى أن نراعى المبادىء الأساسية وهى تشكل القاعدة العريضة التى تنبثق منها جهودنا » ..

انها دستور للعمل الدبلوماسى وهى ايضاً ـ مثل كل خطبه واحاديثه التى نتمنى أن يجمعها احد فى كتاب ـ مدرسة البلاغة . فلقد احب « الرجل » لغتنا العربية وفضلها عن اى لغة أخرى وهو الذى يعرف كل اللغات الحية .. ونسمعه فى نقابة



جمال عبد الناصر .. كانت لمحمود فوزى ذكريات معه تمثل اخصب فترات حياته ، وضمنها فى كتاب تحت النشر .

الصحفيين يقول ضمن محاضرة عن دور الفرد فى تنمية المجتمع فى نوفمبر ١٩٧٣ : « ان اللغة العربية ذات الجمال والامجاد ، لغة القرآن التى بسطت رداءها السحرى على اقوام واقوام وبهتت جوارها لغات ولغات .. لغتنا الباهرة الكبيرة .. مالها تبدو ـ الا عند قليل من الكتاب والادباء تفخر بهم وتدين لهم بالعرفان ـ مالها تبدو لدى الأكثرية منا كانها لا تصان كما يحق للحسان أن تصان ؟ الم تشيع البريق فى مدنيات ودول ؟ ! ماذا عن دورها القادم العظيم ؟ الا نرى انها ستعبر عن حضارة عربية كبرى متالقة فى تجددها ، عميقة الجذور فى أصالتها ؟ كم اغار اذن على هذه اللغة الحبيبة .. واعلم انكم تغارون » ؟ ! يغار الرجل على اللغة باعتبار انها ستعبر عن حضارة عربية كبرى يتوقع حدوثها غير منفصلة عن جذورها الأولى .. وهذا ليس فقط تنبؤاً من « سياسى » وانما رؤية مفكر مثقف يؤمن بانه « لا يمكن أن تكون الثقافة بغير أصالة .. بغير جذور » أى يؤمن بالتزاوج بين الأصالة والمعاصرة بما يصنع الحضارة .. ويؤمن بمستقبل وطنه العصرى وأمته العربية .. والذى يصنع المستقبل هو ـ أو هم ـ البشر .. ومن ثم ينبغى الاهتمام به وحل مشكلاته حتى يحقق الآمال .. وعنه نسمعه يقول فى نفس المحاضرة بنقابة الصحفيين :

« ان البشر عندنا لازالوا بحاجة صارخة إلى صحة أوفر .. وتعليم أصوب .. وتدريب أتم .. ان الزراعة تدعونا دعوة ملحة أن نفتح لها أبواب العصر الحديث ونفسح لها

الآفاق فى مصر بسينائها وسواحلها وأراضيها الأخرى ، وتعاوننا مع أخوتنا وجيراننا فى البلاد الشاسعة العربية والأفريقية الذين هم أصدقاء أوفياء فى الرخاء والشدة ..

ان البشر عندنا وفى منطقتنا العربية من خير خلق الله فى أى مكان وزمان .. معدنا وأصالة وموهبة ..

ان البشر هو الذى به وله تكون التنمية والبناء .. هو الجدير بأن يكون أول من ينمى وأول من يبنى » .

يعلن الرجل هنا ايمانه بالبشر وباحقيته الأولى فى أن يكون أول من تجرى تنميته وبناؤه .

كيف ؟

قبل محاضرته تلك بسنوات عدة .. قال الرجل بعض خواطره فى جلسة خاصة : « داخل كل انسان منا بذرة تحتوى على أسرار عجيبة .. بذرة لها نمو ولها شكل .. لها أوراق ولها ألوان .. لها تساقط وتجدد .. لها زهر ولها ثمر .. اليس عجيباً أننا نهتم ببذور القمح ونزرعها ولا نهتم ببذرة الانسان لنعمل على تنميته وبنائه ؟ ! » .

كيف ؟

للرجل .. اذا شئنا .. كلام كثير قاله فى مناسبات متفرقة ومنه ضرورة البدء بالاهتمام بالانسان فى مراحل الطفولة بتوفير الرعاية الصحية والغذائية والنظم التعليمية .. ثم تمشياً معه الى مرحلة الشباب .. ويقول فى حوار مع « محمد حسنين هيكل » نشر فى الأهرام أول نوفمبر ١٩٧٠ بعد توليه رئاسة الوزارة .. وهو الحديث الصحفى الوحيد له : اننى لا احب تعبير « اننا سننزل الى الشعب » .

أفضل عليه « اننا سنتلاقى مع الشعب » ولا أحب تعبير « اننا سننظم الشباب » أفضل عليه تعبير « اننا سنتلاقى مع الشباب » .

« ان ثلاثة أرباع هذا اليوم ملك للشباب .. والغد بأكمله ملك للشباب .. وهم اصحابه بغير شريك . اننا نقول احياناً .. ان الشباب تعوزه التجربة ولكنى اقول ان هذه ميزة ليست نقصاً .. انهم على الأقل ، ليسوا مكبلين ومختنقين بهذه التجارب التى تثقل الكواهل ، وانما هم متحررون وبالتالى منطلقون .. والشىء الآخر أن الشباب بالطبيعة الزمنية والروحية أكثر منا مقدرة على لمس زمانه وأن ترى بصيرته من صور المستقبل وأن تتسع اذانه من صوت المستقبل .. مالا نراه ولا نسمعه نحن الذين كنا هنا قبله فى عصر غير العصر وزمان غير الزمان » .

وتنفيذاً لسياسته بدأ بجولة فى موقع الشباب ومنها زيارته لمدرسة شبرا الثانوية يوم ٢٨ ديسمبر ١٩٧٠ التى قال خلالها : انه اذا كان اليوم ثلاثة أرباعه ملك للشباب .. فان الغد كله ملكه .. وعلى أكتافكم سوف يبنى الوطن .. لقد لقيت فى معهدكم ما كنا نتطلع اليه هو الربط بين نظرية العلم والتطبيق العملى له . وبلادنا فى حاجة قبل كل شىء الى التطبيق وإلى الأنتاج » .

هكذا تبدو نظريات الرجل فى العمل الداخلى برغم ما يبدو من استغراقه فى المشاكل الخارجية .. وهو فى ذلك له رأى نكره فى مرحلة مبكرة .. فى أوائل عام ١٩٥٣ .. « ان السياسة الداخلية هى التى ترسم السياسة الخارجية » .

● ●

كان عام ١٩٥٣ قد أصبح ومنذ سبتمبر من العام الذى سبقه وزيراً لخارجية مصر اذ اختارته ثورة ٢٣ يوليو فور قيامها سفيراً فى لندن ثم استدعته ليتولى المسئولية الوزارية بعد شهرين .. وقبلها كان قد قطع مشواراً طويلا منذ ان سافر لليابان سنة ١٩٣٠ اذ نقل بعد طوكيو ليصبح سكرتيراً أول للمفوضية المصرية فى باريس ثم عاد عبر البحر المتوسط ليكون قنصلا فى القدس سنة ١٩٤١ ثم قنصلا فى أديس أبابا ليعبر البحر والمحيط مرة اخرى إلى واشنطون مستشاراً فى سفارتنا هناك ثم مندوباً لمصر فى الأمم المتحدة ١٩٤٦ ثم بعد ثلاث سنوات مندوباً دائماً فى مجلس الأمن وظل يشغل موقعه هذا الى ان قامت الثورة .. ليصبح سفيراً فى لندن ثم يجىء إلى القاهرة .. ليصبح وزيراً للخارجية .. وليمارس اخصب فترات حياته كلها ..

ولقد كان له ـ مثلا ـ دور بارز فى محادثات جلاء القوات البريطانية عن مصر سنة ١٩٥٤ ضمن وفد مصر برئاسة جمال عبد الناصر .. وكان له دور فى الضجة العامة التى تلت كسر احتكار السلاح بالصفقة التى عقدتها القاهرة مع تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٥٥ .. ووقتها قال « الرجل » تعبيراً عن الحاجة الى القوة لا للقتال وانما دفاعاً عن الحق .. « هات القوة وتفاوض .. هات القوة وتكلم » ويعنى ذلك بالطبع أنه بدون قوة لا تجدى مفاوضات ولا يثمر الكلام !

وكان له دوره العظيم فى الأمم المتحدة ومجلس الأمن بعد أن اعلن جمال عبد الناصر تاميم قناة السويس فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ .. ثم خلال العدوان الثلاثى الذى شاركت فيه انجلترا وفرنسا واسرائيل ضد مصر فى ٢٩ اكتوبر من نفس العام .. ثم محادثات التسوية بعد ذلك .. وبسبب مكانة هذه الأحداث التى عرضت باسم « حرب السويس » وقدرها فى التاريخ السياسى والعسكرى فى العالم ، إذ كانت الحد الذى انتهت عنده توسعات الامبراطورية البريطانية وسحبت قوتها شرقى السويس وفقد الأسد البريطانى أسنانه وذيله الى الأبد .. كما كانت البرهان العملى لكيف تقف دولة صغيرة ضد دول عظمى .. وكانت الضوء الأخضر لدول العالم الثالث لكى تنتزع استقلالها وحريتها وتسيطر بنفسها على مواردها وثروتها وتبحث جميعاً عن صيغة لتحالف مشترك غير منحاز .. وكانت بداية تحرير بقايا الأمة العربية المحتلة .. ثم وبسبب اسرار هذه الحرب منذ معاهدة سيفر ـ احدى ضواحى باريس ـ الى اعتزال ايدن للسياسة والى غير ذلك من الخبايا .. فان مئات الكتب قد صدرت عن « حرب السويس » واذا كانت مذكرات سير انطونى ايدن ـ رئيس حكومة بريطانيا وقتها ـ هامة .. فان وزراء خارجية الدول المشتركة فى الحرب قد كتبوا الأسرار ـ من وجهة نظرهم ـ عدا « الرجل » لقد كتب كريستيان بينو وزير خارجية فرنسا .. وكتب سلوين لويد وزير خارجية انجلترا .. ومن اسرائيل كتب بن جوريون وديان لكنه هو .. وزير خارجية مصر لم ينشر بعد ! لذلك فان الرجل عندما تخلى عن العمل الرسمى سنة ١٩٧٤ .. عكف على اعادة ترتيب أوراقه وبدأ يكتب مذكراته .. وهى ليست مذكرات بالمعنى التقليدى وانما قسم الأحداث الى موضوعات .. وبالفعل كتب ثلاثة كتب الآن تحت يد ابنه يستعد لنشرها :

● « رحلة مسافر » .. يضم مذكراته عن الفترة من ١٩٢٣ حتى ١٩٥٢ .

● « وهنا قامت الثورة » .. يتحدث فيه عن ذكرياته مع جمال عبد الناصر واحداث مصر والعرب وزعماء العالم منذ ١٩٥٢ حتى ١٩٧٠ اى وقت رحيل عبد الناصر .

● « حرب السويس » .. عن حرب ٥٦ الشهيرة .

● ●

من أدواره البارزة أيضاً .. تلك المواقف التى هز بها المجتمع الدولى خلال احداث ١٩٥٨ عندما نزلت قوات مشاة الأسطول الأمريكى فى لبنان .. والقوات البريطانية فى الأردن .. وأحداث الثورة الجزائرية التى اشتدت فى تلك العام .. ونادى « الرجل » من فوق منبر الأمم المتحدة داعياً الى الحرية .. الى السلام قائلا :

محمود فوزي

« ان السلام يجب ان يقوم على أسس راسخة ولا يمكن ان يتم ذلك بالمشي على حبل مشدود فوق الجحيم مثلما يحلو للبعض ان يفعل .. كرياضة أو كهواية ! كذلك فان السلام لا يمكن ان يتحقق بالمسكنات والمهدئات أو بمجرد وجود الالتزامات » !

وفى سنة ١٩٦١ .. بالتحديد ١٨ اكتوبر .. كانت الامم المتحدة تناقش المشكلة المزمنة وهى نزع السلاح ، والحد من التجارب الذرية .. ووقف : « الرجل » فى جراة يقول :

« ان الامم المتحدة يجب ان تتخذ اجراء ما والا أصبحت مجتمعاً خاملا عديم الجدوى ، ويثقل نفسه بمناقشات لا اهمية لها ! فلقد طالت الكلمات وأصبحت مملة .. وأسهب المتحدثون فى بيانات يكررون بها انفسهم دون ان يحمل أحدهم نفسه مشقة دراسة المشكلات قبل ان يقف ليتحدث ! » .

هكذا كان واضحاً وجريئاً يعبر عن رايه باقصر الطرق .. برغم رقته .. برغم صوته الهادىء جداً .. الوقور .. المتزن .. وهو بالنسبة لنبرات الصوت سواء فى الخطابة او حتى فى الكلام العادى .. له راى يقول : « ان من الأصوات ما يشجى ويطرب ويريح ، ومن الرأى ما يطعم النفس من جوع ويرويها من عطش ويقنع ، ومن الحركة ما هو ـ بحق ـ بركة .. ومنها ما يفضله السكون !

ان الصياح ليس حجة ، وان النوبة العصبية ليست رأياً .. وان حمل السلم بعرض الطريق ليس هو أسلوب السير الى الامام ! » فى تلك الفترة ـ حتى لا ننسى ـ كانت الوحدة قد قامت بين مصر وسوريا وظل الرجل وزيراً مركزياً للوحدة وفى ٢٤ اكتوبر ١٩٦٢ عين عضواً فى اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى وفى ٢ اكتوبر ١٩٦٥ عين نائباً لرئيس الوزراء للشئون الخارجية وظل محتفظاً بنفس مكتبه فى مبنى وزارة الخارجية المطل على ميدان التحرير .. وفى ١٩ يونيو ١٩٦٧ عين مساعداً لرئيس الجمهورية للشئون السياسية ، على أن يحضر اجتماعات مجلس الوزراء لكنه استاذن فى عدم الحضور بشكل مستمر وكان له ما أراد .. وفى ٥ مايو ١٩٦٨ عين رئيساً للجنة المشرفة على انتخابات الاتحاد الاشتراكى .. وفى ١٩٦٩ اختير أميناً للجنة وضع مشروع الدستور حيث عكف على هذه المهمة وجمع الدساتير المصرية السابقة ودساتير العالم للاسترشاد بها .. ثم .. وفى ٢١ اكتوبر ١٩٧٠ صار رئيساً للوزراء وبعد توليه المسئولية بأيام قال « للاهرام » (أول نوفمبر ١٩٧٠) « نحن لا صفة لنا الا اننا خدام هذا الشعب واذا انتفى عنا ذلك فلا صفة لنا » ..

ذلك سوف يكون تصرفى ازاء كل ما يجب ان لا يحدث . وسوف يكون تصرفى ، ازاء كل ما يجب ان يحدث .. وسوف افعل ذلك بأعلى صوت لاننى لا احب «الوشوشة» وقال معلنا بنفس الصراحة : « ان أمامنا اشياء ثلاثة : المعركة، ثم مشاكل الرجل العادى، ثم ضرورات المستقبل .. »

وبدأ يتحدث عن مشاكل الرجل العادى .. الرجل كائناً من كان ، مقتبساً هذا التعبير من جمال عبد الناصر ، منفذاً وصاياه ولذلك فقد كانت مشكلة عمال التراحيل .. أول وعد تقدمت به وزارته ، أيضاً كان اهتمامه ـ الذى أشرنا اليه ـ بالشباب .. وبالبشر وهو فى ذلك يقول « ان أنفع استثمار هو استثمار الانسان . واستثمار الانسان مستحيل بغير التعليم والصحة » .

التعليم والصحة .. كانتا مثل غيرهما من ضمن « ضرورات المستقبل » وهو يقول أن « لا كرامة بغير قوة » و « العالم المتقدم عملاق .. عضلاته قوية وعقله جبار .. وذلك متاح له بالعلم واذا لم نتنبه فقد يدوسنا وهو لا يشعر ! وهذا أسوأ لانه يضيف الاهانة الى التهديد .. » ويقول : « ان الصحة انتاج من أجل التقدم » .

ويضع تصوراته فى فلسفة مختصرة « إن صراع الحياة كله يتلخص فى عبارتين : ان نشد المستحيل لنجعله ممكناً، وان نشد الممكن لنجعله واقعاً . وحتى نفعل هذا لابد من الاساليب العلمية الحديثة .. ولابد مثلا من « تقليل كمية الضائع من حياتنا أو العادم » كما يقول المهندسون . أما المعركة .. وبناء القوة ودورها واهميتها فقد عبر عن ذلك فى ٩ ديسمبر ١٩٧٠ عندما ذهب يلتقى بالمقاتلين فى الجبهة .. قال :

« سر بالكلمة اللينة والعصا الغليظة فانك ستسير كثيراً .. وهذا معناه انه بدون العصا لن يكون للكلمة أى صفة .. لابد من سند للكلمة وسندها هو القوة الرادعة . القوة المقنعة ونحن لا نخشى شيئاً .. اذ لا قيمة للحياة مع المذلة » وقال : انه ليس لدينا خيار فى خوض المعركة .. لكن لدينا التصميم والفكر لخوضها » .. وعاهد المقاتلين على خط النار الأول بنفس ما يؤمن به دائماً « ان الصراحة هى العملة الوحيدة التى نتعامل معها » . واجرى « الرجل » تعديلين فى وزارته .. فى ١٥ مايو ١٩٧١ .. ثم فى سبتمبر من نفس العام .. وفى يناير التالى ترك المنصب ليصبح نائباً لرئيس الجمهورية .. وفى صباح يوم ٢٧ اغسطس ١٩٧٤ قدم كتاب استقالته الى رئيس الجمهورية :

« أرجو ـ والسنون أكثر مما رجوت منذ الثالث من اكتوبر عام ١٩٧٠ ـ ان تاذن لى بانهاء كل عملى الرسمى والاتجاه الى سواه فى وقت لا يعدو الثامن عشر من سبتمبر القادم حين أكون قد بلغت ـ بحمد الله ـ الرابعة والسبعين وامضيت فى العمل أكثر من خمسين عاماً . وانى اذ أفسح المجال لمن هم أوفر منى عافيه واقدر على حمل رسالة العمل الرسمى المقبل الكبير فى ظروف النصر الجديدة » .

وفى ١٨ سبتمبر ١٩٧٤ .. كان له ما أراد ... وفى ٢٣ اكتوبر ١٩٧٤ .. وفى مجلس الشعب أمام ممثلى الشعب تسلم بعض تكريم الدولةله « قلادة النيل » أرفع الاوسمة .. وبعدها عاد الرجل الى بيته الصغير على ترعة المنصورية .. البيت الذى خلا منذ سنوات برحيل الزوجة التى انطبق عليها قوله هو ذات مرة .. « ان وراء كل عظيم امراة .. فاضلة » نعم .. ليست مجرد امراة وانما فاضلة .

منذ رحيلها ظل يعيش فى البيت بمفرده مالكاً كل وقته لأول مرة فى حياته وكم كان يود لو شاركته الرحلة .. لو شاطرته هذا الوقت .. لو جلسا معاً ـ كما كانا ـ يتحدثان .. تناديه ـ كما تعود « محمود » ويناديها ـ كما تعود ـ « حسن » .. ويسيران بين الأشجار وتحت أغصانها يسمعان شدو الطيور لكنها راحت .. !

وثقلت عليه الأيام .. واشتد المرض .. وسافر الى لندن للعلاج .. لكنه ومثل كل مرة سافر فيها .. كان يخرج عن طبيعته الهادئة ويطلب فى الحاح وصياح العودة إلى مصر .. وعندما عاد هذه المرة ـ وبضغط الأطباء المعالجين ـ نقلوه من الطائرة الى مستشفى دار الشفاء بحي العباسية فى القاهرة .. ومنذ أن وصل اليها أخذ يلح طالباً مغادرتها والعودة الى بيته الصغير وسط الأشجار ..

لقد كان يريد ان يسبق الزمن .. يريد أن يفرغ من كتاب جديد لم يبدأ فيه الا بضع صفحات متناثرة كتبها سراً واخفاها بعيداً عن كل عين ولم يتحدث عنها مع أحد .. كتاب عن الفترة من ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ حتى ١٩٨١ أى منذ رحيل عبد الناصر ، وماذا حدث بعده ؟ وكيف جرى الصراع على السلطة وماذا فعل خلال حكم أنور السادات ورأيه فى حرب أكتوبر وما أعقبها وغيرها .. لكنه لم يسبق الزمن بل صرعه الزمن ! وخيم الصمت على بيته وسط أشجار المنصورية ..

الآن .. توقف شدو الطيور ! الآن .. ذبلت زهور التيوليب ! .. لقد رحل صاحب البيت .. ذهب « محمود » يلتقى مع « حسن » بعد طول فراق !

محمود مراد

إلى الزنبقة الغائبة

شعر: م. كجراي

الخرطوم

وهأنذَا يا حبيبةَ قلبى أهزُّ الجدارْ
وأكتبُ أغنيةً عن بريق الشموسِ
تسلَّلَ من خلفِ نافذَتى رغمَ كل الحصارْ
يحدثنى من ثُقُوبِ النَّهـــارْ
عن الموتِ والليلِ
عن خطواتِ الذبولِ وعن ساعةِ الاحتضارْ
تجرَّعتُ حتى الثمالـة كأسَ أسَايا
وجئتُ إلى الشَّاطىءِ السندسىِّ أقصُّ الحكايَا
أرى اليومَ موتَاىَ حين يطلُّون من قلبِ كلِّ المرايا
على دربكاليوم يختلطُ الوردُ والدَّمُ والنارُ
والأغنياتُ الأناشيد تبعثُ من خَنْدقٍ ضمَّ كلَّ الضحَايَا
وفى ساحلِ الذكريات الطويلْ
أصافحُ صوتكِ
أوَّاهُ صوتك سيدتى مثلما كانَ قبل الرحيلْ
وهأنذَا مثل هام النخيلْ
إذا ما اشرأبَّ كقامةِ شيخ دهتْهُ الخطوبُ
فمدَّ العيونَ لعلَّ الصبَاحَ
يجىءُ على فرسِ المستحيلْ
لعل المواويل تَنسجُ أغنيةً لِلَهَاةِ الكنَارْ
فينطلقُ الشجْوُ فوق رؤوسِ النخيلْ
وعَبْرَ رئاتِ القَمارِى
مُغَنِّيك قلبى على ساحةِ العِشْقِ والأنتظارْ

فلا العنكبوتُ يقيدنى بالشراكِ ،
ولا الريحُ تعرفُ كيفَ تصيحُ لتعلنَ عن إنكسَارِى
مغنيك سيدتى
صوتُه يتهدَّج فى دعوةٍ مستجَابَهْ
يسير على هدْيِ صوتكِ
لا يتلفَّتُ للزيفِ يعبر كلَّ خُطوط الغَرَابَهْ
وجاء البريدُ ، قرأناهُ فى لغة المطرِ المتساقِطِ
يا للبريدِ يفاجؤُنا حين تهمى السَّحَابَهْ
رسالَة برقٍ تراقص فوقَ الحقولْ
وَعِينَا تفاصيلَها إذ تقولْ
هو الرعدُ يهدرُ فوقَ البرارى
فيمطرُ سهْلاً ويحرِقُ غَابَهْ
فيا وجْهَ سيدتى القمريِّ
دفنْتُ مع الليلِ خارطةً للكآبَهْ
فكلُّ الحروفتؤدى الى أرضِ قيْصَرَ
ما عادَ قيصَر يملؤ ثوبَ المهابَهْ
اقول لسيدتى دفْترى عربىُّ الكتابَه
وهأنذا يا حبيبةَ قلبى أهُزُّ الجدارْ
وأكتبُ أغنيةً عن بريقِ الشُّمُوسِ
تسلَّلَ من خلفِ نافِذَتِى رغمَ كل الحَصَارْ
لِعَلِّى أراكِ
تُطلِّين زنبقةً كجبين النهارْ .

أغطية الرؤوس في العالم العربي

بقلم: اللواء إبراهيم محمد الفحام

يعد العالم العربى ـ بمساحاته الشاسعة ، وأطرافه المترامية ـ من أثرى مناطق العالم بالأزياء المتنوعة ، التى تعكس الظروف الجغرافية والمناخية المتباينة لأقاليمه ، والرواسب التاريخية المتأصلة فى وجدان شعوبه ، وروابطهم الاجتماعية والاقتصادية بالشعوب الأخرى المجاورة لهم .

ولو أننا تصورنا متحفاً يضم نماذج من هذه الأزياء جميعاً ، لاستأثرت بانتباه زائريه ـ بوجه خاص ـ أغطية الرؤوس العديدة ، بأنواعها وأشكالها وألوانها المختلفة ، التى يعبر تباينها عن الانتماءات الاقليمية والعرقية ، والدينية والمهنية للابسيها ، فضلا عن مستوياتهم الاجتماعية والعلمية والوظيفية .

وفى السطور التالية ، سنعرض أمثلة لأكثر أغطية الرؤوس انتشاراً فى أنحاء العالم العربى ، فى زمننا الحاضر ، مع التأصيل التاريخى لكل منها .

العمامة

العمامة ـ بغير شك ـ أكثر أغطية الرؤوس انتشاراً فى العالم العربى . فهى ـ بعكس الكوفية والعقال ، أو الطربوش ـ مثلا ـ لا يقتصر استخدامها على مناطق منه دون أخرى . إذ لا تخلو دولة عربية من لابسى نوع أو أكثر من أنواع العمامة . ولا عجب فى ذلك ، فالعمامة ـ بدون جدال ـ أعرق البسة الأجداد حتى رددت مأثوراتهم (العمائم تيجان العرب) . وقد نسب ذلك القول الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وتحقق العمامة للابسها فوائد كثيرة . وقد ذكروا العمامة عند أبى الأسود الدؤلي فقال : « جنة فى الحرب ، ومكنة من الحر ، ومدفأة من العر ، ووقار فى الندى (أى مجلس القوم ومتحدثهم) ، وواقية من الأحداث ، وزيادة فى القامة . وهى بعد عادة من عادات العرب » .

وقيل لأعرابى : « إنك لتكثر لبس العمامة » ، قال : « ان شيئاً فيه السمع والبصر ، لجدير أن يوقى من الحر والعر » .

وكان سعيد بن العاص يقال له « ذو العمامة » لأنه إذا جعل على رأسه عمامة ، لم يلبس قرشى مثلها ، حتى ينزعها .

وقيل ان ذلك اللقب لزم سعيداً كناية عن السؤدد . وذلك أن العرب تقول للسيد « فلان معمم » يريدون أن كل جناية يجنيها الجانى من عشيرته ، معصوبة برأسه .

وكان بعض فرسان العرب ، يميزون عمائمهم ـ عند القتال ـ بعلامات خاصة .



وكان حمزة يوم « بدر » معلماً بريشة نعامة حمراء .

وكان لبس العمائم وخلعها عن الرؤوس فى المناسبات المختلفة ، يخضع لآداب خاصة . أوضحها « ميخائيل عواد » فى مقالين أحدهما بالعدد ٤٥٣ من مجلة الرسالة (سنة ١٩٤٢) والأخرى بالعدد ٢٨٥ من مجلة الثقافة (سنة ١٩٤٤) .

وقد تطورت أشكال العمائم عبر العصور المتتالية . وأشار الجاحظ فى كتابه (البيان والتبين) إلى اختلاف أشكال العمائم فى عصره ، باختلاف الطوائف والطبقات الاجتماعية .

ومازالت لأشكال العمائم وألوانها – حتى الآن – دلالاتها المتعددة ، على انتماءات أصحابها ، فى كثير من أقطار العالم العربى ، بحيث يمكن الاستدلال بها على مواطن لابسيها ، أى ما إذا كانوا من أبناء إقليم معين (أى من أبناء المناطق الجبلية أو الصحراوية أو الساحلية) كما يمكن الاستدلال بها على أجناسهم . أى ما إذا كانوا من أصول عربية خالصة ، أم عناصر أخرى تشاركهم أوطانهم ، بل وعلى قبائلهم ، وعقائدهم الدينية ، ومهنهم ، ومراكزهم الاجتماعية ، وربما على أمزجتهم وأهوائهم الشخصية أيضاً .

ويكفى أن نذكر أن من أسماء اللغات المختلفة للعمائم التى عرفت فى العراق وحده – على سبيل المثال – اللغة الجراوية واللغة العصفورية ، واللغة الشبلاوية ، ولغة العدام (أو القلعاوية) ، واللغة المهداوية ، واللغة الفضلاوية ، واللغة المسماة (سى لغة) . وكان لكل من تلك اللغات دلالتها الخاصة .

وفى بعض الأقطار العربية يمكن التمييز بين الشريف الحسنى والشريف الحسينى – مثلا – من لون عمامته ، كما تستطيع التمييز بين أتباع الطرق الصوفية من ألوان العمائم أيضاً . فالعمامة الحمراء للأحمدى ، والخضراء للسعدى ، والبيضاء للشاذلى ، والسوداء للرفاعى .

كما يتميز الميرغنية والنقشبندية والتجانية ، بعمائم ذات أشكال خاصة .

والملاحظ أن أحجام العمائم ، قد تضاءلت كثيراً – فى عصرنا هذا – مع تضاؤل أحجام اللحى .

ويفهم مما ذكره كلوت بك فى كتابه « لمحة عامة إلى مصر » أن عمائم العلماء كانت – فى أوائل القرن الماضى – تتميز بالضخامة ، ويتكون منها حول رؤوسهم ما يشبه الكرات العظيمة ، كما كان بعضهم يحليها بوشاح من الكشمير أو الحرير الموصلى ، يهبط منه طرفان أحدهما يمس الصدر ، ويبقى معلقاً أمامه من ناحية أحد الكتفين ، ويمس الثانى الكتف الأخرى . وكانت تلك العمائم الضخمة ، تسمى الواحد منها (المقلة) .

وقد شجعت ضخامة تلك العمائم ، على استخدام طياتها فى حفظ بعض الوثائق والأدوات الخاصة .

ويروى محمد سعيد القاسمى فى كتابه الذى نشر بعنوان (قاموس الصناعة الشامية) واقعة فى ذلك ، قال فيها :

– وحدثنى بعض أصفيائنا الأفاضل ما معناه أنه أبصر فى وسط القرن الماضى رجلا فلاحاً من أهالى التل « وهى قرية من قرى الشام » كان يتعمم بعمة كبيرة ، وأنه مرة أراد أن يظهر صكا فى بيع أو مشترى قال : فأنزل من قمة رأسه عمته – التى هى كالبرج – إلى الأرض ، وأخذ يفتش فى ثناياها عن الصك ، فأخرج من الثنية الأولى أوراق الميرى ، ومن الثانية أوراق الذمم على أهل البلد ، ومن الثالثة مشطاً ، ومن الرابعة الصك المفتش عنه ، مع صكوك وحجج أخرى) .

وعلق على ذلك قائلا : « فكانت عمامته كأنها خزانة أوراق ، أو صندوق الحوائج » .

كما ذكر أن لف تلك العمائم ، وفق الأشكال المطلوبة ، ذات الدلالات المختلفة كان يحتاج إلى دراية خاصة ، وكان هنالك أناس متخصصون ، يرتزقون من ذلك .

وكان بعض المتعممين من العلماء

أغطية الرؤوس في العالم العربي

والأعيان ، يحتفظون فى منازلهم بحوامل خاصة ، توضع عليها العمائم عند خلعها ، صوناً لها . وكان ذلك الحامل – الذى يسمى (كرسى العمامة) – يعد من أهم الأدوات التى يضمها جهاز العروس .

وكانت العمامة . ولا تزال – تحظى بقدر من الاحترام ، يفوق ما تحظى به غيرها من اغطية الرؤوس . ولذلك فان هناك شعوراً راسخاً ، بمسئولية المتعممين عن الحفاظ على المعنى الكريم الذى توحى به ، أو ترمز إليه ، العمامة .

ولذلك فقد اعتبروا سقوط العمامة عن رأس الرجل ، مخلا بكرامته ، واعتبروا نزعها عنوة ، أو إلقاءها على الأرض ، من الاهانات الشديدة ، التى لا تغتفر .

وقد حكى المستشرق الانجليزى إدوارد وليم لين – الذى عاش فى القاهرة فى أوائل القرن الماضى ، واقعة طريفة رويت له . وهى : « أن عالماً سقط من فوق حماره فى شارع من شوارع المدينة ، وقد تدحرجت العمامة بعيدة عنه ، فتجمع المارة واخذوا يجرون وراء العمامة – وقد تركوا صاحبها – صائحين : (ارفعوا تاج الاسلام .. ارفعوا تاج الاسلام » . فصاح يناديهم مغتاظاً : « انهضوا أولا شيخ الاسلام » .

وحدثت فى لبنان سنة ١٩٣٢ واقعة من أروع وقائع الثار لكرامة العمامة . فقد كلف بعض خصوم السيد عبد الحميد كرامي زعيم طرابلس ومفتيها فى ذلك الزمن ، أحد الشبان بالاقدام على عمل يستهدف تحقيره وإهانته ، فتربص له ذلك الشاب ، حتى باغته ، عند ترجله من سيارته ، وانهال على رأسه ضرباً ، حتى أسقط عمامته على الأرض .

فسارع السيد عبد الحميد بالتقاط عمامته وتسويتها أولا ، ووضعها على رأسه ثم أخرج مسدسه ، وأطلق الرصاص على ذلك الشاب ، فارداه قتيلا على الفور ، وتوجه إلى دار الحكومة ، حيث اطلع المسئولين على المسدس ، وروى لهم ما حدث .

وتقديراً للأهانة الخطيرة التى استهدف لها ، اكتفت المحكمة بحفظ القضية ، وتكليفه باداء الدية فقط .

غير أن مكانة العمامة – كزى لموظفى الدولة – بدأت تتضاءل ، عندما قرر السلطان محمود الثانى العثمانى ، أن يستبدل بها الطربوش ، فى الوظائف العسكرية ثم الدينية ، وقمعت كل محاولة للتردد فى تنفيذ ذلك القرار ، أو الاعتراض عليه .

ويروى أن رؤوف باشا والى دمشق ، شوهد متعمماً ، عندما خرج على رأس موكب الحج أميراً عليه فى سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٧) م ، ثم صدر الأمر باستبدالها بعد ذلك ، فاستجاب له ، وشوهد عند عودته ، وهو يلبس الطربوش .

وكانت من أشد الحملات التى استهدفت لها العمامة فى عصرنا هذا ، تلك التى شنها طلاب دار العلوم بالقاهرة فى سنة ١٩٢٦ عندما أعلنوا تمردهم على زيهم الشرقى ، فعارضتهم الحكومة ، وخاصة بعد أن اعتصموا بالدار فى زيهم الجديد ، وقد استبدلوا الطرابيش بالعمائم ، وكلفت الشرطة باجلائهم عنها ، ولكن دعوتهم انتصرت فى النهاية .

وذكر الشيخ عبد العزيز البشرى فى مقال له بالعدد الصادر فى ٩ مارس سنة ١٩٢٩ من صحيفة (السياسة الأسبوعية) انه لم يعد باقياً من الطلاب المحتفظين بعمائمهم فى دار العلوم ، سوى ثلاثة أو أربعة . وأن تلك الدعوة قد بدأت تمتد إلى القسم العالى بالأزهر أيضاً .

وكان الشيخ على عبد الرازق صاحب كتاب (الاسلام واصول الحكم) فى مقدمة من هجر العمامة ، من علماء الأزهر . وكتب فى عدد ١٣ نوفمبر سنة ١٩٢٦ من (السياسة الأسبوعية) رسالة بعث بها من باريس ، يناجى فيها عمامته ، ويعتذر لها عن تركه إياها ، ذاكراً أسباب ذلك .

وبرغم تخلى الكثيرين من خريجى الكليات والمعاهد الدينية عن العمائم ، فاننا نستطيع أن نحصى فى مصر – وفي غيرها من الأوطان العربية العشرات من أنواع العمائم ، ذات الأشكال والألوان المختلفة ، التى تعكس كل منها دلالة خاصة .

الشاشية والطربوش

ونذكر الشاشية والطربوش معاً ، لأن الشاشية ليست سوى حلقة متقدمة ، من حلقات التطور التاريخى للطربوش . ونقصد بالشاشية غطاء الرأس الشائع الآن فى دول شمال افريقية ، وهى أشبه بالطربوش الأحمر القصير ، الذى يتعمم عليه علماء الأزهر فى مصر ، مع استبعاد الزر . وقد يطلق عليها فى الصحراء الغربية بمصر (الشنه) .

وما زال شيوخ القبائل العربية فى مصر الذين تمتد أصولهم وروابطهم القبلية عبر حدودها الغربية ، يتخذونه زياً مميزاً لهم ، مع احتفاظهم بزره الأزرق الكثيف ، ودون التعمم عليه .

وقد ورد ذكر (الشاشية) كغطاء خفيف للرأس ، فى مصادر ترجع إلى عصور الدولة العباسية على الأقل ، وهى تنسب لغوياً إلى نسيج (الشاش) الذى كانوا يتعممون عليها به أحياناً . وينسب هذا النسيج بدوره إلى بلدة فى أقصى الشمال ، اشتهرت فى الشتاء ببردها القارص .

غير أنه لا يوجد ما يؤكد تماثل الشاشية التى ذكرت فى تلك المصادر ، والشاشية المستخدمة الآن فى دول شمال افريقية .

وقد ذكر روجيه لوتورنو فى كتابه (فاس فى عصر بنى مرين) أن الصناع الأندلسيين ، الذين وفدوا على مدينة فاس هم الذين نقلوا إليها صناعة الشاشية فى هيئتها الحالية ، التى عرفت أولا فى بلادهم ، ثم انتشرت من فاس الى غيرها من أنحاء العالم الاسلامى ، فنسبت إليها ، وعرفت بالانجليزية باسم (فيز) ، وفى بعض البلاد العربية باسم (فيشة) .

والواقع أن صناعة الشاشية التى ظهرت فى تونس عن طريق الصناع الأندلسيين أيضاً ، لم تكن أقل ازدهاراً منها فى فاس .

ويذكر محمد بيرم التونسى فى كتابه (صفوة الاعتبار) أن والى تونس فى القرن الماضى كان يلبس فى المواكب الرسمية شاشية مركباً عليها ثلاثة نياشين كبار من الذهب ، على هيئة أوراق النبات ، وبوسطها ترصيع من الياقوت الأبيض .

ويرى العلامة المغربى عبد العزيز ابن عبد الله أن الزر الأزرق الذى يتدلى من مؤخرة الشاشية – وقد أسماه الشوشة – لم يعرف بالأندلس قبل العصر الذى تفشت فيه محاكم التفتيش ، عندما أجبر الأسبانيون العرب الذين أرغموا على التنصر ، بأن يتميزوا بعلامات زرقاء .

كما يرى القاسمى فى (قاموس الصناعات الشامية) أن الزر – وقد سماه الطرة – كان فى الأصل طويلا وعريضاً جداً ويتدلى على الرقبة والكتفين (وكانت الحكمة منه – كما ذكر البعض – وقاية فقرات القفا من أشعة الشمس ، ولسع

الرياح ، ثم تضاءل حتى صار حليـــــة للطربوش .

اما جورجى زيدان فيقول فى تاصيل زر الطربوش فى مقال له عن (تاريخ الازياء الشرقية) نشر بعدد نوفمبر سنة ١٩٠٧ من مجلة (الهلال) انهم لبسوا الطربوش – فى البداية – مجرداً ، ثم تعمموا عليه . واستعاضوا بعد ذلك عن النسيج الذى كانوا يتعممون به على الطربوش بكســاء من الخيوط الخضراء كالشراريب ، تعلق فى قمته ، وترسل إلى دائرة ، تغطيه لمجرد الزينة ، ثم حسروا ما يهبط إلى الجبهة من تلك الشراريب ، لئلا تضايق اللابس ، وجعلوها سوداء فاصبحت الشراريب تحيط بالطربوش من كل جهاته الا الأمام ، ثم ضموا الشرابة ضمة واحدة ، وهى الأمر المعروف .

ونشر مع المقال صورة لقائد عثمانى يدعى رشيد باشا ، وهو يلبس طربوشاً ذا شراريب من الخلف ، من تلك التى تمثل – فى رأيه – مرحلة سابقة ، للشكل الحالى للزر .

ويقال فى تاصيل اســـتخدام تلك الشاشيات المغربية فى الدولة العثمانيـة والمشرق العربى ، ان محمد خسرو باشا وزير الحربية العثمانى ، عاد من أحد سفاره فى شمال افريقية ، ومعه عدد من الجنود التونسيين ، وعلى رؤوسهم ذلك الزى ، فاعجب به السلطان محمود الثانى – وكان يبحث عن غطاء رسمى ملائم للرأس ، ليستبدله بالعمامة – فاصدر امره بتعميمه فى الجيش سنة ١٩٢٤ ، بعد ان حصل على فتوى بجواز ذلك من المشيخة الاسلامية ، وكلف احد رجاله – وهو كاتب زادة مصطفى افندى – بشراء ٥٠ الف شاشية من تونس ، كما عهد إليه بانشاء اول مصنع للشاشيات فى الآستانة ، واستعان فى ذلك بخبراء من تونس وفاس . وعرف ذلك الزى باسم (السربوش) أى (فوق الراس) أو (غطاء الراس) ثم اشتهر باسم (الطربوش) .

وتطور شكل الطربوش ، من هيئته الأولى – أى ما كان يسمى (الطربوش المغربى) الذى يتعمم عليه الآن علماء الأزهر – حتى اتخـــذ شكله الأخير الأسطوانى الطويل فى عهد الســـلطان عبد العزيز ، الذى تولى الخلافة سنة ١٨٦١ هـ . فعرف باسم (الطربوش العزيزى) ، واشتهر خطأ انه زى تركى ، بينما هو ينتمى – فى الحقيقة – إلى أصل عربى اندلسى .

ولم يكن إسم (الطربوش) جديداً على اللسان العربى ، إذ كان يعرف فى الشرق العربى – قبل ظهوره بشكله الأخير – غطاء اخر للراس يسمى (طربوش دلح) كان يصنع من نسيج أحمر ، إلا انه يتجاوز نصف الذراع طولا . وكانوا يتعممون عليه أحياناً .

كما ورد اسم (السربوش) – كغطاء للراس – فى قصص الف ليلة وليلة ، وفى كتابات عربية أخرى ، ترجع إلى العصر العباسى ، ككتاب (بدائع البدائه) لعلى ابن ظافر الازدى ، الذى ذكره فى واقعة جرت فى أوائل القرن السابع الهجرى .

وكانت مصر من أوائل البلدان التى استبدلت الطربوش بالعمامة . ويذكر كلوت بك فى كتاب (لمحة عامة إلى مصر) أن ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا كان اول من لبس الطربوش ، فاقتدى به كبـــار الموظفين والاعيان ، ثم جعل الزى الرسمى للجيش النظامى عند تشكيله فى سنة ١٨٢٣ . وانشىء فى العام التالى أول مصنع مصرى للطرابيش فى بلدة « فوة » بشمال الدلتا ، استعين فى انشائه وتشغيله بخبير تونسى يدعى محمد المغربى .

وقد تباطا انتشار الطربوش فى المشرق العربى ، حتى امر ابراهيم باشا – عند احتلاله لبلاد الشام – الامير بشير الشهابى وافراد اسرته بلبسه فى سنة ١٨٣٨ ، فاستجابوا له ، واقتـــدى بهم الكثيرون ، ثم لم يلبث أن صار الزى الغالب فى تلك المنطقة .

ويذكر على ظريف الاعظمى فى كتابه (مختصر تاريخ بغداد) أن الطربوش فرض – كغطاء رسمى للراس فى العراق – فى ولاية علي رضا باشا .

ويرجع انتشار الطربوش فى السودان الى عهد موسى حمدى باشا الذى عين حكمداراً له من سنة ١٨٦٢ الى سنة ١٨٦٥ فكان اول من الزم الموظفين السودانيين ، باتخاذ الزى الأوروبى والطربوش – بدلا من الجلباب والعمامة – أسوة بالمصريين والأتراك .

وقد استهدف الطربوش لحملة نقـــد عنيفة بالمشرق العربى ، منذ اندلعت الشرارة الأولى للثورة العربية فى سنة ١٩١٧ ، وتصاعدت الدعوة إلى التخلص من كل مظهر من مظاهر التبعية للأتراك ، ومنها الطربوش ، فتخلص الكثيرون منـه طواعية ، قبل أن يصدر تشريع فى العراق بالغائه فى سنة ١٩٢٤ .

وكانت تلك الدعوة قد انطلقت فى تركيا نفسها ، فى غمار الرغبة فى التخلص من كل مظهر شرقى و فصدر تشريع باستبدال القبعة به ، فى سنة ١٩٢٥ .

وامتدت أصداء تلك الدعوة إلى مصر . فالى جانب دعوة بعض المتعممين إلى استبدال الطربوش فى اوساطهم بالعمامة ، كانت هناك دعوة أخرى للمطربشين إلى استبدال القبعة بالطربوش وافسحت صفحاتها للآراء المتباينة ، التى اثارتها هاتان الدعوتان . وقد عرض الدكتور خليل صابات فى كتابه (موقف الصـــحافة المصرية من العمامة والطربوش) تفاصيل المعارك الفكرية ، التى اثيرت حول ذلك الموضوع .

وكان قرار الجمعية الطبية المصرية الصادر فى سنة ١٩٢٦ – والذى افتى بان الطربوش ضار – من الوجهة الصحية – بالراس والعينين – من اهم الحجج التى استند إليها دعاة التخلص منه .

وفى السنة نفسها ، عقد الفلسطينيون – من المسلمين والمسيحيين – اجتماعاً فى القدس ، لبحث مصير الطربوش ، فاصدروا قراراً بانه (ليس لباس الراس العربى الوطنى ، ولا اهمية دينية له) .

وقد بدىء فى التخلص من الطربوش فى مصر ، باستبعاده من زى ضابط القوات الجوية فى سنة ١٩٣٩ ثم من زى سائر قوات الجيش والشرطة سنة ١٩٤٧ ، وكان ذلك بالنسبة لأوقات العمل غير انه ظل يحتفظ بمكانته كزى للمناسبات الرسمية . حتى أخذت مكانته تتدهور – فى المجالين المدنى والعسكرى بعد قيام ثورة سنة ١٩٥٢ ، حتى أسدل عليه الستار نهائياً – كزى لجنود الشرطة .

وبينما ظلت قلة قليلة من المسنين ، تحتفظ بالطربوش (بمظهـــره التركى أو العزيزى) فى بعض الأوطان العربيـــة ، وخاصة فى مصر ، وبعض دول المشرق العربى ، فان الشاشية (أى الطـربوش بمظهره المغربى) لا تزال محتفظة بمكانتها فوق الرؤوس – كزى عربى أصيل – في دول المغرب العربى ، وبين الجماعات البدوية الأصل فى مصر ، التى تمتد أصولهـــا وروابطها القبلية ، عبر حدودها الغربية . كما يتعمم الأزهريون على نوع منه .

الكوفية والعقال

يشيع لبس الكوفية والعقال ، فى معظم

أغطية الرؤوس في العالم العربي

انحاء المشرق العربى ، ولا يكاد يستثني منها سوى القطاع الجنوبى من الجزيرة العربية . ويمتد انتشارهما غرباً ، حتى يشمل شبه جزيرة سيناء كلها ، كما يشمل بعض المناطق المصرية الاخرى ، وخاصة بين الجماعات البدوية الاصل ، التى تمتد اصولها وروابطها القبلية ، عبر الحدود الشرقية للبلاد ، من سكان محافظات الاسماعيلية والشرقية والقليوبية والبحر الاحمر ، وقد عارض الاب انستاس مارى الكرملى ، فى بحث له نشر بعدد مارس سنة ١٩٤١ من مجلة (المقتطف) الاعتقاد الذى كان شائعاً بان الكوفية والعقال ، لم يظهر استعمالهما كزى عربى ، إلا منذ قرنين ، أو ثلاثة قرون على الاكثر . واثبت انها استعملا فى هذا الغرض ، قبل مولد السيد المسيح بعدة قرون . مستشهداً على ذلك بنص ورد فى سفر الملوك الثالث من التوراة ، وببعض النقوش والتماثيل التى ترجع إلى عهد حمورابى ، وشواهد اخرى ، منها بعض النصوص التاريخية واللغوية ، التى تؤكد استعمالها فى العصور الاسلامية الاولى .

وانتقد ما اورده « رينهارت دوزى » فى مؤلفه (المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب) من إرجاع كلمة (الكوفية) إلى أصل ايطالى ، ورجح اشتقاقها من كلمة (التكوف) العربية ،التى تحمل معنى الاستدارة حول الرأس ، أو من اسم مدينة (الكوفة) التى اشتهرت بصناعتها .

وتضمن البحث كثيراً من الالفاظ التى تطلق فى انحاء العالم العربى على الكوفية والعقال ، والتى تختلف باختلاف نقوشهما والوانهما ، والمنسوجات التى تصنعان منها ، والمناطق التى يشيع لبسهما فيها ، مع تحقيق اصولها اللغوية . ومن امثلة ذلك (المحرمة) و (الحلالية) و (الشماغ) ـ او (اليشماغ) ـ و (الدسمال) و (الضريبة) و (القزية) و (الصمادة) و (الخزام) و (العصابة) و (المريرة) و (الخزام) و (السب) .

ثم نشرت المجلة فى عدد مايو سنة ١٩٤١ تعليقاً ضافياً من روكسى بن زايد العزيزى بشرق الاردن ، تناول فيه بالتصويب والاضافة ، بعض المعلومات والالفاظ التى تناولها ذلك البحث .

وكان اتخاذ الكوفية والعقال غطاء للرأس ، يكاد يقتصر على الجماعات البدوية ، حتى بدأ الاقبال يتزايد على هذا الزى فى الأوساط الحضرية بالمشرق العربى ، منذ اندلاع الثورة العربية الكبرى ١٩١٧ ، حتى شاع لبس الكوفية والعقال مع الزى الاوروبى .

وعندما رئي التخلص من الطربوش كرمز للتبعية التركية ، عقد اجتماع فى دار الأمير سعيد الجزائري بدمشق فى سنة ١٩١٩ لاختيار غطاء عربى عام للرأس ، فاعدت ثلاثة نماذج لاختيار احداها ،

ووقع التفضيل على تصميم مطور للكوفية والعقال ، يلائم الشباب وطلاب المدارس ، واطلق عليه (السعيدية) نسبة للأمير سعيد .

وكانت الانتفاضات الشعبية فى لوطان المشرق العربى ، التى بليت بالاستعمار ، فى اعقاب الحرب العالمية الأولى ، يصاحبها تصاعد الاقبال على اتخاذ الكوفية والعقال زياً للمثقفين ، وخاصة عند اندلاع ثورة سنة ١٩٣٦ بالسودان .

وقد قاد شيخ العروبة احمد زكى باشا الدعوة إلى تعميم هذا الزى فى مصر ، بديلا للطربوش . وتبريراً لذلك ، ذكر ـ فى حديث له نشر بعدد ٢ مايو سنة ١٩٣١ من مجلة (كل شىء) أن الكوفية والعقال « إلى جانب فائدتهما صيفاً وشتاء ، وكونهما مظهراً من مظاهر القومية العربية ، تجمعان جلال المظهر ، وحسن الرواء » .

وكان هو نفسه فى مقدمة الذين تزيوا بذلك الزى ، قدوة لغيرهم .

الطاقية والسدارة

تنتشر فى العالم العربى انواع اخرى من اغطية الرؤوس ، ابسطها (الطاقية) التى تعرف باسماء مختلفة وفقاً لاشكالها او الوانها ، او المنسوجات والمواد التى تصنع منها ، او المناطق التى تنتشر فيها ، مثل (الكوفية) و (الطاقية) و (اللبدة) و (التكلت) و (العرقجين) ـ أو (العرقية) او (العراقية) ـ و (المكاوية) .

وقد تلبس احدى هذه الاغطية مجردة ، كغطاء للرأس ، او يتعمم عليها من يشاء ، بنوع من العمائم المختلفة . وهى ـ إلى جانب كونها من ابسط اغطية الرؤوس ، واكثرها انتشاراً ، على اختلاف أنواعها ـ فهى من اعرق هذه الأغطية ايضاً .

وقد ذكر المقريزى ـ فى معرض حديثه عن (سوق البخانقيين) بالقاهرة ، فى خططه ـ انه معد (لبيع الكوافى والطواقى التى يلبسها الصبيان والبنات) ثم قال : وقد كثر لبس رجال الدولة من الأمراء والمماليك والاجناد ـ ومن يتشبه بهم ـ للطواقى ـ فى الدولة الجركسية ـ يقصد دولة المماليك الجراكسة ـ وصاروا يلبسون الطاقية على رؤوسهم بغير عمامة ، ويمرون كذلك فى الشوارع والأسواق والجوامع والمواكب ، لا يرون بذلك بأساً ، بعدما كان نزع العمامة من الرأس عاراً وفضيحة ، ونوعوا هذه الطواقى ما بين اخضر واحمر وازرق وغيره من الالوان .

والمقصود بالكوفية هنا ـ وقد تجمع على كوفيات ، أو كواف ، نوع من الطواقى ، وليس تلك التى تستخدم مع العقال .

وعندما انشأ الملك فيصل الأول دولته العربية بالعراق ، استحدث غطاء للرأس نسب إليه ، فاطلق عليه (الفيصلية) ـ وهو ما يعرف الآن بالسدارة ـ وقد استعير شكله من غطاء للرأس ابتكره السياسى الفرنسى جورج كليمنصو ، كما كان الجنود الاسكتلنديون يتخذون زيا شبيها له فى الحرب العالمية الاولى .

وكان اشتقاق أسماء اغطية الرؤوس من أسماء القادة والحكام مالوفا من قبل فقديما اعجب الخليفة العباسى المعتصم بالله بالقلانس الطويلة (جمع قلنسوة) ، فاتخذها زيا له ، تشبها بملوك الاعاجم . وامر بتعميم ذلك الزى فشاع استخدامه ، وسميت تلك القلانس (المعتصميات) .

وفى تركيا شاع غطاء للرأس منسوب إلى وزير الحربية الاسبق بها ، فسمى (الانورية) . واستحدث الشاه

رضا خان بهلوى غطاء آخر للرأس فى ايران ، فاطلق عليه (البهلـــوية) ، واستحدث فى مصر غطاءان للراس فى الزى العسكرى ، فى عهد الملك فاروق فاطلق على أحدهما (الفاروقية) نسبة إليه ـ وكان يشبه الفيصلية ـ وعلى الأخر (الفؤادية) ـ وهو ما يسمى الآن (الكاب) نسبة إلى أبيه .

ومن طريف ما يذكر أن أمين الخولى استبدل بعمامته ـ عندما كان يتولى التدريس بجامعة القاهرة . (الفاروقية) وقد لبسها مع سائر زيه الأزهرى . وعندما ندب للتدريس بكليات الأزهر ، اقتدى به بعض طلابها . فنشرت مجلة (المصور) فى عدد ١٨ ابريل ســـنة ١٩٤٢ حديثاً لمندوبها مع شيخ الأزهر والمفتى ، عن رأيهما فى ذلك ، فاجاب شيخ الأزهر بانه وان كان الـــدين الاسلامى لم يفرض زيـــاً معينـــاً للمسلمين (إلا انه يرى أن للتقاليـــد احترامها ، ولا سيما فيما يختص برجال الدين) واضاف (ثم ان الزى لم يكن فى يوم من الأيـــام ، ولا فى عصر من العصور ، وسيلة من وسائل التقدم ، بل العبرة بالتربية) .

وكان ذلك الزى فى الحقيقة مجرد بدعة منذ البدع التى ظهرت فجاة فى تلك الآونة ، ثم اختفت باسرع ممـــا ظهرت .

القبعـــــة

لم تبدأ الدعوة إلى اتخاذ القبعة غطاء للراس فى العالم العربى ، إلا بعد تقرير استبدالها بالطربوش فى تركيا فى ســـنة ١٩٢٥ . أما قبل ذلك ، فقد صدرت فتاوى متضاربة حول اتخاذ المسلمين العقبة زياً لهم ، أثناء وجودهم فى بلاد غير اسلامية .

واشهر الفتاوى التى صدرت فى هـــذا الصدد ، تلك التى أصدرها الامام الشيخ محمد عبده فى سنة ١٣٢١ هـ . ردا على ثلاثة أسئلة بعث بها إليه بعض المسلمين من سكان الترنسفال بجنوب افريقية ، فسمى رده عليها (الفتاوى الترنسفالية) .

وقد اثار ذلك الرد صدى عنيفاً فى الرأى العام الاسلامى بالبلاد ، عنى باذكائه الخديوى عباس ضمن حملته على الشيخ محمد عبده . وكان أول تلك الاسئلة (يوجد افراد فى هذه البلاد يلبسون البرانيط ، لقضاء مصالحهم ، وعود الفوائد عليهم . فهل يجوز ذلك أم لا ؟) .

وكان رده على ذلك : (ان لبس البرنطية اذا لم يقصد فاعله الخروج من الاسلام ، والدخول فى دين غيره ، فلا يعد مكفراً . وإذا كان اللبس لحاجة من حجب شمس ، أو دفع مكروه ، أو تيسير مصلحة ، لم يكفره ذلك ، لزوال معنى التشبه بالمرة).

وقد صدرت بعض الفتاوى والرسائل ، التى عارضت ذلك الراى ، واتهمت صاحبه بالكفر والتضليل . ومن امثلة ذلك الرسالة التى وضعها الشيخ يوسف الشرابخومى فى ١٣٢٥ هـ . (١٩٠٤) بعنوان (التعاديل الاســلامية ، فى تخطئة حزب الفتـــاوى الترنسفالية) وكان من مؤيدى الأستاذ الامام السيد محمد رشيد رضا صاحب (المنار) ومحمد كرد علي الذى نشر فى عدد مارس سنة ١٩٠٤ من مجلة (المقتطف) مقالا بعنوان (لباس الرأس) استشهد فيه بالحديث الشريف الذى روى عن ابن عباس (كل ما شئت ، والبس ما شئت ، ما خطئتك اثنتان : سرف أو مخيلة) وأورد تحقيقاً لغوياً ضافياً ، لتاصيل كلمة (القبعة) وبدء استخدامها فى اللسان العربى ، وإدراجها بالمعاجم العربية . ونشرت بعد ذلك بحوث أخرى ، حاول بعضها تاكيد أصلها العـــربى ، وارجعتها بحوث أخرى إلى أصل لاتينى أو يونانى .

والواقع أن القبعة ـ وان كانت دخيلة من الناحية اللغوية ـ فقد اتضح ـ من الناحية الواقعية ـ انها من الأزيـــاء المستعملة ـ ولو باسماء أخرى ـ فى بعض المجتمعات العربية المعاصرة ، التى اتخذتها غطاء للراس ، لأسباب مناخية محلية ، وليس استجابة لاية مؤثـــرات اجنبية .

وقد أشار إلى هذه الحقيقة ، احمد زكى باشا (شيخ العروبة) ضمن مشاهداته وخواطره التى سجلها فى كتابه (السفر الى المؤتمر) ، أثناء رحلته فى بعض انحاء اوروبا ، حينما توجه الى لندن لتمثيل مصر فى مؤتمرالمستشرقين الدولى التاسع سنة ١٨٩٢ . وذلك فى معرض الشكوى من الأضرار الصحية للطربوش . فبرغم من معارضته اتخاذ الزى الأوروبى العام فى البلدان الشرقية ، إلا انه استثنى من ذلك القبعة التى وصفها بانها (ليست محرمة ، لا شرعاً ولا عقلا . فضلا عن أن عرب مراكش (يقصد المغرب) لا يزالون إلى الآن ـ وهم على ما هم عليه من التمســـك بالاسلام ، ويلبسون شيئاً شبيهاً بالقبعة ، له حواف تمنع وهج الشمس من الوجه) .

ولأسباب صحية أيضاً ، عرض جورجى زيدان فى مقاله عن (تاريخ الأزيـــاء الشرقية) بعدد نوفمبر سنة ١٩٠٧ من مجلة (الهلال) اقتراحاً عجيباً يتضمن تفضيل الحفاظ على الزى الشرقى ، على أن تلبس معه العمامة عندما يشتد البرد شتاء والقبعة عندما يشتد الحر فى الصيف .

وتدليلا على أصالة استخدام القبعة فى بعض انحاء العالم العربى ، ذكر الأمير المصرى السابق محمد علي ـ ضـــمن مشاهدته فى رحلته الى شمال افريقية فى أوائل هذا القرن ـ أن بعض النساء فى منطقة الريف ، يتخـذن أغطية للرؤوس من القش والخوص ، تشـــبه القبعات المكسيكية .

وفى الجزائر يستخدم غطاء للراس على هيئة قبعة كبيرة من القش الجزائرى ، قد توضع فوق الراس مباشرة ، أو فوق العمامة . غير أنهم يرفضون لبس أى نوع آخر من أغطية الرؤوس المماثلة ، ما لم تصنع محلياً ، وبالهيئة التى ألفوهـــا ، تبرءاً من شبهة تقليد الأجانب .

وذكر الرحالة « بوركهارت » ، أنه شهد أثناء رحلته فى بلاد النوبة والسودان سنة ١٨١٣ بعض الرجال والنساء من قبيلة الجعليين ، فى بلدة شندى ، يلبسون قبعات عالية ومدببة ، مصنوعة من القش ، ولها حواف عريضة ، وتثبت بأربطة من الجلد ، أسفل الذقون .

كما ينتشر استخدام نوع من القبعات المحلية ، بين قبائل الزاندي فى السودان .

وذكر فؤاد حمزة فى كتابه (فى بلاد عسير) أن نساء قبيلة (ربيعة اليمن) يلبسن أغطية للرؤوس على هيئة قبعات من الخوص ، تسمى (طقشة) وهي نوعان : نوع ذو حافة عريضة ، ويختص به أهل تهامة ، حيث الشمس ساطعة ، وآخر ذو حافة ضيقة ، تتوسطه اسطوانة بارزة ، يجعلها اقرب فى شكلها من القبعات الأسبانية ، لولا أن هذه من الحرير ، وتلك من الخوص .

وكان سلامة موسى من أكثر كتاب العربية اهتماما بالدعوة إلى لبس القبعة ، وبلغ فى مغالاته فى تلك الدعوة ، أن ذكر في كتابه (اليوم والغد) تحت عنوان (القبعة رمز الحضارة) : (إن للمتحضرين عادات يتعارفون بها ، ويصطلحون عليها . واتخاذ القبعة من هذه العادات . فلسنا نحب أن نخرج على العالم المتمدين بلباس خاص ، يجعلنا فى مركز الشذوذ ، يجذب

أغطية الرؤوس في العالم العربي

إلينا الأنظار ، فيعمد السائحون إلى تصويرنا كاننا أمة غريبة عن الأمم التى جاءونا منها)

وكان أحمد حسن الزيات ، من أشد الكتاب معارضة لتلك الدعوة . وقد ذكر في مقال له نشر بعدد ٧ يونية ١٩٣٧ من مجلة (الرسالة) : (إن قيمة الغطاء هو فى الرأس الذى يحمله ، والشعب الذى يمثله لا فى أصله ، ولا فى شكله ، ولا فى لونه . والثوب ـ كما يقول الفرنسيون ـ لا يصنع الراهب) .

وقد ظلت القبعة حتى الآن من الأزياء التى لا يتحمس لها الرأى العام العربي . فلم يكتب لها الظهور إلا فى حالات ضرورية محدودة ، ترجع لأسباب صحية مؤقتة ، أو مع الزى العسكري ـ وهو زي خاص مع تعديل شكلها ، واطلاق أسماء عربية عليها

تعرية الرؤوس

من اعجب العادات المتبعة في بعض انحاء العالم العربى ـ وخاصة فى المجتمعات البدوية ـ الاكتفاء بتشكيل شعر الرأس ـ بعد إطالته ـ على نحو يغني عن تغطيته .

ففي الصحراء الشرقية بين مصر والسودان ، يشكل افراد قبائل البشارية ، شعر رؤوسهم الكثيف ، على نحو يجعلها أشبه بالعمائم الضخمة ، ويدهنونها بالشحم أو زيت الخروع ، لدعم تماسكها ، ويغرسون فيها أدوات حادة ، يستعملونها في بعض أغراضهم .

وذكر فؤاد حمزة ضمن مشاهداته في « بلاد عسير » أن بعض البدو هنالك كانوا يتركون رؤوسهم عارية ، ويضفرون شعورهم أو يتركونها على طبيعتها منفوشه ، على نحو يلقي الذعر في قلوب الأعداء ، وقد يربط الشعر ـ فى هيئته هذه ـ أحيانا باعواد من العشب ، أو غيره من النبات ، منعاً لتحريك الريح له .

والواقع أن ترك الرؤوس عارية ، قد أصبح الاتجاه السائد في كثير من انحاء العالم العربي . فالذين نزع غطاؤهم عن رؤوسهم العمامة أو الطربوش أو السدارة ، أو غيرها اثروا ألا يستبدلوا بها أغطية أخرى .

والتاريخ بذلك يعيد نفسه فقد كان لهذه الظاهرة سابقة في بعض المجتمعات العربية التي عاصرها أجدادنا إذ ورد في كتاب (نفح الطيب) للمقري ، أن الأندلسيين انتهى بهم الأمر إلى ترك العمائم ، وخاصة في المشرق ، حتى رئى عزيز بن خطاب أكبر علماء مرسية (وقد خطب له بالملك فيها ، وهو حاسر الراس ، وقد غلب شيبه على سواد شعره . أما الأجناد وسائر الناس ، فقليل منهم من يرى بعمامة في شرق منها أو غرب . كما شوهد بعض ملوك الطوائف أيضاً بدون عمامة .)

وبعد

فهذه أمثلة لتعدد أغطية الرؤوس في مختلف أنحاء العالم العربي ، وما ينطوي عليه هذا التعدد من دلالات تاريخية وجغرافية ، واجتماعية .

ولعلنا نكون قد أثرنا ـ من خلال هذه السطور ـ حماسة القراء نحو تشجيع الدعوة إلى إنشاء متحف عام للملابس العربية الحالية ، وتوضيح مواطن انتشارها ، مع إبراز مراحل التطور التاريخي لكل منها ، ودراسة ما ينطوي عليه التنويع الظاهر في أشكال هذه الملابس ، من دلالات مختلفة .

اللواء إبراهيم محمد الفحام

قالوا ..

● المجد كالرزق . بعضه حلال وبعضه حرام
« زكى مبارك »

●●

● يجب أن نوفر لكل إنسان نصيبه من الخبز ... ونصيبه من الشعر .
« تروتسكى »

●●

● احترس من الكلب وانت تقتله ، إنه يعوى ويعض
« دستويفسكى »

●●

● فاطلب العز فى لظى ودع الذل
ولو كان فى جنان الخلود
« المتنبى »

●●

● متى أحرجت ذا كرم تخطى
إليك ببعض أخلاق اللئيم
« البحترى »

من لى بانسان إذا أغضبته
وجهلت كان الحلم رد جوابه
وإذا طربت إلى المدام شربت من
أخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغى للحديث بقلبه
وبسمعه ولعله أدرى به
« أبو تمام »

محمد مروان جميل مراد

معالم وحكايات من لندن

من ساعة بيج بن إلى برج لندن



● من الذى أقام ساعة بيج بن ؟ ● عندما حاول الألمان اسكات الساعة فى الحرب الثانية ● مليونير يعرض شراء الساعة بأى ثمن فترفض انجلترا ● برج لندن أقدم سجن فى انجلترا وأكبر معرض للمجوهرات ● وراء إنشاء جامعة كمبردج إعدام ثلاثة علماء ● مكتبة جديدة تتكلف ١٦٤ مليون جنيه استرلينى ...

● ● « عزيزتي بيج بن » .. أرجوك أن تعودي بخير ، لأستمع إلى صوتك المميز من جديد .. أنت مدهشة وعظيمة كما لا تتصورين ، وأنا احبك » ..

لم تكن هذه الرسالة موجهة لصبية هجرت عاشقها ، بل كانت موجهة لساعة « لندن » الشهيرة ، حين توقفت عن العمل لمدة ٢٢ يوماً فى أغسطس ١٩٧٦ ، بسبب خلل طارىء .. ولم تكن الرسالة ، كذلك ، فريدة من نوعها بل كانت واحدة من آلاف الرسائل التى انهالت على ساعة « بيج بن » وكلها يستفسر عما أصاب الساعة ، واضطرها للتوقف .

« بيج بن » التى يسمع الناس دقاتها كل يوم ، من خلال الاذاعة ، والقائمة فى أعلى

من ساعة بيج بن إلى برج لندن

برج « ويستمنستر » اخذت اسمها من الاسم المختصر لوزير الاشغال البريطاني « السير بنجامين هول » الذى اشرف على تصميم برج الساعة فى اواسط القرن الماضي .

وقد تم تصميم الجرس الكبير للساعة «١٦ طنا» فى كليفلاند ،وتم نقله إلى لندن ، بعد رحلة متعبة ، وحين اختبر بواسطة مطرقة ضخمة ، اصيب بشرخ ، فاستبدل بجرس اخر ، ومطرقة اصغر ، ولكن على الرغم من اصابة الجرس الجديد بشرخ ، فقد تم تركيبه على البرج ، واعطى الشرخ للجرس صوتا مميزا ، تدركه الاذن بسهولة .

عندما بدات الاذاعة البريطانية ببث برامجها ، ثبت فى الساعة ميكروفونا لينقل دقات جرسها إلى العالم ، لكن الاذاعة استغنت عن الميكروفون خلال حصار بريطانيا ١٩٤٠ حتى لا ينقل دوى الانفجارات وبث الرعب ، واستخدمت الاذاعة بدلا منه تسجيلا لدقات الساعة .

ولم يعرف الالمان بالامر ، وراحت طائراتهم تقصف برج الساعة لاخماد صوت « بيج بـن » دون جدوى .

وفى خلال الحرب العالمية الثانية ايضا، اطفئت انوار الساعة لاول مرة ، وفى عام ١٩٦٩ توقفت الساعة ، حين سقطت بالخطا قضبان حديد ، واشتبكت باثقال الساعة وتم اصلاح الخلل بعد ٢٧ دقيقة .

اما الحدث الاكبر الذى كاد يعطل الساعة فعلا ، فقد وقع سنة ١٩٧٦ حين سقط احد طبول الساعة (يزن نصف طن) بسبب تاكل فى المعدن ، واتلف معظم اجزائها الميكانيكية ، واوقفها بعد عمل متصل لاكثر من نصف قرن ، واصلح العطل ، وتم اختيار كل الاجزاء الاخرى باشعة اكس ، لتلافى اى خلل فى المستقبل وقد توقفت الساعة هذه المرة ٢٢ يوما ، بينما صمتت الاجراس تسعة شهور كاملة ، انهالت خلالها الرسائل على ساعة (بيج بن » والبطاقات ، تتمنى لها الشفاء والصحة الدائمة ، وكان من اطرفها تلك التى وجهتها : « ليزا كلير » من شمال لندن لتقول فيها : ساظل اهتف لك من الاعماق :

دينج دونج ، وبحرارة ، حتى تعود لك



اليزابيث « الاولى »
تعرضت للسجن فى البرج وكان المفروض إعدامها ولكنها نجت باعجوبة لتحكم بريطانيا ٤٥ عاما

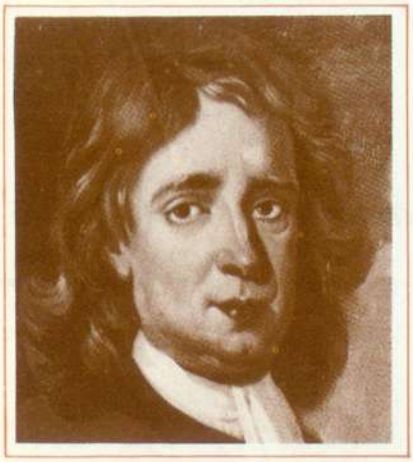
الصحة .. وقد عادت الصحة إلى « بيج بن » بتكلفة ٣٠ الف جنيه ، وصار صوتها اكثر قوة ووضوحا ، لدرجة ان واحدة من محطات الاذاعة فى كنساس ، طلبت إلى « نيفيل ماكيفوي » وهو صاحب كافيتريا مقابل مجلس النواب البريطاني ، طلبت إليه أن يرفع سماعة الهاتف ، حين تدق « بيج بن » ١٢ دقة ، لتقوم الاذاعة بارسال الدقات إلى مستمعيها .. وقد نفذ صاحبنا المهمة ، ورفع سماعة هاتفه مقابل الساعة ، واستمع الناس فى امريكا إلى دقاتها بوضوح ، واهدى « ماكيفوي » رحلة سياحية لمدة اسبوعين إلى الولايات المتحدة .

... على ان اطرف الاحداث التى شهدتها « بيج بن » ذلك الطلب الغريب الذى تقدم به ، منذ فترة قصيرة ، بعض اثرياء كاليفورنيا لشراء الساعة ، بالثمن الذى يحدد لها ، لكن دائرة البيئة البريطانية ، ردت بلباقة :

– « بيج بن » ليست للبيع ، لانها جزء من تراثنا .

... وبرج لندن

● ● .. خطوات عديدة ، ويرتفع امامك صرح اثري شهير .. برج لندن ! . لقد ذكرت نشرة سياحية مؤخرا ان عدد زوار البرج خلال العام الماضي ، بلغ بضعة وثلاثة ملايين شخص ، وقد طاف هؤلاء باروقة القلعة المترامية ، وقلبوا صفحات التاريخ المدونة على جدرانها لتختصر احداث ٩٠٠



اسحق نيوتن
كان وراء انشاء جامعة كمبردج

سنة ونيف ، ثم خرجوا يستعيدون فى مخيلاتهم الحكايات التى شهدتها القلعة من يومها الاول .

فبعد اثني عشر عاما من نزول قوات وليام الفاتح على شاطىء بريطانيا (حوالي ١٠٧٨م) امر ببناء قلعة فى لندن ، يستطيع بها حماية المدينة ، والسيطرة على سكانها ، وارتفع برج القلعة من ذلك اليوم بلونه الابيض ، ولكنه ما لبث بمرور الايام أن اصطبغ باللون الاسود ، وهو يشهد الوف السجناء يدخلونه عبر سنوات طويلة من تاريخ بريطانيا السياسي ، إضافة الى الجرائم الوحشية التى دبرت فى ابهائه ، فاودت بحياة الامير « ادوارد الخامس » وشقيقه عام ١٤٨٣ زمن حكم ريتشارد الثالث .

وقد دخل البرج « سير توماس مور » و سير « والتر رالي » وروبرت ديفيريه ، والملكة اليزابث الاولى ، وانتهى الجميع إلى نهاية مفجعة ، عدا الملكة اليزابث التى قدر لها الخروج حية ، لتذيق الكثيرين من نفس الكاس ، وتقبرهم احياء فى البرج .

وكان اخر سجناء البرج « رودلف هس » نائب هتلر الذى نقل فيما بعد إلى سجن اخر .

وفيما بعد استخدم العديد من ملوك وملكات بريطانيا ، البرج كقصر مهم حتى ايام جيمس الاول . كما استخدم مقرا للحكم ، وخزانة للمجوهرات ، ومحكمة عليا ، وحديقة حيوان ملكية ، ولاتزال مجوهرات التاج توضع هناك إلى اليوم ، وبالرغم من سمعته السيئة ، يعتقد البريطانيون ان البرج هو اكثر الاماكن فى العالم اجتذابا للسياح ، ويأملون أن يزداد عددهم عاما بعد عام ..



رودلف هيس
نائب هتلر وآخر سجين شهير فى برج لندن

كلية بيتر هاوس

● ● هـــل ينسحب القول المأثـور : « مصائب قوم عند قوم فوائد » على الأماكن والمعالم والمدن أيضاً ؟! لم لا ؟!

فى عام ١١٧٦ ، أصدر الملك هنرى الثاني أمراً ، حظر فيه على الكهنة والمثقفين الانجليز ، الدراسة خارج البلاد ، وكان ذلك القرار جزءاً من الصراع الذى كان محتدماً بين الملك ورئيس أساقفة كانتربري « توماس بيكيت » على انه لما كانت الجامعات الانجليزية ، موضوعة فى ذلك العصر ، تحت رعاية الكنيسة ، كان ذلك الأمر دون قصد من الملك ، بمثابة دفع للمثقفين الانجليز لعدم الالتحاق بجامعة باريس ، والتى كانت آنذاك ، أعظم مركز علمى فى أوروبا .

هنا ، كان لابد من إيجاد بديل لجامعة باريس ، فجاء البديل من خلال إنشاء جامعة فى « اكسفورد » نظراً لموقعها الملائم بين لندن العاصمة ، ومنطقة « ميدلاندز » الهامة ، وحدث فى عام ١٢٠٨ أن لفقت السلطات المحلية لمنطقة اكسفورد ، نكاية بالجامعة الجديدة ، تهمة لثلاثة من علماء الجامعة ، انتهت بالحكم باعدامهم ، وأثار الأمر ذعر المثقفين والعلماء ففروا إلى بلدة « كمبردج » لأنها أبعد عن مراكز العمران ، والسلطات الرسمية ، وأكثر أمناً من اكسفورد ، وكان تجمع العلماء فى هذه البلدة حافزاً لأسقف المدينة ، للايعاز بانشاء أول كلية فى كمبردج وهي كلية « بيتر هاوس » ..

وفى عام ١٦٣٨ اعترف البابا للكلية الجديدة فى كمبردج ، بمستوى جامعي إلا أن الملك هنرى السابع ، قام ببناء كنيسة ضخمة بالبلدة تعتبر حتى اليوم آية فى فن العمران ، وهـــدم لتحقيق غايته شـــوارع باكملها ، مما أذن بتشريد الكثير من السكان ومعظمهم من العلماء والمثقفين ، ولكن هؤلاء واصلوا الاقامة فى المدينة ، ومارسوا اعمالا تجارية ويدوية لكسب رزقهم ومتابعة تحصـــيلهم ، وكان فى عدادهم « اسحق نيوتن » الذى أصبح فيما بعد أشهر عباقرة الرياضيات ومكتشف قوانين الجاذبية الارضية .

ومن الطريف أن معظم مواد الدراسة فى الجامعة ، كان يتناول ترجمة كتب الفلسفة من اليونانية إلى اللاتينية وبالعكس ، وحظر على الطلاب التحدث باللغة الانجليزية إلا فى فترات محددة ، ليتحسن مستواهم فى اليونانية واللاتينية واقتصرت مواد الدراسة على الفلسفة والدين ، ثم سمح بتدريس الرياضيات وصار النجاح فى هذه المادة منذ ١٧٧٢م إلزامياً للفوز بالشهادة الجامعية .

أما اليوم فقد أصبحت العلوم الطبيعية، موضوع الدراسة الرئيسي فى هذه الجامعة التى وضع تقاليد دراسة العلوم فيها السير اسحق نيوتن .

وانطلاقاً من هذه التقاليد ظهر العلامة « رذفورد » الذى انجز فى الثلاثينات من هذا القرن قدراً كبيراً من أسس علم الذرة ، ومن بين سائر الجامعات تكاد جامعـة « كمبردج » تفوز كل عام بانتظام بواحدة من جوائز نوبل للعلوم .

إلى القراء فى العالم

● ● فى « إيسترن رود » وعلى مساحة أربعة هكتارات ، تقام المكتبة البريطانية المركزية الجديدة ، فى بناء روعيت فيه احتياجات القرن الحادي والعشرين .

وتركز الاهتمام عند تصميم البناء على أن يجمع محتويات مختلف المكتبات فى مكان واحد ، بحيث تتاح الاستفادة للجميع دون قطع مسافات كبيرة للوصول إلى مختلف المراجع ، وهكذا اختير موقع المبنى بحيث يمكن الوصول إليه من ثلاث محطات رئيسية للسكك الحديدية ، متصلة رأساً بخط تحت الأرض .

وحرص المهندسون على مزج الطابع الرئيسي للبناء الحديث بالطابع الفريد لمبنى محطة « سانت بانكراس » الحديدية التى بنيت فى القرن التاسع عشر ، وستكسى الجدران الخارجية بالقرميد والبلاط الطبيعي على سطح البناء ، أما القاعة المواجهة للمدخل ، فتتالف من جدران قرميدية ، ونباتات طبيعية ، تزين جوانبها ، وسقوف مانعة للصوت .

ويشكل مدخل « ايسترن رود » الباب الرئيسي ، ويقود إلى قاعة فسيحة تمكن الزوار من الولوج إلى غرف المطالعة بسهولة . ودون الحاجة إلى السير عبر ممرات أو منعطفات ، كما أنها تقود رأساً إلى صالة الطعام وقاعات العرض .

تستوعب قاعات المكتبة ٣٥٠٠ زائراً ، اضافة إلى ٢٥٠٠ موظف فيها ، أما عدد المجلدات فسيكون بحدود ٢٥ مليوناً ، وستوفر المكتبة قاعات للعرض وأخرى للمحاضرات والاجتماعات .

وستحتل خزائن الكتب حوالي ٣٠ من مساحة الغرف ، ويتم خزن الكتب الفائضة فى مخازن تحت الأرض ، أما الكتب المطلوبة للزوار فتصل إليهم عبر مسارب آلية ، ولم ينس المهندسون الاضاءة المناسبة ، فاهتموا بجعلها مطابقة للضوء الطبيعي إلى حد كبير .

واختصر المصممون كثيراً ، الاشارات التى تدل على الاتجاهات لئلا تسبب الارتباك للزوار ، واستعاضوا عنها بقاعة استقبال واسعة تقود أبوابها العديدة إلى القاعات المختلفة ، كما راعى المصممون استحالة استخراج الأوراق أو الكتب أو المجلدات من المبنى ، أو تلفها عند اعارتها للزوار أو اعادتها لأماكنها ..

لقد بلغت كلفة المرحلة الأولى من مبنى المكتبة المركزية الجديدة ٧٤ مليون جنيه استرليني ، لكن التكاليف الاجمالية ستتجاوز ١٦٤ مليوناً . وذلك لتحقيق شعار تقديم الخدمات ، ليس للقارىء البريطاني وحسب بل للقراء من جميع أقطار العالم .

محمد مروان جميل مراد : الكويت

الشاعر عدنان مردم بك
يتحدث
عن أبيه الخليل ومدرسة الوصف الشامية

بقلم الدكتور نسيب نشاوي

كنت على موعد مع الشاعر الدمشقي عدنان مردم بك للتداول في موضوع مسرحيته الشعرية « أبو بكر الشبلي » التي صدرت ببيروت ١٩٨١ م فوجدته يحدثني عن والده الشاعر خليل مردم بك ١٨٩٥ ـ ١٩٥٩» بدلا من الحديث عن نفسه ، ومع أنني أعرف الكثير عن والده الخليل مؤلف النشيد السوري ورئيس المجمع العلمي بدمشق ورائد مدرسة الوصف الشعرية الشامية.. فقد اطلعت على شؤون خاصة بالخليل أحببت أن يشاركني القارىء فيها .

قال لي : كان ينبغي عليك أن تذكر في كتابك « المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر » الشعراء السوريين أو الدمشقيين في مدرسة يحق لها أن تسمى « المدرسة الشامية في الشعر الحديث » وعلى رأسها الشاعر خليل مردم بك .

وبعد أن بسط رأيه استشهد بتصنيف الثعالبي في «يتيمة الدهر» وانه ـ أي الثعالبي ـ عرف الطريقة الشعرية الشامية وأشار اليها في القسم الأول من يتيمته ووصفها بانها الطريقة المثلى وخص شعراء الشام بالاعجاب وفضلهم عن سواهم من شعراء الأقطار الأخرى لأنهم يكرهون اللفظ الساقط والتراكيب المهلهلة ، ولا يرتضون إلا المعاني الشريفة ذات الألفاظ الشريفة أيضاً .. وأن سائر شعراء العربية لا يصلون الى أفاقهم ومراتبهم لأنهم وحدهم وفروا لبيانهم الرفيع عنصري الشعر الرئيسيين :

- المعنى البليغ
- التعبير الفني المصقول

قال الثعالبي في اليتيمة : «والسبب في تبريز القوم قديماً وحديثاً على سواهم في الشعر قربهم من خطط العرب ولاسيما أهل الحجاز .. وسلامة السنتهم .. جمع شعراء العصر من أهل الشام بين فصاحة البداوة وحلاوة الحضارة .. انبعثت قرائحهم بالاجادة فقادوا محاسن الكلام بآلين زمام وابدعوا ما شاؤوا» أ . هـ . أما أكثر الباقين فلم يكن في شعرهم غالباً سوى أحد هذين العنصرين فبعضهم من شعراء المعاني مثل أبي العتاهية الذي وفر لشعره جمال المعنى ولكنه أخلى ألفاظه من عنصر الصقل في مثل قوله الشهير المتداول :

إن الشباب والفراغ والجده
مفسدة للمرء أي مفسدة

وبعضهم شعراء ألفاظ وانغام وأوزان كابن حمديس الصقلي القائل :

نثر الجو على الأرض برد
أي در لنحور لو جمد
لؤلؤ أصدافه السحب التي
أنجز البارق منها ما وعد

بينما يمتاز أكثر الشعراء الشاميين بدءاً من البحتري وأبي تمام وديك الجن والعتابي وعدي ابن الرقاع والطرماح .. وانتهاء بالمعاصرين بعباراتهم الفنية والجمع والتوفيق بين عنصر المعنى الرائع وعنصر اللفظ الجميل .

مدرسة الوصف الشامية الحديثة

كان الحديث حاراً ومنفعلا ، وكنت أعلم أنه يريد أن ينقلني الى «مدرسة الوصف الشامية الحديثة» لأن والده خليل مردم بك رحمه الله رائدها ومثبت دعائمها في الشعر الحديث ، فقد قدم الخليل دراسة موجزة عن «شعراء الشام في القرن الثالث» الهجري حين انتخب عضواً عاملا في المجمع العلمي بدمشق عام ١٩٢٥ م في رسالة له عن أربعة شعراء شاميين هم : العتابي ، وديك الجن ، وأبو تمام ، والبحتري ، نشرها في العام نفسه . وكأنما أراد أن يجعل باكورة أعماله الأدبية اعترافاً ضمنياً بالجميل الى أولئك الذين استقى من معينهم الثر في رحلته الطويلة في عالم الأدب والشعر ولم يكن أتم الثلاثين من عمره آنذاك ، فقد كان معجباً بالبحتري ، وأبي تمام ، والعتابي ، الذين لم تصرفهم العناية بالمعنى عن تجويد اللفظ حتى بلغوا الذروة التي لم يصل اليها شعراء عصرهم ، وانه ليروي في كتابه «شعراء الشام ـ ص ٤٦» أن اسحاق الموصلي سمع أبا تمام ينشد شعراً فقال له :

ـ يا هذا شققت على نفسك إن الشعر لأقرب مما تظن .

ولم يكتف بهذه الدراسة للتعريف بالطريقة الشعرية الشامية فى القرن الثالث بل أراد أن ياتى بشواهد أخرى لشعراء شاميين عاشوا فى عصور مختلفة ولم يرزقوا شهرة أبى تمام ، والبحترى . ومع هذا كانوا فحولا ومن صياغ اللفظ الذين يوفقون ما بين المعانى والألفاظ .. ووقع اختياره على سبعة شعراء شاميين لم تحظ دواوينهم حتى سنة ١٩٤٤ م بعناية الباحثين ومنهم من لم يعثر له على ديوان مخطوط كعدي ابن الرقاع وبعضهم لم يبق من شعره سوى مقطعات متناثرة فى بطون الكتب الأدبية والتراجم .. فصنف كتابه «الشعراء الشاميون» الذى طبع مرتين ببيروت درس فيه شعر عدي ابن الرقاع ، والوليد بن يزيد ، والطرماح بن عدي وعبد الرحيم الحارثى ، وابن حيوس ، وابن الخياط ، وابن عنين . ذلك أن عاطفته نحو الشام قوية وهو الشامى الأصيل المغرم بتاريخ الشام وطبيعتها وأمرائها ، وتراجم أعيانها ، وسيرهم فكان الشام لديه قصيدة متميزة من حر الشعر ودمشق فيها بيت القصيد ولذلك صنع كتابه .

ثم سار فى وجهة أخرى إذ قرأ لسان العرب لابن منظور ، ومعجم الأدباء لياقوت ، والأغانى للأصفهانى ، وأمهات الكتب الأدبية ، وتكبد العسير الجليل للوصول الى الدواوين المخطوطة فى مكتبات أوربة ، وانكب على تحقيق دواوين ثلاثة شعراء شاميين وأخرجها الى النور ، وطبعها كلها مجمع اللغة العربية بدمشق (المجمع العلمى العربى سابقا) وهى : ديوان ابن عنين القائل فى حنينه وتشوقه الى دمشق سنة ٥٥٧ هـ التى ولد بها (٥٤٩ ـ ٦٣٠ هـ) وكان منزله قبلى الجامع الأموى :

حنين الى الأوطان ليس يزول
وقلب عن الأشواق ليس يحول
دمشق فبي شوق اليها مبرح
وإن لج واش أو ألح عذول
ديار بها الحصباء در وتربها
عبير وأنفاس الشمال شمول
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق
وصح نسيم الروض وهو عليل
فيا حبذا الروض الذى دون عزتا
سحيراً اذا هبت عليه قبول

ونشر الديوان عام ١٩٤٦ م ، وديوان الشاعر ابن الخياط ١٩٥٨ ، وديوان ابن حيوس ١٩٥١ م أما ديوان الخليفة الأموى الوليد بن يزيد فقد ائتلف وزهد الرواة بحفظ أشعاره تزلفاً من خلفاء بنى العباس ناهيك عن غزوات التتار وإحراقهم المكاتب العامة فاكتفى بدراسته فى ٤٦ صفحة جمع فيها كثيراً من شعره ، يقول الدكتور سامى الدهان فى مقدمة ديوان خليل مردم بك : «وصدرها علامتنا بمقدمات ودراسات تقارب كل



احمد الصافي النجفي
شهادة ادبية فى حق الخليل

مقدمة منها خمسين صفحة .. لو جمع بعضها الى بعض ولو جردت من صدور الدواوين لكانت تاريخاً للأدب فى الشام .. وظل الخليل يعكف على هذه الطبقة المختارة من الشعراء يغذيها بقراءاته وبحوثه وجهوده فى جمع الدواوين طوال عمره حتى كاد يستكمل حلقة الشعر فى الشام حتى القرن السابع .. ولو قد مد الله فى عمر الفقيد لعمد الى طبع ابن منير الطرابلسى ، وابن القيسرانى ، وقد حدثنى عنهما وأطال الشوق الى اخراجهما فوفر لهما النسخ والمصادر ولكن المنية بالمرصاد ..»

وبعد أن حددنا سمات المدرسة الشامية وتاريخها شرع محدثى الشاعر عدنان يؤرخ لظهور المدرسة الشامية الحديثة أو المعاصرة فقال :

إن صاحب المدرسة الشامية المعاصرة والذى ثبت دعائمها هو الشاعر خليل مردم بك فقد أقام لها أسساً ثابتة تتجلى فى تركيز الشعر على عنصر الوصف وتقصى أبعاد الصور واللوحات والمشاهد ، فالوصف هو غرضه الرئيسى كما فى قصيدته «لطيف» ، وما قرأت قصيدته «الضحية» إلا اقشعر بدنى وفيها وصف للجزار يشحذ سكينة ويهوي بها على الكبش دونما رحمة كأنه ذئب ضار . أما الناحية الفنية فقد كان أسلوبه مشرقاً فى وصف الطبيعة الضاحكة (الشمس ـ البحر ـ الغوطة) كما فى قصيدتيه المشهورتين «فراشتان» و «حمامتان» والجامدة كما فى قصيدة «نهر بردى» وفيها قوله :

يا من رأى نهراً قد أنشأت يده
بحراً يموج بأشجار وأدواح
يريك فى جريه من مائه صوراً
تبدو على ثبج منه وضخضاخ
يختال فى موكب جذلى بلابله
يحكى بشاشة أعراس وأفراح

ثم جاء بعد تأسيس مدرسة الوصف الشامية من سار على منواله مثل الشاعر أنور العطار الذى أخرج ديوانه «ظلال الأيام» حافلا بمعانى الوصف وصف الطبيعة والأنهار والرياض وبردى والغوطة والخريف ..

أحمد الصافى النجفى وأديب مظهـــر

قلت : ولكن الذى استطاع أن يوصل «مدرسة الوصف الشامية» الى أقصى غاياتها هو محدثى الشاعر عدنان مردم بك فى ديوانه «عبير من دمشق» ١٩٧٠ م و «نفحات شامية» ١٩٧٩ م ومسرحياته الاثنتى عشرة التى كتبها خلال خمسة عشر عاما .

قال لي : أنا أقدر الشاعر أحمد الصافى النجفى «١٨٩٧ ـ ١٩٧٧ م» كان من أصحاب أبى خليل مردم بك وكان يحب شعره ، أتى الشام قبل سنة ١٩٣٠ م وبقى فى جامع الخياطين بدمشق عشرين سنة ، وكانت وزارة الأوقاف السورية أعطته غرفة فى جامع الخياطين المذكور ليقيم فيها ، وأول ما تعرفت عليه عندما كان ـ أى الصافى ـ خارجاً من المستشفى الوطنى بدمشق بصحبة والدى ، فقد جاء من ايران مريضاً منهكاً وبقى شهراً بالمستشفى الوطنى بدمشق ، ثم تعرف بالمسكية (المسكية : سوق الكتب الدينية القائم على مدخل الجامع الأموى بدمشق) على الشيخ ياسين عرفة ، وهذا بدوره عرفه على كثير من الشعراء الشاميين ، وكان أبى الخليل أول من حباه بمعروفه ورعايته ، وكتب النجفى يومذاك مقالة انتقد فيها الشاعرين الكبيرين محمد البزم وشفيق جبرى رحمهما الله وقال : «لا شاعر فى سورية إلا خليل مردم بك» وهذه شهادة أدبية لوالدى .

ثم انتقل الى الحديث عن الشاعر اللبنانى أديب مظهر «توفى عام ١٩٢٨ م» وصحبته الخليل فقال : هناك شاعر رمزى كبير هو الطبيب اللبنانى أديب مظهر طبيب أسنان . كان صديقاً وفياً لوالدى فى العشرينات وكان الخليل فى تلك المرحلة الصوت الشعرى الأول المندد بالانتداب الفرنسى على سورية ثم تلاه صوت الشاعرين محمد البزم وشفيق جبرى فى الثلاثينات لأنهما من قبل كانا يخافان من التسريح من الوظيفة ، وعندما كتب البزم قصيدته المندة بالانتداب ومطلعها :

غادر ويمم دار سلطانا
على السويداء لا تحفل بمن دانا

وهى فى تأييد الثورة السورية عام ١٩٢٥ م نشرها باسم مستعار (شاعر عربى كبير) حتى فى «ديوان الثورة» الذى طبعه ياسين عرفة سنة ١٩٢٧ م ولم يصرح فيه باسمه ، أما أبى فكان الفرنسيون يحقدون عليه بسبب أنه عاصر

الشاعر عدنان مردم بك يتحدث عن أبيه الخليل ومدرسة الوصف الشامية

حكومة الملك فيصل بسورية وولي لها ديوان «تمييز الرسائل» والكتابات فيه باللغة التركية فكان لوالدى الفضل فى تعريب هذا الديوان ، إذ صنع مع حكومة الملك فيصل مدرسة للتدريب على كتابة الرسائل باللغة العربية بدلا من التركية وعمره لا يجاوز الثانية والعشرين . وقد ذكر ذلك فى احدى رسائله الى المستشرق الانكليزى مرجليوث (١٨٥٨ ـ ١٩٤٠ م) ، وكثرت قصائد والدى المنددة بالانتداب واثارة الشعب عليه ورددتها دمشق ، ولما قامت الثورة السورية ١٩٢٥ م وقام اللهب والحريق والقتل فى جنبات الغوطة الغناء ورحاب الفيحاء ، وقصف الفرنسيون دمشق بالقنابل أطلق الخليل عاصفته الشعرية المدوية التى تناقلتها المجالس ونشرتها الصحف وفيها فضح لجرائم الانتداب وتصوير دقيق لطوفان النار الذى أتى على عاصمة الأمويين :

باتت دمشق على الطوفان من لهب
يا ويح قلبى من خطب يكابده
موج من النار لا تهدا زواخره
يمده آخر ما ارتد وافده
فى كل زاوية رام ومن نفروا
شيباً وحوراً وأطفالا طرائده
أما دمشق فلا ترجو لنجدتها
سوى فتاها الذى شاعت محامده

وصمم الفرنسيون على الزج به فى السجن فهرب الى بيروت وفيها استقبله الشاعر أديب مظهر وخباه بقرية «المروج» وما علمت السلطة بوجوده هناك حتى راحت تلاحقه ، فصنع له أديب مظهر جواز سفر ويسر له الفرار الى الاسكندرية ١٩٢٦ م ، وبالاسكندرية وحلوان لقى شاعر الشعب حافظ ابراهيم وكتب عنه مقالين فى مجلة المجمع العلمى عام ١٩٥٦ م ، ومن مصر قصد جامعة لندن وتخرج بشهادتها ، وعندما



حافظ ابراهيم
التقى بالشاعر فى الاسكندرية

سمع بوفاة الشاعر مظهر فى آب ١٩٢٨ م أسف عليه كل الأسف ونال منه الحزن كل منال .

سلام على دمشق

وفي تموز ١٩٢٩ م عاد الى دمشق فحيا مسقط رأسه بقصيدته المشهورة «سلام على دمشق» بعد نزوح دام ٤ سنوات ونيف :

تراءت لي دمشق فقمت أرنو
فرد رواؤها بصرى كليلا
وواتانى القريض وكان حينا
إذا استلهمته كرزا بخيلا
رمت بي عن دمشق نوى شطون
غداة أشارف الحدث المهولا
نقمت من الأولى احتلوا حمانا
مدافعة الحقيقة والنكولا
ألح علي حب الشام حتى
رجعت الى الحمى نضواً هزيلا

وعاد الى مقارعة الفرنسيين فكتب عام ١٩٣٠ م قصيدة «يوم ميسلون» مجد فيها روح الشهيد يوسف العظمة وامثاله وهى اليوم تدرس في كتب المرحلة الثانوية بسورية :

أدال الله (جلق) من عداها
وأحسن عن أضاحيها عزاها
فكم حملت عن العرب الرزايا
كذاك الأم تدفع عن حماها
أيوسف والضحايا اليوم كثر
ليهنك كنت أول من بداها
غضبت لأمة منها معد
فأرضيت العروبة والالها
مصيبة ميسلون وان أمضت
أخف وقيعة مما تلاها
فما من بقعة بدمشق إلا
تمثل ميسلون وما تلاها
فسل عما تصبب من دماء
تخبرك الحقيقة غوطتاها
ولم أر جنة أمسى بنوها
وقود النار فائرة سواها

وفى عام ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٦ م وضع النشيد الرسمى السورى وصف فيه ربوع الشام بانها معقل العرب وعرش الشموس تزهو بنفوس ابنائها الأباة ذوى الماضى المجيد :

حماة الديار عليكم سلام
أبت أن تذل النفوس الكرام
عرين العروبة بيت حرام
وعرش الشموس حمى لا يضام

الطبيعة والناس البسطاء

والحقيقة أن محدثى عدنان مردم بك تاثر بمدرسة الوصف الشامية التى أرسى والده الخليل دعائمها المعاصرة ، وهو المحب له المقدر لجهوده العلمية والأدبية المتتلمذ على يديه .. ولكنه سار الى آخر الشوط فتعمق أسرار الوصف الشعرى ودقائقه وتحدث عن شؤون لم يسبق اليها فى وصف الطبيعة الجميلة الوادعة : البحر والشمس والقمر والثلج والغوطة .. والطبيعة الغضبى فى الصحراء والمحل والنار والمستنقع .. وأولى عنايته بالشئون الدمشقية الصرف وجعل لكل منها قصيدة مثل «ليالى رمضان» و «الليل فى دمشق القديمة» و «أسوار دمشق» .. ووصف الحرفيين الدمشقيين : الخباز ـ الجزار ـ الحطاب ـ الحائك ـ الخزاف ـ الحمال .. يقول فى ديوانه عبير من دمشق (ص ٩٩) يصف صانع الزجاج (وكانت بدمشق معامل تصنع الزجاج على الطريقة البدوية المعتمدة على النفخ بالفم) :

وتدور في كفيه طابات
تشعشع بالشهاب
وكأنه من صدره
يوري التهاباً فى التهاب
مازال يصقل دائباً
بتريث كتل التراب

وصف «بائع الصحف» يوم كان يدور على الناس بالجرائد ، و «بائع الصبارة» أمام طاولته يبيع الناس .. ذلك كله تجلى فى ديوانيه «عبير من دمشق» ١٩٧٠ م و «نفحات شامية» ١٩٧٩ م .

ونالت الطبيعة الحية والجامدة بالوانها وسماتها من شعره فوزها العظيم سواء كان ذلك فى وصف الأمكنة التاريخية فى بلاد الشام مثل قصيدة «قلعة الحصن» و «تدمر التاريخ» أم فى وصف متنزهات دمشق الطبيعية كالربوة ودمر والنيربين والغوطة فى الربيع .. يقول فى قصيدة «الغوطة» من ديوان عبير من دمشق (ص٢٩):

عجبى لها من جنة أبوابها
للوافدين على المدى لا تغلق
الغوطة الخضراء ما من حاجب
يزع المشوق حيالها أو يرهق
أبوابها للوافدين تفتحت



أحمد شوقي
يأتي الخليل من بعده فى المسرحيات الشعرية

فاذا الجموع ببابها تتدفق
والدوح مثل غمائم عصفت بها
ريح فراحت بالجناح تصفق
طابت منابت تربها وتألقت
عن كل زاهرة تروق وتعشق
وازاءها ماء يشوق كتابه
فيه الفخار مدبج ومنمق
سطر الفخار بهن كل عظيمة
عن غابر بشذا المكارم يعبق
بردى نشيد خالد عن غابر
تاه الزمان به وعز المشرق

وصف الفولكلور الشامى مثل سهرات الأسرة الدمشقية والمتحلقين حول النار فى الشتاء ، بائع العرقسوس ، الباعة الذين يعيشون على هامش الحياة يتكسبون ببيع الصبارة أو العرقسوس أو شي الذرة .. وكان يمزج فى وصفه مأساة المعذبين فى الأرض مع وجدانه الشاف فيخرج الشعر ملوناً باصباغ العاطفة وبدائع الحكمة .. حتى أن الشاعر المسرحى المصرى المعروف عزيز أباظة أرسل اليه يقول : «أشهد صادقاً أنك بصف اخوانك شعراء الوصف الشاميين المبدعين أبى تمام والبحترى .. أتيت فى قصيدتك بائع العرقسوس بشيء معجز ...» وقد نشرت هذه الرسالة فى مجلة الأديب البيروتية .

ولكن الأجمل من هذا وذاك افتتاحيات دواوينه التى استهلها بقصيدة فى مناجاة الله على طريقة والده الخليل ، يقول فى قصيدة «الله» مطلع ديوانه عبير من دمشق :

(رَحِل) يسبح فى مطالعه
لعلاك فى شغف كمبتهل
والبحر يجأر غير متئد
بدعائه فى فحمة الأصل
والشمس آيتك التى سطعت
آياتها بالحق من أزل
قسماتها فتن تطالعنا
حار الأديب بها كمختبل
والكون مرآة طلعت بها
وجلوتها بالصقل عن خلل
سويت حين قضيت عن قدر
بين الورى بنوازع الأجل
الناس ما عاشوا النيام فان
ماتوا استفاق القلب عن خبل
سبحانك اللهم ما فتئت
زلاتنا وقفاً على المقل

ولشاعرنا عدنان مردم بك اسهامات كبيرة فى اغناء المسرح الشعرى المعاصر دفعته الى مراتب متقدمة بعد أمير الشعراء أحمد شوقى ، والتفصيل فى هذا الجانب من الفن المسرحى الشعرى يحتاج الى دراسات مفردة نأمل أن يقوم بها النقاد .

الدكتور نسيب نشاوي
سورية

رسالة إلى شاعر

بشرى ناصر



ناظم حكمت
اغنيات مليئة بالمرارة

صديقي ناظم حكمت :

تؤلم ذاكرتى حروفك المكتوبة .. تلك الحروف النظيفة والنابضة ..

وما تزال القصيدة التى تستعصى على الحزن وتاخذه تحضرنى .

وما أزال ابحث عنك حين تسقط اغنياتك الطافحة بالمرارة على برودة القلب فتغطيها بالارتعاشة وتتسلل الى حدائق المشاعر .. تماماً كالانسام التى مازالت تعبق برائحة الطين والذكريات القديمة .

يا عزيزى : ها انا ابحث عنك فى السجون التركية .. علني أجد حرفاً متعلقاً باصرار على الجدران .. اصرار نادر يشبه ذاك الذى يسكنك .

أطالع الباخرة التى اسلموك الى مراحيضها والتى يعلوها الوسخ الى متر ونصف .

انظرك تتقزز وتتقيأ امعاؤك .. وانظرهم ينتظرون ان تستفرغ اعترافاً او لحظة تداع واستسلام .

يريدونك ان تكون تعيساً .. وتريد ان تأنف تنطلق اغنياتك من حنجرتك كعصافير ملونة .

وحين تقرر نفيك ، كنت تعرف جيداً انك فى طريقك الى الحضن الدافىء الذي ستنعم فيه تجربتك الشعرية .

أذكرك حين قلت « انا أؤمن بمستقبل الشعر .. أؤمن لأني أحيا فى بلد يشكل فيه الشعر اكثر مقتضيات الروح لزوماً وضرورة ... »

تتحدث عن الشعوب وما تتحمل من آلام ومتاعب .. تمنحها صفة ولغة يصعب أن يتحدثوا هم فيها ..

لانك تعيش معهم بعقلك وروحك .. تراهم يفدون إلى السجون بتجمعات كبيرة .. يتنازلون عن رغبتهم فى التبغ مقابل لقمة خبز .. يقدمونها لهم كوجبة واحدة يومياً .

تنقل إلينا أخبارهم .. وما أوصلهم الجوع إليه .. يلتقطون الحشائش من الأرض – يقربونها من أفواههم – يمضغونها – يقتلعون كل الحشائش تباعاً – ثم صاروا يسيرون على أربع كالدواب .

ها انت ياصديقي تغادر حظيرة الحياة .. ومازالت الأرض محملا للأموات والشحاذين والجوعى والوحوش المفترسة

لم تكن تكتب قصائد متعالية .. بيروقراطية ترتدى القفازات الطويلة .. وتدخن السيجار .

كل قصائدك تجلس بين الفقراء والمنهوكين تقاسمهم الحزن والجوع .

أردت ان تجعل من الوريقة الساقطة
قصيدة
أو وصية
أو املا أخضر

كي تواصل حياة الولادة كل يوم .

والآن .. انتظر أن يعود الزمان طفلا .. كما حلمت وحملت بقلبك الذى كلوزة مقشورة ..

استودعك وفي مجلس الأوراق والدفاتر لك مكان .. وهنا في الخافق لك أرض يلبسها الدمع وتفرش الكآبة لها بساطاً وتستريح .

محطات

بقلم : عبد الله الشيتي

● صعدت إلى قمة الجبل ، وأطلت على جمهرة الناس ، فاذا هم من فوق فى حجم أسراب النمل .. يدبون على الأرض .

وأمس ، راقبت نملة ، راحت تجاهد حبة قمح ، تروم جرها واختزانها فى « بيت المؤونة » إذا مادهمها الشتاء ، وبدت لعيني انها فى عنادها واصرارها أضخم من .. الجبل !

● قرأت أن الحب يجعل الزمن يمضى ، وان الزمن يجعل الحب يمضى . وفى التجربة ، هناك نقيضان ـ تعقيباً منى على هذه المقولة ـ هى أن الحب يبقى ثابتاً حيث هو ، وكذلك الزمن ، فانه يدور حول نفسه ..

أما الذى يمضى ، فهو قطار العمر وحده .. والعمر محطات . ما أتعس واحدنا إذا فاتته « المركبة » الأخيرة من القطار ..

● تأمل فى هذه النتيجة الطبيعية ، وتبسم أو تألم :

« الفتاة التى تحبها تملكها ، والفتاة التى تتزوجها تملكك !

مبروك ... !

● لم أعرف ماذا يعنى المثل القائل « باب النجار مخلع » إلا عندما زرت بالأمس قريبة لنا زوجها دكتور مشهور فى عالم الأطباء . كان ابنها مريضاً يعانى ، وسألتنى قريبتنا إذا كنت أعرف « طبيباً » يعالج ابنها . فلما استغربت وأنا اتساءل : أين أبوه .. قالت : مشغول مع المرضى ..

● فى رأيى أن الحب مرض خطير مدمر . أما الشفاء منه ، فمزيد من .. الحب !

● إذا كان الحيوان متوحشاً ، فان الانسان ـ أحياناً ـ أكثر وحشية .. الحيوان يكتفى فى يومه بوجبة واحدة يسد جوعه ، أما الانسان فلابد له من وجبات خمس .

أعرف صديقاً « صياداً » ربى على يده عصفوراً جميلا فى قفص ، وذات يوم جاع ، ولم يكن فى « ثلاجته » ما يأكله . وبدون أن يدرى ، امتدت يده بالسكين إلى نحر العصفور الجميل ..

● ساسة العالم عقلاء اغرقوا الدنيا فى بحر من القتل والدمار والجنون ..

ماذا لو أن المجانين حكموا هذا العالم .. ألن يكون أكثر هدوءاً ومحبة ورحمة ..

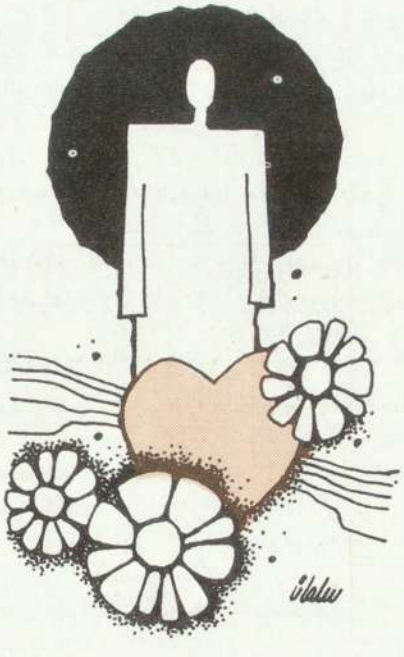
● ما أبدع ريشة أمين نخلة فى هذه الصورة النثرية من « مفكرته الريفية » :

تسأل الزهرة الشمس : كيف أستطيع أن أتعبدك .. فتجيبها : بنقاوتك وصمتك ..

● ظل يحارب المرأة سنوات عمره ويعتبر نفسه عدواً لدوداً لها .. ويوم شعر بالتعب وأراد أن يرتاح ، تزوج ..

● عاش عمره يحلم أن يكون غنياً وان يمتلك ثروة طائلة ، ويوم تأتى له ذاك راح يبحث عن طرق انفاق المال .

● الفلسفة فى جملة واحدة : الموت ليس مشكلة ، الحياة هى المشكلة !



أريد زوجة

قصة بقلم:
عبد الوهاب داود

الحركة الدائبة فى مصنع تعبئة الأرز ، لا يتتبعها مراد بعينية ، انما بخفقات قلبه فالمصنع هو كفاح عمره وثمن شبابه الغض الذى لم يعرف اللهو ، أو حتى الترفيه البرىء عن النفس .

فى ذلك المساء لم يكن مراد مهتماً بما يدور فى المصنع .. كان أقل احساساً بالزهو والتفوق وهو يتامل شاردا حماس العمال فى تعبئة الاكياس النايلون ، ولصقها ثم اعدادها للتحميل فوق العربة اللورى ، التى كانت تنتظر خارج المصنع .

كانت هناك مشكلة تعكر صفوه .. مهمة شاقة سيقوم بها هذه الليلة .. مهمة حساسة كما يعتقد ، مهمة لا يتحمس لها كل أحد .. فالذهاب الى أسرة فتاة لخطبتها ليس بالأمر الهين .. خاصة وهو لا يعرف الفتاة ، ولم يسبق له رؤيتها من قبل ..

وسعل خافتاً عم يوسف مدير مصنعه الذى الذى كان يقوم بمهمة الخاطبة هذه الايام ، وهو يتامل وجه مراد الصعيدى الجامد القسمات ، وقد اكسبه النجاح والثروة مظهراً مهيباً جذاباً .. ثم ابتسم عم يوسف مقاوماً شعوراً جارفاً بكسرة النفس والخاطر ، شعور معظم الفقراء نحو اولياء نعمتهم .. ثم قال :

ـ هم ناس بسطاء يا مراد بك .. على قد حالهم .. فتوكل على الله .. ولا تتردد ..

ولم يدر أن ملحوظته هذه التى قصد بها أن تبدو عابرة مطمئنة ، هي نقطة الضعف فى الموضوع كله .. فقد كان مراد يتمنى زوجة من أسرة كبيرة .. ذات جاه ومنصب ومال .. لذلك أجاب غير مستريح النفس ، وهو يتململ فى جلسته .

ـ سوف نرى ..

ثم عاد يساله بعد لحظات وهو يقف متظاهراً بعدم الاهتمام .

ـ هل تقول انها طيبة ـ ؟

أجاب عم يوسف فى حماس وهو يضم ركبته الى بعضهما تزلفاً .. قائلا :

ـ هى كذلك .

ثم اسرع موضحاً ، وهو يتامل مراد بقوامه الفارع يتصوره عملاقاً لا يقف امامه عائق :

ـ ولكنها لا تمتلك عيادة خاصة .. أو سيارة ..

وأراد أن يشرح له المزيد .. فقال وهو يخرج فى اضطراب منديلا من جيبه دون حاجة اليه :

ـ تقاليد الأسرة المحافظة لم تسمح لها بذلك .. بالكاد سمحت لها أن تكون طبيبة موظفة .. والأمر مرهون إليك مستقبلا ..

ولم يجب مراد ، اكتفى بايماءة ملولة .. ثم شرد يجتر أحلامه فى زوجة فاتنة شقراء .. شديدة الاعتزاز بنفسها .. ثم استدار الى عم يوسف لائماً ساخراً :

ـ الم تجد فى السوق عروساً خيراً من تلك ـ ؟

أجاب عم يوسف فى ثقة وحماس :

ـ هى جميلة جداً .. وشقراء كما تحب ..

ـ كم عمرها قد نسيت ـ ؟

ـ عشرون عاماً ..

قال مراد وهو يعلم أنه لا يقول الصدق .

ـ كنت أودها أكبر قليلا .. لتتناسب مع عمرى ..

تحمس عم يوسف فجاة .. قائلا :

مازلت يامراد بك شاباً تحلم بك الفتيات .. المراهقات

قال مراد ضاحكاً فى امتنان :

ـ اعتمدنا على الله ..

لم تكن المرة الأولى التى يذهب فيها مراد لخطبة فتاة .. كانت قد تكررت مثل هذه التجربة فى حياته عدة مرات ثم تدخلت ظروف واستجدت أمور لم تكن على بال ، فلم يكتمل المشوار .. وكان مراد يدرك أن معظم تلك الظروف كانت من جانبه هو .. فهو يعلم أن التردد ـ وهو افته ـ كان العامل المشترك فى هذه الاسباب .. وكانت الرغبة فى بناء نفسه تسبق أولا كل الاحلام والامنيات .. وتحولت تلك الرغبة الدفينة الى إرادة لا تقاوم ، لم تتولد عنده من فراغ ، كان يتمثل أباه وهو يشكو الحياة .. وكيف شغلته أمور الاسرة عن السعى وراء المال .. وكانت سبباً فى عزوفه عن المخاطرة والمغامرة .. والثراء .. قانعاً بالوظيفة الحكومية ، يصعد درجاتها فى صبر وأناة .. تعرف قدماه الطريق .. وكأنه يسير معصوب العينين وسط قطيع من الموظفين لا يبدو له أول من آخر ..

استرد مراد بك بتلك الذكريات ثقته بنفسه .. والتفت الى عم يوسف مردداً :

ـ على بركة الله ..

قال عم يوسف فى لهجة غريبة مقصودة .. محاولا أن يضع الفتاة فى اطار جميل جذاب :

ـ كل ما أدعوه أن تقبل الفتاة هذه المرة

تساءل مراد فى عزة واستنكار :

ـ ولماذا لا تقبل ـ ؟

أجاب عم يوسف مستمرئاً ذلك الاهتمام المفاجىء .

ـ تقدم اليها الكثير من قبل .. ولكنها رفضتهم جميعاً بأعذار واهية .. غير مقبولة .

قال مراد بعصبيته :

ـ لابد أنها تحب رجلا معيناً ..

واسقط فى يد عم يوسف ، فانبرى مدافعاً :

ـ لم يحدث .. انها تعرف ربنا جيداً .. تصلى وحدها طوال الليل .. وتعتقد أن الزواج سوف يعطلها عن صلاتها ..

تساءل مراد ساخراً .. مزهواً بنفسه :

ـ ربما لم يتقدم اليها الشخص الذى تتمناه فى خيالها ..

أريد زوجة

ثم فى لهجة أكثر غروراً وقسوة :

ـ الرجل الذى يملأ عينيها ..

وابتسم عم يوسف عن فم خـــاوى الاسنان .. يطرى خفة ظل مـــراد :

ـ سوف نرى ..

صاح مراد فى ضيق :

ـ سوف نرى .. ماذا سوف نرى ـ ؟

وانتظر قليلا .. ثم وقف .. قائلا .. آمراً .

هيا بنا

فى العربة « البويك » الفاخرة ، جلس خلف عجلة القيادة مراد .. وهو يهمس إلى نفسه مقتنعاً .. « حقاً قد آن الأوان أن أتخذ لى زوجة وافتح بيتاً .. فعلا قد آن الأوان يا مراد » ثم اختلس نظرة الى وجهه فى مرآة العربة الصغيرة .. ثم سوى بسرعة شعيرات رأسه البيضاء .. فتذكر أنه لم يستبدل بدلته منذ أسبوع مضى .. ولم يحلق منذ يومين .. فكر فى أن يعرج أولا الى بيته ليغتسل ويصلح من شـــأن مظهره ، ولكنه خشى أن يتأخر كثيراً عن الموعد .. فتوكل على الله .. غير عابىء بشىء .

هبط عم يوسف من العربة أولا .. وانتظر واقفاً حتى اوقف مراد المحـرك وخرج متثاقلا .. متسائلا فى ازدراء :

ـ هنـــا ـ ؟

اجاب عم يوسف وهو يتقدمه .. فى لهجة توحى بالصبر :

ـ اتفضل يا مراد بك ..

وتبعه مراد فى غير حماس .. صدمته مظاهر الفقر والقذارة والزحام ، وتطل من محلات البقالة الصغيرة المتواضـعة .. وتبدو من محل العجلاتى الذى علق على الحائط بعض الدراجات القديمة الكالحة تستريح بعـد يوم طويل شـــاق مليء بالسباب .. كما تطل من ذلك المقهى الذى يحتل الناصية .. وتسمع منه « كركرة » الجوزة .. وصوت الملاعق الالمينيوم وهى تصطدم فى جوانب الاكواب ، تذيب السكر فى الشاى الأسود الثقيل ...

همس مراد بك الى نفسه متعجبـــاً فلابد أن يوسف قد جن بلا شك .. كيف يقودنى لاتزوج من هذا الزقاق .. وبـدأ يخطو من خلفه فى استياء شديد .. يكاد يدق يداً بيد أسفاً .. عم يوسف فقد عقله حقيقة ..

كان مدخل العمارة القديمة غارقاً فى الظلام .. تتحسسه بصعوبة الأقدام ، ولا ترى العين درجاته التى تآكلت من كثرة الدبيب عليه صعوداً وهبوطاً نصف قرن من الزمان ..

تساءل مراد دون ارتياح ، وهو يستند بيده على سور السلم الحديدى الذى اعتراه الصدأ والتراب :

ـ إلى أى طابق ستصعد يا يوسف ـ ؟

فاجابه بسرعة يطمئنه ويزرع فى قلبه الصبر .. قائلا .. مهونا :

ـ الأول .. الأول باذن الله ..

تذكر مراد فى الحال ذلك القصر الذى دخله ذات ليلة منذ عشرين عاماً ، وهو فى عز رجولته ، ليخطب إحدى ربيبات الصون والعز والعفاف .. وتذكر كيف كانت الثريا ليلتها داخل القصر تضىء شارع العروبة فى مصر الجديدة .. بل تضىء القاهرة نفسها .. فاحس بالحسرة والندم انه لم يمض ايامها فى إجراءات ذلك الزواج ، بحجة انه لم يبن نفسه كما ينبغى ، وانه سوف يجد فى المستقبل من هى أكثر من تلك العروس جمالا وعزاً وجاها ..

وقف مراد أمام باب شـقة العروس لحظات ، ريثما سمح لهما ـ هو ويوسف ـ بالدخول كان مراد يشعر بالسخط الشديد على يوسف ، الذى لم يعـرف أبسط ما يتمناه فى زوجة المستقبل ..

اجتاز مراد ومن خلفه يوسف صـالة واسعة ، خافتة الضوء عن قصد ، حتى لا ترى عين الغريب ما لا يجب أن تراه .. وسارا كانهما يتبعان خطاً مرسوماً قادهما مباشرة إلى حجرة الصالون ، فلا تقع عيناهما على غيرها من حرمات البيت ..

جلس مراد ووضع ساقاً فوق سـاق ، ينتظر قدوم من يرحب به ، غير هياب أو وجل ، فلم يعد حريصاً أن يبدو للعروس فى أحسن حالاته حليق الذقن .. أنيقا .. معطراً .. ثم اشعل سيجارته راضياً عن نفسه مطمئناً ، كان ينتظر رفع الستار عن تمثيلية لا يهمه كثيراً رؤيتها ..

وأخيراً دخلت سيدة عجوز ترتدى السـوداء .. تقدمت منهمـا خطوات ، وصافحتهما ، ثم وقفت مترددة حتى اشار لها مراد ـ رحمة بهـا ـ أن تجلس .. فجلست بعيداً عنه ، ترحب به فى ضوء خافت لايكاد يسمح بالرؤية ، والتفت مراد إلى مدير مصنعه فى نظرة ذات معنى .. فتقلص الرجـل ، وضم ركبتيـه إلى بعضهما متخوفاً العـواقب .. وكانه يتوسل الى سيده بأن يتريث ، فلا يتسرع فى أحكامه ..

ثم لم تمض دقائق حتى انقلب ذلك الفتور رأساً على عقب .. ولم يعـد هناك رابط بين اللحظة الماضـية واللحظـة الحاضرة .. اهتزت كل الأشـياء فجاة .. وارتج على مراد وهو يتامل قمراً يهل عليه من الصالة ، ويدخل اليه فى ثبات واعتزاز .. حاملا صينية من فوقها بدت اقـداح ملونة .. مجهولة الاسـم والصنف .. والهوية ..

التفت مراد بسرعة إلى عم يوسف ، الذى اكتفى بان اغلق عينيـه .. كانه يقول له فى عتاب الم اقل لك يا مراد .. بانك سوف ترى ـ ؟

هب مراد من جلسته مبهوراً ، لم يكن يحلم انه يصادف هذا الجمال عمره .. واسرع يتناول الصينية من العروس ، ويضعها على المائدة التى كانت تتوسط الصالون .. ناولته الفتاة يدها فى فتور وكبرياء .. واسرعت الأم تدعوهـا إلى الجلوس ..

وأدرك مراد بانه مطلوب ـ فى مثل هذا الموقف ـ أن يتكلم ، ويقدم نفسه فى لباقه وألا يجلس هكذا صامتاً كالصنم .. سأل العروس عن اسمها .. فاجابت بسرعة .

ـ صفاء ، العمر عشرون سنة .. أعمل طبيبة بالقصر العينى ..

ثم توقفت متسائلة وهى تشعر نحوه بالفتور :

ـ هل هذا يكفى ـ ؟

صاح مراد فى ثقل دم :

ـ يكفى وزيادة ..

وتطوع عم يوسف بالنيابة عن سيده .. فذكر لها ما يملكه مراد من مصنع وعقارات وانه لم يسبق له الزواج من قبل .. وانما بالطبع من أسرة عريقة بالصعيد البعيد .. وانه مستعد لتاثيث بيت الزوجية على أحسن طراز ..

وتدخل مراد فى عظمة وكبرياء ، فاوقف عم يوسف باشارة من يده ، وبدأ يقرر فى

زهو ما سوف يحققه للعروس من حياة رغيدة سعيدة ، وتعهد ان يشترى لها سيارة خاصة ، وان يؤسس لها عيادة طبية فى وسط البلد .. مجهزة باحدث التجهيزات العصرية وان .. وان ..

تاملت العروس مراد وهو يتحدث عن نفسه فى خيلاء وعظمة كمن لا يهمها الامر استرعى انتباهها الزبد الذى تكاثر على جانبى شفتيه القاسيتين الزرقاوين فى لون الحبر ، احست بالغثيان .. لم تعد قادرة ان تسمع المزيد .. فانتهزت اول فرصة توقف فيها الحديث ، فاستاذنت فى حزم وغادرت الحجرة ، وتتبعا مرادوجلا ، وكانها شمس الاصيل قد غربت ، ثم لم تلبث ان لحقت بها الام تتعثر حائرة ..

تساءل مراد فى قلق :

ـ لماذا لا تريد ان تجلس معنا ـ ؟

اجاب عم يوسف وهـــو يخفض من صوته موضحا الامر ، مهونا وقعه السيىء فى نفس الوقت :

ـ انها خجول كما ترى ..

ثم قطع همسهما تلك المحاولات التى بذلتها الام فى سبيل اقناع العروس ان تدخل الصالون ثانية .. مرددة فى رجاء :

ـ انت اكرم من ذلك يا ابنتى ..

بلا فائدة .. فقـد اصرت الفتـــاة على موقفها ، ثم فقدت صبرها فى النهـاية ، فقالت غير حريصة ان تخفض من صوتها ، غير عابئة ان تجرح مشاعر احد .

ـ انه شيخ مسن .. هرم ..

ثم فى توسل ورجاء :

ـ هذا ظلم كبير يا امى ..

انهارت آمال مراد .. وانصرف مدحوراً يتبعه يوسف آسفاً حزيناً لما حدث .. كان مراد يتلمس درجات السلم فى الظلام درجة درجة ، وكانه يمضى ايام عمره الباقية الفانية .. فكر لحظة ان يقول لمدير مصنعه بان الدنيا لا تهب احداً كل شىء .. ولكنه احجم .. قائلا .. آمراً فى كبرياء ان اكتب يا يوسف فى باب اعلانات الزواج فى الصحف ، إننى أطلب زوجة مقبولة الشكل .. لا يقل عمرها عن خمسة وثلاثين عاماً .. عانس .. ارملة .. او مطلقة .. تقدس الحياة الزوجية ..

عبد الوهاب داود



شاعر عالمي من الأسكندرية

كافافيس

قسطنطين ب. كافافيس ١٨٦٣-١٩٣٣

القصائد ترجمها عن اليونانية الدكتور نعيم عطية



الشاعر اليونانى كافافيس .. وهب نفسه بامانة وصدق للثقافة والفن

هذا الشاعر العظيم

« كونستانتين كفافيس » شاعر يونانى ولد بالاسكندرية سنة ١٨٦٣ ، وتوفى بها سنة ١٩٣٣ ، ومازال بيته فى الاسكندرية قائماً حتى الآن ، ورغم ان الشاعر قد استقر معظم حياته فى الاسكندرية ، ولم يخرج إلا فى فترات قصيرة محدودة ، إلا أنه استطاع فى عصره أن يلفت الأنظار إلى شعره الانسانى العميق المتميز ، وقد وصفه أحد الأدباء المعاصرين له هو « جاستون زنانيرى » بقوله « كانت المنطقة التى يعيش فيها بالاسكندرية تعاكس بقبح منظرها جمال بيته الداخلى الممتلىء كتباً. وكان كفافيس يميل إلى التكلم فى التاريخ الرومانى والبيزنطى مضيفاً إلى معارفه العميقة خبرة وافية فى الفلسفة ، وكان كفافيس معتزلا كالنساك المصريين القدماء . وكان شفيقاً على الناس محباً لهم ، وقليل الوهم والغرور ، يحمل رغائب غير مفهومة من محيطه وآمالا غير محققة ، ولذلك كانت تبدو على شعره فى الغالب مسحة حزينة ، وقد تساءل الناس هل كان كفافيس مؤمناً ، فكل المظاهر تدل على إيمانه ، أجل إنه فى البدء كان ضعيفاً ، ولكن الدين تأصل أخيراً فى قلبه ، وقد كان محدثاً لطيف المعشر يأخذ كلامه بمجامع السامعين لكنه أصيب فى نهاية حياته بداء هائل أفقده النطق فمات أبكم » .

هذه بعض ملامح شخصية الشاعر العظيم كونستانتين كفافيس ، الذى ما إن مات حتى أخذت شهرته تتزايد ، وأقبل عليه الدراسون فى شتى أنحاء العالم . وأهتم به أكبر النقاد والباحثين فى أهم جامعات أمريكا وأوروبا ، وكفافيس على عمقه هو شاعر بسيط ، ليس فى شعره تعقيد ، كما أنه من الشعراء العالميين القلائل الذين يستطيعون أن يفرضوا روحهم المتوهجة المليئة بالاشعاع الوجدانى والفنى ، بعد ترجمتهم الى اللغات الأخرى ، فكثيراً ما يفقد الشعر تأثيره وقيمته بعد ترجمته من لغته الأصلية ، ولكن كفافيس يظل شاعراً عظيماً فى لغته الأصلية وفى كل اللغات التى تتم ترجمة شعره إليها ، وخاصة إذا اتيح له مترجم متمكن يفهمه ويتذوقه ويحس بعالمه الداخلى العميق المأساوى العذب ... وعلى هذه الصفحات نماذج من شعر كفافيس ، ترجمها عن اليونانية الدكتور نعيم عطية ، وهو أديب وفنان موهوب ، ومخلص ومثقف ، ابتعد عن الأضواء ووهب نفسه بأمانة وصدق للثقافة والفن ، وهو أحد المثقفين العرب القلائل الذين درسوا اليونانية القديمة والحديثة لغة وثقافة ، ومن هنا كانت ترجمته لكفافيس عملا لامعاً ، قد لا يستطيع أن يقوم به فى الأدب العربى المعاصر من هو أفضل منه

وما أحوجنا ، فى شعرنا الحديث ، إلى الاتصال بهذا النبع الصافى الانسانى الجميل ، نبع : كفافيس العظيم .

رئيس التحرير

« .. جلست أخيراً والوقت مساء والجو جميل فى شرفة مطلة على النيل فى منزل صديقى الكاتب الفنان الأستاذ نعيم عطية وهو يقرأ لي ترجمة لنص قصائد كافافيس شاعر الاسكندرية المسكين . ما أسهل الكلمات . ما أبسطها . ما أعذبها . المعانى مبراة من التعقيد ومن الشطارة .

ليس المهم فى هذه القصائد ما تقوله ، بل ما تنم عنه ، تحسب أنك تقرأ حكاية من حكايات كل يوم ، عن لقاء عابر ، عن ليلة تضيئها الشموع ، فاذا بما تقرأ هو فى الوقت ذاته خلاصة مأساة الانسان إزاء قدره ، تلهفه على الموت وخوفه منه .. لم أر فى غير هذه الملعقة الذهبية الصغيرة التى يدنيها كافافيس إليك ، بها رحيق يسقيك به مثل هذا البحر الزاخر بالأحاسيس ، عنده كل ومضة شمس ، وكل قطرة عصارة ألف عنقود ، هذا هو الشعر فى بساطته وانسانيته ، أثره عند السامع لابد أن يتصاعد من الاعجاب الى الطرب ، الى اللذة الى النشوة ، ثم الى الهزة التى ترج الروح رجاً ، لتبحر نحو شاطىء يتراءى من بعيد نحو الضباب ، نحـــو السراب ، لا تدرى » .

يحيى حقى
فى كتابه « أنشودة البساطة » ص ٦٦

النوافـــذ

فى هذه الغرف المظلمة التى امضي فيها اياما ثقالا ، اروح واغدو باحثا عن النوافذ .

عندما تتفتح نافذة سيكون هذا عزاء . لكن النوافذ لا اثر لها ، او انى غير قادر ان اعثر عليها .

ربما كان من الأفضل الا اجدها ، ربما كان النور عذابا جديداً من يدري كم من اشياء جديدة ستظهر .

أســوار

بلا تحفظ ، بلا حسرة ، بلا حرج ، بنوا حوالي اسواراً ضخمة عالية .

وها انا اجلس الآن فى يأس ، لا افكر في شيء آخر ، ولو ان عقلي يمزقه ماحدث ، لان علي ان اقوم بالعديد من الأشياء فى الخارج .

آه ، كيف لم اتنبه وهم يبنون الأسوار . لكني لم اسمع جلبة بنائين ولا صوتاً قط .

لقد عزلوني عن العالم الخارجي دون ان اشعر .

أصــوات

اصوات خفية حبيبة ، اصوات اولئك الذين ماتوا ، او اولئك الذين هم بالنسبة إلينا ضائعون مثل الموتى ، تتكلم فى احلامنا ، واحيانا فى الفكر يسمعها العقل .

ومع اصدائها تعود برهة اصوات من قصائد حياتنا الأولى ، مثل موسيقى بعيدة فى الليل تخبو .

الســفين

تشبهه بطبيعة الحال الصورة الصغيرة المرسومة له بالقلم .

انجزت على عجل . كنا على ظهر سفين ، ذات امسية ساحرة ، والبحر الايوني مترامى الأطراف يمتد حولنا .

تشبهه ، لكني اذكره على أي حال اكثر وسامة من صورته .

كان عاطفياً إلى حد المرض ، فيشع هذا ضياء على قسماته .

الآن وروحي تستحضر ذكراه عبر الزمن يبدو لي اكثر وسامة .

وعبر الزمن اضحت هذه الأشياء ايضـاً ..

الصورة والسفين ، والأمسية ..

بالغة القدم .

عندما تتقلب

تشبث بها ، واحتفظ ، أيها الشاعر ،
مهما كان قليلا ما يبقى
احتفظ برؤى حبك
سربهـا فى ابيات شعرك .
لـذ بها ، أيها الشاعر ،
عندما تتقلب بالليل فى رقادك
او يصحو عقلك في وهج الظهيرة .

من فرط ما تأملت

من فرط ما تأملت الجمال انتشت به عيناي

اجساد بديعة التكوين ، مشتهاة ، شفاه حمراء ،
خصلات شعر كما لو كانت لتماثيل اغريقية ، متهدلة وعلى الدوام جميلة ، تسقط
على الجباه البيضاء قليلا .
وجوه التقيت بها سرا في ليالي
وجوه للحب ، كما أرادها شعري في ليالي الشباب .

نفائس الدكان

نسقها ، ولفها بحرص في حرير أخضر ثمين ،
لآلىء بيضاء ، وياقوت أحمر ، وأحجار بنفسجية نضدت زهراً .
كما أرادها وتصورها جاء جمالها تحفة . وليس مثل الطبيعة رآها وصممها.
في الخزينة يودعها ، نموذجاً على براعة صنعته وجراتها .
فاذا ما دخل الدكان مشتر ، أخرج من الصناديق مشغولات أخرى يبيعها ،
أساور سلاسل وعقوداً وخواتم ـ حلياً بديعة ذاعت شهرتها .

المغـــزى

سنوات شبابي ، طلبي للمتعة ، يتضح الآن مغزاهـــا .
كم كانت انشغالاتي فانية ، توافه تثير الندم ، وما كنت أدرى آنذاك مغزاهـا .
من مجـون شبابي تشكلت مقاصد شعري ، وارتسمت لفني مجالاتـه
لهذا فان ندمي لم يكن على الاطلاق قاطعاً ، وما كانت قراراتي
بأن أغير من نفس تدوم سوى أسبوعين على الأكثر .

أشيـاء مرسومة

أحب عملي ، وأوليه اهتمامي ، لكن الخمول ثبط همتي اليوم ، وحال الاجهاد بيني وبين أن أواصل ابداعي .
كان للنهار تأثيره علي ، فقد ازداد محياه إعتاماً ، ومضت الريح تعصف تباعاً ، ولم يتوقف المطر .
فترت رغبتي للكلام ، وتقت أكثر أن أشاهد لوحاتي .
إلى هذه الصورة هناك ، يرنو الآن بصرى . صبي إلى جوار نافورة رقد . ويالـه من صبي مليح ، ويالها من رائعة تلك الظهيرة التى احتوته في إغفاءته .
أجلس ، وأتأمل ساعاتاً طوالا هذه اللوحة .
وها أنا بالفن ذاته أستريح ، وأعود فأتخفف من عنائه .

أن تُنَصَّب والياً

ياللكارثـة أن تكون لروائع الأعمال وكبيرها مؤهلا فيتنكر لك النجاح دائماً ، ويوقعك حظك العاثر في صغائر وعادات رخيصة لامبالية .
وكم كان مفجعاً يوم أن استسلمت فشددت الرحال إلى عاصمة الفرس لاجئاً .

ذهبت إلى ملكهم ، فادخلك بلاطه مرحباً ، يعرض عليك ضمن ما يعرض أقاليم يوليك حكمها ، فتقبلها منقبض النفس ، يائساً .

أنت لا تريد هذه الأشياء ، وروحك تطلب غيرها . تبكي حسرة من أجلها ، من أجل كل ما هو صعب لا يقدر بمال ، من أجل حب الجماهير وثناء الحكماء ، من أجل كل ما هو عزيز المنال .
إن المحافل ، والمسارح ، وأكاليل الغار ، كل هذا الذى سيغدقه عليك ملك الفرس ، كل هذا الذى ستجده في الأقاليم التى ستنصب عليها والياً ، كل هذا بالامكان أن تمضي حياتك بغيره .

معاناة شـــاعر

شيخوخة جسـدى وهيئتي ، جرح من طعنة سكين رهيب ، لا طاقة لي على احتماله .
إليك أهرع ، يافن الشعر ، يامن تعرف من العقاقير ما يداوى ، وقد يكون لديك من الخيال والكلمة للآلام مسكن .
من طعنة سكين رهيب أعاني ، فلتجلب ، يافن الشعر ، أدويتك ، تزيل بها ـ لبرهة قصيرة ـ شعوري بالجرح ووقـع الألم .

قسـم

من أن لآخـر يقسم أن يبدأ حياة أفضل ، لكن عندما يأتي الليل بنصائحه ومصالحاته ووعوده ـ عندما يأتي الليل بعنفوانه ، بعنفوان الجسد الذى يرغب ويطالب ، إلى الفرحة المحتومة يعود خاسراً من جديد .

أرواح العجـــائز

في أجسادها العتيقة المهدمة تجلس أرواح العجائز . مسكينة ، كم هي حزينة . كم هي ضجرة بالحياة التعيسة التى تحياها . كم ترتعد خشية أن تفقدها ، فكم تحب الحياة تلك الأرواح المبلبلة المتناقضة التى تقبع في جلودها البالية الهرمة مثيرة للضحك والرثاء .

المدينـــة

قلت « سأذهب الى أرض أخرى . سأذهب الى بحر آخر . مدينة أخرى ستوجد أفضل من هذه » . كل محاولاتى مقرر عليها الفشل ، وقلبى مدفون كالميت ، الى متى سيبقى فكرى في الحزن . اينما جلت بعينى ، اينما نظرت حولى ، رأيت خرائب سوداء من حياتى حيث العديد من السنين قضيت وهدمت وبددت .

لن تجد بلدانا ولا بحوراً أخرى . ستلاحقك المدينة وستهيم في الشوارع ذاتها . وستدركك الشيخوخة في هذه الأحياء بعينها . وفى البيوت ذاتها سيدب الشيب إلى رأسك . ستصل على الدوام إلى هذه المدينة . لا تأمل في بقاع أخرى . ما من سفين من أجلك ، ما من سبيل . وما دمت قد خربت حياتك هنا ، في هذا الركن الصغير ، فهى خراب اينما كنت في الوجود .

شـــــموع

أيام الغد تقف أمامنا مثل صف من الشموع الصغيرة الموقدة ، شموع صغيرة ذهبية حارة ومفعمة بالحياة .

الأيام الماضيات تبقى فى الخلف خطاً حزيناً من الشموع المطفاة ، واقربها مازال الدخان ينبعث منها . شموع باردة ذائبة ومحنية .

لا أريد أن أراها ، فمرآها يبعث الشجن فى نفسى ويشقينى أن اذكر نورها الأول ، فانظر قدماً الى شموعى الموقدة .

لا أريد أن التفت ورائى خشية أن أبصر فيتملكنى الرعب وأن أرى الخط المظلم يمعن فى الطول ، والشموع المطفاة سرعان ما تتزايد .

ايثـــاكا

إذا ما شددت الرحال إلى « إيثاكا » فلتتمن أن يكون الطريق طويلا حافلا بالمغامرات ، مليئاً بالمعارف . لا تخش الغيلان والمردة واله البحر الغاضب ، فانك لن تلقاها فى طريقك ما دام فكرك ساميا والعاطفة الخالصة تقود روحك وجسدك . لن تقابل الغيلان والمردة واله البحر الغاضب ما لم تكن قد جلبتها معك فى أعماقك ، وما لم تكن روحك قد اقامتها أمامك .

تمن أن يكون الطريق طويلا ، وأصبحة الصيف كثيرة ، تدخل فيها فرحاً مبتهجاً الى موانىء تراها لأول مرة .

توقف عند أسواق سورية ، واحصل على البضائع الجيدة ، أصداف ومرجان وكهرمان وأبنوس وعطور ممتعه من كل نوع . وعلى الأخص من العطور الممتعة خذ قدر ما تستطيع .

واذهب الى مدائن مصرية كثيرة لتتعلم وتتعلم من الجهابذة ..

لتكن « إيثاكا » فى فكرك دائماً ، والوصول اليها هو مقصدك ، لكن لا تتعجل فى سيرك . الأفضل أن يدوم السفر سنين عديدة ، وأن تصل الى الجزيرة عجوزاً غنياً بما كسبته من الطريق . لا تتوقع أن تعطيك « إيثاكا » ثراء .

لقد منحتك « إيثاكا » الرحلة الجميلة . فما كنت تخرج الى الطريق لولاها ، وليس لديها أن تعطيك أكثر من ذلك .

ولو وجدت « إيثاكا » فقيرة فهى لم تخدعك . وما دمت قد صرت على هذا القدر من الحكمة ، ولك كل هذه الخبرة ، فلابد أنك قد فهمت ماذا تعنى « إيثاكا » وأى « إيثاكا » .

فى انتظار البرابرة

ما الذى ننتظره فى السوق محتشدين ؟

أن البرابرة يصلون اليوم .

وفى مجلس الشيوخ ، لماذا هذا الاعراض عن العمل ؟

لماذا جلس الشيوخ لا يسنون التشريعات ؟

لأن البرابرة يصلون اليوم . وما الجدوى من أن يسن الشـــيوخ التشريعات ، طالما أن البرابرة عندما يحضرون سيســـنون هم التشريعات ؟

لماذا صحا امبراطورنا مبكراً هذا الصباح ، وجلس عند البوابة الكبيرة فى المدينة على عرشه مرتدياً تاجه وزيه الرسمى ؟

لأن البرابرة يصلون اليوم . والامبراطور فى الانتظار ليستقبل رئيسهم ، بل وأعد الامبراطور العدة كى يمنحه شهادة فخرية يضفى عليه فيها رتباً وألقاباً .

لماذا خرج الحكام اليوم فى مسوحهم الحمراء الموشاة ؟ لماذا لبسوا أساور ذات جواهر قرمزية وخواتم زمردية براقة ؟ لماذا يمسكون اليوم عصيا ثمينة مزينة بالذهب والفضة ؟

لأن البرابرة يصلون اليوم ، ومثل هذه الأشياء تبهر البرابرة .

لماذا لا يجىء الخطباء المفوهون مثل كل يوم ليلقوا خطبهم ويقولوا ما ألفوا أن يتشدقوا به ؟ لأن البرابرة يصلون اليوم ، وهم يملون الخطب وتضجرهم البلاغة .

لماذا يبدأ فجأة هذا الانزعاج وهذا القلق ، ويرتسم الجد على الوجوه ؟ لماذا تقفر الشوارع والميادين بسرعة ويعود الجميع الى بيوتهم وقد استبد بهم التفكير ؟

لأن الليل قد أقبل ولم يحضر البرابرة ، ووصل البعض من الحدود ، وقالوا أنه ما عاد للبرابرة وجود .

ماذا سنفعل الآن بلا برابرة ؟ لقد كان هؤلاء الناس حلا من الحلول .

البحر فى الصباح

فلأقف هنا ، ولأر أنا أيضاً الطبيعة ملياً .

شاطىء بحر رائع ، أزرق أصفر ، فى صباح ، سماؤه صافية .

كل شىء جميل مفعم بالضياء .

فلأقف هنا ، لأخدع نفسى بأنى أرى هذه حقاً ولا أرى خيالاتى ، ومتعة وهمية .

منـــذ التاسعة

الثانية عشرة والنصف . مضى الوقت سريعاً منذ أن أوقدت المصباح فى التاسعة وجلست هنا . جلست دون أن أقرأ ودون أن أتكلم . ومع من أتكلم وحيداً فى هذا البيت .

منذ أن أوقدت المصباح فى التاسعة جاءنى طيف جسدى فى شبابه ، وذكرنى بغرف مغلقة تفوح منها العطور ، وبمتع عابرة ــ وكم كانت متعاً جسوراً . كما مثلت أمام عينى شوارع لم تعد معروفة ، ودور للهو اندثرت وكانت حافلة بالحركة ، ومسارح ومقاه كان لها وجود ذات يوم .

جاءنى طيف جسدى فى شبابه وذكرنى بالأحزان أيضاً . بالفراق وبحداد الأسرة على من مات من أفرادها . بأحاسيس ذوى ، وأحاسيس موتاى ولم أكن أقدرها من قبل حق التقدير .

الثانية عشرة والنصف . كيف مضى الوقت سريعاً .

الثانية عشرة والنصف . كيف مضت السنون وولت .

أيام عـــام ١٩٠٣

لم أجدها مرة أخرى . ضاعت منى بسرعة . العينان الشاعرتان ، والوجه الشاحب .. فى ظلمة المساء المخيمة على الطريق ..

لم أجدها مرة أخرى ــ تلك التى ظفرت بها صدفة وأعرضت عنها غير مكترث ، ثم عدت أطلبها بلهفة . العينان الشاعرتان ، والوجه الشاحب ، وتلك الشفتان ــ لم أجدها مرة أخرى .

مأساة أنطونيوس

عندما تسمع فى منتصف الليل فجاة ، فرقة من المغنين ، تمر فى الطريق غير مرئية ، بموسيقاها الصاخبة ، بصياحها الذى يصم الأذان ، كف عن أن تندب حظك الذى ضاع وخطط حياتك التى اخفقت ، وأمالك التى أحبطت . دع عنك التوسلات غير المجدية .

وكن كمن هو على أهبة الاستعداد من قديم ، كشجاع جرىء ، ودعها ، ودع الاسكندرية التى ترحل .

وبالأخص ، حذار أن تخدع . لا تقل ان الأمر كان حلماً ، وهما فى أذنيك وكذباً . أمال بالية مثل هذه لا تصدق .

كمن هو على أهبة الاستعداد من قديم ، كشجاع جرىء ، كما لو كنت أهلا لها حقاً ، أهلا لمدينة مثل هذه ، اقترب بخطى ثابتة من النافذة ، واستمع بحزن . ولكن بلا توسلات جبانة ، ولا شكاوى ذليلة .

استمع حتى النهاية إلى الأصداء المبتعدة ، واستمتع بها ، استمتع بالنغمات الرائعة من الفرقة الخفية التى تمضى الى الزوال .

ودعها ، ودع الاسكندرية ، الاسكندرية التى تضيع منك الى الأبد .

الشـــمعدان

فى غرفة صغيرة جرداء ، بين أربع حوائط ،
مغطاة بكسوة خضراء ، جد خضراء ،
يتاجج شمعدان جميل بالأضواء .
كل شعاع من لهيبه ، يتدفق متقداً برغبة واشتهاء !
ليس على الاطلاق بالمالوف ذلك الضوء الذى يتالق فى الغرفة
الصغيرة العامرة بوهج الشمعدان المستعر .
فمتعة هذه الحرارة للأجساد الهيابة لم تخلق !

أولى درجات السلم

جاء الشاعر الشاب اقمينيوس .
ذات يوم ، الى ثيوكرتيوس يشكو :
« سنتان مرتا الآن وانا اكتب ،
والى غير قصيدة غزليه لم أتوصل .
عملى المتقن الوحيد هى .
واحسرتاه ، أرى سلم الشعر عالياً
عالياً جداً أراه .
ومن هذا الدرج الذى اقف عنده هنا
لن أرقى ، أنا المسكين ، أبداً »
قال ثيوكريتوس : « هذا الكلام تجديف
وغير لائق
وان كنت عند أولى الدرجات ، فيجدر
ان تفخر بذلك وتسعد
فليس بالقليل أنك قد وصلت الى هنا
والذى أنجزت هو لك شرف كبير
وهذا الدرج الأول
عن عامة الناس يبعد الكثير
وكى تطأ قدمك ذاك الدرج
يجب أن تكون بحق
فى مدينة الفكر مواطناً
ومن الصعب فى تلك المدينة
بل ومن النادر أيضاً أن يقبلوك مواطناً
ففى السوق تجد واضعى قوانين
ليس بامكان افاق أن يخدعهم
ليس بالقليل انك قد وصلت الى هنا
والذى انجزت هو لك شرف كبير .

المتعـــة

بهجتى ومنتهى حياتى ذكريات ساعاتى
التى لقيت فيها متعتى ، وبها تشبثت قدر مشيئتى
هى لى بهجتى ومنتهى حياتى ، انا الذى
أعرضت فى متعة الحب عن كل رتابة .

فى المكان ذاته

يا أيها الحى الذى به أحيا ، وألهو ،
وتجوس بين جنباتك عيناى
وبين أرجائك أسير يوماً بعد يوم ، وأسعى
فى لحظات فرحى وحزنى ،
ومن ثنايا شتى الخطوب والأحداث ،
أعدت خلقك
وما عدت ، بالنسبة لى ،
سـوى عالم ،
من صنع عاطفتى .

رغبـــات

مثل أجساد جميلة ، لم تدركها الشيخوخة
ذرفت عليها الدموع ، وهى توارى ضريحاً فخم البناء .
على الهامات نضدت ورود ، ونثر الياسمين عند الأقدام
مثل أجساد كهذه هى الرغبات التى ولت
دون وفاء ، دون أن يقدر لها قط
ليلة من ليالى المتعة ولا حتى صباحاً من اصبحتها
العامرة بالضياء .

الملك ديمتريوس

عندما تخلى عنه أهل مقدونية
واعلنوا انهم يفضلون عليه بيرو ،
لم يتصرف الملك ديمتريوس (وكان ذا روح قوية) لم يتصرف على
الاطلاق مثلما يتصرف الملوك ـ هكذا قالوا ـ بل ذهب
يخلع جلبابه المذهب ،
ويلقى بخفه القرمزى
ثم ارتدى مسرعاً ثوباً بسيطاً
وتسلل خارجاً ،
مقلداً بذلك الممثل ، الذى يبدل ثيابه ما ان ينتهى العرض ،
ويرحل .

دوحة الماضي

مختارات من المجلات الأدبية القديمة

● العقاد يكتب عن تعدد الزوجات فى أوروبا ●● فرقة تمثيلية يؤلفهـــا المشايخ
●●● لم ينجح أحـد فى الفنون الجميلة ●●● تجنيد الكلاب فى الحروب
●●●●● زكي مبارك يدافع عن الجاموس

لـم ينجـــح أحـــد

أعلنت مدرسة الفنون الجميلة العليا هذا العام فضيحة كان يجب عليها أن تتدارك أسبابها أو أن تسترها على الأقل ! أما هذه الفضيحة فهى أنه لم ينجح أحد من طلبة قسم النحت بمدرسة الفنون الجميلة العليا . وفى هذا القسم أربعة طلاب فقط موزعون على سنى الدراسة المختلفة ، ومعنى هذا أن هؤلاء الأربعة هم عدة الجيل للنحت فى مصر ، ويلحظ إلى جانب هذا أن المدرسة وقفت عليهم أساتذة أكثر منهم عدداً ، فاذا لم تكن مدرسة الفنون الجميلة العليا تستطيع أن تتعهد أربعة طلاب نحاتين فماذا تستطيع أن تصنع ؟!

يقال إن هذه الكارثة الفنية يرجع سببها إلى تنافر بين أستاذ النحت فى المدرسة « وهو سويدى » وبين ناظر المدرسة وصديق له مدرس بها . والناظر وهذا الصديق مصريان ويقال إن هذه النتيجة لم تحدث عفواً وإنما أريد بها أن تحجم وزارة المعارف عن تجديد عقد الأستاذ الأجنبى هذا العام . وأن ترفع المدرس المصرى إلى درجة الأستاذية .

وإن كان مما يسعد كل مصرى أن يرى قسم النحت فى مدرسة الفنون الجميلة العليا يرأسه أستاذ مصرى فانه مما تشمئز منه الانسانية أن يعبث فى سبيل الوصول إلى هذه النتيجة بمستقبل أربعة من الطلاب وهم كما قلنا عدة الجيل فى هذا الفن .

زد على ذلك أن ناظر الفنون الجميلة العليا وصاحبه المدرس متهمـــان فى مقدرتهما الفنية . فالناظر لا يحمل شهادات فنية مطلقاً وليس لديه من المؤهلات الفنية إلا أنه رحل إلى الحبشة فى زمن ما ورسم بعض الصور لنجاشيها ورؤوس دولتـــه ، وأنه بعد ذلك رجل مهندم يتقن تقليـــد الفنانين فى حركاتهم وإشاراتهم ومظاهر « العصبية » التى تبدو عليهم ، والتى استطاع بها أن يقنع أهل الحكم فى الوزارة السابقة بأنه يصلح لأن يكون ناظراً لأكبر معهد فنى فى مصر .

أما صاحبه المدرس فهو رجل من رجال الصناعة أعدته ثقافته وأهله تعليمه لأن يكون مدرساً للصناع فى مدرسة الفنـــون التطبيقية لا أستاذاً للفنانين فى مدرســـة الفنون الجميلة العليا وشـــتان ما بين الصناعة والفن .

وأنا أكتب هذا وقلبى يتمزق ، لأنى أنصر به أجنبياً على مصريين ، ولكننى أفضـل هذا على التدليس باسم الوطنية الشفوية ، ولا ريب أن الاعتراف بالضعـف مع السعى إلى استكمال أسباب القوة خير من المغالطة والادعاء وانكار الحق .

والآن ماذا تصنع وزارة المعارف فى مدرسة الفنون الجميلة ... إنه يحدث فيها أكثر مما ذكرناه ..

عزيز أحمد فهمى
« ١٠ يوليو ١٩٣٩ »

فـرقـة تمثـيـلـيـة من المشـــايـخ



على الطنطاوى

نشرت مجلة « الرسالة » فى عددهـــا الصادر فى ٢٤ يولية سنة ١٩٣٩ هذا الخبر بتوقيع « ص.م » :

« شهدنا فى دار الأستاذ على الطنطاوى بدمشق اجتماعاً تمهيدياً لتأسيس فرقـة تمثيلية تضم المشايخ المشتغلين بالعلم والأدب . الغاية منها إرشاد النـــاس إلى المنهج الأخلاقى والعمل للاصلاح عن طريق التمثيل . وقد حضر الاجتماع الأستاذ الكبير الشيخ عبد القادر المبارك والأستاذ الشيخ عبد القادر الطنطاوى ، وقد تبرع أحد الوجهاء الذين حضروا الاجتمـــاع بأرض واسعة يبنى فيها مسرح عظيم ، وبالنفقات اللازمة للتمثيل . وسيقوم حضرات الأساتذة بالتمثيل فعلا فى الرواية الأولى التى يعدها الآن الأستاذ الشيخ على الطنطاوى » .



العقاد يكتب عن:
تعدد الزوجات في أوروبا

الكاتب الكبير عباس العقاد كتب هذا المقال فى أغسطس ١٩٣٩ ، أى قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية بأيام قليلة ، وكان عنوان المقال « ما رأيها ؟ » والخطاب فيه موجه إلى « الفتاة العصرية » وقد تحدث فى المقال عن الاتجاهات الأوروبية إلى « تعدد الزوجات » وفى مقدمة المقال يقول « إننى ما نويت أن احتكم فى هذا المقال إلى رأى الدين ، فقد عرفنا أن الاسلام يجيز تعدد الزوجات ، ولكنه لا يوجبه ، بل يكاد أن يمنعه بحضه على العدل واستكثاره أن يعدل الرجل بين امراتين ولو حرص على ذلك » .

وهذه بعض فقرات مقال العقاد :

إذا احتكمنا إلى آراء الساسة المحدثين والقادة المعاصرين ، فربما كان من العبرة لن نعلم أن هؤلاء القادة لم يجدوا أنفسهم قط فى حالة كالتى كانت عليها الأمة العربية فى صدر الاسلام إلا خطر لهم تعدد الزوجات ، وأجازوا ما أجازه القرآن ، بل أوشكوا أن يوجبوه ، وربما كان هذا العلم من دواعى تصحيح النظر إلى أصول الشرائع والأخلاق التى عابها أناس ونسوا ما كان لها من بواعث وأسباب .

أقطاب « النازية » فى المانيا الحديثة ينصحون بتعدد الزوجات لأنهم يطلبون النسل ويكاثرون بالجنود ويتاهبون لليوم الذى يملأون فيه بطاح أوروبا الشرقية فاتحين مقيمين . فالأستاذ ارنست برجمان عميد قسم الفلسفة بجامعة ليبزج ينعى فى كتابه : « روح الأمومة » الزواج المفرد ، ويوجب تعدد الزوجات فى سبيل بقاء النوع ومنع انقراضه فيقول : « إن الزواج المفرد طوال الحياة يناقض الطبيعة ويضر بالنوع ، فيضمحل حيثما فرضت الزوجة الواحدة على الرجل . وإنما مثال الدولة الصالحة تلك الدولة التى تكون فيها المراة بغير عقب وصمة عار . ولن يزال فى الأمم عدد من الرجال كاف وقابل لايلاد جميع الاناث . وما علينا إلا أن ننبذ سخافة الزواج المفرد فنعلم أن الطبيعة قد جعلت كل رجل كافيا لعشر أو عشرين من البنات اللواتى لم يقتلن فى نفوسهن غريزة الأمومة » .

والدكتور روزنبرج فيلسوف المذهب النازى ومقرر نظرياته ومبادئه يوصي بالرجعة الى اداب القبيلة الجرمانية فى مسائل الزواج ، ويقول إنه لولا تعدد الزوجات لما زخرت الشعوب الجرمانية فى القرون الماضية ، « ولولا تعدد الزوجات لبطلت مقدمات الثقافة الغربية ، إذ كان عدد النساء فى بعض الأزمان يربو كثيراً على عدد الرجال كما يوشك أن يكون الأمر فى الزمن الحاضر .. فهل يقضى على هؤلاء النساء أن يذهبن خلال أيام الحياة محرومات من حقوقهن الطبيعية مستهدفات للسخرية المزرية التى يلقاها العانسات ؟ وهل يؤذن للمجتمع المنافق القانع بما هو فيه أن يسلم هؤلاء البائسات لأضاحيكه ؟ » .

ورأى المفكرات الالمانيات قريب من رأى المفكرين الألمانيين فى هذا الباب . فاحداهن وهى السيدة « شولتز كلنك » تقول فى خطاب لها بين الصحفيات : « إن البنات الألمانيات يرجعن فى عصرنا الحاضر إلى غرائزهن الأصيلة ويصدعن بحكمها فى خضوع واغتباط عارفات أن هذه الغرائز إن هى إلا عطيه سماوية يملكن بها الدم والأرض ويصبحن بها نماذج للمراة الألمانية الحديثة » .

وقبل الفلسفة النازية بقرن كامل من الزمان كان نابليون يحتاج إلى الجنود كما يحتاج إليها النازيون الآن ، وكان يغرى الأمة الفرنسية بالتناسل كما يغرى النازيون أمم الجرمان ، وكان يقول مثلما يقولون اليوم كلما رأى عدد النساء فى ازدياد وعدد الرجال فى نقصان .

فمن قوله فى هذا الصدد : « إننى صنعت كل ما استطعت لاصلاح حال اللقطاء المساكين الذين يساقون للعار والمهانة ، ولكن المرء لا يستطيع أن يغلو فى هذه الناحية مخافة على نظام الزواج ، وإلا لم تجد أحداً يقدم عليه » .

« وقد كان للرجل فى الزمن القديم سريات إلى جانب الزوجة ، فلم يكن الأبناء غير الشرعيين محتقرين كاحتقارهم فى أيامنا . ومن المضحك ألا يباح للرجل أكثر من زوجة فاذا هو كالأعزب إذا حملت أو مرضت » .

« إن الرجل لا يتسرى فى العصر الحديث ، ولكنه – فى أوروبا – يخادن الخليلات ، وهن خراب ، لهن كلفة ، أفدح من كلفة الزوجات ولقد درج الفرنسيون على إكبار المراة ، وما ينبغى لها مساواة الرجال فما كانت بعد إلا آلة لاخراج الذرية ... » .

« ويطيق الرجل أن يتزوج كثيرات من النساء ولا يبدو عليه أثر ذلك . أما المراة ، فاذا اقترنت مرة بعد مرة فلا محالة يدركها الذبول » ويقول نابليون عن المساواة بين الجنسين : « لا مناص من سيادة أحد الجنسين على الآخر ... فقد يختل نظام الأمة إذا اعتزلت المراة مكانها المطبوع ، وهو مكان الطاعة والخضوع » .

زكي مبارك يدافع عن الجاموس

كتب الدكتور « زكي مبارك » هذا المقال سنة ١٩٤٠ ، وفي المقال يدافع الأديب العربي الكبير عن الجاموس فيقول :

كتب إلي حضرة « م.ع.ف » يعجب من أن تنفق الدولة ثلاثين ألفاً من الجنيهات لتحسين نسل الجاموس مع أن في طلبة الجامعة من عجز عن دفع المصروفات !

تحسين نسل الجاموس

ياســـلام ؟ ياســـلام ؟

كيف يليق بحكومة رشيدة أن تفكر في تحسين نسل الجاموس مع أنها تعرف أن بعض طلبة الجامعة عجزوا عن دفع المصروفات الدراسية ؟؟

ذلك منطق هذا السيد الذى يشغل مكاناً مرموقاً فى الصعيد ؟ وعذر هذا السيد أنه قرأ في مجلة « آخر ساعة » كلمة جرت مجرى الدعابة فظن أن من العيب أن يهتم وزير الزراعة بتحسين نسل الجاموس وهو جاموس .

هو حقيقة جاموس يرعى البرسيم ويأكل الفول ويشطح وينطح بلا فهم ولا تمييز ، ولكن هذا الجاموس الأعجم هو من صنع الثروة المصريـــة ، والاهتمام به لا يقل عن الاهتمام بالقطن والقمح والعنب والتين والبطيخ .

فكيف يجوز لرجل أن يعد الاهتمام بتحسين نسل الجاموس عيباً من عيوب الحكومة .

المقتل الخطير لأهل مصر هو الغرام بالنكتة ، ومن هنا جاز أن ينتهزوا الفرصة فيعيبوا على حكومتهم أن تهتم بتحسين نسل الجاموس .

ويقول هذا السيد إن اشتغالي بالأدب صرفني عن مواجهة الواقع ، وأقول إنه لو اشتغل بالأدب كما اشتغلت لقراء فى كتاب البيان والتبيين كلاماً معناه أن أحد العرب قال :

لو كان لي ألف بعير فيها بعير واحد أجرب لقمت عليه قيام من لا يملك غيره !

ومعنى ذلك أن الاهتمام بالبهائم والأنعام لا يغض من أقدار الرجال وإنما هو دليل على العناية بأصول الاقتصاد .

أيها الغافلون من أهل هذه البـــلاد . راجعوا وزارة الصناعة والتجارة تخبركم عما تستهلك فى كل عام من الواردات المصنوعة من الألبان ، وعندئذ تعرفون أنه ليس من العيب أن نهتم بتحسين نسل الجاموس .

وأنت أيها الجاموس هل تحفظ هذا الجميل فتذكر أنى دافعت عنك فى مجلة الرسالة الغراء لقد ضاع الجميل عند الحيوان الناطق ، فهل تحفظه أنت ياجاموس ؟

وكيف نطالبك بحفظ الجميل وما حفظنا لك الجميل ؟

كانت فطرة العربي فى الصحراء ألطف وأصدق ، فقد نظم فى ناقته أجمل القصائد ، أما المصري فقد ظلم جاموسته أقبح الظلم ولم يذكرها بغير السخرية والاستهزاء .

فهل تكون للبداوى تلك المحاسن وتكون للحضارة هذه العيوب ؟

كان الفراعنة أعرف الناس بأصول المنافع فعدوا البقرة من المعبودات ، لأنهم رأوها من صور الحنان ولأنهم عرفوا ما يصدر عنها من الخيرات ، والجاموسة أغزر نفعاً من البقرة ، ومع ذلك صح لأدبائنا أن يسخروا من الوزير الذى اهتم بصحتها الغالية !

ولكن لا بأس فنحن فى زمن تغلب فيه السخرية من المنافع ، وهـــو زمـــن مقلـــوب الأوضاع ، ولولا ذلك لرسمنا الجاموسة بجانب الفلاح على ورق البنكنوت .

تجنيد الكلاب في الحرب

تدرب الكلاب فى جميع أنحاء العالم للخدمة فى الحروب ، ففى روسيا أنشئت مدرسة فى موسكو للكلاب ، وفى اليابان أعدت أماكن فسيحة لتدريبها منذ ١٩٣٣ ، وقد أعدت ميادين خاصة فى بولندا وايطاليا لتدريب الكلاب على الأعمال الحربية على اختلافها . وفى « أستنيا » تلازم الكلاب طلائع الجيش ، أما فى فرنسا فهي تدرب مع الجنود فى كثير من الميادين .

وتستخدم الكلاب فى حمل الرسائل إلى الفرق الطبية . وفى توصيلها إلى الحرس ، حيث تجتاز الأماكن الوعرة ، وتعبر الأنهار الواسعة لتوصل رسائلها . وهي تدرك الممرضين فى الميدان بما يحتاجون لتضميد الجراح ، وهي تستطيع أن تحمل المؤن على ظهرها وتسير بها إلى مسافات بعيدة .

وقد كانت الكلاب تستعمل فى الهجوم والدفاع منذ أقدم العصور . ويقول هيرودتس إن « سيرس » كانت لديه كلاب يستخدمها فى الحروب . وفى كتاب « بلوتارك » أن الكلاب أنجت كتيبة « كورنيثية » من الهلاك .

وكان فيليب المقدوني يستخدم الكلاب فى حروب « أرجول » واستخدمها الرومان لحماية الجيوش ، وكان « السلت » يدربون الكلاب على مواجهة الخيل ، فتاخذها بخياشيمها وتسقطها فى ميادين الحروب .

أما فى القرون الوسطى فقد كثر استخدام الكلاب لهذه الأغراض ، وقد كانت الفرق الاسكوتلندية تصطحبها على الدوام ، وكانت مدينة « سان مالو » تستخدم الكلاب فى حراسة أسوارها إلى سنة ١٧٧٠ ، وقد اتخذ نابليون الكلاب سنة ١٧٩٩ لحراسة الجنود فى مدينة الإسكندرية ، واستخدم الألمان الكلاب لحماية الكتائب وحراسة الأقاليم والمعسكرات فى سنة ١٨٧٠ .

وفى سنة ١٨٩٥ قام كلبان بامداد كتيبتين بالذخائر أثناء الحرب على أكمل وجه .

وفى سنة ١٩٠٤ كان الجيش الألماني يستخدم ٦٠٠ كلب من الكلاب المدربة على الحروب وآلافاً من الكلاب الأخرى .

أمـــا فرنسا فقد بدأت تجنيد الكلاب فى سنة ١٩١٦ ، وقد اجتمع فى باريس تسعة آلاف كلب نظمت فرقاً وأرسلت إلى الميادين للتدريب ، وقد قامت تلك الكلاب بخدمات عظيمة مما كان نكره موضع إعجاب المتحدثين .

« ١٤ أغسطس ١٩٣٩ »

شخصية طريفة من تاريخنا الفني

محمود صبح

المطرب والموسيقار والملاكم الضرير

هذه شخصية من أطرف الشخصيات فى تاريخنا الفنى المعاصر ، ولكنها مع ذلك تعتبر شخصية لامعة لا يعرف الجيل الحالى عنها شيئاً ، فصاحب هذه الشخصية محمود صبح ، فنان مبدع فى الغناء والموسيقى ، وهو الى جانب ذلك كان يمارس رياضة شاقة هى الملاكمة ، والأغرب من ذلك كله أنه كان «ضريراً» ، وعن هذه الشخصية العجيبة ، الغنية بالفن والموهبة والمرح والسخرية ، كتب الأستاذ محمد السيد المويلحى هذا المقال سنة ١٩٣٩ ، وكان محمود صبح ما يزال على قيد الحياة :

قد يحمد الفنان إذا اعتز بنتاجه وسما به عن الابتذال والعرض والمقارنة ، وقد يحمد إذا عرف لنفسه قدرها لانه أدرى الناس بعبقريته وقوته ، وأشدهم إيماناً بالهامه وتوفيقه ، ولكنه لا يحمد ولا يثنى عليه إذا تدرج اعتزازه وإيمانه بقدرته إلى الأنانية التى تحمله على تقديس نفسه وإنكار الجميع .. الجميع دون استثناء .. !

ومحمود صبح موسيقى مرهوب موهوب يلم بفنه إلماماً تاماً ويجيد العزف على العود والناى والبيان « البيانو » ، وله لون خاص ينفرد به ويعجب جمهرة كبيرة .. ولكنه يعتقد بل يؤمن إيماناً عميقاً انه مبعوث العناية الالهية لانهاض الرسالة الموسيقية ، فعلى كل من ينتمى إليها بوشيجة أن يؤمن به إيمان العجائز فلا نقاش ولا جدال ، (لأن الذى يستطيع أن يناقشه أو يجادله لم يخلق بعد ، ولانه الله سبحانه لا يخلق رسولين فى عصر واحد وإلا فسدت الرسالة) . هكذا يقول محمود صبح ، الذى يذكرنى « بروبسبير » الذى آمن بعصمته فكان يعدم كل من يظن فيه المعارضة لآرائه ومبادئه لا لشىء إلا لانه كافر بالعصمة والفضيلة .

قامة ربعة وإن كانت تميل إلى القصر ، تشبه « شوال » الملح لوناً وشكلا وثقلا ، وإن كانت تمتاز بظرف عجيب . قامة ، وإن حرمت من نور البصر ، فقد وهبت قوة هرقلية تستطيع « بفضل الله » أن تجندل من تشاء بضربة فنية قاضية . قامة تجيد كافة الألعاب الرياضية من ملاكمة ومصارعة وحمل أثقال ..

رأس أودع الله فيه كنزاً غنياً من الفن الأصيل المكين المبتكر . حاجبان كثيفان لو زرع شعرهما على عشرة رؤوس « صلعاء » لأصبحت غنية بالشعر القوى . أنف كأنف الصقر يهبط فى هدوء وتقوس حتى يستقر على شكل « هلب كبير » ... ! !

وجه ممتلىء ، طالما زينته العمامة حتى ثار عليها ، وأبى إلا أن يتطربش لتكمل أناقته ورشاقته .. فم وإن كان يذكر الله كثيراً ويجيد تلاوة كلامه .. إلا أنه لا يحب أن يغضب الشيطان فيهجر أوامره وإغراءه بل يندفع فى سبيل ترضيته فيصف « إخوانه » وزملاءه بوصف « مزخرف » مصنوع فى معامل « بولاق » و « حوش بردق » «١» .

أذنان حادتان صارمتان لا تعترفان إلا بنتاج صاحبهما ، أما غيره ... فـ « صوء ... صوء ، أعوذ بالله ، يا ستار العيوب ، إيه ده ؟؟ » يدان قديرتان ساحرتان ، إذا صفا صاحبهما أسرتا وسحرتا ، وخلقتا قوة وقدرة وفناً أصيلا نبيلا ، يدان تنحنى لهما الموسيقى العربية « البحته » ويخضع لهما الفن العالى الذى لا يخضع إلا للقليلين .

صوت هائل كامل شهد له الجميع بالقدرة والعذوبة وقوة التاثير . أروع من يؤدى « الباص » وأبدع من يحسن « البريتون » وأرفع من يجيد « التينور » «٢» . يتكون من ديوانيين



الفنان محمود صبح .. كان يجمع بين الموهبة الفذة
فى الغنـاء والموسيقى ، والروح المرحة الساخرة !

ونصف تقريباً ، لا عيب فيه إلا خلوه من العيب .. صوت لو استطاعت محطة الاذاعة أن تهيىء له الجلسة الفنية المضبوطة أمام « الميكروفون » لكان آية ، ولخلا من تلك العواصف التى تكاد تصم الآذان .

صوت يقلد القطار أدق تقليد ، ويحاكى صوت « القلة » أتم محاكاة . ومن ظرف محمود أنه إذا صيفاً أسمعك صوت « العجين » وهو « يلت » حتى لتخاله امرأة منهمكة فى « ماجورها » ... أقدر من يلحن الموشحات ، ويكفيه فخراً وسموا وخلوداً أن أعظم مغن بالغاً ما بلغ من القوة والقدرة لا يستطيع أن يحاكيه بواحد من موشحاته لتشعبها ، وكثرة أنغامها ، ووفرة حركاتها ، ودقة تركيبها ، وإن حاول فالفشل له بالمرصاد ... !

فنان موهوب مبتكر بصير بما يصنع ، خبير بفنه لا يحاكى ولا يقلد بل له لونه الخاص المعروف ، لأنه كما قلنا لا يؤمن إلا برسالته . لا يعرف شيئاً فى القواعد الغربية مع أن علم « التحسيس » «٣» . قد تقدم وأصبح يدرس فى كل مكان .

يجيد العزف على العود ، واللعب على البيان والنفخ فى الناى ، إذا سألته عن فلان المشهور قال : طز «٤» ، وعن فلانة المعروفة قال : طزين يا سيدى .والويل لك إذا سمعته واعلنت سرورك وتقديرك بقولك « يا سلام يا شيخ محمود الله يزيدك » لأنه يلتفت إليك متهكماً متحفزاً صارخاً « هو لسه يا أخينا حيزيدنى ... حيخلينى إيه أكثر من كده- ؟ » ، والويل لك أكثر وأكثر إذا أخذتك النشوة فنسيت أن تحييه لأنه يسكت فجأة ويخاطبك :

ـ حضرتك مش سامعنى يا فندى - ؟

ـ سامع يا أستاذ دى حاجة عظيمة جداً

ـ أمال ساكت ليه -؟ ساكت ليه يا فندى- ؟ ودانك بتوجعك- ؟ والله ما أنا قايل حاجه إلا لو خرجت من هنا . اتفضـــل يا فندى وخدها وهى حلوة ... !

كان فى « الحسينية » من خمس عشرة سنة « ١٩٢٤ » يعزف بعوده أمام حشد من مريديه ومحبيه ، فلما أخذته النشوة رمى « بعوده » وصرخ متمدداً :

ـ أغيثونى ... أدركونى !

ـ مالك يا مولانا ... مالك يا مولانا

ـ أغيثونى .. أدركونى .. امسكونى جيداً .. سدوا « ودانى » .. ســـــدوا « ودانى » ... !

هرع إليه هذا الجمع الحاشد وكله لهفة وإشفاق فاذا بالشيخ محمود صبح يقول :

الجن عاوزه تخطفنى . رئيسهم كلمنى فى أذنى وقال : احنا عاوزينك يا محمود عشان بنتى حتتجوز .. امسكونى أحسن يخطفونى !

عصبى إلى درجة بعيدة . لا يطيق النقد ومن ظريف أمره أيام كان يذيع فى المحطات الأهلية أنه كان يجلس فى محطة « فؤاد » قائلا لهؤلاء الذين يكتبون عنه أو يتكلمون بمالا يحب :

يا ليل ، يا ليل ، سامع يا « فلان » يا ابن ... شايف الشغل إزاى ... يا ليل ، يا عينى ياليل ، « فلان » ، نحن محمود صبح ، قتائب يا ابن الـ .... ياليل ياعينى ، لاح بدر التم أمان . أمان دوس يا لا للى ... يا بتوع (...) يا أولاد ... اتعلموا وخلوا عبد الوهاب بتاعكم ينفعكم !

● ●

وبعد .. فمحمود صبح شخصية عظيمة ظريفة انحدرت من بيت عريق ، ومن أصل طيب . لا يعتمد فى معيشته على فنه بقدر ما يعتمد على إيراده الخاص الذى يكفل له عيشاً رغداً ، ولولا مغالاته بقدره واعتداده بنفسه لكان عظيماً نافعاً .

هوامش :

١ ـ بولاق وحوش بردق حيان شعبيان قديمان فى القاهرة .

٢ ـ الباص والبريتون والتينور ، اصطلاحات موسيقية عالمية لتحديد طبقات الصوت .

٣ ـ كلمة عامية شعبية من أصل غير عربى تعنى الاستهانة والاستهجان ، وهى لفظة غير خارجة .

٤ ـ علم « التحسيس » ، هو ما يسمى باسم طريقة « بريل » لتعليم العميان .

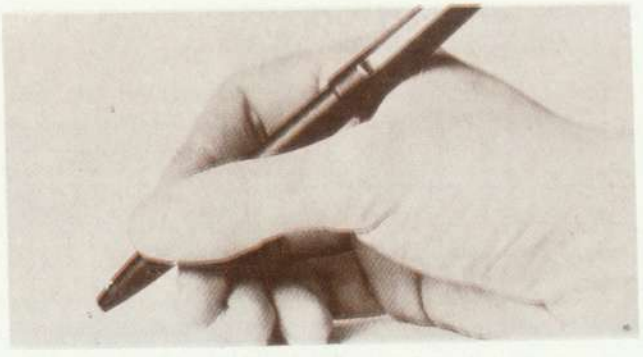
تقديم : لبنى الريدي

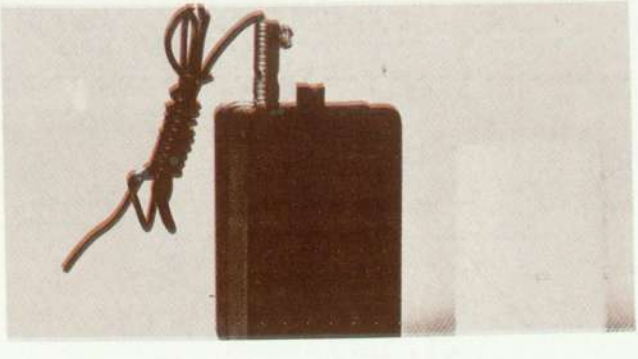
احذر تكنولوجيا التصنت

ان التقدم المذهل فى مجال الالكترونيات وصغر حجم الأجهزة الالكترونية سهل عمليات التصنت مما قد يهدد الحرية الشخصية للانسان . فلقد وصلت الطرق الفنية لتسجيل ما يدور فى اى مكان بالوسائل السمعية والبصرية إلى درجات عالية من الاتقان . فهى تستخدم كل انواع الاكتشافات الحديثة من اشعة تحت حمراء الى اشعة الليزر والموجات فوق الصوتية . فهناك جهاز تصنت لا يزيد حجمه عن حجم قالب السكر وجهاز ارسال مثبت داخل قلم حبر واجهزة تصوير توجه من بعد .

فهذا القلم ذو المظهر البرىء الذى يظهر فى الصورة عبارة عن جهاز ارسال ينقل اى حديث يدور فى الغرفة لمسافة عشرين متراً . اما اذا كان المطلوب الارسال لمسافة اطول فان جهاز ارسال اكبر بقليل من قالب السكر يسهل اخفائه فى جيب السترة خلال اجتماع هام مثلا بحيث يتم نقل المناقشات الدائرة فى غرفة الاجتماعات لمسافة تصل إلى واحد كيلومتر ولكي يصل مدى الارسال لعدة كيلومترات يكفى اخفاء جهازين كل منهما فى حجم علبة السجائر تحت الابطين .

بل ان التليفون ذاته قد يكون من أدوات التصنت وذلك باجراء بعض التعديلات لتحويله الى ميكرفون . بحيث يمكن تسجيل الحوار الذى يجرى فى الغرفة الموجود بها جهاز التليفون وذلك بان يطلب المتصنت رقم التليفون مع ارسال اشارة تمنع الجرس من أن يرن ولكنها فى الوقت نفسه تشغل دائرة الارسال المثبتة داخل التليفون او فى السلك الموصل له ومن ثم ينقل الحوار الدائر فى الغرفة فى الحال الى مكان المتصنت مهما بعد .





آلات تسمع وتتكلم

قد يفضل الانسان ان يتكلم اكثر من أن يستمع .. وهذه الحقيقة نفسها تنطبق أيضاً على الآلات .

فان التقدم التكنولوجي الذى تحقق فى مجال ، الدوائر الاليكترونية لتوليف الصوت مكن الآلات من التكلم ومن ثم اصبحت الساعات والآلات الحاسبة ناطقة بل وبعض السيارات تنبه سائقها إذا ما نقص الوقود او الزيت الخ ..

غير ان التكنولوجيا اللازمة لجعل الآلة تتعرف على الصوت وتكسبها بالتالى القدرة على الاستماع لازالت ة وباهظة التكاليف ، ولكن احدى شركات الالكترونيات اليابانية قد تحدث تغييراً جذرياً فى هذا المجال . حيث تمكنت من دمج الدوائر الالكترونية المسئولة عن ترجمة الصوت الآدمى الى نبضات تفهمها الآلة فى رقيقة واحدة . وتستطيع هذه الرقيقة ان تتعرف على ٦٤ كلمة مختلفة .

وتسجيب للأوامر التى تسمعها خلال فترة زمنية لا تزيد عن ٤ر٠ من الثانية الا انها لا تطبع أى صوت لانها لا تتعرف إلا على الصوت الذى تم برمجتها به .

وقد تفتح هذه الأبحاث آفاقاً واسعة أمام تطبيقات متعددة لتحكم الانسان فى الآلة شفوياً . فعلى سبيل المثال تجرى إحدى شركات الكمبيوتر الامريكية تجارب على سكرتيرة الية بحيث يملى عليها المدير ما يريد من خطابات وتقارير لتقوم على الفور بتحويل ما تسمعه إلى نصوص مكتوبة يتم عرضها على شاشة تليفزيونية . وبالضغط على زر يحصل المدير على نسخة مطبوعة من النص .

برج مراقبة طائر



أجرى الجيش الامريكى تجارب على نقاط مراقبة طائرة وهى عبارة عن آلة تتسع لفرد واحد فقط .. تعمل بمحرك نفاث وتقلع وتهبط عمودياً مثل الطائرة الهليكوبتر ويستطيع هذا البرج الطيران بسرعة الف كيلومتر فى الساعة كما بامكانه التحليق فوق نقطة معينة أو التحرك على ارتفاع يصل الى ٣٠ متراً وهو ما يجعله فى مأمن من شبكات الرادار . اذ لا تستطيع أجهزة الرادار رصده نظراً لارتفاعه المنخفض .

وتتعدد استخدامات برج المراقبة الطائر سواء فى الجيش أو الشرطة اذ يناسب عمليات الاستطلاع ومطاردة الخارجين عن القانون ومراقبة حركة المرور

علاج حصوة الكلى بدون جراحة

بعد نجاح أشعة الليزر فى العمليات الجراحية الدقيقة مثل جراحة العيون واستئصال الأورام فى المخ وفى علاج بعض الأمراض الجلدية المستعصية ، تؤكد هذه الأشعة نفعها فى مجال جديد ، وهو مجال جراحة المسالك البولية .

فلقد تمكن فريق من الأطباء البريطانيين من استخراج الحصى من كلى بعض المرضى دون إجراء جراحة . وذلك بادخال أنبوبة مزودة بمشبك ميكروسكوبي فى الكلى بحيث يمسك هذا المشبك بالحصوات وتقوم حزمة من أشعة الليزر بتفتيتها .

الألياف الضوئية تضبط حركة المرور

تتميز الألياف الضوئية بسرعة فائقة فى نقل الاشارات وبسعة أكبر بكثير من الكابلات العادية ، ولذلك فكر اليابانيون فى استخدام كابلات من الألياف الضوئية فى مراقبة حركة المرور وهي مشكلة مستعصية فى هذا البلد المكتظ بالسكان .

وبتجربة هذه الألياف فى مراقبة طريق يبلغ طوله ٣٥ كيلومترا استطاع رجال المرور متابعة حركة السيارات على شاشة تليفزيونية بحيث لا تفلت سيارة واحدة . فلقد ثبتت كاميرات وأجهزة التقاط لكل ٥٠٠ متر لنقل المعلومات خلال الألياف الضوئية إلى كومبيوتر مركزى بدقة وسرعة فائقة حتى أن المهندسين اليابانيين المسئولين عن التجربة يؤكدون انه باستطاعتهم إحصاء راكبي كل سيارة .

الراديو الشمسى

تتعدد أشكال وأحجام أجهزة الراديو وتتنافس الشركات فى انتاج أصغر جهاز راديو وفى الوصول إلى أعلى درجات نقاء الصوت . إلا ان احدى الشركات اليابانية رأت أن تجعل الراديو يعمل بأشعة الشمس ، وأنتجت بالفعل أصغر جهاز راديو يعمل بالطاقة الشمسية ، إذ لا يزيد حجمه عن ثلثى علبة السجائر اما وزنه فيبلغ أو نصه ونصف فقط وهو يعمل بفرق جهد ١ر٢ فولت .

ويشحن هذا الراديو بأشعة الشمس وأى مصدر ضوئى ساطع آخر . وبعد ساعة من التعرض للأشعة الشمسية يعمل بشكل متواصل لمدة ٤٠ دقيقة اما اذا استمرت فترة التعرض لمدة أربع ساعات فان هذا الراديو الستريو يعزف الموسيقى والأغانى الجميلة لمدة أربع ساعات .

ويضم الجهاز بطارية من النيكل والكادميوم لاختزان الفائض من الطاقة الكهربائية المتولدة . وإذا ما تم شحن هذه البطارية بكامل طاقتها فانها تمد الراديو بالطاقة اللازمة لتشغيله لمدة ٢٥ ساعة متواصلة . ولا يكلف هذا الراديو صاحبه شيئاً ولكنه فى الجانب المقابل امكانياته محدودة فهو لا يستطيع استقبال الموجات القصيرة .



هدية للموسيقيين

يضطر المؤلف الموسيقى إلى التوقف مرات عديدة أثناء تأليف اللحن ليسجل على النوتة الحروف الموسيقية التى يضعها أولا بأول خوفاً من نسيانها عندوضع اللحن فى صورته النهائية التكنولوجيا اليابانية تقدم حلا لهذه المشكلة التى تواجه الملحنين . فقد أنتج اليابانيون آلة موسيقية الكترونية تسجل اتوماتيكياً انغام الموسيقى بمجرد أن يعزفها المؤلف .

وتضم هذه الآلة فى داخلها ميكروكمبيوتر يحول النبضات الكهربية لأصابع البيانو الى اشارات تقوم بتشغيل طباعة ترسم على الورق كل العلامات الموسيقية لتعطى فى النهاية نوتة موسيقية للحن المعزوف . وتستطيع هذه الآلة طبع النوتة الموسيقية أثناء عزف المؤلف أو بعد انتهائه من تأليف اللحن بالكامل . وهى من ناحية أخرى تتيح لهواة الموسيقى تعلم كيفية كتابة اغانيهم الخاصة . تستطيع ان تعزف مجموعة متنوعة من الآلات الموسيقية ابتداء من البيانو الى الجيتار والكمان وهى صغيرة الحجم فطولها ٣١ بوصة وعرضها ٧ بوصات ولا يتعدى وزنها خمسة ارطال مما يسهل حملها ونقلها . من مكان إلى آخر .

رسائل إلى المحرر

ما الخطب يا أدباء؟

قرأت فى المجلة مقالا للأستاذ حافظ احمد امين تحت عنوان « مسرحيات للقراءة واخرى للتمثيل » ، وفيه يتحدث عن مسرحيات كانت تكتب لتنشر فى كتاب للقراءة ، ومسرحيات اخرى كانت تكتب لعرضها على خشبة المسرح ، وذكر فى هذا الصدد مسرحيات بعض الكتاب مثل مسرحية « اهل الكهف » التى نفدت منها طبعتان فى عام واحد ١٩٣٣م ، وعندما عرضت على خشبة المسرح كان عدد الحاضرين ٢٢ مشاهداً فقط .

وإذا كان الكاتب يفسر هذه الظاهرة التى سادت المسرح المصري فى الفترة المعاصرة بان المسرحية المقروءة ذات حبكة جيدة وشخصيات متفقة مع فكر المسرحية وموضوعها فى حين ان المسرحية المعروضة على خشبة المسرح ذات بناء من نوع آخر حيث تكون مشحونة بالشخصيات والصراعات الحية الواقعية التى تمس حياة المجتمع وتستغرق فكره واحاسيسه ، فان ماتوصل إليه الكاتب يكون صحيحا إذا نظرنا إليه من جانب واحد هو المسرح الاجتماعي او المسرح الواقعي .

والسر فى رأيه أن بناء وشخوص المسرحية المقروءة يختلف تماماً عن بناء وشخوص المسرحية المعروضة على المنصة .

وفي رأيي أن طبيعة الجمهور المصري من حيث درجة الثقافة ، الطبقة الاجتماعية ، العمر ، المهنة ، المستوى التعليمي ، ودرجة الوعي بالأدب والفن والثقافة عموماً ، قد فرضت نفسها على هذه القضية ، ولا يغيب عن ذهن القارىء العادى أن المسرح المصري بصفة عامة أصبح الآن مسرحاً كوميدياً بالدرجة الأولى يهدف إلى الاثارة والعبث والسخرية ... وإلا فما السر وراء مسرحيات مثل: أهلا يادكتو ر ـ حكاية الواد بلية ـ سك على بناتك ـ الدنيا مقلوبة ـ عش المجانين ـ الناس اتجننت ... « والكثير غيرها من المسرحيات ذات الأسماء المثيرة .. لاشيء وراءها سوى التجارة بالفن المسرحي »

إننى أردت بكتابة هذه السطور أن أؤكد أن قضية مسرحيات للقراءة واخرى للتمثيل التى أثارها الاستاذ حافظ لا تتعلق بالمؤلف او بناء المسرحية كما ذهب إلى هذا ، ولكنها تتعلق بنوعية هذا الجمهور وثقافته وطبقته الاجتماعية .

جاد محمد جاد رزق
كلية الاعلام ـ جامعة القاهرة

« ومجلة الدوحة » إذ تنشر هذه الرسالة ، تفتح الباب أمام نقاش واسع وكبير بين المهتمين بالأدب والثقافة والمسرح ، لانه موضوع يدخل فى صميم حضارتنا الفكرية .. وفى انتظار رسائل أخرى »

تعقيب على مقال "مسرحيات للقراءة"



د . يوسف ادريس



أمل دنقل

قرأت ما كتبه الاستاذ رجاء النقاش فى عدد يونيو ١٩٨٢ تحت عنوان « لماذا نقتل الشعراء » وقد اسهب كثيراً فى الحديث عن الشاعر « أمل دنقل » فتحدث عن محنته ثم اشعاره وانتاجه ، وقد اخذ ذلك كله حيزا كبيراً من مقالته ، وكان الاجدى ـ فى رأيي ـ أن يورده كمثال ثم يواصل مناقشة المقال كما جاء فى عنوانه .

كذلك قرأت ما كتبه الدكتور يوسف إدريس فى نفس العدد عن « ورشة القصة فى نيودلهي » وأكاد اقول أن الدكتور يوسف قد خرج عن موضوع المقال فسر لنا ماساة ابنه وكم عمره وكيف كان حاله ، وكان الاجدر به أن يختصر فى ذلك .

وقد اورد فى موضوعه تفصيلات أرى انها غير مهمة ، منها أن البعض قد ذهبوا إلى « الورشة » على نفقتهم الخاصة. واعتقد أن الدكتور يوسف إدريس لم يضع نقاطاً محددة لموضوعه .

عاطف عبد المجيد قناوي
بحري ـ السودان

مسجد الكتيبة ومسجد حسان

اتابع أعداد « الدوحة » وماتنشره ، واطالعه باهتمام كبير وحبذا لو أمكنكم زيادة المساحة المخصصة لتوعية الشباب والمراة المسلمة .

وقد لاحظت خطا ورد فى معلومات أرسلها القارىء طلعت حسن محمد جاد الله تحت عنوان« مسجد .. مواد بنائه خلطت بالمسك » ، فقد ذكر انه مسجد « الكتبية » الموجود فى الرباط ، ولكن الصواب هو أن مسجد الكتبية موجود فى مراكش ، أما مسجد الرباط فاسمه مسجد « حسان » .

الزريبي عبد الجليل
اليوسفية ـ المغرب

« شكراً للقارىء العزيز على اهتمامه . وأما اقتراحه بزيادة الصفحات المخصصة لتوعية الشباب والمراة المسلمة فهو قيد الدراسة » .

« الدوحة »

أحمد العاصى .. الشاعر المظلوم

شدت انتباهي ، تلك الدراسة القيمة التى قدمتها « الدوحة » عن الشاعر « احمد العاصي » الذى مات منتحراً بسبب يأسه من الحياة .

إن الكاتب عودنا فيما يكتب على دراسة الأعمال الأدبية الحبيسة داخل نعوش النسيان ومجاهل النكران ، والتى لم تنعم بالشهرة حتى لو كانت تستحقها عن جدارة ، نتيجة فشل أصحابها فى نشر تلك الأعمال بسبب عوزهم المادي أو الاحباط النفسي الذى تسرب إلى نفوسهم .

إن هذه الدراسة لتقييم شعر المرحوم أحمد العاصي ، تعتبر مثالا للدراسات النقدية التى تقوم على منهج علمي صحيح ، فلقد ألقت الضوء على قصائد الشاعر ، وما كان يعانيه من آلام نفسية مزقت أماله ، حتى انه عاف العيش فى حياة ظن انها ليست جديرة بأن يحياها انسان حساس مثله ، ولذلك وضع بيده نهاية لهذه الحياة ومات منتحراً .

لقد كان الشاعر سلبياً فى مواجهته للظروف الصعبة من حوله فلم يحاول كما أثبتت الدراسة أن يسلح نفسه بالثقافات الدينية والسياسية والاجتماعية التى تعينه على تجاوز تلك الأزمة ، وهذا الأسلوب السلبي هو الذى دفع بالشاعر إلى طريق النهاية المسدودة ، فأظلمت الدنيا أمامه ، ولم يستطع الشاعر أن يدين المجتمع الظالم إلا بالانتحار وهذا أسلوب الضعفاء .

وكشفت هذه الدراسة أيضاً عن الظروف الصعبة التى عاشها الشاعر فى مجتمع مفكك مضطرب ، أوقدت فى نفسه جذوة اليأس التى أحرقته فى ريعان شبابه .

إننا فى أمس الحاجة لمثل هذا النوع من الدراسات الجادة والمنصفة ، التى تطلق سراح الأعمال الأدبية الجيدة الحبيسة ، وتعطيها حريتها فى التعبير عن نفسها ، وتعيد إليها حقها المهضوم فوق الساحة الأدبية .

محمد عبد الهادى محمد
المدرس المساعد بكلية الآثار
جامعة القاهـــرة

حول فكر العدو الصهيوني

إيماناً منى بالدور الرائد الذى تقوم به مجلة الدوحة فى الحياة الفكرية والأدبية فى العالم العربي أود أن أتساءل :

أليس من واجب « الدوحة » أن تلقي بعض الضوء حول الفكر الصهيـــوني أو « الادب الصهيوني » إن جاز التعبير ، لنعلم حقيقة هذه العقلية التى بلغ بها الصلف أشده - ؟

حسام أبو عساكر
الرياض ـ السعودية

ماذا يفعل كتابنا الشبان ؟

شبابنا العربي القادر على التأليف والكتابة بأنواعها ، يعيشون مشكلة لها أساس اقتصادي ومعنوى .

فامكانياتهم المادية لاتسمح لهم بطبع مؤلفاتهم ، كذلك فان دور النشر لا ترحب إلا بالمؤلفين والكتاب المعروفين ، حتى تضمن توزيع وبيع مطبوعاتها لأنها تقدم عملا تجارياً لا إسهاماً ثقافياً .

وقـــد سئـل احد الكتـــاب المعروفيـــن عـــن رأيـــه فى هـــذه المشكلة فقال إنه لكي تظهر مؤلفات شبابنا الناشيء ، يجب عليهم أولا أن يتولوا بانفسهم طبع إنتاجهم على حسابهم الخاص حتى ينتشر اسمهم ويعرف ، وبعدها سيذهب الناشرون إليهم يطرقون عليهم الأبواب .

ولكن .. من أيـــن لشبابنـــ بتكاليف الطباعة وقد أصبحت مرتفعة إلى حد معجز ؟

أمر آخر ألفت النظر إليه : لكي يرقى ويتعمق مستوى انتاج الشباب ، لابد لهم من القراءة .. القراءة الكثيرة .. والكتب أثمانها مرتفعة وفوق طاقة شبابنا .. فهل نطمع فى أن يزيد المسئولون من عدد « المكتبـــات العامـــة » ويتعهدوها بكل ماصدر ويصدر فى الأدب والفكر والفن والحياة لنتيح للشباب فرصة أكبر للقراءة والاطلاع - ؟

مهندس / السيد محمد شقيق
القاهـــرة

لا .. يا دكتور الشباب يعرف !

استوقفتني الورقة الأخيرة التى كانت تحت عنوان « عندما يغدو التراث مسرحاً يلعب فيه الصغار » للكاتب الدكتور عماد الدين خليل .

وقد خرجت من قراءتها وإمعان النظر فيها فلم اجد إلا حملة على طلاب يدلون برأيهم فى التراث ، والحملة مزودة بـ « دوجماطيقية » .. وإلا فهل يعقل تصور طالب جامعي تشغله مشكلة التراث والتجديد ، فينظر فى تراث الأقدمين ويخرج من ذلك بشيء يصلح لعصره ، خليق بأن يقذف به فى النار ـ كما أشار بذلك هيوم ـ !

هل يعقل أن مثل هذا الطالب لايعرف ـ على حد تعبير الكاتب ـ التسلسل الزمني للخلفاء الراشدين ، ولا فى أي سنة هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة .. ولماذا ؟! . هل يعقل كذلك أن يسعى إنسان لأن يكون عربياً من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ، ومع ذلك يريد أن يكون عربياً يعيش فى عصره ، ولا يعرف من هو طه حسين أو العقاد أو هيجل أو سارتر -!؟

كان الأفضل لو أن كاتب المقال ـ د. عماد الدين خليل ـ أدلى فى قضية الأصالة والمعاصرة برأي جديد ، أو يذكرنا بدرس نتعلمه من الأوائل .

صلاح اسماعيل عبد الحق
كلية الآداب ـ جامعة القاهرة

ردود سريعة

● الى الاديب الكاتب الكبير الأستاذ الدكتور كامل سعفان

يمكنكم رفع قضية امام المحاكم ، وقد انصف القضاء كل الحالات المشابهة عندما عرضت عليه .

مع تمنياتنا الطيبة وتقديرنا الكبير لما تكتبون .

● سامى حسين محمد
إنشاص الرمل ـ مصر

يؤسفنا اننا لا نســـتطيع تزويدك بالأعداد الســـابق صدورها من المجلة ويمكنك أن تبحث لدى بعض المكتبات ودور النشر التى تقوم بمتابعة الأعداد وتجليدها وبيعها للراغبين .

● حسين عوض موسى
بكالوريوس علوم ـ طنطا

شكراً على كلماتك الرقيقة وشعورك الطيب . اما عن انتاج القراء فان المجلة تفتـــح صفحاتها لكل إنتاج ذى مستوى جيد .

● القارىء جمال ابراهيم يوسف ـ بركة السبع ـ ج . م . ع :

المجلة تهتم بالآداب العالميـــة ولو تصفحت الأعداد السابقة لوجدت هذا واضحاً .

● القارئة الآنسة خضراء طلاح ـ تيسمسلت ـ الجزائر :

نشرت المجلة دراسة عن الشاعر نزار قبانى تجدينها فى الأعداد السابقة .

عندما أصبح الغن يسمح للقتلة والسفاحين أن يقولوا رأيهم... فماذا قالوا...؟!

إمـــرأة تـــدعى جولـــدا.. وأشـــياء أخـــرى مـزعـجـة !

شهدت امريكا أخيراً ، الفيلم التليفزيونى الطويل « امرأة تدعى جولدا » الذى يؤرخ لحياة « جولدا مائير » .. الفيلم من جزئين .. كل جزء ساعتان !!

لعبت الممثلة السويدية العالمية ، « انجريد برجمان » دور جولدا .. فيما يقال عنه ، انه واحد من أهم أدوارها السينمائية .. فقد استطاعت ان تتقمص من خلال ماكياج دقيق ، وتدريب خاص على الحركة والكلام .. لتعطى نموذجاً مشابها تماماً لجولدا مائير ..

تم تصوير الفيلم بأكمله فى اسرائيل ..

أنفقت شركة « بارامونت » الامريكية ، أربعة ملايين دولار لانتاج هذا الفيلم .. ضم الفيلم ٧٥ ممثلا اسرائيلياً ، فى ادوار رئيسية وثانوية .. وعمل أيضاً أكثر من ٧٠ اسرائيلياً فى مختلف الفروع الفنية للفيلم . مما شكل هذا العدد نسبة ٩٥٪ من مجموع العاملين فى الفيلم! !



انجريد برجمان ٦٧ عاما اصطادوهـا فى اسرائيل

سينما

بقلم: رؤوف تـوفـيـق

● اسرائيل .. واليهود مرة أخرى !!

انهم لا يكفون عن التذكير بانفسهم .. معاناتهم .. واضطهادهم .. وبطولاتهم .. وانتصاراتهم .. وأهم شخصياتهم .. واحلامهم !

انهم لا يكفون عن الضجيج وقرع الطبول

الممثلة « فاي دونا واى» فى اخر افلامها تلعب دور « ايفا براون » قبل ان ترتبط بالعمل مع المخرج الاسرائيلي .



.. وكأن العالم يجب ان يكون مشغولا بهم دائماً .. وألا ينساهم أبداً .. سواء فى الواقع اليومى .. أو فى الادب والفن . !

وها نحن نعود للحديث عن اسرائيل واليهود .. وكأننا على موعد .. فقد اكتشفت ان الصدفة وحدها .. هى التى جعلتنى على مدى أربع سنوات متتالية .. وفى شهر سبتمبر بالذات .. اكتب « للدوحة » عن هذا الموضوع .. وما يفعله اليهود داخل اسرائيل أو خارجها فى مجال الفن وبالذات .. السينما !

ففى هذه الأيام من كل عام ، أكون قد عدت من مهرجان « كان » السينمائى ، مشحوناً بهذه الرؤية الغنية لمختلف التيارات الفكرية والسينمائية فى هذا الملتقى العالمى مسنوداً بهذا الرصيد المتجدد من الكتب والدراسات واللقاءات والنشرات الصحفية عن مختلف ما تنتجه السينما فى العالم ..

ولابد ان يكون بينها آخر ما يفكر فيه هؤلاء القوم فى اسرائيل وخارجها .. وآخر ما يقدمونه من الأفلام .. وأيضاً ما يخططون له ! .

وفى هذا العام .. ومع احداث لبنان الدامية ، والغزو الاسرائيلى الهمجى القذر .. وصور الخراب والدمار الكاسح .. وجثث الشهداء والأطفال الابرياء ، والجرحى الذين فرض عليهم الحصار الوحشى .. تذكرت هذه الكتيبات والنشرات الصحفية التى كانوا يلقونها فى صناديق الصحفيين والنقاد المشتركين فى مهرجان كان .. وما كان يحفل به صندوقى كل يوم من بعض هذه المواد اللامعة المصقولة والمليئة بالدعاية لنشاطهم وافلامهم .

كنت قد قررت فى لحظات الغضب والأسى لما يحدث فى لبنان .. ألا أفتح هذه الأوراق .. وان أسقط من ذاكرتى بعض ما شاهدته لهم من افلام .

ولكنى عدلت عن قرارى .. لكى افهم أكثر كيف يتحركون فى العالم .. وكيف يؤثرون فى الرأى العام .. وكيف يبيعون السم فى الأشرطة السينمائية الملونة .

صحيح .. ان الذين يتعاملون فى سفك الدماء .. ويتفننون فى الخراب والابادة والقتل الجماعى .. لا يمكن ان يصنعوا فناً !

فالفن أساساً حب .. وجمال .. وتبشير بالحياة والأمل ..

ولكن مع اختلال الموازين فى العالم .. وسيادة روح العنف والارهاب .. أصبح الفن أيضاً يسمح للقتلة والسفاحين أن يقولوا رأيهم ! !

سينما

عندما أصبح الفن يسمح للقتلة والسفاحين أن يقولوا رأيهم... فماذا قالوا...؟!



انجريد برجمان اثناء تصوير الفيلم ، تجلس فى اقصى اليسار مع بعض ممثلي الفيلم ومنتجه !



المنتج الامريكي « جين كورمان » الذى أعلن انه يفضل العمل فى اسرائيل لانها ارخص بلاد العالم (!!) .

● الممثلة التى اقنعوها بحب « جولدا مائير »

انهم يتحدثون بفخر شديد عن فيلم « امراة تدعى جولدا » .. وعندهم عشرات من التفاصيل عن الموضوع .. وجولدا الزعيمة الاسرائيلية .. وجولدا الممثلة انجريد برجمان .. وعن الانتاج الامريكى .. وعن التصوير وبناء الديكورات للمواقع الاسرائيلية كما فى الحقيقة .. و .. و ..

انهم بارعون جداً فى الدعاية ..

يقولون فى نشرة الفيلم الاسرائيلى لهذا العام .. « ان اعداد قصة حياة شخصية معروفة .. امر غير سهل .. وهو امر اكثر صعوبة فى حالة « جولدا مائير » حيث يجب ان توازن بين قوة امراة رائدة .. ورقة ام يهودية ..(!!) » .

ويقولون .. ان الفيلم يغطى سبعين عاماً من حياة جولدا مائير ، منذ ان كانت طفلة صغيرة فى روسيا .. حتى هجرتها الى فلسطين .. وانضمامها الى الحركة اليهودية .. ودورها فى قيام دولة اسرائيل .. افكارها ، ومخططاتها ، ومعاركها حتى مرحلة تولى رئاسة الوزارة الاسرائيلية من عام ٦٩ الى عام ٧٤ .. ثم وفاتها فى ديسمبر ٧٨ .

وتقول انجريد برجمان التى سمحت ان يغيروا وجهها الجميل الهادىء .. الى نسخة اخرى من جولدا .. تقول : « قلبى سيطر على تفكيرى .. وسقطت فى حب جولدا مائير .. انها صادقة جداً ، مخلصة ، مرتبطة بالأرض .. وليس فيها اى شىء مزيف » (!!) .

وقد كانت انجريد برجمان فى زيارة سياحية لاسرائيل فى فبراير ٨١ .. وهى اول زيارة لها لاسرائيل ، وكانت بهدف رؤية بعض الاماكن الدينية المقدسة .. وهناك « اصطادها » المنتج الامريكى « جين كورمان » والذى اصبح شبه مقيم فى اسرائيل ، حيث يصور كل افلامه هناك .. وكان آخر افلامه « الاحمر الكبير » الذى اخرجه صمويل فوللر ولعب بطولته «لي مارفن » واشتركت به امريكا فى المسابقة الرسمية لمهرجان كان ٨٠ (راجع مقال الدوحة سبتمبر ٨٠) .

وبذكاء شديد طرح المنتج الامريكى ممثلون مراهقون وموضوع يعتمد على الاثارة وافلام سريعة الربح .. هذا ما تفكر فيه الشركة الاسرائيلية .



مشهد من فيلم « آخر فتاة امريكية عذراء » احدث افلام الشركة الاسرائيلية .





المخرج الاسرائيلي « مناحم جولان » على اليسار مع شريكه الجديد الذي يملك شركة انتاج تليفزيوني !



سيارة موديل عام ١٩٢٣ ، استخدموها لتركيبها الممثلة التى تلعب دور جولدا مائير اثناء جولتها فى المستعمرات الاسرائيلية فى فلسطين !

« كورمان » على الممثلة الذائعة الصيت « انجريد برجمان » ان تلعب دور جولدا مائير .. ودبر مواعيد مع بعض المسئولين فى الحكومة الاسرائيلية لاقناعها بالدور .. وعرضوا عليها مجموعة من الأفلام الأخبارية عما كانت تفعله جولدا مائير .

بعد هذا بثلاثة اشهر .. كانت « انجريد برجمان » قد تلقت سيناريو الفيلم كاملا .. وبدا الاستعداد للعمل . !

ويقال ـ كما نشرت جريدة نيويورك تايمز ـ ان صديقاً لانجريد برجمان .. وهو « سيدنى برنستين » صاحب شركة تليفزيون انجليزية .. اقنعها بقبول الدور على اساس انه افضل علاج لها من عذاب السرطان والخوف من انتشاره فى جسدها .. بعد ان اصيبت به عام ٧٤ .

وكما يؤكد المنتج « كورمان » الذى تولى انتاج هذا الفيلم ان انجريد برجمان شعرت بتعاطف شديد مع شخصية جولدا مائير .. وعلى حد تعبيرهم : « ان كلتيهما قد اصيبتا بمرض خطير .. وكلتاهما ضحتا بحياتهما الشخصية فى مقابل العمل .. جولدا مائير ضحت بزواجها لبناء الدولة الاسرائيلية .. وانجريد برجمان ضحت بزواجها واطفالها من أجل الاستمرار فى السينما .. » (!!) ويضيف المنتج قائلا : « لا يفهم تضحية امراة من هذا النوع .. الا امراة مثلها » ! .

وتؤمن انجريد برجمان على هذا الراى فتقول : « اننى افهم عقدة الذنب عند جولدا مائير امام أطفالها .. فقد عشت هذا الاحساس بالذنب طوال عمرى » ! .

وهكذا اقنعوها ..

تقول فى نفس الحديث الصحفى بجريدة نيويورك تايمز .. انه بعد فيلم « سوناتا الخريف » الذى مثلته من اخراج انجمار برجمان .. لم تجد دوراً مناسباً يحمسها لان تلعبه : (انهم لا يكتبون افلاماً لامراة فى سنى .. سوى ادوار الجدات اللاتى يعشن فى الاركان » .

ولهذا قبلت الممثلة المشهورة ـ والتى يتجاوز عمرها الآن ٦٧ عاماً ـ ان تمثل دور جولدا مائير لاقتناعها الشخصى باهمية هذه المراة : « انها امراة يعرف اسمها الجميع .. ولكنى أطمع فى ان يعرفونها اكثر » !! .

« عشيق الليدي شاترلي » رواية « د.هـ.لورانس » التى حولتها الشركة الاسرائيلية إلى فيلم لتكسب ـ فقط ـ الأرباح !



« سيلفيا كريستل » التى ارتبط اسمها بافلام الاثارة .. وكما تبدو هنا فى فيلم « عشيق الليدي شاترلي »





« انجريد برجمان » فى اخر افلامها « سوناتا الخريف » قبل ان تمثل دور جولدا مائير



« شين كونري » هو الاخر يقبل العمل مع الشركة الاسرائيلية .

سينما

عندما اصبح الفن يسمح للقتلة والسفاحين أن يقولوا رأيهم... فماذا قالوا...؟!

● ماذا فعلوا .. لكى يخلقوا الاسطورة ؟

وقد استدعى تصوير احداث هذا الفيلم .. ان يعيدوا بناء « الكنيست » داخل الاستوديو .. كما اعادوا بناء قطاع يمثل فلسطين فى الأعوام من ١٩٢٠ ـ ١٩٤٠ .. وأن يحولوا احدى معسكرات الجيش فى القدس الى معسكر يماثل ما حدث فى قبرص عندما نزل اليها عدد ضخم من المهاجرين اليهود فى طريقهم الى اسرائيل .. فاعتقلتهم السلطات القبرصية .. مما جعل جولدا مائير تسافر إليهم لترحب بهم .. ويصور الفيلم أطفال المهاجرين وهم يستقبلونها بالزهور المصنوعة من الأوراق .. حيث لا يستطيعون الحصول على زهور حقيقية للترحيب بها » !! .

وهكذا صنعوا الاسطورة .. ويبيعونها الآن للتليفزيونات العالمية !!

● الرجل الداهية .. فى امريكا

فى نفس الوقت الذى يتحرك فيه المخرج الاسرائيلى « مناحم جولان » بين مئات الملايين من الدولارات فى شركته السينمائية المعروفة باسم « كانون » والتى انشاها فى هوليود بالولايات المتحدة ..

لقد كان أكبر مخرج اسرائيلى وأكثرهم نكاء ومقدرة على تنفيذ مخططات الدعاية للحكومة الاسرائيلية .. اما الآن فقد أصبح العقل المدبر لشركة سينمائية امريكية .. تنتشر كالأخطبوط وبسرعة مذهلة من الولايات الامريكية الى أوربا واليابان .

وقد ذهب « مناحم جولان » الى مهرجان كان .. ليقيم أضخم حملة دعاية للنجوم الذين تعاقد معهم على بطولة افلام شركته .. لافتات وملصقات هائلة .. حفلات كوكتيل .. وسهرات باذخة .. وشراء صفحات يومية من جرائد المهرجان للاعلان عن افلامه .

واذا اردنا ان نتابع حجم أعماله .. نعود الى المقالات السابقة والتى كتبتها فى الدوحة (سبتمبر ٧٩ ـ واكتوبر ٨٠) .. حيث أشرت فى مجال تحليل هذه الظاهرة اليهودية .. ان هذا المخرج الاسرائيلى اختار ان ينتقل الى امريكا .. « لأن امريكا هى نصف العالم .. وعلينا ان نتعامل على هذا الاساس » .. « أول انتاج للشركة ثمان افلام تكلفت ميزانية قدرها عشرون مليون دولار » .

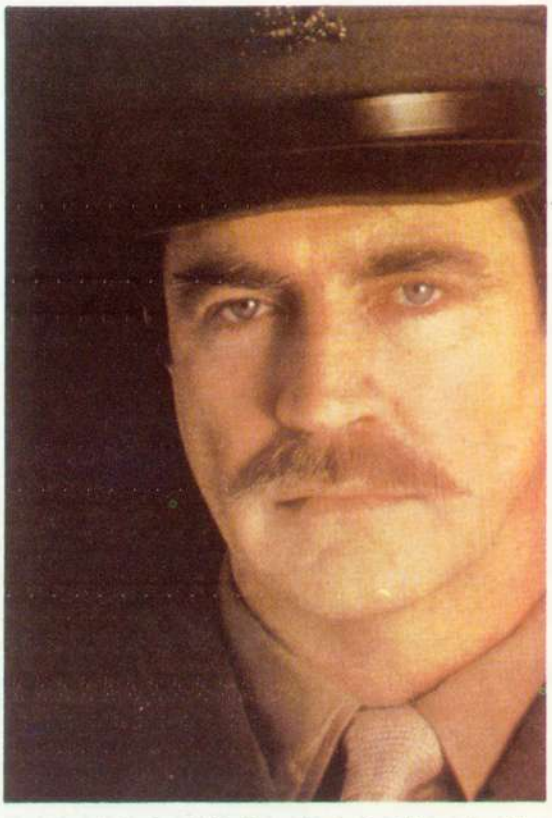
اما هذا العام .. فهو يصرح لمجلة « السينما الفرنسية » فى احد اعداد مهرجان كان .. بأن ارباح شركته فى العام الماضى وصلت إلى أربعة وعشرين مليون ونصف مليون دولار .. « وقد اضفنا هذه الأرباح على أصول شركتنا السينمائية لنتمكن من انتاج الافلام الكبيرة » .

● انه يقول :

يقول فى توضيح خطته : « نحن نعرف ان كل شخص فى العالم يرغب فى مشاهدة فيلم امريكى .. ولكن هذه الأفلام الامريكية الكبيرة لم يعد ممكنا الآن صنعها .. ولهذا قررنا نحن ان نصنعها .. ففى حين ان أغلب الاستوديوهات الامريكية خفضت انتاجها ٥٣٪ .. وأصبح عدد كبير من النجوم والفنيين بلا عمل .. ولهذا قررنا ان ننتج افلاما كبيرة بميزانيات صغيرة .. وقد اثبتنا على اننا قادرين على البقاء فى السوق العالمى .. وقادرون على ان نكون عظماء » (!!) .

هكذا يتكلم .. ولنا ان نفهم معنى كلماته .. حينما يقول « فى اثناء فترة انعقاد مهرجان كان هذا العام .. استطعنا ان نعقد صفقات بيع لأفلامنا تجاوزت ٣٥ مليون دولار » ! ويضيف « فمادمت فى كان .. فانت داخل السوق السينمائى للعالم كله حيث يتجمع فى مكان واحد .. مما يعطى افلامك دفعة قوية .. وما علينا الا ان نتحرك » !

وقد نشرت الصحف الفرنسية اثناء فترة مهرجان كان .. ان صاحب شركة (فياكون) للانتاج التليفزيونى دخل شريكا مع شركة « كانون » بميزانية قدرها مائة مليون دولار



« آلن بيتس » وافق على العمل مع الشركة الاسرائيلية لانه سيقبض ٥٠٪ من أرباح الفيلم !!



الممثلة « سيلفيا كريستل » كما يعدونها الآن لتمثل احد أفلام الشركة الاسرائيلية فى امريكا وهو فيلم « ماتا هاري » الذى سبق وان قدمته من قبل « جريتا جاربو » ويعد من كلاسيكيات السينما الامريكية .

للانتاج التليفزيوني فى عام ٨٢ ـ ٨٣ .

● قائمة من النجوم .. تنضم إليه

ولكى نفهم كيف يتعامل هـــذا العقل اليهودى مع نجوم السينما .. علينا ان نقرأ هذا التصريح الذى أدلى به مناحم جولان حينما قال .. « ان شركتنا السينمائية تتكون من ٢٧ شخصاً فقط يتولون أعمال الادارة .. ومعنى هذا ان مصاريفنا الادارية منخفضة .. مما يمكننا من اعطاء نسبة أرباح عالية لمن يتعاون معنا .. ولهذا وافق بفرح شديد كل من « فاى دوناواى » و « آلان بيتس » لأن يعملا معنا بنسبة ٥٠٪ من الأرباح » !! .

وقائمة الممثلين الامريكيين النجوم الذين قبلوا العمل فى هذه الشركة التى يملكها هذا المخرج الاسرائيلى وزميله « جلوباس » المنتج الاسرائيلى ايضاً .. تضم القائمة عدداً يثير الدهشة .. فمن بينهم « شين كونرى » ـ « شارلز برونسون » ـ « روبرت ميتشوم » ـ « مارتن شين » ـ « سيلفيـــا كريستل » ـ « اليوت جولد » .

اما نوعية الأفلام التى ينتجونها ـ حتى الآن ـ فهى اما أفلام بوليسية ـ أو أفلام كوميدية ـ أو أفلام المغامرات والاثارة .. اى الافلام التجارية التى تغطى تكاليفها وتربح من الانتشار فى دور السينما الصغيرة وعلى مساحة امريكا كلها وأوربا واليابان ..

● صفقات .. صفقات

ومن ذكائهم انهم عرفوا ان احد ملوك دور السينما فى انجلترا يعانى أزمة ماليـــة .. فعرضوا عليه شراء ١٣٠ دار عرض سينمائى فى انجلترا مقابل ١٤ مليـــون دولار !!

يقول المخرج « مناجم جولان » عن هـذه الصفقة :

« لقد كانت مشكلتنا اننا لا نملك دور عرض فى انجلترا .. اما الآن فقد اصبحنا من ذوى دور العرض بحيث يمكننا ان نعرض افلامنا كما نشاء .. وان نتولى ايضاً عرض افلام منتجين آخرين » !!

رجل بهذه العقلية .. يتشمم الصفقات الرابحة .. ويتحول من رئيس لشركة تتعامل بعشرين مليون دولار .. الى رئيس شركة تلعب بمئات الملايين .. ويستطيع ان يجند الى جانبه كبار الممثلين .. كل هذا فى ظرف عامين ..

ماذا يمكنه ان يفعل فى خمس سنوات ؟!

وهـــل سيكتفى بالأفلام الخفيفة المسلية .. ام أنه سيكشف عن هويته الحقيقية .. العنصرية اليهودية .. والتعاليم الاسرائيلية لغزو العالم فكرياً ؟

● السؤال الذى يجب ان يزعجنا

انهم يتحركون بسرعة .. وبخطه محكمة للانتشار ..

يطلقون الرصاص .. ويقتلون الابرياء .. ويهدمون البيوت .. ويسرقون الأرض .. وفى نفس الوقت يصنعون الافلام ويعزفون الموسيقى .. ويغنون .. !!

كيف يمكن ان يستوى هذا ؟ !

وماذا نحن فاعلون ؟ ! انه السؤال الذى يجب ان يزعجنا !

« رءوف توفيق »

ضحكات الشهر

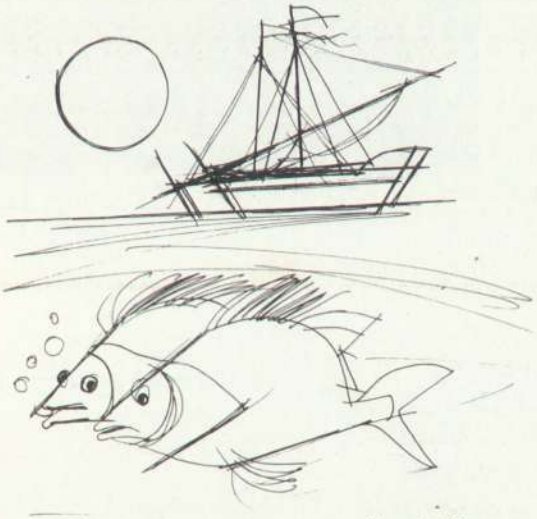


صلاح البشتي

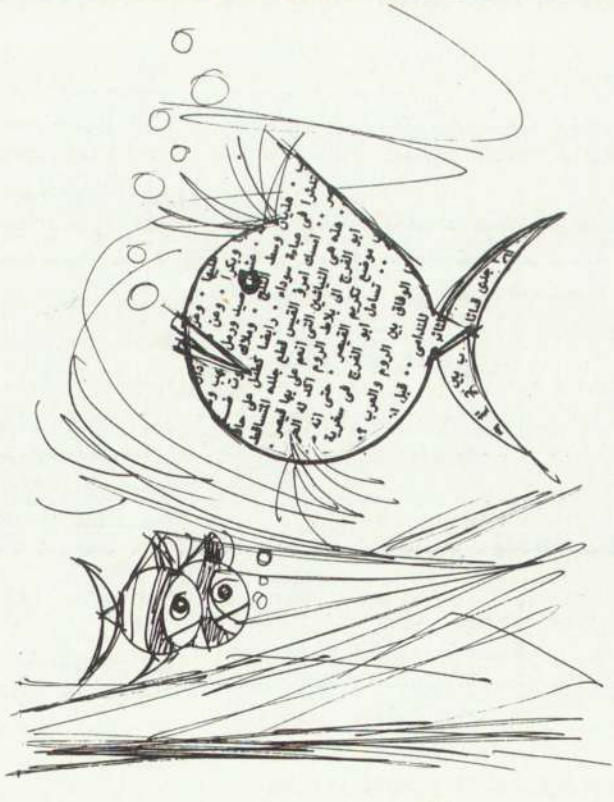


سمكة لسمكة ـ حر جدا ..
ماتيجي نخـرج شوية .. !!

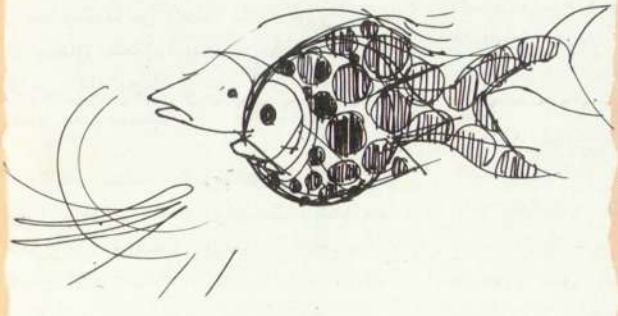




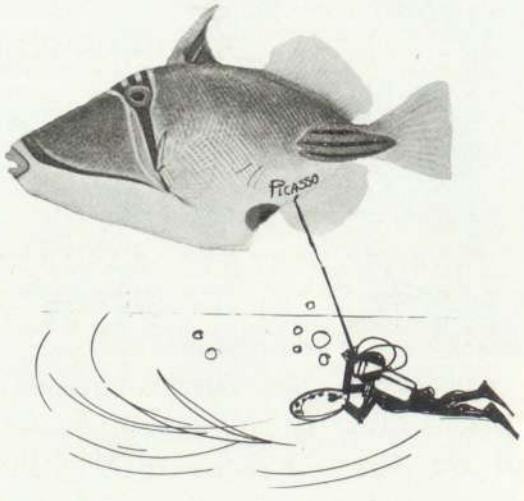
سمكة لسمكة ـ انا محتاجة « مخرج »
شاطر يقدمنى للجمهور ... !!



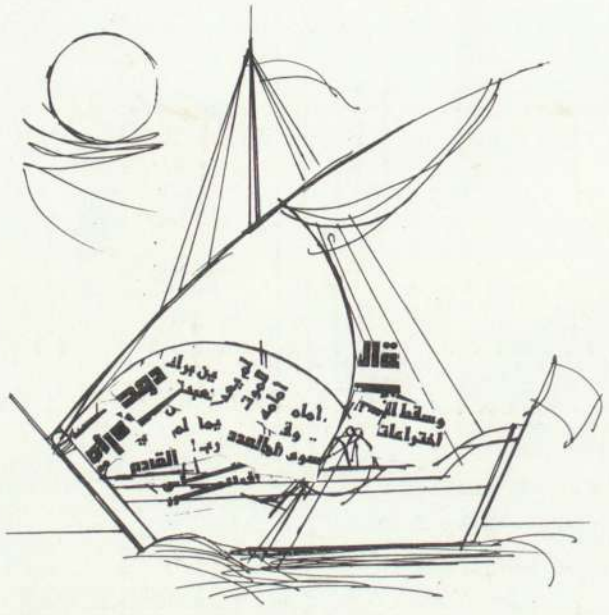
سمكة لتانيه : .. كلام عايم .. !!



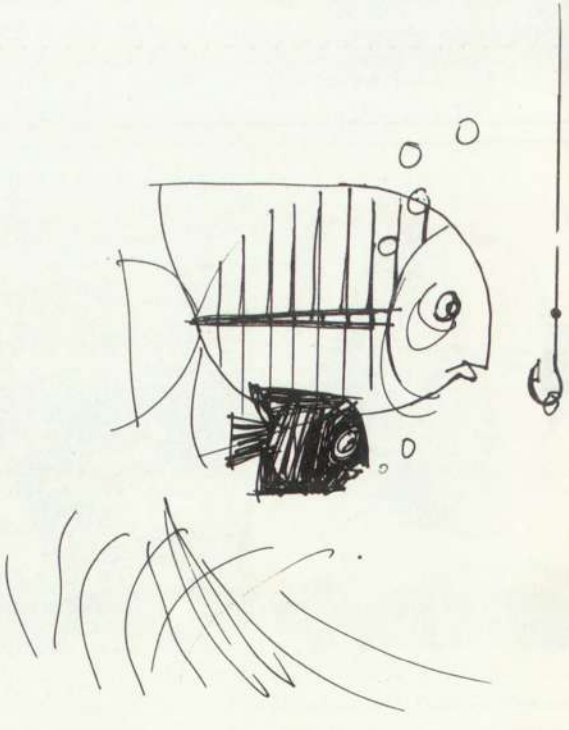
(السمك الراقص)
ـ مين اللي نقطـــك .. ؟؟



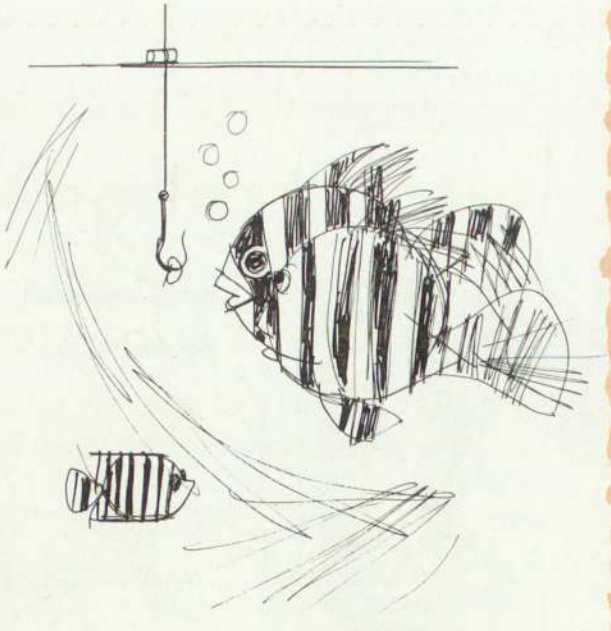
... !!



ـ صيد من بحور الشعـر .. !!



ـ خارجة اشتري لحمـــه !!



ـ .. عيب ما تخرجيش بالبيجامـة .. !!



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

يرجى من الاصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجى أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافات .

حاول أن تعرف



هذه الجزيرة احدى بلاد الكومنولث المستقلة يعيش بها اليونانيون ، والأتـــراك وكثير من الجنسيات الأخرى .. تشتهر بانتاج النحاس وزراعة العنب وتعد من البلاد الجبلية ما اسم هذه الدولة . واين تقع؟



هذه اللوحة من أعمال أعظم فناني النهضة الايطالية ، درس ومارس الرسم منذ صغره بفلورنسا ثم بروما ، زامـل الفنان مايكل انجلو وليوناردو دافنشي ودرس اعمالهم وتلقى الكثير عنهم .. لم يستخدم الاوضـــاع الجامدة التى كان الرسامون المبكرون يتميزون بها ، بل ركز على شخصية الشخص الذى يرسمه . وقد توفى عام ١٥٢٠ فى سن السابعة والثلاثين .

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٧٩



١ المملكة العربية السعودية وتقع فى قارة اسيا فى شبه الجزيرة العربية .

١ ـ خير ثابت احمد محمد ـ مصر

٢ ـ فؤاد سعيد ناشر ـ الجمهورية العربية اليمنية .

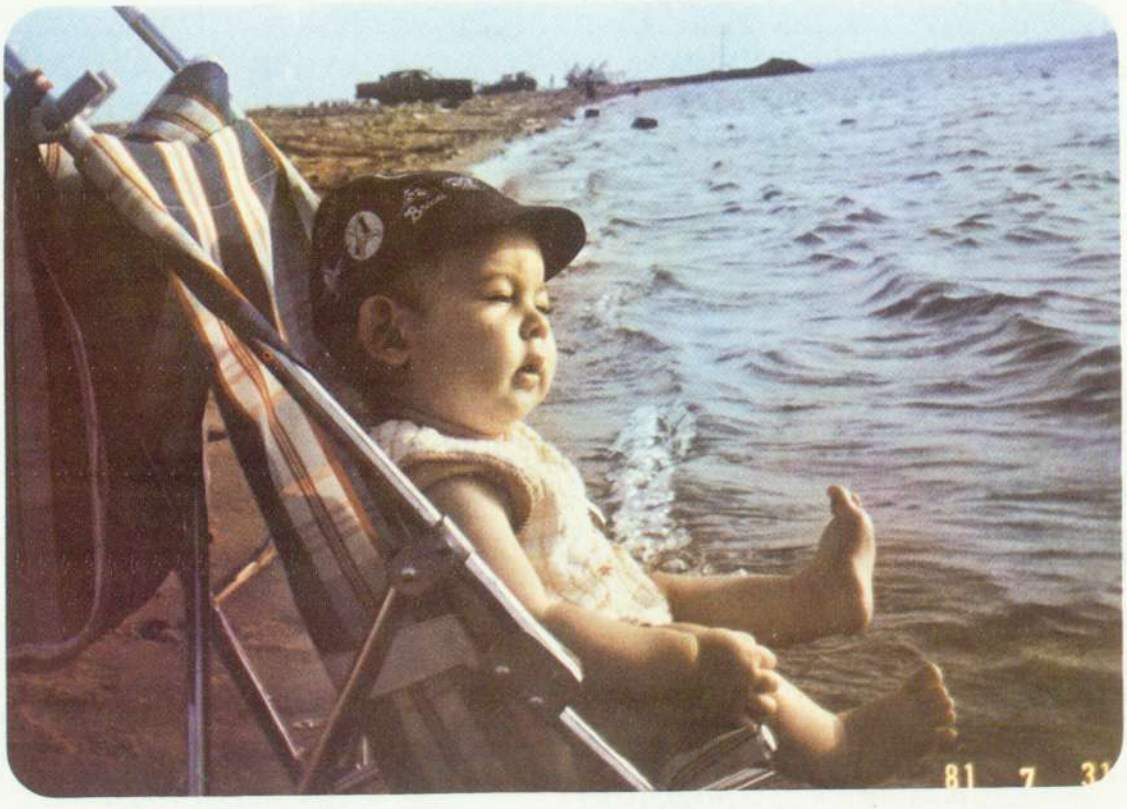


٢ الكاتب المسرحى الانجليزى وليم شكسبير

١ ـ عبد الوالى أحمد محمد ـ المملكة العربية السعودية .

٢ ـ أحمد عثمان علي أحمد ـ السودان .

لقطة الشهر



لحظة تأمل بريئة على الشاطئ

لماذا أغلقوا الصحيفة؟

فقد مواطن انجليزي كلبه ، فنشر إعلانا باحدى الصحف يتعهد فيه بدفع مبلغ مائة جنيه لمن يرد اليه كلبه الثمين ..

وعندما لم تظهر الصحيفة لدى الباعة في صبيحة اليوم التالي ذهب الى مكاتب تحريرها فوجدها مغلقة ، ولم يجد أحد سوى الحارس .

فسأله قائلا :

ألن تصدر الصحيفة اليوم - ؟ .

– كلا ياسيدي !

لماذا - ؟

– لأن المحررين ذهبوا للبحث عن كلب مفقود !

محمود محمد طه
السودان

لماذا سمّوها جزر الكناري؟

قد يظن البعض أن اسم تلك الجزر مشتق من اسم الطائر المعروف ... ولكن المتتبع لتاريخ تلك التسمية يكتشف أن أول من اطلقها هو الكاتب الكلاسيكى القديم (بلينى) . وذلك لوجود اعداد كبيرة من الكلاب الضخمة التى تنتمى الى الفصيلة المسناه « كناريا » .

وجزر الكنارى مجموعة مكونة من سبع جزر رئيسية تقع فى المحيط الأطلسى قرب الساحل الأفريقى ، ويبلغ مجموع مساحتها حوالى سبعة الآف وثلاثمائة كيلومتر مربع .. وتلك الجزر خصبة التربة ومناخها معتدل وينمو فيها البن وأشجار النخيل والحمضيات والموز وقصب السكر والتبغ والتين والبطاطا والعنب وغيرها ..

وفى عام ٩٩٩ للميلاد نزل العرب جزر الكنارى وتاجروا هناك ... وهى تعد منطقة سياحية مزدهرة يبلغ عدد سكانها حوالى مليون ومائتى ألف نسمة .

وحتى عام ١٩٢٧ كانت تلك الجزر تشكل مقاطعة أسبانية واحدة ... إلا أنها قسمت فى تلك السنة الى مقاطعتين بسبب التنافس بين الميناءين الرئيسيين فيها : لاس بالماس وسانتا كروز .

عائشة محمد شلش
مصر الجديدة

دوحة القراء



مسابقة الدوحة

مَن ؟

حاكم مسلم عادل تربطه صلة نسب بحاكم مسلم عادل ، حتى أصبحا المثل الأعلى فى التاريخ كله عدلا وقوة فى الحق وخشية لله .

اسمه من أربع كلمات فى أربعة عشرة حرفاً :

٩ ـ ١٠ ـ ١ ـ ٥ ـ ٧ ـ ٣
طيب يستخرج من الحوت
٢ ـ ١٢ ـ ٦ ـ ١٤ ـ ١١
غير ثابت أو مستقر
٨ ـ ٤ ـ ١٣ إمارة عربية

أين ؟

المدينة العربية التى اشتهرت بالف مئذنة ، وحفظت اللغة العربية من الضياع خلال عصور التأخر والانحطاط وبها نشأت أقدم جامعة فى العالم قاطبة . اسمها من سبعة أحرف :

١ ـ ٦ ـ ٥ ـ ٤ ـ ٣ شدة التعب
٧ ـ ٢ أرض مرتفعة

ما ؟

حادث فى صلب العقيدة الاسلامية هو الذى يربط قلوب بليون انسان معاصر بقضية فلسطين ويحفزهم إلى الاستشهاد فى سبيل تحريرها وإعادتها لحوزة الاسلام ، ألفاظه من خمسة عشر حرفاً فى كلمتين :

٩ـ٢ـ٣ـ١١ـ١٠ ليس اليأس
٤ ـ١٣ ـ ٦ ـ ١٥ اداة للنور
١٢ ـ ٨ ـ ٥ ـ ١ ـ ٧ لها عين واحدة فقط
٢ ـ ١٤ حرف نفي

الإجابة الصحيحة

(١) ولد رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بعد ميلاد المسيح عليه السلام سنة :
٥٧١ ـ ٦٤٢ ـ ٨٠١ م

(٢) « تقل كثافة الماء كلما انخفضت حرارته عن درجة أربعة مئوية »
هل هذه العبارة صحيحة علمياً ؟

(٣) نخلة البلح من النباتات :
وحيد الخلية ـ السرخسية ـ أحادية الفلقة

(٤) ثلاثة من الشعراء أدناه من شعراء الفردوس الذى فقدناه ، الأندلس :
ابن عباد ـ ابن دراج القصطلي ـ ابن زيدون ـ ابن خلكان ـ ابن العميد .

(٥) تقع مدينة اسطامبول التى كانت عاصمة الخلافة الاسلامية على مضيق :
باب المندب ـ جبل طارق ـ البوسفور ـ ماجلان .

(٦) الخلفاء الراشدون هم :
هارون الرشيد ـ عمر بن الخطاب ـ أبو بكر الصديق ـ أحمد بن طولون ـ صلاح الدين الأيوبي ـ عثمان بن عفان ـ علي ابن أبى طالب ـ ابو جعفر المنصور .

(٧) توفى أمير الشعراء أحمد بك شوقي سنة :
١٨١٢ ـ ١٩٣٢ ـ ١٩٤٨ م .

(٨) الزاوية بين عقربي الساعة عندما يكون الوقت التاسعة والربع قدرها :
١٨٠ درجة ـ سبعون درجة ـ ١١١ درجة .

(٩) تقاس شدة التيار الكهربائي بوحدة تسمى :
الفولت ـ الامبير ـ الجاوس ـ الفراد ـ الانجستروم

(١٠) سقى وادياً بين العريش وبرقة ....
أكمل البيت واذكر اسم قائلة ..

حل مسابقة العدد ٧٩

الاجابة الصحيحة
١ ـ اللؤلؤ ـ المرجان ـ المرمر المصري
٢ ـ الجودوي
٣ ـ لا ليست صحيحة
٤ ـ الألومنيوم

وسعت كتاب الله لفظا وغاية
وما ضقت عن آي به وعظات

٥ ـ قائل هذا البيت حافظ ابراهيم فى وصف اللغة العربية
٦ ـ الرخويات
٧ ـ ١٨٤٠
٨ ـ ١٩٠٤
٩ ـ ابن مكي الصقلي
١٠ـ ماكس بلانك .

من : ابو لهب
أين : غار حراء
ما : القلم

أسماء الفائزين في مسابقة

١ ـ خيال من : د / طه حسين .
الفائزون : ـ ثاني علي عبد الله ـ قطر
ـ حلمى حلمي محمد المتولى ـ مصر
٢ ـ لوحة لم تتم : جان بول سارتر
ـ نواف يوسف الشبعان ـ البحرين
ـ شكرى البامومنى ـ تونس
٣ ـ لعبة الظلال : رقم ٣
عادل أحمد حسن أبو حسين ـ الأردن
عبد الله الدرمكى ـ الامارات العربية
٤ ـ لأقوياء الملاحظة فقط :
كمثرى ـ منقلة ـ خاتم ـ ريشة كتابة ـ مشـــط ـ بزازة طفل
ـ ياقوت خميس ياقوت حسين ـ مصر

أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة القاريء :

● نديم ابراهيم الملاح ـ حلب ـ سوريا

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة القاريء :

● محمد الحسيني عبد الكريم . المنيا ـ مصر

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة القاريء :

● محمد نجيب المسعودى ـ تونس .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ خالد محمد أبو حميرة ـ ليبيا
٢ ـ وفاء اسماعيل حسن عامر ـ مصر
٣ ـ مايسة عباس محمد عامر ـ مصر
٤ ـ حافظ ابراهيم عبد الغفار ـ البحرين
٥ ـ حمزة بهلوان ـ المغرب
٦ ـ خميس الشاعر عوض ـ الامارات العربية
٧ ـ محمد المدلج ـ الرياض ـ السعودية
٨ ـ مصطفى محجوب عبد الله ـ السودان
٩ ـ صلاح جمعة ـ الأردن
١٠ ـ عبد الحميد أحمد الطاهر ـ السودان

استراحة الدوحة العدد ٧٩

ـ يعقوب عبد الكريم ـ السودان
٥ ـ يخلق من الشبه أربعين : رقم ٤
ـ طه محمد فله ـ السودان
ـ ابراهيم أحمد أدهم ـ مصر
٦ ـ دورى الكاريكاتير : رقم ٦
الكرماط ليلى ـ المغرب
ـ مأمون عبد القادر عرفه ـ الامارات
٧ ـ أجمل تعليق .
مبروك دى حالة حمل !
ـ الدكتور / محمد صايل هليل ـ الأردن
ـ أنته عندك أنيميا حادة جداً لازم تتغذى كويس !
ـ ماجدة عبد الرحمن الرفاعى ـ مصر

طمع أشعب



اشتهر اشعب بالطمع فكان لا يسمع بوليمة الا حضرها ، ولا يعلم ان قوماً اجتمعوا على الطعام الا وذهب اليهم وشاركهم فيما يأكلون

مر ذات يوم بقوم اجتمعوا على مائدة ، ولم يكن يعرفهم أو يعرفوه .. فسلم عليهم بقوله : « السلام عليكم يا بخلاء ! » فرد عليه القوم « لا والله بل نحن كرام » فثنى رجليه فى الحال ومد يده للطعام وهو يقول « اللهم اجعلنى من الكاذبين ، واجعلهم من الصادقين » ـ ولما سأله القوم عن اسمه وعرفوه ، ارادوا مضايقته فقالوا له : « احذر يا أشعب فنحن نأكل سماً » .

فرد اشعب : « نعم الطعام السم يأكله المرء مع اصدقائه ! ان الحياة بعدكم يا اخوانى حرام .. وهل يحلو لأشعب العيش بعدكم ، اذا متم بالسم يا أصدقائى ؟ » .

فضحك القوم .. وقال احدهم « تقول عنا إخوانك وأصدقاؤك .. فهل تعرف منا أحداً ؟

قال اشعب وهو يتبع لقمة بأخرى « نعم عرفت منكم اخاً وحبيبا وصديقا .. هو هذا » وأشار بيده الى الطعام الذى يأكله ! .

إيدوز مصطفى
الدار البيضاء

من أقوالهم

ـ لاتتهافت على اللئيم فتتهم فى مروءتك ، ولا على الغنى فتتهم فى عفتك ، ولا على الجاهل فتتهم فى فطنتك .

« أحمد شوقى »

ـ ما تستطيع تقطيعه بواسطة المعلقة لاتلجأ إلى تقطيعه بواسطة السكين .

« تشارلز باستون »

ـ اذا كنت تبحث لنفسك عن مكان تحت الشمس فلا بد لك أن تتوقع لسعاتها .

« صان شاين »

ـ افلاطون استاذى وصديقى ، ولكن الحق أولى بالصداقة من أفلاطون .

« أرسطو »

ـ معاقبة الشر بالشر ، إضافة شر الى شر

« قاسم أمين »

ـ إن السعادة شىء سهل لأنها حالة طبيعية ... ولكن أن تتعلم ألا تكون تعيساً فهذا أمر صعب ...

« واين دير »

حنان محمود غانم ـ دمشق

استراحة الدوحة



مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

رووف

دوري الكاريكاتير



اقتحم احد اللاعبين ارض الملعب كالصاروخ وسجل هدفاً قوياً فى مرمى الخصم ، هل تستطيع ان تحدد من هو صاحب الهدف وما رقم فانلته بدون الاستعانة بالقلم او اصبعك ؟ ... اذا استطعت ارسل لنا الحل لتفوز بجائزة (٦٠ ريالا) .

المثل يقول



إن هذه الصورة الساخرة .. تعبر عن مثل شعبى سائد حاول معرفته وارسله إلينا لتحصل على جائزة (٦٠ ريالا) .

خيال من ؟



● هل تستطيع التعرف على صاحب هذا الخيال ؟ مع العلم بانه لزعيم عربى فقدته الأمة العربية فى السبعنيات .. حاول ولك (جائزة ٦٠ ريالا) .

يخلق من الشبه أربعين



الصور الستة المنشورة هذا الشهر لستة أشخاص يشبهون السيدة انديرا غاندى رئيسة وزراء الهند وابنة الزعيم نهرو ، إلا أنك لو دققت النظر لاكتشفت أن هناك إختلافات بسيطة موجودة فى هذه الصور فيما عدا صورة واحدة تشبهها تمام الشبه .. هل تستطيع التعرف عليها ؟ .. حاول لتكسب (٦٠ ريالا) .

لوحة لم تتم!



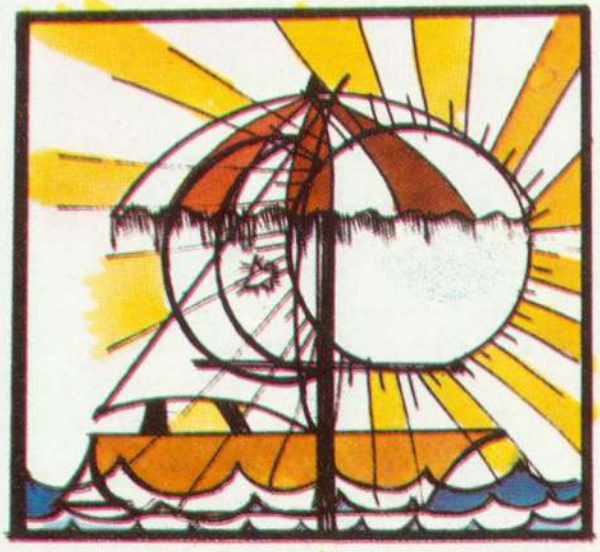
● هذه اللوحة لشاعر مصرى كبير .. يعاني من المرض منذ فترة طويلة .. ولم يستطع المرض أن يحول بينه وبين قلمه .. هل عرفته ؟ .. (الجائزة ٦٠ ريالا) .

لعبة الظلال



هل يمكنك مساعدة هذا اللاعب فى العثور على ظله الصحيح بين هذه الظلال الثلاثة ؟ .. الجائزة (٦٠ ريالا) .

لأصحاب الملاحظة فقط!



أمامك رسوم لستة اشياء متداخلة تستطيع التعرف عليها ؟ اذا عرفت الحل ارسله الينا لتحصل على جائزة (٦٠ ريالا) .

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

مجلة فصلية محكمة ، تقدم البحوث الاصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية .

تصدر عن جامعة الكويت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١

رئيس التحرير د. عبدالله العتيبي

مدير التحرير عبدالعزيز السيد

- تتناول المجلة الجوانب المختلفة للعلوم الانسانية والاجتماعية بما يخدم القاريء والمثقف والمتخصص .
- تعالج موضوعات المجلة الميادين التالية :
اللغويات النظرية والتطبيقية – الآداب والآداب المقارنة – الدراسات الفلسفية الدراسات النفسية – الدراسات الاجتماعية المتصلة بالعلوم الانسانية – الدراسات التاريخية – الدراسات الجغرافية – الدراسات التربوية – الدراسات حول الفنون (الموسيقى – التراث الشعبي – الفنون التشكيلية – النحت ... الخ) – الدراسات الاثارية (الاركيولوجية) .
- تقدم المجلة معالجاتها من خلال نشر :
البحوث والدراسات – مراجعات الكتب – التقارير العلمية – المناقشات الفكرية .
- مواعيد صدور المجلة : كانون ثاني – نيسان – تموز – تشرين أول .
- تنشر المجلة ملخصات للبحوث العربية بالانجليزية ، وملخصات بالعربية للبحوث الانجليزية .

ثمن العدد : للأفراد ٤٠٠ فلس
للطلاب ٢٠٠ فلس

الاشتراكات السنوية

	داخل الكويت	في الخارج
– للمؤسسات	١٠ د.ك.	٤٠ دولاراً أمريكيا
– للأفراد	٢ د.ك.	١٥ دولاراً أمريكيا
– للاساتذة والطلاب	١ د.ك.	١٠ دولارات أمريكية

- تقبل الاشتراكات في المجلة لمدة سنة أو عدة سنوات .
- قواعد النشر تطلب من رئيس التحرير .
- جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير :ـ

ص.ب : ٢٦٥٨٥ (الصفاة) الكويت – الشويخ – ت : ٨٢١٦٣٩ – ٨١٧٦٨٩ – ٨١٥٤٥٣



بيبسى

مشروب الجيل الصاعد



ثمار : للفنان نزار سليم